فهـــــرست

الجزء الثالث

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى

صفحة

المقالة الثانيـــة

صفحة

صفحة

(تم فهرست الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى)

ويليه الجزء الرابع

وأوله "الحالة الثالثة من أحوال المملكة

ما عليه ترتيب المملكة: من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا"

صبح الأعشى

الجـــزء الثالث

al-Qalqashandī, Aḥmad ibn ʻAlī
[Kitāb ṣubḥ al-aʻshā]

دار الكتب الخديوية

كتاب

صبح الأعشى

تأليف

الشيخ ابى العباس احمد القلقشندى

الجزء الثالث

طبع
بالمطبعة الاميرية بالقاهرة
١٣٣٢ هـ
١٩١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الأُولىٰ

(فى الكلام علىٰ نَفْس الخط ، وفيه سبعة أطراف)

الطَّرَف الأوّل

(فى فضيلة الخط)

قال تعالىٰ : ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فأضاف تعليم الخط إلىٰ نفسه ، وآمتنّ به علىٰ عباده ، وناهيك بذلك شرفا !

وقال جل وعز : ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فأقسم بما يَسْطُرونه .

وعن آبن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالىٰ : ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ أنه الخط كما تقدّم الكلام عليه .

ويروىٰ أنّ سليمان عليه السلام سأل عِفْرِيتا عن الكلام فقال : ريحٌ لا يبقىٰ ! قال فما قَيْدُه ؟ قال : الكِتَابة .

وقال عبيد الله بن العباس : الخط لِسانُ اليد .

وقال جعفر بن يحيى: الخط سِمْط الحكمة، وبه تُفَصَّل شُذورها، وينتظم منثورها.

وقال النَّظَّام[١]: الخط أصل الروح له جسدانية فى سائر الأعمال. إلىٰ ما يجرى هذا المجرىٰ.

وقال إبراهيم بن محمد الشيبانى: الخط لسان اليَد، وبَهجة الضمير، وسَفير العُقُول، ووَصِىُّ الفِكْر، وسِلاح المعرِفة، وأُنْس الإخوان عند الفُرْقة، ومحادثتهم علىٰ بُعْد المسافة، ومستودَع السِّر، وديوان الأمور.

وقال مسلم بن الوليد: من عجائب الله تعالىٰ فى خلقه، وإنعامه عليهم من فضله، تعليمُه إيَّاهم الكِتابَ المُفِيدَ للباقين، حِكَمَ الماضين، والمخاطِبَ للعيون بسرائر القلوب، علىٰ لغات متفرِّقة، فى معانٍ معقولة، بحروف مؤلَّفة من ألف، وباء، وجيم، ودال، متباينَاتِ الصُّوَر مختلفاتِ الجهات، لَقَاحُها التفكير، ونِتَاجُها التأليف، تخْرَس مُنْفَردة، وتَنْطق مُزْدوِجة، بلا أصواتٍ مسموعة، ولا ألْسُن مزورة، ولا حركاتٍ ظاهرة، ما خلا قلمًا جَوِّف باريه بطنَه ليَعْلَق المِدادُ به، وأرهف جانبيه ليرد ما آنتشر منه إليه، وشقَّ رأسه ليحتبس الآستمداد عليه، وأربع من شَفَتيه، ليجمعا حَواشىَ تصويره إليه، فهناك آشتدَّ القلم برشْفه، وقذف المادّة إلىٰ صدره، ثم مَجَّها من شَقِّه بمقدار ما آحتملت شَفَتاه بتخطيط أجزاء النقط التى أراد بها الخطوط، فالأبصار لها سامِيَة، فإذا حكَتْها الألسُن فالآذان لها واعية. وأَوْلىٰ أسمائها بها حينئذ الكلامُ الذى سَدّاه العقلُ وألْحَمه اللسان، وقطَعته الأسنان، ولفَظته الشَّفتان، وصَدّاه الجو، وجَرَّعته الأسماع علىٰ أنحاءٍ شتَّى، وسمِّيت[٢] لها الأشياء لتعريف متناكِرها، وتمييز متشابِهها، وتبيين معلومها من مجهولها. فمن ذلك فَضَل الكِتَابُ الصِّناعات.

(١) عبارة الضوء. "قال بعض العلماء: الخط كالروح فى الجسد".

(٢) لعله وسمت أى تعالت وفارت. أو وسميت بها الخ.

وبالجملة فليس يذكُر ذاكر شيئا مما يجرى به الخاطر، أو يميلُ إليه العقل، أو يُلقيه الفهم، أو يقع عليه الوهم، أو تُدرِكه الحواسُّ، إلا والكتَّابُ والكلام موكَّلان به، مدبِّران له، معبِّران عنه.

فلما أن تضمَّنت الحروفُ الدلالة، وقامت الألفاظُ بالعبارة، نطقت الأفواه بكل لغة، وتصرَّف المَنطِق بكل جهة، فلم تكتف منه أمَّة بأمة، ولم تستغنِ عنه مِلَّة دُونَ مِلَّة، فَعُرِّب ذلك بلغة العرب التى هى القاهرةُ لجميع اللُّغات، المنظَّمة لجميع المعانى فى وجيز الصِّفات.

ولو لم يكن من شَرَف الخط إلا أن الله تعالىٰ أنزله علىٰ آدم أو هُودٍ عليهما السلام كما تقدّم ذكره، وأنزل الصُّحُف علىٰ الأنبياء مسطورةً، وأنزل الألواح علىٰ موسىٰ عليه السلام مكتوبةً، لكان فيه كفاية.

وأيضا فإنَّ فيه من حِفْظ الحُقوق، ومنع تمرُّد ذَوِى العقوق، بما يُسطَّر عليهم من الشهادات، التى تقع فى السجلات، والمكاتَبات بين الناس لحوائجهم من المسافات البعيدة التى لاينضبط مثلُ ذلك لحامل رسالة، ولا يناله الحاضرُ بمشافهة وإن كثر حفظه وزادت بلاغته. ولذلك قيل: الخطُّ أفضلُ من اللفظ: لأن اللفظ يُفهِّم الحاضر فقط، والخط يفهِّم الحاضر والغائب. ولله القائل فى ذلك يصف القلم.

وأخْرَس يَنْطِق بالمُحْكَمات ۞ وجُثمانُه صامتٌ أجْوَفُ
بمكَّة يَنطِقُ فى خُفْيةٍ ۞ وبالشام مَنْطِقُه يُعْرَفُ

الطرف الثانى

(فى بيان حقيقة الخط)

قال الشيخ شمس الدين بن الاكفانى فى كتابه "إرشاد القاصد" فى حصر العلوم:

وهو علم تُعرف منه صورُ الحروف المفردة ، وأوضاعها ، وكيفيةُ تركيبها خطًّا ، أو ما يُكتَب منها فى السُّطور، وكيف سبيله أن يُكتَب، وما لا يُكتَب ، وإبدال ما يُبْدل منها فى الهجاء وبماذا يُبْدل . قال : وبه ظهرتْ خاصَّة النوع الإنسانىّ من القُوَّة إلى الفعل، وٱمتاز به عن سائر الحيوان ، وضَبْطُ الأموال، وترتيبُ الأحوال، وحفظُ العلوم فى الأدوار، وٱستمرارُها على الأطوار، وٱنتقالُ الأخبار من زمان إلى زمان، وحمل السِّرّ من مكان إلى مكان .

وبهذه الفضائل حافظت الغريزة الإنسانية على قَبُوله بطلب تعلُّمه محافظةً لم يحتج بها إلى تذكار بعد الغَيْبة. ولهذه العلة ٱستغنى عن كتاب يُصنَّف فيه .

ثم قال : وجميع العلوم إنما تعرف بالدلالة عليها : بالإشارة، أو اللفْظ، أو الخط ، والإشارة تتوقَّف على المشاهدة ، واللفظ يتوقَّف على حضور المخاطَب وسماعه ، أما الخط فإنه لا يتوقَّف على شىء فهو أعمُّها نفعا وأشرفُها .

وٱعلم أنه قد تقدّم فى الكلام على اللغة فى "النوع الأوّل مما يحتاج إليه الكاتب" أنه ينبغى للكاتب أن يتعلَّم لغةَ من يَحتاج إلى مخاطبته أو مكاتبته من اللغات غير العربيـة ، فكذلك ينبغى أن يتعلم من الخطوط غيرِ العربيـة ما يَحْتاج إليه من ذلك فقد قال محمد بن عمر المدائنىّ فى كتاب "القلم والدواة" : إنه يجب عليه أن يتعلم الهندية وغيرها من الخطوط العجميَّة . ويؤيد ذلك ما تقدّم فى الكلام على اللغـة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم "أمر زيْدَ بنَ ثابت رضى الله عنه أن يتعلَّم كتابَ يَهُودَ من السُّريانية أو العبرانية فتعلَّمها" وكان يقرأ على النبى صلى الله عليه وسلم كُتُبَهم ويجيبهم عنه .

الطرف الثالث

(فى وضع الخط، وفيه جملتان)

الجملـــــة الأولىٰ

(فى بيان المقصود من وضعه، والمُوازنة بينه وبين اللفظ)

أما بيان المقصود من وضعه اعلم[(١)] أن وضع اللفظ لأداء المعنىٰ الحاصل فى الذهن المشعور به للسمع، إذ لا وقوفَ علىٰ ما فى الذهن، ووضع الخط لأداء اللفظ المقصود فهمه للناظر فيه. فإذا أردت إيقافك أحدا علىٰ ما فى ذهنك من المعانى تكلمتَ بألفاظ وُضعتْ لها، وإذا أردت تأدية ألفاظٍ لذلك الإيقاف إلىٰ أحد بغير شِفَاهٍ، نقشْتَ النُّقوش الموضوعة لتلك الألفاظ، فيطالع تلك النقوش، ويفهم منها تلك الألفاظ، ومن الألفاظ تلك المعانى، ولا علاقةَ معقولةٌ بين المعانى والألفاظ علىٰ الأمر العام، ولا بين الألفاظ والنقوش الموضوعة، ومن ثَمَّ جاء آختلافُ اللُّغات والخُطُوط كالعربيَّة والرُّوميَّة وغيرِهما.

وأما المُوازنةُ بينه وبين اللفظ، فالأصلُ فى ذلك أن الخطَّ واللفظَ يتقاسمانِ فضيلةَ البيان ويشتركان فيها: من حيث إن الخط دالٌّ علىٰ الألفاظ والألفاظَ دالَّةٌ علىٰ الأوهام، ولأشتراك الخط واللفظ فى هذه الفضيلة وقع التناسبُ بينهما فى كثير من أحوالهما، وذلك أنهما يعبِّران عن المعانى إلا أن اللفظ معنًى متحرِّك والخطَّ معنًى ساكنٌ، وهو وإن كان ساكنا فإنه يفعلُ فعلَ المتحرك بإيصاله كلَّ ما تضمنه إلىٰ الأفهام وهو مستقرّ فى حيزه ومكانه قائم[(٢)] كما أن اللفظ فيه العَذْب الرشيقُ السائغ فى الأسماع كذلك الخط فيه الرائق المستحسَنُ الأشكالِ والصُّور. وكما أن اللفظ

(١) أى فنقول آعلم الخ. (٢) لعل وجه الكلام هكذا [مستقر فى حيزه، قائم فى مكانه، وكما الخ].

فيه الجَزْل الفصيح الذى يستعمله مَصاقِع الخُطَباء، ومَفَالِق الشُّعَراء، والمبتذَلُ السخيف الذى يستعمله العوام فى المكاتبة والمحاطبة، كذلك الخطّ فيه المحرَّر المحقَّق الذى تكتب به الكتُب السلطانية والأمور المهمة، وفيه المُطْلق المرسَل الذى يتكاتب به الناس و يستعملونه فيما بينهم . وكما أن اللفظ يقع فيه لحنُ الإعراب الذى يهجِّنه كذلك الخط يقع فيه لحْن الهجَاء . وكما أن اللفظ إذا كان مقبولا حُلْوا رفع المعنىٰ الخسيسَ وقرَّبه من النُّفُوس ، و إن كان غثًّا مستكرَها وضع المعنىٰ الرفيعَ وبعَّده من القلوب، كذلك الخط إذا كان جَيِّدا حسنًا، بعث الإنسان علىٰ قراءة ما أُودع فيه و إن كان قليل الفائدة، وإن كان ركيكا قبيحا، صَرَفه عن تأمُّل ماتضمَّنه و إن كان جليلَ الفائدة .

ولما آشترك اللفظ والخط فى الفوائد العامَّة التى جُعلت فيهما وقع الاشتراك أيضا بين آلتيهما إذ آلة اللفظ اللسانُ ، وآلة الخط القلَمُ ؛ وكل منهما يفعل فعل الآخر فى الإبانة عن المعانى إلا أن اللفظ لما كان دليلا طبيعيًّا جُعلت آلتُـه آلة طبيعيةً، والخط لما كان دليلا صِناعيًّا جعلت آلته آلةً صناعيةً؛ ولما تقاسمت الآلتان الدلالةَ نابت إحداهما مناب الأخرىٰ فأوقعوا آسمَ اللسان علىٰ القلم فقالوا : الأقلام ألْسِنَةُ الأفهام، وشرَّكُوا بينهما فى الآسم فقالوا : القلمُ أحدُ اللّسانين .

الجملة الثانية

(فى أصل وضعه ؛ وفيه مَسْلَكان)

المسلك الأول

(فى وضع مطلق الحروف)

قيل إن أوّل مَنْ وضع الخُطوط والكتُبَ كلَّها آدمُ عليه السلام : كتبها فى طين وطبخه، وذلك قبل موته بثلثمائة سنة ؛ فلما أظلّ الأرضَ الغرقُ أصاب كلّ قوم

كتابهم . وقيل أخنوخ (وهو إدريس عليه السلام) . وقيل إنها أنزلت على آدم عليه السلام فى إحدى وعشرين صحيفة . وقضية هذه المقالة أنها توقيفية علمها الله تعالى بالوحى، والمقالتان الأولتان محتملتان لأن تكون توقيفية وأن تكون اصطلاحية وضعها آدم وإدريس عليهما السلام . على أنه يحتمل أن يكون بعض ذلك توقيفيا علمه الله تعالى بالوحى، وبعضه اصطلاحيا وضعه البشر : واحدٌ أو جماعةٌ، فيصير الخلاف فيه كالخلاف فى اللغة هل هى توقيفية أو اصطلاحية على ماهو مقرر فى علم الأصول . والله سبحانه وتعالى أعلم .

المسلك الثانى

(فى وضع حروف العربية)

قال الشيخ أبو العباس البُونى رحمه الله فى كتابه "لطائف الإشارات، فى أسرار الحروف المعلومات":

يروى عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أنه قال : "سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسولَ الله كلُّ نبىٍّ مُرْسَل بم يُرْسَلُ؟ ــ قال بكتاب منزَّل ــ قلت يارسولَ الله أى كتابٍ أُنزِل على آدمَ ؟ ــ قال : ا ب ت ث ج إلى آخره ــ قلت يارسول الله كم حَرْف ؟ ــ قال : تسعٌ وعشرونَ ــ قلت يارسول الله عددْتَ ثمانيةً وعشرين، فغضبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتّى احمرَّت عيناه، ثم قال ياأبا ذرّ: والّذى بعثنى بالحقِّ نبياً ! ماأنزلَ اللهُ تعالى على آدم إلا تِسْعةً وعشرين حرفاً ــ قلت يارسول الله فيها ألف ولام ــ فقال عليه السلام : لام ألف حرفٌ واحد، أنزله على آدم فى صحيفةٍ واحدةٍ، ومعه سبعونَ ألفَ مَلَك، من خالف لام ألف فقد كفر بما أُنزِل على آدم! ومَنْ لم يعدّ لام ألف فهو برىء منّى وأنا برىء منه! ومَنْ لا يُؤْمن بالحروف وهى تسعةٌ وعشرون حرفاً لايخرج من النار أبدا مكانَه .

وهذا الخبر ظاهر فى أن المراد منه حروف العربيـة فقط ، إذ قد أجاب صلى الله عليه وسلم أبا ذرّ رضى الله عنه بحروف ا ب ت ث وأثبت منها لام ألف . وليس ذلك فى غير حروف العربية ، وقضية ذلك أن حروف العربية أنزلت على آدم عليه السلام وهو الموافق لما فى أول الفصل قبله ، لكن فى كتاب " التنبيـه على نقط المصاحف وشكلها " للشيـخ أبى عمرو الدانى رحمه الله أنها أنزلت على هُودٍ عليـه السلام ، ولا تباين بينهما : لجواز أن تنزل على آدم مرة وعلى هُودٍ أخرى ، فربما نزلت الآية على نبىّ ثم نزلت على نبىّ آخر كما قيل فى قوله تعالى : ﴿ حمٓعسق كَذٰلِكَ يُوحِى إِلَيْكَ وإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ إنه ما بعث الله تعـالى نبيًّا إلا وأنزل عليه ﴿ حمٓعسق ﴾ وقد أنزلت ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ على سليمان عليه السلام ، ثم أنزلت على النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ وربما أنزلت الآية الواحدة على النبىّ صلى الله عليه وسلم مرّتين كما فى الفاتحة فإنها نزلت مرةً بمكة ومرةً بالمدينة على أحد الأقوال .

وعلى الجملة فقضيته أنها توقيفيّة وهو الموافق لأحد الأقوال فى مطلق الحروف .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أوّلَ مَنْ وضع الحروف العربيةَ ثلاثةُ رجال من بَوْلانَ ، (وبَوْلانُ قبيلةٌ من طيّئ) نزلوا مدينة الأنبار ، وهم مُرَامِرُ(١) بنُ مُرَّة ، وأسلمُ بن سِدْرة ، وعامرُ بنُ جَدَرة ، اجتمعوا فوضعُوا حروفا مقطّعة وموصولة ، ثم قاسُوها على هِجاء السُّريانية ، فأما مُرامر(١) فوضع الصُّوَر ، وأما أسْلَمُ ففصل ووصل ، وأمّا عامر فوضع الإعجام ، ثم نُقِل هذا العِلم إلى مكة وتعلّمه مَنْ تعلمه وكثُر فى الناس وتداولُوه .

ونقل الجوهرىّ عن شَرْقىّ بن القَطَامىّ أن أول من وضعه رجال من طيّئ منهم مُرَامِرُ(١) بن مُرّة وأنشد عليه :

(١) فى الأصل مرار . والذى فى جميع معاجم اللغة مرامر ، وكذا فى البيت أيضا .

تَعَلَّمْتُ باجَادٍ وآلَ مُرَامِرٍ ٭ وسَوَّدْتُ أثوابِي ولَسْتُ بِكَاتِبِ

قال الجوهري : وإنما قال آل مُرَامِر لأنه كان قد سَمّى كل واحد من أولاده بكلمة من أبي جاد وهم ثمانية . وذكر غيره نحوه فقال : أول مَن آخترعه وألَّفَ حروفه ستة أشخاص من طَسْمٍ كانوا نُزُولا عند عَدْنانَ بن أُدَدَ، وكانت أسماؤهم : أبجد، و هوّز، و حطى، و كلمن، و سعفص، و قرشت، فوضعُوا الكِتَابةَ والخطَّ على أسمائهم، فلما وجدوا في الألفاظ حروفا ليست في أسمائهم ألحقوها بها، وسَمَّوْها الرَّوادِف، وهي الثاء المثلثة، والخاء، والذال، والظاء، والغين، والضاد المعجمات على حسب مايلحق من حروف الجُمَّل، ثم آنتقل عنهم إلى الأنبار، وآتصل بأهل الحِيرَة، وفشا في العرب ولم ينتشر كلَّ الآنتشار إلى أن كان المَبْعَثُ .

وقيل إن نفيسًا ونَصْرا وتيما ودومة بني إسماعيل وضعوا كتابا واحدا وجعلوه سطرا واحدا موصول الحروف كلّها غير متفرّق، ثم فرّقه نَبْت وهَمَيْسَعُ وقَيْذار، وفرّقوا الحروف وجعلوا الأشباه والنظائر . وعن هشام بن محمد عن أبيه قال : أخبرني قومٌ من علماء مصر أن أوّل من كتب الكِتَاب العربِيَّ رجُل من بني النَّضْر بن كنانة، فكتبته العرب حينئذ .

وقضيةُ هذه المقالات أنها آصطلاحية .

وفي السيرة لآبن هشام : أن أوّل من كتب الخطَّ العربيَّ حِمْيَرُ بنُ سبإٍ عَلَّمه في المَنَام قال : وكانوا قبل ذلك يكتُبون بالمُسْنَد سمّي بذلك لأنهم كانوا يُسْنِدونه إلى هود عليه السلام . وهو مخالف لما تقدّم من كلام أبي عمرو الداني : أن العربيّ أنزل على هود عليه السلام .

قال السهيلى رحمه الله فى "التعريف والإعلام" : والأصح مارويناه من طريق أبى عُمَر بن عبد البر رحمه الله يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال : "أوَّلُ مَنْ كَتَبَ بالعَرَبِيَّةِ إسماعِيلُ عليه السلام" قال ابن عبد البر : وهذا أصح من رواية "أوَّلُ مَنْ تكَلَّمَ بالعَرَبِيَّةِ إسماعِيلُ" وهذا محتمل للتوقيف أيضا : بأن يكون إسماعيل عُلِّمها بالوحى ، وللاصطلاح : بأن يكون وضعه من نفسه .

ثم أول ما ظهرت الكتابة العربية بمكة من قِبَلِ حَرْب بن أُمية . قال المدائنى : حدثنى حسانُ بن عبد الملك الأنصارى قال : حدثنى سليمان بن سعيد المزى قال : سمعت الفرّاء يقول حدثنى العمرى أنه قيل لابن عباس من أَيْنَ تعلَّمتم الهجاء والكتابة والشَّكْل؟ قال عُلِّمناه من حَرْب بن أُمَيَّة ، قيل : ومن أين عُلِّمه حرب بن أُمَيَّة ؟ قال : من طارئٍ طرأ علينا من اليمن ، قيل : ومن أين عُلِّمه ذلك الطارئ؟ قال : كانت(١) بالوحى لهود عليه السلام .

وذكر أبو عمرو الدانى فى كتاب " التنبيه على النقط والشكل " نحوه . وقيل أول ماظهرت باليمن من قِبَل أبى سُفْيان بن أمية : عم أبى سفيان بن حرب ، وأنه من قِبَل رجل من أهل الحِيرة ، قال أهل الحِيرة : أخذناها من أهل الأنبار .

وقال أبو بكر بن أبى داود عن علىّ بن حرب عن هشام بن محمد بن السائب قال : تعلم بشر بن عبد الملك الكتابةَ من أهل الأنبار ، وخرج إلى مكة ، وتزوج الصَّهباء بنتَ حرب . وقيل إنه لما تعلم أبو سفيان بنُ حرب الخطَّ من أبيه تعلمه عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه وجماعة من قريش ، وتعلمه معاويةُ بنُ أبى سفيان من عمه سُفْيانَ .

(١) فى الضوء [من كاتب الوحى] .

أما الأوس والخزرج فقد روى الواقدى بسنده إلى سعد بن سعيد قال : كانت الكتابةُ العربية قليلًا فى الأَوْس والخَزْرَج ، وكان يهودىٌّ من يهودِ ماسكةَ قد عُلِّمها فكان يعلِّمها الصِّبيان بجاء الإسلام وفيهم بِضْعةَ عشرَ يكتُبون ، منهم سعيد بن زُرارة ، والمنذر بنُ عمرو ، وأُبَىٌّ بن كعب ، وزيدُ بن ثابت ، يكتُب الكتابين جميعا العربية والعِبْرانية ، ورافعُ بن مالك ، وأُسَيْد بن حُضَيْر ، ومَعْنُ بن عدى ، وأبو عَبْس بن كثير ، وأَوْس بن خَوَلِىٍّ ، وبشير بن سعد .

قال صاحب " الأبحاث الجميلة فى شرح العقيلة " : والخط العربى هو المعروف الآن بالكُوفى ومنه آستُنْبِطت الأقلامُ التى هى الآن . وقد ذكر آبن الحسين فى كتابه فى قلم الثُّلُث أن الخطَّ الكوفى فيه عدة أقلام مَرْجِعُها إلى أصلين وهما التقوير والبسط .

فالمقوَّر هو المعبَّر عنه الآن باللَّيِّن : وهو الذى تكون عراقاته وما فى معناها منخسفة منحطة إلى أسفل كالثلث والرقاع ونحوهما .

والمبسوط : هو المعَبَّر عنه الآن باليابس وهو مالا آنخساف وآنحطاط فيه كالمحقَّق وعلى ترتيب هذين الأصلين الأقلامُ الموجودةُ الآن . ثم قد ذكر صاحب " إعانة المنشئ " أن أول ما نُقِل الخط العربى من الكوفىِّ إلى آبتداء هذه الأقلام المستعملة الآن فى أواخر خلافة بنى أُمَيَّة وأوائل خلافة بنى العباس .

قلت : على أن الكثير من كُتَّاب زماننا يزعمون أن الوزير أبا على بنَ مقلة (رحمه الله تعالى) هو أوّلُ من آبتدع ذلك ، وهو غلط فإنا نجد من الكُتُب بخط الأوّلين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفى بل يتغير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقِرة وان كان هو إلى الكوفى أميل لقُرْبه من نقله عنه .

قال أبو جعفر النحاس فى "صناعة الكتّاب" : ويقال إن جَوْدة الخط انتهت إلى رجلين من أهل الشام يقال لهما الضحّاك وإسحاق بن حمّاد، وكانا يخطان الجليلَ، وكأنه يريد الطُّومار أو قريبًا منه .

قال صاحب "إعانة المنشئ" وكان الضحاك فى خلافة السَّفّاح : أوّل خلفاء بنى العباس، وإسحاق بن حمّاد فى خلافة المنصور والمهدىّ .

قال النحاس : ثم أخذ إبراهيم (يعنى الشجرىّ) عن إسحاق بن حماد الجليلَ واخترع منه قلما أخفَّ منه سماه قلم الثلثين، وكان أخطَّ أهلِ دهره به، ثم اخترع من قلم الثلثين قلما سماه قلم الثلث .

قال صاحب "الأبحاث الجميلة" : وأخذ يوسف أخو إبراهيم الشجرىّ القلمَ الجليلَ عن إسحاق أيضا، واخترع منه قلما أدق منه وكتبه كتابة حسنةً فأُعْجِب به ذوالرياستَيْنِ الفضلُ بنُ سهل وزيرُ المأمون، وأمر أن تحرّر الكتبُ السلطانية به، ولا تكتب بغيره وسماه القلم الرِّياسىّ . قال بعض المتأخرين : وأظنه قلَمَ التوقيعات .

قال النَّحّاس : ثم أخذ عن إبراهيم الشجرىّ الأحولُ الثلثين والثلثَ، واخترع منهما قلما سماه قلم النصف، وقلما أخفَّ من الثلث سماه خفيف الثُّلُث، وقلما متصلَ الحروف ليس فى حروفه شىء ينفصل عن غيره سماه المسَلْسَل، وقلما سماه غُبار الحِلْيَة، وقلما سماه خط المُؤَامَرات، وقلما سماه خطَّ القِصَص، وقلما مقصوعا سماه الحَوَائجىّ . قال : وكان خطه يوصف بالبهجة والحُسْن من غير إحكام ولا إتقان، وكان عجيبَ البَرْى للقلم، وكان وجه النعجة مقدّما فى الجليل . قال : وكان محمد بن معدان يعنى المعروف بأبى ذرجان مقدّما فى خط النِّصف، وكان قلمه مستوىَ السِّنَّيْن، وكان يشُقُّ الطاء، والظاء، والصاد، والضاد بعرض النصف، ويعطف

قال ٱبن عبد السلام : وٱبتداؤه بشَظِيَّة ، أما ٱنتهاؤه فإن كان مرسلا فبسنّ القلم اليمنىٰ ، وإن كان معطوفا فبسنه اليُسْرىٰ . قال : ومساحة رأس الصاد فى الطول كُلُثَىْ ألِف خطه ، ومساحةُ قوسِها إن كان معطوفاً مساحةُ ألِف الكتابة ، وإن كان مرسلا فمساحة ألفين من قلم خطه .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن تجعلها مُرَبَّعة فتصير متساويةَ الزّوايا فى المِقْدار .

وقال ٱبن عبـد السلام : ٱعتِبار صحتها أن يكون أعلاها كراء معلّقة ، والمنسطح كباء ، والمقوّس كنون ، ويكون رأس النون مُشْرِفا علىٰ آخرها .

ولا يخفىٰ أن **الضاد** كذلك .

الطـاء

قال ٱبن عبد السلام : هو شكلٌ مركَّب من ثلاثة خطوط : منتصبٍ ، ومقوَّسٍ ، ومنسطِح ، يبدأ أوّلُه بنقطة وآخره بنقطة . قال : ومساحة ضَوْء الطاء فى الطول كُلُثَى ألِف خطِّه .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبارها كٱعتبار (١) .

وقال ٱبن عبـد السلام : ٱعتبار صحتها أن يكون المنتصب كألف من خطه فى الٱنتصاب والطول ، والمقوّس كراء معلقة ، والمنسطِح كباء مرسلة .

ولا يخفىٰ أن حكم **الظـاء** فى ذلك كالطاء .

---

(١) بياض فى الأصل بقدر كلمة .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها أن تَصِلها بمثلها فتصير نصفَ دائرة .

ولا يخفىٰ أن الزاى فى معناها .

السين

قال آبن مقلة : وهو شكلٌ مركَّب من خمسة خُطُوط : منتصِب ، ومقوَّس ، ومنتصِب ، ومُقَوَّس ، ثم مُقَوَّس .

قال آبن عبد السلام : ومساحة رأس السين من أول سِنّ منها إلىٰ ثالث سِنّ كثُلُثَىْ ألِف خطِّه . قال : ومساحةُ قَوْسها إن كان معطوفا مساحةُ ألف من خطه ، وإن كان مُرْسَلا مساحةُ ألفين من خطه . وطول كل سِنَّة مثلُ سُدُس ألف خطه ، يُبْدأ أوّلها بنقطة ، أما آخرها فإن كان مرسلا فبسنّ القلم اليمنىٰ ، وإن كان معطوفا فبسِنّه اليسرىٰ . قال : وإذا آبتدأت بالسِّنَّة وطلعت إلىٰ الثانية فخُذ إلىٰ الثالثة من أعلاها ليصير بياض من أسفلها ، فإنك متىٰ أخذت رأس سِنَّة من أسفلها صار أسفلها مصطحبا ، ويكون البياض الذى بين السنات علىٰ السوية فى البياض .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها يعنى صحة رأسها أن تُمِرّ بأعلاها وأسفلها خطين فلا تخرج عنهما شيئا ولا تنقص .

ولا يخفىٰ أن حكم الشين أيضا كذلك .

الصاد

قال آبن مقلة : هى شكل مركب من ثلاثة خطوط : مقوَّس ، ومنسَطِح ، ومقوَّس .

أوّلها عن آخرها إلا يسيرا، ولا آخرُها عن أوّلها بل تكون منسبكة فيه . وٱعتبار نصف الدائرة أن تقابله بنصف آخر فيصير دائرة. ثم قال : ولْيَقْصِد أن يجعل رأسَ الجيم ســواءً آخذا ٱبتداء الدائرة فى جسد ثلث الرأس، منسبكا فيه ، بحيث يكون الثلث ضِلَعا واحدا .

ولا يخفى أن الحاء والخاء فى معنى الجيم فى جميع ماتقدّم .

الدال

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركّب من خطين : منكبٍّ ومنسطح، مجموعهما مساوٍ للألف. وجعل ٱبن عبدالسلام منها شكلا آخر مركّبا من ثلاثة خطوط : منكبٍّ، ومُنْسطح، ومستدير . وكأنه يريد الدال المجموعة . ثم قال : فالمنكب طوله بمقدار نصف ألف خطِّه لاغيرُ، وكذلك المنسطح . وٱبتداء أوّلها بنقطة، وآخرها إن كان مرسلا بقَطّة، وان كان معطوفا بسِنّ القلم اليُسْرى .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن تصل طرَفيها بخطٍّ فتجده مثلّثا متساوى الأضلاع .

ولا يخفى أن الذال فى معنى ماتقدّم .

الراء

قال ٱبن مقلة : وهى شكلٌ مركّب من خطٍّ مقوّس هو ربع الدائرة التى قُطْرها الألف وفى رأسه سِنّة مقدّرة فى الفكر .

قال ٱبن عبد السلام : وتبدأ أوّلها بنقطة، وآخرها إن كان مُرْسَلا فبسنّ القلم اليمنى، وإن كان معطوفا فبسنّه اليسرى .

اليسرى، والمستدير فيه مثل المنتصب، ولكن يكون المنتصبُ أرجَحَ من المستدير بنَزْرٍ يسير، وتكون السِّنَّة المبتدأُ بها مترجِّحةً فى الطُّول على آخرها المعطوف .

قال آبن مقلة : وآعتبارُ صحَّتها أن تزيد فى أحدِ سِنَّيْها ألِفًا فتصير لاما . وزاد ابن عبدالسلام فى إيضاحه فقال : أن تزيد المنتصب تكملة ألف بحيث يكون طول جملته كطول المنسطح لا أطولَ ولا أقصَر . ثم قال : وهذا الحرف وما يجْرِى مجْراه من يَمْنة إلى يَسْرة، وكلُّ ما كان كذلك فينبغى أن يمال القلم فيه نحو اليَسْرة قليلا .

ولا يخفى أن التـاء والثـاء فى معنى الباء فى ذلك جميعه .

الجـيم

قال آبن مقلة : هى شكل مركَّب من خَطَّيْن : مُنْكَبٍّ ونصف دائرة، وقُطْرها مساوٍ للألف . وأبدل آبن عبد السلام المُنْكَبَّ بالمُنْسطِح . ثم قال : والمنسطح كثلثَىْ ألِفٍ من خطه، وربما يكون أنقصَ بنُقْطة . قال : ومساحة نصف الدائرة كألِف ونصفِ ألِفٍ من قلم الكتابة، ورأسُها يكونُ من يَسْرةٍ إلى يَمْنةٍ على آستقامةٍ تقريبا، وكلُّ ما كان كذلك ينبغى أن يمال برأس القلم فيه إلى اليَمْنة قليلا، يُبْدأ أوله بشَظِيَّة بالسِّنّ اليمنى من القلم، وآخر تعْريجها بالسِّنّ اليُسرى منه .

قال آبن مقلة : وآعتبارُ صحتها أن تخُطَّ عن يمينها وشمالها خطَّيْن فلاتنقص عنهما شيئا يسيرا ولا تخرج .

وقال آبن عبد السلام : وآعتبار صحة رأسها أن تكتُبه من يَسْرة إلى يَمْنة على آستقامةٍ تقريبا . قال : وحسْنُها أن تخْفِضها من الجهة اليمنى قليلا، وميزانُها أن تُسطِّر سطرا وتأخذ عليه من يَسْرة إلى يَمْنةٍ مقدارَ ثُلثَىْ ألِفٍ من قلم الكتابة، بحيث لا يرتفع

قال الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وهى قاعدة الحروف المفردة، وباقى الحروف متفرّعة عنها ومنسوبة إليها .

ثم الذى ذكره صاحب " رسائل إخوان الصفا " فى رسالة الموسيقى، عند ذكر حروف المعجم استطرادا أن مساحتها فى الطول تكون ثمانَ نُقَط من نُقَط القلم الذى تكتب به ليكون العرض ثُمُن الطُّول .

والذى ذكره الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : أنها مقدّرة بست نقط .

والذى ذكره الشيخ زين الدين شعبان الآثارى فى ألفيته أنها مقدّرة بسبع نقط، فما زاد على ذلك كان زائدا عن مقدارها وما نقص كان ناقصا عنه .

قال ابن عبد السلام : وتكون النقطة مربعة . قال : ويكون ابتداؤها بنقطة وآخرها بشَظِيَّة .

قال ابن مقلة : واعتبارها أن تخط إلى جانبها ثلاث ألِفات أو أربع ألِفات فتجد فضاء ما بينها متساويا .

قال ابن عبد السلام : وتكون تلك الألفاتُ المخطوطةُ إلى جانبها مناسِباتٍ لها فى الطول متساوياتِ الرءُوس والأذناب .

الباء

قال ابن مقلة : هى شكلٌ مركّب من خطين : منتصِب ومنسطح . قال : ونسبته إلى الألف بالمساواة .

قال ابن عبد السلام : ويكون المنتصب طولُه بمقدار ثُلث ألِف خطّه . قال ويُبدأ أوّلُه بنقطة، وكذلك آخره إن كان مُرْسَلا ، فإن كان معطوفا فليكُنْ بسِنّ القلم

من المركَّب بالثنائى والثلاثى، ثم بالرباعى، ثم بالخماسى؛ فإن هذه هى أمثلة الأسماء والحروف الأصلية، وأن يعتمد فى التمثيل على توقيف المَهَرة فى الخطوط، العارفين بأوضاعها ورسومها وآستعمال آلاتها، فإن لكل خط من الخطوط قلَما من الأقلام يصلُح لذلك الخط؛ وهذه الأقلام المختلفة نظير آلات الصنائع المختلفة التى يصنع الصانع بكل آلة منها جزءا من صِناعته لا يصنع به غيره؛ ولا يعوّل على كتابة خط من الخطوط بنقل مثاله بنفسه فإن ذلك لا يكفيه، إذ لو كان ذلك كافيا لآستُغنى فى جميع الصنائع عمن يُوَقِّف عليها. على أن كثيرا من أصحاب الخطوط قد كتبوا طبعا دون التوقيف من أحد على طريقة من طرق المحرّرين، إلا أن الأفضل أن يبنى الخطُّ على أصل يكون له أساسا، فإذا فُصِّلت أحواله آنكشف فسادُ كثيرٍ من حروفه.

الطرف السادس

(فى قواعدَ تتعلق بالكتابة،
لا يَستغنِى الكاتب المُجِيد عن معرفتها؛ وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(فى هندسة الحروف، ومعرفة آعتبار صحتها ونحن نذكرها على ترتيب الحروف)

الألف

قال الوزير أبو علىّ بن مُقْلَة: وهى شَكْل مركّب من خطٍّ منتصب، يجب أن يكون مستقيما غير مائل إلى آستلقاء ولا آنكباب. قال: وليست مناسبةٌ لحرف فى طُول ولا قِصَر.

ويجب مع ذلك أن يراعى تأسيس الخط على الوضع الذى آصطلح عليه المجيدون من الكُتّاب . فقد قسمَ أهلُ الصناعة الخط إلى قسمين : محقَّق ومُطْلَق .

فأما المحقَّق فما صَحَّتْ أشكاله وحروفُه على آعتبارها مفردة .

قال فى "مواد البيان" : وهذا القسم هو الذى يُستعمل فى الأمور الجسيمة : ككُتُب العهود ، والإسجالات ، والتمليكات التى تبقى على الأعقاب ، والمكاتبات الصادرة عن الملوك إلى الملوك ، الدالة على قدر المكتوب عنه والمكتوب إليه .

وأما المُطْلَق فهو الذى تداخلت حروفه وآتصل بعضُها ببعض .

قال فى "مواد البيان" : وهو خط مولَّد من المحقَّق ، يستعمل فى تنفيذ مالا يمكن تأخيره من المكاتبات المهمَّة والأمور العاجلة . قال : ويجب أن يَلْزَم الطريقة فى كل واحد من الخطين ، ولا يَخلِط حروف أحدهما بحروف الآخر .

الجملة الثـانية

(فى الطريق إلى تحسين الخط ، ويتوصَّل إلى ذلك بأمور)

الأوّل[1] — معرفة تشكيل الحروف

قال فى "مواد البيان" : وهو الأصل فى أدَب الخط : لأن الخط إنما يسمَّى جيدا إذا حَسُنَتْ أشكال حروفه ، وإنما يسمَّى رديئا إذا قَبُحتْ أشكال حروفه . وحُسْن صور حروف الخط فى العين شبيهٌ بحُسْن مخارج اللفظ العَذْب فى السَّمْع .

قال : والوجه فى تصحيح الحروف أن يبدأ أوّلا بتقويمها مفردةً مبسوطةً لتصح صورة كل حرف منها على حيالها ، ثم يؤخذ فى تقويمها مجموعة مركبة ، وأن يُبْدأ

(١) لم يذكر غيره ولعله آكتفى بما تقدم فى الأدوات من حسن البراية والحبر والليقة وغير ذلك فليتنبه .

مفتَّح العُيون، أملس المُتون، كثير الآئتلاف، قليل الآختلاف، هشَّتْ إليه النفوس، وآشتهتْه الأرواح؛ حتّى إن الإنسان ليقرؤه وإن كان فيه كلامُ دَنِىء، ومعنًى ردىء، مستزيدا منه ولو كَثُر، من غير سآمة تلحَقُه؛ وإذا كان الخط قبيحًا مجَّتْه الأفهام، ولفظَتْه العيون والأفكار، وسَئِم قارئه، وإن كان فيه من الحِكْمة عَجائبُها، ومن الألفاظ غَرائبُها.

ويقال: إن الخط مُوازٍ للقراءة، فأجود الخط أبينُه، كما أن أجود القراءة أبينُها؛ ولا يخفى أن الخط الحَسَن هو البيِّن الرائقُ البَهِج. ثم قد تقدّم فى الكلام على أصل وضع الخط أن الخطَّ واللفظ يتقاسمانِ فضيلةَ البيان، ويشتركان فيها.

قال فى "موادّ البيان": ولما كان الخط قسيما للَّفْظ فى البيان الذى آمتَنّ الله تعالى بتعليمه على الإنسان، وجب على الكاتب أن يُعْنَى بأمر الخط، ويُراعِىَ من تجْويده وتصحيحه، ما يراعيه من تهذيب اللفظ وتنقيحه: ليدُلَّ على سُرْعةٍ وسهولةٍ كما يدُلُّ اللفظ البليغ البيِّن: لأن الخط وإن كان على الإطلاق فى المنزلة التى لاتُساوَى من الشرف فإنما تحصل فضائلُه للجيد منه، كما أن المَنطِق وإن كان من الشرف فى هذا الحدّ فإنما تحصل فضائله التامَّةُ لَمنْطِق البليغ اللَّسِن، دون مَنْطِق العَيِّ الألكن؛ وكذلك سائر الصنائع الفاضلة على الإطلاق إنما يحصل فضلها للماهر فيها دون المبتدئ.

قال: فينبغى للكاتب أن لا يقدّم على تهذيب خطه وتحريره شيئا من آدابه فإن جَوْدة الخط أوّلُ الأدوات التى ينتظم بحصولها له آسم الكتابة، ويُحكَم عليه إذا حازها بأنه من أهلها. وقد دخل بحُسْن الخط فى الصناعة مَنْ إذا فُحِص عن مقدار معرفته وجب أن تُنزَّه الكتابةُ عن نسبته إليها.

صورة الألف إحدىٰ عشرة صورة ألف قائمة : وهى ا وسبعُ ألفات[1] مسطوحة :
وهى ب ت ث ، ك ل ى ، فكل هذه علىٰ صورة الألف غير أن فيها
ماتكرَّر فيه صورةُ الألف : وهى الكاف واللام ، وألفان مبطوحتان : وهى ط ظ ؛
وألف معطوفة : وهى لا ، وفى الجيم سبع صور جيم مُرَقَّلة : وهى ج ح خ ،
وجيان محذوفتان وهما د ذ ، وجيان شاخصتان وهما ع غ ؛ وفى الراء ثلاث
صور وهى ر ز و ، وفى النون ست صور وهى ن س ش ص ض ق ؛
وفى الميم صورتان وهما م ه .

الطرف الخامس

(فى تحسين الخطّ ، وفيه جملتان)

الجملة الأُولىٰ

(فى الحث علىٰ تحسين الخط)

لاخفاءَ أن حُسْن الخط من أحسن الأوصاف التى يتصفُ بها الكاتبُ ، وأنه يرفع قَدْرَه عند الناس ، ويكون وسيلةً إلىٰ نُجْح مقاصده ، و بلوغ مآربه ؛ مع ماينضم إلىٰ ذلك من الفوائد التى لا تكاد تُحصىٰ كثرةً .

وقد قال أمير المؤمنين علىّ كرم الله وجهه : "الخط الحَسَنُ يزيد الحَقّ وضُوحا" .

وقال بعض العلماء : الخط كالروح فى الجسد ، فإذا كان الإنسانُ جسيما وسيما حسن الهيئة ، كان فى العيون أعظم ، وفى النفوس أفخم ؛ و إذا كان علىٰ ضد ذلك سَئِمَتْه النفُوسُ ، ومجّته القلوب ؛ فكذلك الخط إذا كان حسنَ الوصف ، مليحَ الرَّصْف ،

(١) لم يذكر إلا ستة ولعل الساقط الفاء فانها لم تذكر فى الصور الآتية .

على أنه قد اختلف فى كلمات أبجد هل لها معنى أم لا، وهل يكره تعلّمها أم لا، وأكثر الناس فى الشرق والغرب على تعلّمها .

وقد جاء أنها كانت تُعَلَّم فى زمن عمرَ بنِ الخطاب رضى الله عنه، ويشهد لذلك قول الأعرابىّ فى أبياته :

أتيتُ مهاجرينَ فعلّمونى ❊ ثلاثةَ أسْطُرٍ مُتتابِعاتِ
وخَطُّوا لى أبا جادٍ وقالوا ❊ تَعلَّمْ سَعْفَصًا وقُرَيْشاتِ

وقيل : إن أبجد، وهوز، وحطى، وكلمن، كانت أسماء ملوك مَدْيَن، وإن كلمن كان فى زمن شُعَيْب عليه السلام ، وقد تقدم أن الأربعة المذكورة كانت أسماء واضِعِى الخط العربىّ على قولٍ والله أعلم .

الجملة الخامسة

(فى كيفية صور الحروف العربية وتداخل أشكالها)

قد تقدم أن الحروف العربيةَ على تسع عشرة صورة : وهى صورة الألف، وصورة الباء والتاء والثاء، وصورة الجيم والحاء والخاء، وصورة الدال والذال، وصورة الراء والزاى، وصورة السين والشين، وصورة الصاد والضاد، وصورة الطاء والظاء، وصورة العين والغين، وصورة الفاء والقاف[(١)]، وصورة الكاف، وصورة اللام، وصورة الميم، وصورة النون، وصورة الهاء، وصورة الواو، وصورة اللام ألف، وصورة الياء، وفرقوا بينها بالنقط كما سيأتى ، وقصدوا بذلك تقليل الصُّوَر للاختصار لأن ذلك أخف من أن يجعل لكل حرف صورة فتكثُر الصُّوَر . ثم ترجع الصور التِّسعَ عشرةَ صورةً[(٢)] بعد ذلك إلى خمس صور : وهى الألف والجيم والراء والنون والميم ؛ ففى

(١) لعله وصورة القاف ليتم العدد ولاختلاف الصورتين فى الرسم .

(٢) لعله زائد من الناسخ والصواب إسقاطه .

ومنهم من يبـدأ من اليسار إلىٰ اليمين كالروميـة واليونانيّـة والقبْطية ، وفنٌّ من الفارسـية آخذا فيه علىٰ سير الكواكب السبعة السيارة من المغرب إلىٰ المشرق . ويقال له مأخذ دَوْرىّ ؛ وقيل لأنه ناشئ عن حركة القلب إلىٰ الكبد .

الجملة الرابعـة

(فى كيفية ترتيب الحروف)

وٱعلم أن ترتيب الحروف علىٰ ضربين : مفردٍ ومزدَوِجٍ ؛ وبين أهـل الشرق وأهل الغرب فى كل من النوعين خلاف فى الترتيب .

أما المفرد فأهل الشرق يرتبونه علىٰ هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ
ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ى

وأما أهل الغرب فإنهم يرتبونه علىٰ هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض
ع غ ف ق س ش ه و لا ى

وأما المزدَوِجُ فأهل الشرق يرتبونه علىٰ هذا الترتيب :

أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ .

وأهل الغرب يرتبونه علىٰ هذا الترتيب :

أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ظغش[1] .

---

(١) كذا فى الأصل والضوء، ولعل الصواب ظغش .

والخاء المعجمة، والعين المهملة، والغين المعجمة، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والهاء، والواو، والياء المثناة تحتُ . تقول الألف والباء والحاء فتظهر اللام فى لفظك وكذلك فى البواقى . وما يندغم منها أربعةَ عشرَ حرفا أيضا بعدد المنازل الغائبة : وهى التاء المثناة من فوق، والثاء المثلثة، والدال المهملة، والذال المعجمةُ، والراء، والزاى، والسين المهملة، والشين المعجمة، والصاد المهملة، والضاد المعجمة، والطاء المهملة، والظاء المعجمة، والنون . تقول التاء، والثاء، والدال فتخفى فى لفظك، وكذلك فى البواقى .

وقد تقدّم فى خبر أبى ذرّ رضى الله عنه أنها نزلت على آدم عليه السلام تسعةً وعشرين حرفا عدّ منها اللام ألف وهو الموجود فى التصوير فلا يعوّل إلا عليه إن صح الحديث .

ثم للحروف العربية فروعٌ توجَدُ فى اللفظ دون الكتابة مستحسَنةٌ ومستقْبَحة، تبلغ بها الحروف العربية سبعة وأربعين حرفا، ولا يوجد ذلك فى لغة أمة من الأمم، أضربنا عن ذكرها لعدم تعلّقها بالخط الذى نحن بصدده، وبالله المستعان .

الجملة الثـالثة

(فى بيـان جهة آبتداآت الحروف)

وآعلم أن أصحاب الأقلام آختلفوا باعتبار مقاصدهم فى البُداءة بالحروف .

فمنهم من يبدأ من اليمين إلى اليَسار كالعرب والعِبْرانيين والهُنُود وأهل الطبيعة والسُّرْيانيين، آخذا فيه على سير الفلك من المشرق إلى المغرب، والمشرق عندهم يمين الفلك ويقال له مأخذ كُورِىّ، وقيل لأن فيه الآستمداد من الكبد إلى القلب .

تقدم، كانت حروف الكلام العربىّ التى بها رُقِم القرءان الكريمُ ثمانيةً وعشرين حرفًا فى اللفظ، متوسطةً بين حروف اللُّغات، وهى ا ب ت ث إلىٰ آخره، وتسمى حروفَ الهِجاء وحروف التَّهجِّى، ويسميها سيبويه والخليلُ حروفَ العربية أى حروف اللغة العربية، وهى التى يتركَّب منها الكلامُ العربىّ، وتسمى أيضا حروفَ المُعْجَم، إما لأنها مقطَّعة لا تُفْهَم إلا بإضافة بعضها إلىٰ بعض، وإما لأن منها ما يُنقط النقطَ المعروفَ، أو تنقط كلُّها أى تُشْكَل إذ النقط قد يكون بمعنىٰ الشَّكل.

وقال بعض أهل اللغة: النقط بالسواد كمثل التاء عليها نقطتان[1]، يقال منه أعجمتُ الحروف، ومعناه حرف الخط المُعْجم. وبعضهم[2] يجعل المُعْجم مصدرا بمعنىٰ الإعجام من أعجمتُ الشىء إذا بيَّنته فكأنها مبيِّنة للكلام، وتكون الهمزةُ فى أعجمت للإزالة أى أزالت عُجمتَه إما بنقطه أو شكله.

قال الشيخ عبد الخالق بن أبى القاسم المصرىّ: وإذا آعتبرت سائر اللغات بالتحقيق لن يزيد ذلك علىٰ ثمانيـة وعشرين حرفًا (يريد غير اللام ألف) فى الحروف العربية والقائل بذلك يجعل اللام ألف مركبا من حرفين فلا يعدّه حرفا مستقلًّا.

قال علماء الحرف: وجعلت ثمانية وعشرين حرفا علىٰ عدد منازل القمر الثمانية والعشرين.

قالوا: ولما كانت المنازلُ القمريةُ يظهَر منها فوق الأرض أربع عشرة منزلةً ويغيبُ تحت الأرض أربعَ عشرةَ كانت هـذه الحروف ما يظهر منها مع لام التعريف أربعةَ عشرَ بعدَد المنازل الظاهرة: وهى الألف، والباء، والحاء المهملة،

(١) أى العجم النقط الخ كما فى اللسان.

(٢) هو المبرد كما نقله عنه فى اللسان.

الطرف الرابع

(فى عَدَد الحروف، وجهة ٱبتدائها، وكيفية ترتيبها؛ وفيه أربع[(١)] جمل)

الجملة الأولىٰ

(فى مطلق الحروف فى جميع اللغات)

وٱعلم أن الحروف تختلف بٱختلاف اللُّغات بحسب تعدُّد مخارجها، فحروف السُّرْيانيين، والرُّوم، والفُرْس، والصَّقْلَب، والتُّرك من أربعة وعشرين حرفا إلىٰ ستة وعشرين حرفا؛ وحروف العِبْرانيين، واليُونانيين، والقِبْط الأُوَل، والهُنود وغيرهم من ٱثنين وثلاثين إلىٰ ستة وثلاثين؛ فيوجد فى غير العربية من الحروف ما لا يوجد فى العربية كما يوجد فى العربية ما لا يوجد فى غيرها من اللُّغات، ويكثر فى الٱستعمال فيها ما لا يكثر فى غيرها . فالحاء المهملة، والظاء المعجمة مما أُفْرِدت بها العربُ فى لغاتها، وٱختصت بها دون غيرها من أرباب اللُّغات؛ والعين المهملة قليلة فى كلام بعض الأمم ومفقودة فى كلام كثير منهم؛ وكذلك الصاد والضاد والذال المعجمة ليست فى الفارسية، والثاء المثلثة ليست فى الروميَّة ولا فى الفارسية، والفاء ليست فى التركية .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : ولذلك يقولون فى فقيه بقيه بالباء الموحدة المشربة الفَيَوِيَّة .

الجملة الثانية

(فى حروف العربية)

وٱعلم أنا لما كنا بحمد الله أُمَّةً وسطًا خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجتْ للناس، وكان خيرُ الأمور أوسَاطَها، وكانت حروف اللُّغات ما بين أربعةٍ وعشرين حرفا إلىٰ ستة وثلاثين كما

(١) المعدود خمس .

وَٱسْتَشْعَرَ الكُتَّابُ فَقْدكَ سالِفًا ◦ فَجَرَتْ بِصِحَّةِ ذلك الأيّامُ
فلِذاكَ سَوَّدتِ الدُّوِىُّ وُجُوهَها ◦ أسفًا عليكَ وشُقَّتِ الأقْلامُ

وممن أخذ عنه محمدُ بنُ عبد الملك، وعن محمدِ بنِ عبد الملك أخذتِ الشيخةُ المحدِّثة الكاتبة زينبُ الملقَّبةُ بشُهْدة ٱبنةُ الابرى، وعنها أخذ أمينُ الدين ياقوتٌ، وعنه أخذ الولىُّ العجمىّ، وعليه كتب العفيفُ، وعن العفيف أخذ ولدُه الشيخُ عماد الدين، ويقال إنه كان كٱبن البوّاب فى زمانه . وعن الشيخ عماد الدين بن العفيف أخذ الشيخ شمسُ الدين بنُ أبى رُقَيبةَ محتسبُ الفُسْطاط، وهو ممن عاصَرْناه، وأخذ عنه شيخُنا الشيخ شمسُ الدين محمدُ بن علىّ الزِّفْتاوىّ المكتِّب بالفُسْطاط، وصنف مختصرا فى قلم الثلث مع قواعدَ ضمَّها إليه فى صنعة الكتابة، أحسن فيه الصنعَ، وبه تخرّج صاحبُنا الشيخ زين الدِّين شَعْبان بن محمد بن داود الآثارىّ محتسبُ مِصْر، ونظم فى صنعة الخط ألفية وسمّها (بالعِناية الربّانيه فى الطريقة الشّعبانيه) لم يُسبَقْ إلى مثلها، ثم توجه بعد ذلك إلى مكة، ثم إلى اليمن والهند، ثم عاد إلى مكة فأقام بها ونبغ .

قلت : وقد علم مما تقدّم ذكره أن ألقاب الأقلام : من الثلثين والنصف والثلث وخفيف الثُّلُث والمُسَلْسَل والغُبَار قديمةٌ ، وإن وقع فى أذهان كثير من الناس أنها من مخترعات ٱبن مقلة وٱبن البوّاب فمن بعدهما .

مثل يا، ويصل كلَّ ياءٍ من يساره إلىٰ يمينه بعَرْض النصف لا يرىٰ فيه آضطراب.
وكان أحمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف أجلَّ الكُتّاب خطًّا فى الثلث، وكان آبنُ الزَّيّات فى أيام آبن طولون وزيرِ المعتصم يعجبه خطُّه ولايكتب بين يديه غيرُه، وآنتهت رياسةُ الخط بمصر إلىٰ طَبْطب المحرِّر جودةً و إحكاما .

قال النحاس : وكان أهل مدينة السلام يحسُدونَ أهل مصر علىٰ طَبْطب وآبن عبد كان يعنى كاتب الإنشاء لآبن طولون، ويقولون بمصر كاتبٌ ومحرِّرٌ ليس لأمير المؤمنين بمدينة السلام مثلُهما .

قلت : ثم آنتهت جودة الخط وتحريرُه علىٰ رأس الثلثمائة إلىٰ الوزير أبى علىّ محمد آبن مقلة وأخيه أبى عبد الله .

قال صاحب "إعانة المنشئ" : وولَّدا طريقة آخترعاها وكتب فى زمانهما جماعة فلم يقاربوهما . وتفرّد أبو عبد الله بالنَّسْخ، والوزير أبو علىّ بالدَّرْج، وكان الكمال فى ذلك للوزير، وهو الذى هَنْدَس الحروفَ وأجاد تحريرها، وعنه آنتشر الخطُّ فى مَشَارق الأرض ومغَاربها، ولله قول القائل :

سَبَقَ الدَّمْعُ فى المَسِيرِ المَطَايَا ◦ إذ روىٰ من أحِب عنه بقُلَّه
وأجادَ السُّطورَ فى صَفْحةِ الخـدّ ولَمْ لايُجِيدِ وهْو آبنُ مُقْله

وقول الآخر:

تَسَلْسَلَ دَمْعِى فَوْقَ خَدِّى أَسْطُرا ◦ ولا عَجَبٌ مِنْ ذاكَ وهو آبنُ مُقْلةِ

ثم أخذ عن آبن مقلة محمد بن السمسمانى، ومحمد بن أسد، وعنهما أخذ الأستاذ أبوالحسن علىّ بن هلال المعروف بابن البوّاب، وهو الذى أكمل قواعد الخط وتممها وآخترع غالبَ[1] الأقلام التى أسسها آبن مقلة، ولما مات رثاه بعضهم بقوله :

(١) فى الضوء . وآخترع عدة أقلام .

العين

قال ابن مقلة : وهى شكلٌ مركّب من خطين : مقوّسٍ ومنسطحٍ أحدهما نصف الدائرة .

وقال ابن عبدالسلام[(١)] : هى شكل مركب من ثلاثة خطوط : مقوّس، ومنكب، يبدأ أوّلها بشظيّة ، وآخر تعريجها بسنّ القلم اليسرىٰ ، والتعريجة نصف دائرة ؛ ومساحة القوس كألفٍ وثلث من قلم الكتابة ، ومساحة الرأس فى الطول كثلثَىْ ألفِ خطه ، ويصوّر من رأسها رأس صاد .

قال ابن مقلة : واعتبار صحتها كاعتبار الجيم .

وقال ابن عبدالسلام : اعتبارها أن تخط عن يمينها خطا من أعلاها إلىٰ منتهىٰ تعريجها فلا يقصر ظهر القوس عن يسارها يسيرا بنقطة تكون سدس ألف خطها لاغير .

ولا يخفىٰ أن الغين فى الحكم كذلك .

الفاء

قال ابن مقلة : هى شكلٌ مركّب من أربعة خطوط : منكَبٌ ، ومستلقٍ ، ومنتصب ، ومنسطح .

قال ابن عبد السلام : تبدأ أوّله بنقطة وتأخذه علىٰ سطر إلىٰ جهة اليسار ، ثم تأخذ المستلق إلىٰ أن تنتهِىَ إلىٰ قُبالة المنسطح بحيث يصير كالدال المقلوبة ، ثم

---

(١) لعله مقوّسين . وفى الأصل تضبيب إشارة إلىٰ التوقف .

تأخذ من حيث انتهيت إلىٰ أن تَلْصَق بالمنسطح فيبقىٰ مثلثا متساوىَ الأضلاع، مساحةُ ضوئه نقطةٌ بمقدارِ سدسِ ألفِ خطِّه، ثم إن كان معطوفا ختمته بسِنِّ القلم، وإن كان مرسلا فبقطته .

قال ابن مقلة : واعتبار صحته أن تصل بالخط الثانى منها خطا فيصير مثلثا قائم الزاوية .

القاف

قال ابن مقلة : هو شكل مركَّب من ثلاثة خطوط : منكبٌ ، ومستلقٍ ، ومقوّس .

قال ابن عبد السلام : هو مركب من أربعة خطوط ، رأسها كرأس الفاء سواء بجميع ماتقدم ، وإرسالُها كالنون علىٰ ماسيأتى ذكره ، فإن كان آخرها معطوفا فبسنّ القلم اليسرىٰ ، وإن كان مرسلا فبسنّه اليمنىٰ . قال : ومساحة ضوء القوس من أوّله إلىٰ آخره إن كان معطوفا كألفِ قلم الكتابةِ ، وإن كان مرسلا فكألفين .

قال ابن مقلة : واعتبار صحتها كاعتبار النون ، وسيأتى ذكره .

الكاف

قال ابن مقلة : شكلٌ مركَّب من أربعة خطوط : منكبٌ ، ومنسطِحٍ ، ومنتصِبٍ ، ومنسطِحٍ .

وقال ابن عبد السلام : وهو مركَّب من أربعة خطوط ، مستلقٍ ، ومنسطحٍ ، طوله مقدارُ ألفٍ وثلُث ألف من قلم الكتابة ، ومنكبٌ طوله مقدار ثلث ألف

من خطه ، ومنسطحٍ ، طوله مقدار ألفين من خطه ، يفصل منتهىٰ المنسطح ما بين المنسطحين .

قال : ولك أن تزيد الأسفل عن رأس الكاف بمقدار ثلث ألف الكتابة بسبب مايتصل به ، فيصير فضاءُ مابين ما آتصل بآخرها إلىٰ رأس الكاف مثلَ الفضاء الذى بين المنسطِحين .

قال : ولا يجوز أن تُكتب مختَلسةً إذا لم يتصل آخرُها بحرف ، بل إذا كانت آخر كلمة تكتب منتصبةً قائمةً لا غيرُ ، وتكتب إذا كانت منتصبة كاللام علىٰ ماسيأتى بيانه .

قال : وتبدأ أوّلها بشظيّةٍ فإذا آنتهيتَ إلىٰ آتصال رأسها بالمنسطح تشير بتدويرها دون تحديدها .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها أن ينفصل منها ياءان . قال آبن عبد السلام : يعنى مستقيمةً ومقلوبةً .

اللام

قال آبن مقلة : هى شكل مركَّبٌ من خطين : منتصبٍ ، ومنسَطِح .

قال آبن عبد السلام : فالمنسطح ألف والمنتصب ياء ؛ فإن كان معطوفا فبسنِّ القلم اليسرىٰ ، وإن كان مرسلا فبقَطّه .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها أن تُخرِج من أوّلها إلىٰ آخرها خطا يُماسُّ الطرفين فيصير مثلّثا قائمَ الزاوية .

قال : وتكتب علىٰ الأنواع الثلاثة التى تكتب عليها الباء .

الـمـــيم

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركّب من أربعـة خطوط : مُنْكَبٍّ ، ومستلقٍ ، ومنسطِح ، ومُقَوَّس .

وقال ٱبن عبدالسلام : مركّب من أربعة خطوط : منكبٍّ ، ومقوّس ، ومستلق بتقويس ، ومقوّس كالراء يكون ربع دائرة ؛ فإن كان آخرها منتصبا فهو فى الوضع والطُّول مثل ألِفٍ من خطه غير مائل إلىٰ ٱستلقاء ولا ٱنكباب ، تبدأ أول الميم بشِظيّة وآخرها بشِظيّة .

قال : ومساحةُ ضوئها مثل سدُس ألِفِ خطِّها ؛ وهو مستطيلٌ مستدير كالبيضة منتصب إلىٰ جهة اليمين .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبارها كٱعتبار الهاء ، وسيأتى .

النون

قال ٱبن مقـلة : هو شكل مركّب من خطٍّ مقوّس ، هو نصف الدائرة ؛ وفيه سِنة مقدّرة فى الفكر .

قال ٱبن عبد السـلام : يبدأُ أوّلُه بنقطة ، وآخره إن كان معطوفا فبِسنِّ القـلم اليسرىٰ ومساحة ضوئه ألف من قلم خطه ، وإن كان مُرْسَـلا فبسنّ القلم اليمنىٰ ، ومساحة ضَوْئه ألفان من قلِم خَطِّه .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن يُوصَل بها مثلها فتكون دائرةً .

الهاء

قال ابن مقلة : هى شكل مركّب من ثلاثة خطوط ، منكبّ ، ومنتصب ، ومقوّس .

وقال ابن عبد السلام : من ثلاثة خطوط ، منكبّ ، ومنسطح بترطيب ، ومستلق ؛ تبدأ أوّلها بنقطة وآخرها إرسالة بسنّ القلم اليمنى ، طول المنكبّ كطول نصف ألف من خطه ، وطول المنسطح كثلث ألف من خطه ، وطول المستلق كنصف ألف قلم خطه .

قال ابن مقلة : واعتبار صحتها أن تجعلها مربّعة فتتساوى الزاويتان العُلْياوان كتساوى الزاويتين السُّفْلاوَيْن .

وقال ابن عبد السلام : اعتبار صحتها أن تجعل ردّتها فى ثلثيها ، فاذا كمل وضعها فاجعلها مربعة فتتساوى الزاويتان العاليتان والزاويتان السافلتان .

الواو

قال ابن مقلة : هى شكل مركّب من ثلاثة خطوط : مستلق ، ومنكبّ ، ومقوّس .

وقال ابن عبد السلام : هى مركّبة من أربعة خطوط ، رأسها كرأس الفاء ، وتقويسها كالراء ، وهو ربع دائرة ، تبدأ أوّلها بنقطة ، وآخرها إن كان معطوفا فبسنّ القلم اليسرى ، وإن كان مرسلا فبسنّه اليمنى .

اللام ألف

قال آبن عبد السلام : هى شكل مركّب من ثلاثة خطوط : منكبٍّ ، ومنسطِح مستقيم ، ومستلق ؛ طول المنكبّ كطول ألِف من قلم الكتابة ، وطول المنسطح كثلثى ألف الكتابة ، وطول المستلق كطول ألف الكتابة ؛ تبدأ أوّلَ المنكبِّ بنقطة ، وكذلك المستلق .

قال : وآعتبار صحتها أن يكون ثلثها من أسفلها والثلثان من أعلاها ، وأن تخط من رأس اللام إلى رأس الألف خطا مستقيما ، وأن تخط من أعلاها إلى أسفلها خطا فلا يقصر عنها ولا يخرج .

قال : ومنها نوع آخر مركب من ثلاثة خطوط : منكبٍّ ، ومستدير يقارب ألفا ، ومستلق يقابل طرفه طرف المُنْكَبِّ .

اليـاء

قال آبن مقلة : شكْل مركّب من ثلاثة خطوط ، مستلقٍ ، ومُنْكَبٍّ ، ومقوّس .

قال آبن عبد السلام : وهى كالنون ، وتبدأ أوّلها بشَــظِيَّة رأسها كدال مقلوبة ، طول المستلق منها كنصف ألِف من خطه ، وكذلك المنكَبُّ على ماتقدّم فى الدال .

قال : والمقوّس إن كان معطوفا فمساحته كألِف من خطّه وآخره بسِنّ القلم اليسرى ، و إن كان مرسَلا فمساحته كألفين من خطه وآخره بسنّ القلم اليمنى .

قال : ومنها نوع كرأس الكاف المستلق والمنسطحُ سواءٌ .

قال آبن مقلة : وآعتبارها كآعتبار الواو .

الجملة الثانيـــة

(فى معرفة مايقع به ٱبتداء الحروف وٱنتهاؤها : من نُقْطة أو شظيّة أو غير ذلك)

أما الٱبتداء فعلىٰ ثلاثة أضرب .

الضرب الأوّل

(ما يبتـــدأ بنقطة ،وهو تسع صور[(١)])

صورة البـاء وأختيها ، وصورة الدال وأختها ، وصورة السـين وأختها ، وصورة اللام ، وصورة النونـ ، وصورة العين وأختها . وقد جمعها السُّرَّمَرِّىُّ فى أُرْجوزته فى أوائل كلمات بيتٍ واحد ، وهو قوله :

إذا بَدَتْ دَعْدُ رَقَا سَنَاها ٭ لعاشِقٍ ناحَ علىٰ هَوَاها

علىٰ أن الشيخ شرف الدين بن عبد السلام قد وَهِم فعدّ منها الفاء ، وليس كذلك بل هى مما يبتدأ بجلفة[(٢)] علىٰ ماسيأتى ذكره .

الضرب الثانى

(ما يبتدأ بشـــظيّة ،وهو صُوَر خمسة أحرف)

الحـاء ، والطـاء ، واليـاء ، والصـاد ، والكاف

وقد جمعها السرمرىُّ فى قوله : ”خطى يصك“ .

وجعل ٱبن عبد السلام الخمسة

الغينـ ، والطـاء ، والحـاء ، والكاف ، والصـاد

---

(١) لم يصل العدد إلىٰ التسع ولعله سبع وسقطت صورة الراء وأختها كما يظهر بالتأمل فى بقية الأضرب .

(٢) لعله بحلقة .

وجمعها فى قوله : "غط خصّك" وألحق بها أشباهها .

الضرب الثالث

(مايبتدأ بجلفة[١] . وهو صور أربعة احرف)

القاف ، والميم ، والواو ، والفاء

وقد جمعها السرمرىّ فى قوله : "قُمْ وفّ" .

وأما الاختتام فعلى ثلاثة أضرب أيضا :

الضرب الأول

(ما يختتم بقطّة القلم . وهو صور ستة أحرف)

الطاء ، والفاء ، والباء ، واللام ، والدال ، والكاف

وجمعها ابن عبدالسلام فى قوله : "دَبَّ طِفْلك" ولا يخفى أن أخواتها فى معناها .

الضرب الثانى

(مايختتم بشظيّة ، وهو صورة واحدة)

وهى الألف

الضرب الثالث

(مايرسل فى ختمه إرسالا ، وهو صورة أحدَ عشرَ حرفا ، وهى)

السين ، والراء ، والحاء ، والميم ، والنون ، والياء ،

والعين ، والقاف ، والصاد ، والواو ، والهاء .

(١) لعله بحلقة .

يجمعها قولك "سرح منبع وقصه" .

الطـــرف السابع

(في مقدمات تتعلق بأوضاع الخط وقوانين الكتابة، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في كيفية إمساك القلم عند الكتابة، ووضعه على الورق)

قال الوزير أبو عليّ بن مقلة رحمه الله : يجب أن تكون أطراف الأصابع الثلاث: الوُسْطى والسبّابة والإبهام على القلم، وإلى ذلك يشير أبو تمّام الطائيّ بقوله :

وستّت ۞ ثلاثَ نَواحِيه الثّلاثُ الأناملُ ۞

أما قول القائل في وصف القلم أيضا :

وَذِي عَفَافٍ راكعٍ ساجد ۞ أخُو صَلاحٍ دَمْعُه جاري
مُلازِمُ الخَمْسِ لِأوقاتها ۞ مُجتَهِـدًا في طاعة البارِي

يريد بالخمس الأصابعَ الخمسَ، فإنه على سبيل المجاز، من باب مجاز المجاورة .

قال الشيخ عمـاد الدين بن العفيف : وتكون الأصابع مبسوطةً غير مقبوضة ، لأن بسـط الأصابع يمكّن الكاتب معه من إدارة القلم ؛ ولا يتكئ على القلم الاتكاء الشديد المُضْعِف له ؛ ولا يمسكه الإمساك الضعيف فيضعف اقتدارُه في الخط ، لكن يجعل اعتماده في ذلك معتدلا .

وقال حنون : إذا أراد الكاتب أن يكتُب فإنه يأخذ القلم فيتكئ على الخِنْصِر، ويعتمد بسائر أصابعه على القلم، ويعتمد بالوُسْطى على البِنْصِر، ويرفع السبّابة على القلم، ويُعْمِل الإبهام في دَوَرانه وتحريكه .

قال ابن مقلة : ويكون إمساك القلم فُوَيْق الفتحة بمقدار عَرْض شعيرتين أو ثلاث ، وتكون أطراف الأصابع متساوية حولَ القلم لاتفضُل إحداهن على الأخرى .

قال صاحب "الحلية" : وتكون الأصابع على القلم منبسطة غير منقبضة ليتمكّن من إدارة القلم ، ولا يدار حالة الاستمداد .

قال ابن العفيف : وعلى حسب تمكُّن الكاتب من إدارة قلمه وسرعة يَده فى الدَّوران يكون صفاء جوهر حروفه .

الجملة الثانيــــة

(فى كيفية الاستمداد ، ووضع القلم على الدَّرْج)

أما الاستمداد فهو أصـل عظيم من أصول الكتابة . وقد قال المقرّ العـلائى بن فضل الله : من لم يُحسِن الاستمدادَ وبَرْىَ القلم فليس من الكتابة فى شىء .

قال الشـيخ عماد الدين بن العفيف : واذا مدّ الكاتب فليكن القلم بين أصابعـه على صورة إمساكه له حين الكتابة ، ولا يديره للاستمداد : لأن أحسن المذاهب فيه أن يكون من يد الكاتب على صورة وضعه فى الكتاب ، ويحرّك رأس القلم من باطن يَده إلى خارجها فإنه يمكن معه مقام القلم على نصبته من الأصـابع ، ومتى عدل عن هذا لَحِقَتْه المَشَقّة فى نقل نَصْبة الأصابع فى كل مَدّة .

قال : وهـذا من أكبر ما يحتاج إليه الكاتب ، لأن هـذا هو الذى عليه مَدَار جَوْدة الخط .

ثم قال : وقَلّما يُدْرِك علم هذا الفصل إلا العالِمُ الحاذق بهندسة الخط ، مع مايكون معه من الأناة وحسن التأدية .

ومن كلام المقر العلائىّ بن فضل الله : ينبغى للكاتب أن لا يُكثر الاستمداد بل يمد مَدًّا معتدلا ، ولا يحرك اللّيقة من مكانها ، ولا يعثر بالقلم فإن ذلك عيب عند الكُتّاب ، ولا يردّ القلم إلىٰ الليقة حتىٰ يستوعبَ مافيه من المَداد ، ولا يُدْخل منه الدواةَ كثيرا ، بل إلىٰ حدّ شقّه ، ولا يجاوز ذلك إلىٰ آخر الفتحة : ليأمن تسويد أنامله ، وليس ذلك من خصال الكُتّاب .

وأما وضع القلم علىٰ الدَّرْج فقال أبوعلىّ بن مُقلة : ويجب أن يكون أوّلُ ما يُوضَع علىٰ الدَّرْج موضعَ القطة منكبًّا .

الجملة الثـالثــة

(فى وضع القلم علىٰ الأُذُن حالَ الكتابة عند التفكر)

قال محمد بن عمر المدائنى : يُستحبُّ للكاتب فى كتابته إذا فكّر فى حاجة أن يَضَعَ القلم علىٰ أُذُنه ، وساق بسنده إلىٰ أنس بن مالك رضى الله عنه أنّ معاوية بنَ أبى سُفيان كان يكتب للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا رأىٰ من النبىّ صلى الله عليه وسلم إعراضا وضَعَ القَلَمَ فى فيه ، فنظر إليه النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال : "يا مُعاويةُ إذا كُنْتَ كاتِبًا فَضَعِ القَلَمَ علىٰ أُذُنِكَ فإنّهُ أذْكَرُ لَكَ ولِلمُمْلِي".

وساق بسنده أيضا إلىٰ زيد بن ثابت رضى الله عنه أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نَظَر إليه وهو يَكْتُب فى حَوائجه فقال له : "ضَعِ القَلَمَ علىٰ أُذُنِكَ فإنّهُ أذكَرُ لكَ".

وأخرج أيضا من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم لكاتبه "ضَعِ القَلَمَ علىٰ أُذُنِكَ يَكُنْ أذكَرَ لكَ".

وفى رواية عن أنس : "كان معاويةُ كاتبًا للنبىّ فرآه يومًا قد وَضَعَ القَلَمَ علىٰ الأرض فقال : يامعاوية إذا كتَبْتَ كتابًا فضَعِ القَلَمَ علىٰ أُذُنِك" .

وأخرج أيضا "أن كعبا كان يتحدّث عند عائشة، فذكر إسرافيلَ فقال : له جَناح بالمَشْرِق وجَناح بالمغرب وجَناحٌ مُسَرْبَل به والقَلَمُ علىٰ أُذُنِه فإذا نَزَلَ الوَحْىُ جرى القَلَمُ ودَرَسَتِ الملائكةُ . فقالت عائشةُ : هكذا سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم".

الطرف الثامن (١)

(فى ذكر قوانينَ يعتمدها الكاتبُ فى الخط، وفيه ستُّ جمل)

الجملة الأولىٰ

(فى كيفية حركة اليد بالقلم فى الكتابة، وما يجب أن يُراعىٰ فى كلِّ حرف)

قال السُّرَّمَرِّىُّ وآبنُ عبد السلام وغيرهما : كلُّ خط منتصب ينبغى أن يكون الآعتماد فيه من القلم علىٰ سِنَّيْه معاً، وكل خط من يَمْنة إلىٰ يَسْرة ينبغى أن يمال القلم فيه نحو اليَسْرة قليلا، وكل خط من يَسْرة إلىٰ يَمْنة ينبغى أن يُمَال رأسُ القلم فيه إلىٰ اليَمْنة قليلا، وكل شظيَّة ينبغى أن تكون بالسِّنّ اليمنىٰ من القلم، وكل نُقْطة ينبغى أن تكون بسِنَّى القلم، وكل تقعير كما فى النون وتعريقة الصاد يجب أن تكون بالسنّ الأيمن وكل إرسالة يجب أن تكون بسنّ القلم اليمنىٰ، وكل تعريج كما فى عراقة الجيم والعين يجب أن يكون بسنّ القلم اليُسرىٰ، وكل ما أُخذ فيه من يَمْنة إلىٰ يَسْرة كاللام ونحوها ينبغى أن يُمال فيه رأسُ القلم إلىٰ اليَسْرة قليلا، وكل ما أُخذ فيه من يَسْرة إلىٰ اليمنة كرأس الجيم ينبغى أن يُمال رأسُ القلم فيه إلىٰ اليَمْنة قليلا، وكلُّ خط منتصب فيجب أن يكون آنتهاؤه إرسالة، وطول كل سنة من السين ونحوها مثل سُدُس ألِف خطها، وقيل مثل سبعه، وكلُّ شظية فى أولٍ أو آخرٍ مثلُ سُبع ألِف خطِّها .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وللسِّنّ الأيمن من القلم الألفُ واللام ورفعة الطاء والنون والباءُ والكافُ إذا كانت قائمة مبتدأة، وأواخر التعريقات والمدّات

(١) تقدم أن الأطراف سبعة فهذا زائد عليها .

وطبقة الصاد والضاد، ومَدّة السين والشين، وللأيسر الجيمُ وأختاها والرّدّات وتدوير رُءُوس الفاءات والقافات والهاءات والواوات والكافات المشقوقة .

قال : وكل رَدّة من اليسار إلىٰ اليمين تكون بصَدْر القلم .

قال : ويجب أن تكون المَطّات الطويلة بسِنّ القلم اليمنىٰ مُشَظّاةً ممالة ، فتكون المَطّة من رأس شَظِيّتها ، وأن تُكتب المَدّات القصيرةُ بحرف القلم ، وإذا ابتدأ بالمَدّة وجب أن يُدار القلمُ علىٰ سِنّه مثل مَطّة الطاء ، وإذا وُصلت المطّةُ بحرفٍ مثلِها كُتبت بوجه القلم مثل مَطّة الفاء المفردة . ثم قال : وهذا من أعظم أسرار الكتابة .

الجملة الثانيـــة

(فى تناسُب الحروف ومقاديرها فى كل قلم)

قال صاحب "رسائل إخوان الصفا": فى رسالة المُوسيقىٰ منه : ينبغى لمن يَرْغب أن يكون خطُّه جيّـدا وما يكتُبه صحيحَ التناسُب ، أن يَجْعلَ لذلك أصلاً يَبْنِى عليه حروفَه : ليكون ذلك قانوناً له يرجع إليه فى حروفه ، لا يتجاوزه ولا يُقَصِّر دُونَه .

قال : ومثال ذلك فى الخطّ العربىّ أن تخط ألفا بأىّ قلم شئْتَ ، وتجعل غِلَظَه الذى هو عَرْضه مناسبًا لطُوله وهو الثمن : ليكون الطُّولُ مثلَ العَرْض ثمانَ مَرّاتٍ . ثم تجعلُ البركار علىٰ وَسَـط الألف وتُدِير دائرةً تحيط بالألف لايخرُج دَوْرُها عن طرفَيْه ، فإنّ هـذا الطريق والمَسْلَك يُوصّلان إلىٰ معرفة مقادير الحروف علىٰ النسبة ، ولا تحتاج فى مقاييسك ماتقصده إلىٰ شىء يخرج عن الألف وعن الدائرة التى تحيط به .

فالباء وأخواتها : كل واحدة منها يجب أن يكون تسطيحُها إذا أُضيفَتْ إليه سنُّها مساويا لطول الألف ، فإن زاد سَمُج وإن قَصُر قَبُح ، ومقدار ارتفاع سنّها وجميع

السنن التى فى السين والشين ونحوها لا يتجاوز مقدار ثمن الألف . والجيمُ وأخواتُها مقدارُ مدَّتها فى الابتداء لايقصُر عن نصف طُول الألف .

وكذلك يجرى الأمر فى العين، والغين، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والراء والزاى : كل واحدة منها مثل ربع محيط الدائرة، والدال، والذال كل واحدة منهما يجب أن يكون مقدارها إذا أُزيل الانثناء الذى فيها وأعيدت إلىٰ التسطيح لايتجاوز طول الألف ولا يقصر دونه .

والسين، والشين : كلُّ واحدة منهما يجب أن تكون سِنَّتُها إلىٰ فوقُ مثلَ مقدار ثمن الألف، وفى العرض بمقدار نصفها، وفى التعريق مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

والصاد، والضاد : مقدار عَرْض كلٍّ منهما فى مَدّاها مثلُ مقدار نصف الألف وفتحة البياض فيها مقدارُ ثمن الألف أو سدسها، وتعريقها إلىٰ أسفل مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

والطاء، والظاء : كلُّ واحدة منهما فى ناحية يجب أن يكون مقدارُه مثلَ مقدار جميع طول الألف وعرضُه مثلَ نصف الألف .

والعين، والغين كلُّ واحد منهما مقدارُ تقويسه فى العَرض مثلُ نصفِ الألف أو مثلُ الألف إذا أعيدت إلىٰ التسطيح وأزيل تثنّيه، وتقويسُه من أسفل مثلُ نصفِ محيط الدائرة .

والفاء : يجب أن يكون تسطيحُه إلىٰ قُدّام بعد الطالع منه من فوق مثلَ طول الألف .

وحَلْقته وحلقة الواو والميم كلُّها إلىٰ فوقُ مثلُ سدس الألف، وإلىٰ أسفل فى الميم . والواوُ : مثلُ الراء . والقاف تقويسُها من فوقُ ينبغى أن يكون مثلَ سُدُس طول الألف، وتعريقها مثل مقدار نصف الدائرة .

والكاف : ينبغى أن يكون الأعلىٰ منها طولَ الألف ، وفتحةُ البياض التى داخلَه مثلَ سدس طول الألف ؛ وتسطيحه من أسفل مثلُ أعلاه وكسرته إلىٰ فوق مثلُ نصف طول الألف .

واللام : يجب أن يكون مقدارُ طُول قائمتها مثلَ الألِف ، ومدّتها إلىٰ قدّام مثل مقدار نصف الألف .

والنون : يجب أن يكون مقدارُه مثلَ نصف محيط الدائرة .

واليـاء : ينبغى أن يكون مَبْدؤه دالا مقلوبةً لا تتجاوز مقدار طُول الألف ، وتعريقها إلىٰ أسفلَ مثلُ نصف محيط الدائرة .

ثم قال : وهذه المقادير وكميةُ نسبة بعضها إلىٰ بعض هو ماتوجبه قوانينُ الهندسة والنسبة الفاضلة ، إلا أن مايتعارفه الناس و يستعمله الكُتّاب علىٰ غير ذلك .

وقد أشار الشيخ عمادالدين بن العفيف إلىٰ ضوابط فى ذلك علىٰ ماتقتضيه أوضاع الكُتّاب يجب الوقوف عندها فقال : وٱعلم أنّ مقادير الحروف متناسبةٌ فى كل خط من الخطوط .

وٱعلم أن صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثارىّ فى ألفيته قد جعل طول الألف سبعَ نقط من كل قلم ، ومقتضاه أن يكون العرض سُبُعَ الطُّول .

ثم قال : إن ما زاد عن ذلك فهو زائد فى الطول ، وما كان ناقصـا عن ذلك فهو ناقص ، وعلىٰ ذلك تختلف المقـادير المقدّرة بالألف من الحروف بنقص قدر الثمن من الطول .

فالألف واللام قَدْرٌ سواء فى كل خط ، وكذلك الباء وأختاها ، والجيم وأختاها ، والعين والغين قدرٌ سواء ، والنون ، والصاد ، والضاد ، والسين ، والشين ، والقاف ، والياء المُعرّقة قدر سواء ، والراء ، والزاى ، والميم ، والواو قدرٌ سواء .

قال : وكل عراقة بدأتَ بها فى كل خط مّا فعلىٰ مثلها يكون آنتهاؤها .

ثم قال : فتفَهَّمْ هذا القدرَ فإنه كثيرا مايختلط على الكُتّاب الحُذّاق .

وقد ذكر الشيخ شرف الدين بن عبد السلام من ذلك أضربا :

أحدهـا ـ ما هو متناسب الطُّول، وهو خمس صور : صورةُ الألف، وصورةُ اللام، وصورةُ القاف، وصورةُ التاء، وصورة الكاف ويجمعها قولك "القتك" وفرَّع عليها أربع صور يجمعها قولك "بث مى" .

الثـانى ـ ما يجوز مدُّه من أوّل السطر إلىٰ آخره وقصره ما شاء، ما لم يَقْصُر عن طول الألف، وهى البـاء، والكاف، واللام؛ ويجمعها قولك "بكل" ويتفرّع عليها أخواتها .

الثالث ـ ما هو متناسِبٌ فى المِقْدار، وهو ثلاث صور : يجمعها قولك "ديل".

والمنكبُّ من الدال والمستلقى منها والمنسطح والمستلقى منها والمنكَبُّ من الياء بمقدار نصف ألِف خطِّه .

الرابع ـ ما هو متناسب المساحة فى حال العطف والإرسال : وهى القـاف، والسين، والبـاء، واليـاء، والضاد، ويجمعها قولك "قبس يض" وكل أخت تُلْحَق بأختهـا .

الخـامس ـ ماهو متناسب فى الإرسـال وهو الميم، والواو، والزاى، ويجمعها قولك "موز" .

السادس ـ ماهو متناسبٌ فى الضَّوْء والإرسال، وهو ست صور : هى الفاء، والقاف، والهـاء، والميم، والواو، واللام ألف؛ ويجمعها قولك "فقه مولا" .

السابع ـ ماهو متناسبُ ضـوء الباطن ، وهو ثلاث صور : الصاد ، والطاء ، والعين وأخواتُها .

الثامن ـ ماهو متناسب الرءُوس ، وهو ثلاث : الصاد ، والعين ، والطـاء ؛ ويجمعها قولك "صعط" ويُلْحَق بها أخواتُها .

التاسع ـ ماهو متناسبٌ فى التعريج ، وهو العين ، والجيم ؛ ويجمعهما قولك "عج" .

الجملة الثالثـــة
(فيما يجب آعتماده لكل ناحية من نواحى القلم)

قد تقدّم فى الكلام علىٰ بِرَاية القـلم أن للقلم سِـنّاً أيمَنَ وسنّاً أيْسَر ، وعَرْضا ، ووَجْها ، وصَدْرا ؛ وأنه يتعيَّن علىٰ الكاتب معرفةُ كلٍّ واحد منها : ليُعطِىَ كل واحدٍ منها حقَّه فى الموضع الذى يقتضيه الحال . وقد ذكر السُّرَّمَرِّىُّ فى أرجوزته جُملا كلية إذا عرفها الكاتب سَهُل عليه مايرومُه من ذلك فقال :

"إن كل خط منتصبِ الشَّكْل كالألف ونحوه يجب فى كتابته الآعتماد علىٰ سنَّى القلم جميعا ، وكلَّ خطٍّ آخذٍ من اليمين إلىٰ اليسار يجب إمالةُ القلم فيه إلىٰ اليسار شيئا يسيرا ، وكلَّ خطٍّ آخذٍ من اليسار إلىٰ اليمين يجب إمالةُ القلم فيه إلىٰ اليمين شيئا يسيرا ، وكل نقطة يعتمد فيها بسنيه جميعا ، وكل شـظيَّة فإنها تُخْتلَس بسنه اليمنىٰ آختلاسا ، وكل إرسـالةٍ تعقيب كما فى الجيم والعين يُعتمَدُ فيها علىٰ السن الأيسرِ ، وكلَّ تقْعير كما فى النون يكتب بالسنِّ اليمنىٰ" .

وأفصح عن ذلك الشيخ عماد الدين بن العفيف فقال :

إن للسِّن الأيمنِ الألفَ واللامَ ، ورفعة الطاء ، والنونَ ، والباء ، والكاف إذا كانت قائمة مبتدأة ، وأواخرَ التعريقات والمدّات ، وطَبْقة خطة الصـاد والضاد المستفلة ،

وبدء السين والشين، وللسن الأيسر الجيمَ وأختيها، والرّدات، وتدوير رءُوس الفاءات والهاءات والواوات والكافات المشقوقة [١]. ثم قال : وكل ردّة من اليسار إلىٰ اليمين تكون بصدر القلم .

الجملة الرابعـــة
(فى الترويس)

والذى يدخله الترويس فى الجملة الألف، والباء، والجيم، والدال، والراء، والطاء، والكاف، واللام المجموعة، ويختلف الحالُ فى ترويسها وعدمه باختلاف الأقلام .

فمنها ما يروّس حتما، ومنها ما يمتنع فيـه الترويس، ومنها ما الكاتبُ فيـه بالخيار بين الترويس وعدمه ، وربمـا رُوّس بعض الحروف فى بعض الأقلام ولم يُرَوّس فى بعضها . ثم قد ذكر أهل الصـناعة أن ترويس الألف كسُبعه . وذهب ياقوتُ إلىٰ الزيادة علىٰ ذلك؛ وترويس البـاء وأختيها بقـدر نُقْطتين؛ وترويس الجيم بقدر نصف نصبها؛ وترويس الصاد والطاء كالسين؛ وترويس الفـاء والقاف كالبـاء . وسيأتى الكلام علىٰ ترويس كل حرف منها فى قلمه إن شاء الله تعالىٰ .

الجملة الخامســـة
(فيما يُطمس من الحروف ويفتح)

وهى المعبر عنها بالعُقَد، وهى صورة الصاد، والطاء، والعين، والفاء، والقاف، والميم والهاء، والواو، واللام ألف المخففة، ويختلف الحال فيها :

---

(١) لعله المشكولة كما يستفاد من التعريف عن أشكال الحروف الآتى .

فمنها ما لا يُطْمَس بحال، وهى الصاد وأختها، والطاء وأختها، والعين المفردة والمبتدأة وأختها .

ومنها مايطمس فى بعض الأقلام دون بعض وهى : العين المتوسطة، والعين الأخيرة، وكذلك الغين، والفاء، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف . وسيأتى الكلام على ما يُطْمَس ويفتحُ من ذلك فى كل قلم عند ذكره .

ثم الطَّمْس فيما يُطْمَس منها على سبيل الجواز لا على سبيل اللزوم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : والرجوع فى ذلك إلى قانون مضبوط، وهو أنه كلَّما غَلُظتِ الأقلام كان الطمس فيها على خلاف الأصل، وكلَّما رقَّتْ كان الفتح فيها على خلاف الأصل، وذلك أنَّا عدلْنا عن الفتح إلى الطَّمْس لأجل التلطيف .

الجملة السادسة

(فى ذكر الأقلام المستعْمَلة فى ديوان الإنشاء فى زماننا)

وسيأتى فى المقالة الثالثة فى الكلام على ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق من الأقلام : أن المقر الشهابىَّ بنَ فضل الله ذكر فى ذلك خمسة أقلام، وهى : مختصَر الطُّومار، والثُّلُث، وخَفِيف الثُّلُث، والتوقيع، والرِّقاع . مختصر الطُّومار لقطع البغدادىّ الكامل، والثُّلُث لقَطْع الثلثَيْنِ، وخفيفُ الثلث لقطع النصف، والتوقيع لقطع الثلث، والرقاع لقطع العادة .

ويلتحق بالخمسة التى ذكرها ثلاثةُ أقلام أُخَر، وهى : الطُّومار الكامل، والمحقَّق، والغُبَار .

فالطُّومار : يكْتَبُ به السلطان علاماتِهِ على المكاتَبات والوِلَايات ومناشير الاقطاع .

والمحقَّق : ٱستُحْدِثت كتابتُــه فى طُغْراوات كُتُب القانات علىٰ ماسيأتى بيانه فى موضعه .

والغُبَار : يُكْتَب به بطائقُ الحمام والملطَّفات وما فى معناها .

وحينئذ فيكون المستعملُ بديوان الإنشاء فى الجملة ثمانيةَ أقلام : الطُّومار، ومختصر الطُّومار، والثُّلث، وخَفيف الثلث، والتَّوقيع، والرِّقاع، والمحقَّق، والغُبار.

وقد ٱختلف الكُتَّاب فى تسمية قلم الثُّلُث وما فى معناه من الأقلام المنسوبة إلىٰ الكُسور كالثلثين والنصف علىٰ مَذْهبين :

المذهب الأوّل — ماتقله صاحب "منهاج الإصابة" عن الوزير أبى علىّ بن مقلة أن الأصل فى ذلك أن لخط الكُوفىّ أصلين من أربعَ عشرة طريقة ، هُمَا لَهـا كالحاشيتين : وهمـا قلم الطومار : وهو قلم مبسوط كله ليس فيه شىءٌ مستدير .

قال : وكثيرا ماكُتِب به مصاحفُ المدينة القديمةُ ، وقلم غُبَار الحِلْية : وهو قلم مستدير كلُّه ليس فيه شىءٌ مستقيمٌ ، فالأقلام كلُّها تأخذ من المستقيمة والمستديرة نسبا مختلفة ، فإن كان فيـه من الخطوط المستقيمة الثلثُ سمى قَلَم الثلث ، وإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثُّلثانِ سمى قلم الثلثين ، وعلىٰ ذلك ٱقتصر صاحب "منهاج الإصـابة" .

المذهب الثانى — ماذهب إليه بعض الكُتَّاب أن هذه الأقلام منسوبة من نسبة قلم الطُّومار فى المساحة ، وذلك أن قلم الطُّومار الذى هو أجلُّ الأقلام مِساحةُ عَرْضه أربعٌ وعشرون شَعْرة من شعر البِرْذون كما سيأتى ، وقلمُ الثلث منه بمقدار ثُلُثه : وهو ثمـان شعرات ، وقلمُ النصف بمقدار نصفه ، وهو ٱثنتا عَشْرةَ شـعرَة ، وقلم الثلثين بمقدار ثلثيه : وهو ثمانَ عشرةَ شعرة . و إلىٰ ذلك كان يذهب بعض مشايخ الكُتَّاب الذين أدركناهم ، وعليه ٱقتصر المولىٰ زين الدين شعبان الآثارىّ فى ألفيته .

وهذه صور حروف الأقلام السبعة التي تستعمل في ديوان الإنشاء ولوازمه وهي: الطُّومار، ومختصره، والثلث، وخفيف الثلث، والرِّقاع، والمحقَّق، والغُبار في حالتي الإفراد والتركيب.

القلم الأوّل

(قلم الطُّومار بإضافة قلم إلى الطُّومار)

والمراد بالطُّومار الكاملُ من مقادير قطع الورق أصل عمله، وهو المعبَّر عنه في زماننا بالفَرْخة، فأضيف هذا القلم إليه لمناسبة الكتابة به فيه. وقد تقدم أنه قلمٌ جليلٌ قدرَ الكُتَّاب مساحةَ عَرْضه بأربع وعشرين شعرةً من شَعْر البِرْذَوْن، وبه كانت الخلفاءُ تكتُب علاماتِهم في الزمن المتقدم في أيام بَني أميَّة فمَنْ بعدهم.

فقد حكى أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقي في مناقب عُمَرَ بنِ عبد العزيز: أن عُمَرَ بن عبد العزيز أُتِيَ بطُومار ليُكْتَب فيه فامتنع وقال: فيه ضَياعُ الوَرَق وهو من بيتِ مالِ المسلمين، وبالضرورة فلا يُكْتَب في الطُّومار إلا بقلَمِ الطُّومار، وهذا دليل على أنه كان موجودا فيما قبْله، وأظُنُّه من الامور التي رتَّبها معاويةُ بنُ أبي سُفْيان، إذ هو اوّلُ من قرّر أُمورَ الخلافة، ورتَّب أحوالَ المُلْك، وبه آستقرّتْ كتابةُ ملُوك الديار المصرية من لَدُن السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوُون" وهَلُمَّ جرًّا إلى زماننا.

قال صاحبُ "مِنْهاج الإصابة": ويكونُ من لُبِّ الجريد الاخضر، ويُؤخَذ منه من أعلى الفتحة ما يَسَعُ رُءُوس الأنامل. قال: ويمكن أن يكونَ من القَصَب الفارسيّ.

قلت: والذى آستقرّ عليه الحالُ في كتابة العُهود بالديار المِصْريَّة بقَصَب البُوص الأَبيض الغليظ الأنابيب، يدَّقَّ قَصَبه من جَزائر الصعيد بالوجه القِبْلِيّ، وفي كل سنة

يُجَهِّز بَرِيدىٌّ بطلب هذه الاقلام من وُلَاة الوجه القِبْلى، ويُؤْتىٰ بها فتحفظ عند كاتب السرّ ويُبْرىٰ منها مايحتاج اليه (١) يوضع فى دواته بقَدْر الحاجة .

قال فى "منهاج الإصابة" : ولابدّ فيه (١) بقدر مايحتاج إليه فى مَجِّ القلم الحِبْرَ فى القرطاس .

وٱعلم أن للكُتَّاب فيه طريقتين :

إحداهما ـ طريقةُ الثلُث فتجرى الحال فيه علىٰ الميل إلىٰ (١)

الثانيـة ـ طريقـة المُحقَّق فتجرى الحال فيه علىٰ الميل إلىٰ (١) بطريقتين، وكيفيـة تشـكل (١) والفاء والقـاف فيه أوسـطها لحـدده (١) مدورة اليـا (١) الأحرف كمثـاله (١) الرابع أن يكون فيـه صاد مدورة (١) وكاف مشكولة .

وذكر المولىٰ زين الدين شعبان الآثارى فى ألفيته : (١) فيه الترويس فى الألف، والباء، والجيم، والدال (١) واللام والنون فى الإفراد والتركيب عند الآبتـداء وأنه (١) الطمس فى شىء من عقـده كالصاد، والطـاء، والفاء، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف المحققة بحال، والمعنىٰ فيه أن الطمس لا يليق بالخط الجليل .

---

(١) وقع طمس بالحبر فى هذه الصحيفة فى مواضع .

"استدراك لما فات"

نُبِّه فى صفحة (٥٤) من الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى هــذا على بعض كلمات مطموســة بالحبر لم نهتد إليها عند طبع ذلك الجزء . أما وقد عُثِر الآن فى بعض المكتبات الأهلية على أصل لذلك الجزء فرؤى تكميلا للفائدة إثبات المطموس هنا ليصلحه القارئ فى مواضعه إن أراد . وتسهيلا لمعرفة مواضع البياض من أوّل نظرة قد نقلت الصفحة بتمامها وجعل ما كان ساقطا لطمسه بين قوسين هكذا ( ) . وهى :

يجهِّز بَريدِىّ بطلب هذه الأقلام من وُلَاة الوجه القِبلىّ ، ويُؤْتَى بها فتحفظ عند كاتب السرّ ويُبْرَى منها مايحتاج إليه (فى كتابة السلطان و) يوضع فى دواته بقَدْر الحاجة.

قال فى "منهاج الإصابة": ولا بدّ فيه (من ثلاثة شقوق أو أكثر) بقدر مايحتاج إليه فى مجّ القلم الحِبْر فى القرطاس .

واعلم أن للكُتَّاب فيه طريقتين ــ إحداهما طريقةُ الثلُث ، فتجرى الحال فيه على الميل إلى (التقوير ــ و)الثانية طريقة المُحَقَّق ، فتجرى الحال فيه على الميل إلى (البَسْط دون التقوير وسيأتى إيضاح الطر) يقتين وكيفية (تشكيل حروفهما فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر السُّرَّمَرِّىّ فى أرجوزته آختصاص قلم الطومار بأمور : أحدها أن مستداراته كلها تكون بوجه القلم ، والمدّات بسِنّه ، والتعاريق بوجهه منفتلا فيها على اليمين ــ الثانى أن الميم منه تكون مفتوحة مدوّرة) والفاء والقاف فيه (أوساطها محدّدة وجنباتها) مدوّرة ــ الثالث (أن يكون البياض بين الأحرف كمِثله بين السطور) ــ الرابع أن يكون (الفضل من جانبى القرطاس متساويا فى المقدار ــ الخامس أن لايكون) فيه صاد مدوّرة (ولا) كاف مشكولة .

وذكر المولى زين الدين شعبان الآثارىّ فى ألفيته (أنه يدخل) فيه الترويس فى الألف ، والباء ، والجيم ، والدال (والراء ، والطاء ، والكاف المجموعة) واللام والنون فى الإفراد والتركيب عنـد الآبتداء وأنه (لايجوز فيـه) الطمس فى شىء من عُقَده كالصاد ، والطاء ، والفاء ، والقاف ، والميم ، والهاء ، والواو ، واللام ألف المحققة بحال ، والمعنى فيه أن الطمس لايليق بالخط الجليل .

وهذه صورة كتابة آسم السلطان فى المكاتبات والولايات وغيرها منسو با للسلطان

السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون

صورة مايكتب فى جليل المكاتبات



صورة ما يكتب فى متوسطات المكاتبات



صورة مايكتب فى صغار المكاتبات



وهذه صورة كتابة العلامة على المناشير للإقطاع لمن علامته
الله أملي بيـاء راجعة



القـــلم الثانى

(قـلم مختصـر الطـومار)

بإضافة قلم إلىٰ مختصر ، و ربما قيل فيه مختصر الطُّومار بحذف المضاف ؛ وهو الذى يكتب به فى قَطْع البغدادىّ الكامل .

وقد ذكر المولىٰ زين الدين شعبان الآثارىّ فى أَلْفِيَّته : أن مقدار مساحته مابين كامل الطُّومار وبين قلم الثلثين ، وحينئذ فيكون مقداره مابين عرض ست عشرة شعرةً من شعر البِرْذَوْن وبين أربع وعشرين شعرةً ؛ والحامل له علىٰ ذلك أن أعلىٰ ما وضعوه من الاقلام المنسوبة لكسرٍ من الكسور قَلَمُ الثلثين ، وهو عرض ستَّ عشرةَ شعرة ؛ فلو كان مرادهم بمختصر الطومار هذا المقدار ، لعبروا عنه بقلم الثلثين دون مختصر الطومار ، فتعين أن يكون فوق ذلك ودون الطومار الكامل ، فيكون مابين عرض ثمانَ عشرةَ شعرة وعرض أربع وعشرين شعرة .

ثم هذا القلم يجوز أن يُكْتَب به علىٰ طريقة الثلث فى الميل فى حروفه إلىٰ التقوير وعلىٰ ذلك يكتب كُتَّاب ديوان الإنشاء فى عهود الملوك عن الخلفاء ، والمكاتبة إلىٰ القانات العظام من ملوك بلاد الشرق . ويجوز أن يكتب به علىٰ طريقة المحقَّق فى الميل فى حروفه إلىٰ البسط كما فى الطريقة الثانية من قلم الطُّومار ، وسيأتى ذكر تشكيل الثلث فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ .

ولا يخفىٰ أن هذا القلم بالنسبة إلىٰ الترويس وعدم الطمس علىٰ ماتقدّم فى الطومار لحوقه به فى الجلالة وسَعة مساحة العرض .

وهـــــذه صـــــ



ـــــورة كتابتـــــه



القلم الثالث

قلم الثلث

بإضافة قلم إلىٰ الثلث، ويقال فيه الثلث بحذف المضاف وهو الذى يُكْتَب به فى قَطْع الثلثين .

وقد تقدم آختلاف الكُتّاب فى نسبته هل هو باعتبار التقوير والبسط أو باعتبار أنه ثلثُ مساحة الطومار، من حيث إن عَرْض الطومار أربع وعشرون شعرةً من شعر البِرْذَوْن، وعرض الثلث ثمانُ شعرات وهى الثلث من ذلك، وقَطّة هذا القلم محرّفة : لأنه يحتاج فيه إلىٰ تشعيرات لاتتأتى إلا بحرف القلم، وهو إلىٰ التقوير أميل منه إلىٰ البَسْط، بخلاف ا: مّق علىٰ ماسيأتى ذكره، والترويس فيه لازم .

وقد ذكر المولىٰ زين الدين شعبان الآثارىّ فى أَلْفِيّتِه : أنه يروّس فيه من الحروف الألف المفردة، والجيم وأختاها، والطاء، والكاف المجموعة، واللام المفردة، والسنة المبتدأة، وعُقَدُه من الصاد وأختها، والطاء وأختها، والعين وأختها، والفاء، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف المحققة كلُّها مفتحة لايجوز فيها الطمس بحال .

وهو علىٰ نوعين :

النوع الأوّل

(الثلث الثقيل)

وربما قيل فيه ثقيل الثلث ، وهو المقدّرة مساحته بثمانِ شعرات علىٰ ما تقدّم ذكره، وهذه صُوَره مفردة ومركبة .

الألف علىٰ ضربين مفردة ومركبة، فالمفردة علىٰ ثلاثة أنواع .

الأوّل ــ الألف المطلق



وطريقه : أن تبتدئ فيه بصدر القلم من قفا الألف ، ثم تصعد إلىٰ هامتها فإذا بلغتها نزلت بعرض القلم إلىٰ وجهه ، ثم تنزل بوجه القلم معتمدا فى نزولك علىٰ السنّ اليمنىٰ حتّىٰ إذا بلغت شاكلة الألف أدرت القلم برفق حتّىٰ تختمه بحرفه .

الثانى ــ المشعر



وطريقه : كالذى قبله إلا أنه إذا جئت آخر الألف عطفت ذنبها ويكون موصولا بغيره ، فإن لم يوصل بغيره فالغالب أن يكون مطلقا .

الثالث ــ المحرَّف



وطريقه : أن يبدأ فيه من هامة الألف بوجه القلم فتضعه علىٰ تحريفه وتنزل به مستويا ، حتى إذا بلغت شاكلته أدرت حرف القلم علىٰ مامضىٰ من الشرط فى المطلق والمُشَعَّر .

الضرب الثـانى

(المركَّب مع غيره من الحروف)

ولا يكون إلا طرفاً أخيرا، إذ لا يوصل بما بعده، لأن الألف مطيَّة يُرْكَبُ عليها ولا تَرْكَبُ، وطريقه أنك تصعد به بعد تمـام الحرف الذى قبله بصدر القلم عكسا لنزولك بالألف المحرّف ، فإذا بلغتَ هامة الألف وقفت بالقـلم حتّى يكون بمنزلة رأس الألف المحرّف.

وكذلك يفعل فى اللام الطالع ،وهذه صورته .



الصـــــورة الثانيـــــة

(صورة البـاء)

وهى علىٰ ضربين

الضرب الأوّل

المفـــردة

وهى ثلاثة أنواع : مجموعة،وموقوفة، ومبسوطة . ولك فى ٱبتـدائها فى الثلاث الصور وجهان : إن شئت بدأت من قفاها بتشـعيرة علىٰ ما مضىٰ من صفة الألف المطلق، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن، و إن شئت بصدر القلم . ثم لكل صورة منها طريقة تخصها .

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم حتّى إذا بلغت فتلة البـاء وهى الإدارة الخفية التى تجمع بين الخط القائم والمبسوط ، فتلت القلم ومططت الباء بصدره ، حتّى إذا صرت إلىٰ آخرها ختمت بحرف القلم الأيمن ، وتَرَتَ يَدَكَ برفق حتّى ترفع ذنب الباء ، حتّى يجىء رأسها فى نهاية الدقة .

المجموعة



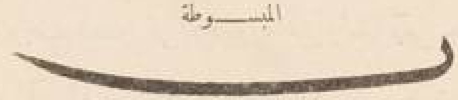
وأما الموقوفة : فطريقها كطريق المجموعة فى جميع ماتقدم ، إلا أنك إذا بلغت المكانَ الذى ترفع فيه من ذنب المجموعة ، وقفتَ فيه بعرض القلم فتأتى مطة محرّفة كتحريف القلم .

الموقـــوفة



وأما المبسوطة(١) :

المبســـوطة



وأما المركبة(٢) : فعلى نوعين : متوسطة ، ومتطرّفة .

فأما المتوسطة : فلها حالان .

أحدهما ــ أن يكون قبلها و بعدها مثلها ، فتكون الوسطىٰ مرتفعة علىٰ أخواتها . و إذا رفعتها أكثر من أخواتها ، رجعت فى خط يلاصقها . وهذا فى كل حرف صغير كالنون ، والباء ، والتاء .

الثانى ــ أن لا يكون قبلها وبعدها مثلها ، فهى كإحدىٰ السنات .

(١) لم يتكلم عليها . (٢) هذا هو الضرب الثانى من ضربى الباء وهى المركبة .

وأما المتطرّفة : فلها حالان أيضا .

أحدهما ـ أن تكون مبتدأة : وهى التى تكون فى أول الكلمة ، فطريقها أن تبدأ فيها بعرض القلم تحدرا من يمينك إلىٰ يسارك ، وهى تصحب الجيم وأختيها .

الثانى ـ أن تكون فى آخر الكلمة ، وتكون محذوفة الرأس للتركيب كرأس السين المبسوطة ، وتكون صورة مدّتها كصورة المفردة سواءً فى جميع أحوالها : فى الجمع والبسط والوقف ؛ وهذه صورها .

مركبة مجموعة — مركبة موقوفة — مركبة مبسوطة



الصورة الثالثة

(صــورة الجيم وما شاكلها)

وهى علىٰ أربعة أضرب : مرسَلة ، ومسْبَلة ، ومجموعة ، وملوَّزة ؛
وٱبتداء جميع الصور علىٰ وجهين ، من رأسها ومن جبهتها .

فأما المبتدأة من رأسها فيخيَّر الكاتب فيها بين أمرين : إن شاء جعلها جرّا ، وإن شاء جعلها مشعَّرة ، فإنها يُبْدأ فيها بصدر القلم ، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن ، والمشعَّرة يخطَفها بحرف القلم أو بصدره علىٰ ما مضىٰ ؛ فإذا بلغتَ جبهتها أدرت بحررت بوجه القلم ، وأنت فى الجرة بالخيار : إن شئت جئت بها علىٰ خط مستقيم ، وإن شئتَ رطّبتها شيئا يسيرا ؛ فإذا بلغت قفاها ، كنت أيضا مخيرا : إن شئت رجعت فى الخط الذى جئت فيه ، وإن شئت رجعت فى خط تحته يلاصقه بصدر القلم ؛ فإذا وصلت تحت هامة الجيم أدرت القلم علىٰ تحريفه فنزلت بعرضه حتّى إذا بلغت آخر عجز الجيم ختمتها بحرف القلم . ولا يخرج صدر الجيم عن الخط الموازى

لجبهتها، كما لايجوز أن يخرج طَرَف ذَنَبها عن الخط الموازى لقفَاها، حتّى لو نصب عليها خطوطا لتناسبت أعاليها أسافلها، وهذه صورتها .

مفردة مرسلة



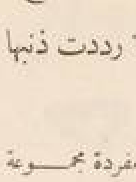
وأما المسبلة : فإنها كالمرسلة فى الصورة والصفة، والفرق بينهما أنك فى المرسلة إذا بلغت الصدر ونزلت فيه، أسبلت ذنبها، وهذه صورتها .

مفردة مسبلة



وأما المجموعة : فإنها كالمرسلة أيضا فى جميع أوصافها و يزيد عليها أنك إذا وفيت بهـا علىٰ مامضىٰ من صـفة المرسلة رددت ذنبها علىٰ عجزها فصارت هنالك دائرة ، وهذه صورتها .

مفردة مجموعة



وأما الملوزة : فإنها لا تكون إلا قبل الألف، وطريقها أن تبدأ بعرض القلم من تحت الألف فيما تقدّر، فإذا بلغت جبهة الجيم، جررت بوجه القلم جرّة مبطنة حتّى يصير البياض الأوسط لَوْزَةً محققة فترفع الألف مع جبهة الجيم وتبقى تحت ذنب الألف بقية رأس الجيم، وهذه صورتها .

مبتدأة مركبة ملوزة



وزاد المتأخرون صورة أخرى تسمى الوَتقاء، وصورتها أنك تبتدئ برأس واو من واوات الثلث مفردة، وتكون مرتفعة الرأس بقدر نقطة من نقط الخط، ثم تكمل عليها ببقية العمل المتقدّم ذكره على الثلاث حالات المتقدّمة في الباب، وهي المرسلة والمسبلة، والمجموعة، وهذه صورها .

وتقاء مرسلة



وتقاء مسبلة



وتقاء مجموعة



وزاد المتأخرون صُوَرا أخرىٰ فى التركيب : وهى ثلاث : أولىٰ، ووُسْطىٰ، وأخيرة .

أما الأولىٰ : فٱبتداء العمل فيها كٱبتداء العمل فى الثلاث حالات الأول، ثم تكمل بالحرف الذى تريد، وهذه صورتها .

مركبة مبتدأة محققة



وتارة تكون ملوَّزة وهى التى تصحب الألف وما شابهها كالدال، واللام، واللام ألف، وقد صوّروها مع الألف فتقاس علىٰ ماعداها .

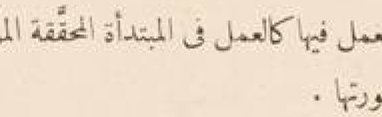
وهذه صورتها مع اللام — وهذه صورتها مع اللام ألف — وهذه صورتها مع الدال

مركبة مبتدأة ملوّزة مع شبه الألف — مركبة مبتدأة ملوّزة مع شبه الألف — مركبة مبتدأة ملوّزة مع شبه الألف



واما المتوسطة : فالعمل فيها كالعمل فى المبتدأة المحقَّقة المركبة كما تقدم ولكن بغير ترويس، وهذه صورتها .

مركبة متوسطة محققة



وأما الأخيرة : فالعمل فيها كالعمل فى الثلاث حالات الأُوَل : المرسلة ، والمسبلة ، والمجموعة ، ولكن بغير ترويس ، وهذه صورها .

مركبة مختتمة مرسلة   مركبة مختتمة مسبلة   مركبة مختتمة مجموعة



الصورة الرابعـة

(صـورة الدال وأختها)

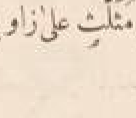
وهى على ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأوّل

المفـردة

ولها صورة واحدة ، وهى شكل مُثَلَّث على زاوية واحدة ، ويجمع طرفها جمعا يسيرا ، وهذه صورتها :

مفـردة



الضرب الثانى

المركبـــة

ولها أربعة أشكال : مجموعة، ومبسوطة، ومخطوفة، ومقطوفة .

أما المجموعة : فإنك ترفعها بعد فراغك من الحرف الذى قبلها، ولك فى ذلك مذهبان :

أحدهما ـ مذهب الوزير أبى علىّ بن مقلة[(١)] .

والثانى ـ مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب، وطريقه أن ترفعها مائلا إلى اليسار ميلا خفيفا .

ثم على كلا المذهبين ترجع بخط يلاصق الخط الذى صَعِدت به و يظهر القطة فى الأنتهاء، وتأتى بالعراقة على شكل عراقة الدال المفردة فى الجمع، وهذه صورتها :

مجموعة مركبـــة



وأما المبســوطة : فحكمها فى جميع صـفاتها حكم المجموعة، إلا أنك إذا نزلت فى المبسوطة إلى العراقة وفتلتها، أرسلت العراقة بعرض القلم، وهذه صورتها :

مركبة مبســوطة



(١) لم يبين طريقه ولعله سقط من قلم الناسخ فحرر .

وأما المخطوفة : فهى كالمجموعة أيضا ، إلا انك تخطَفها بحرف القلم وتختمها بأدَقّ ماتقدر عليه من النحافة ، وهذه صورتها :

مركبة مخطوفة



وأما المقطوفة : فهى كالمخطوفة ، إلا أنك بعد الفتلة تُبقى لها ذَنَباً صغيرا بحرف القلم وهذه صورتها :

مركبة مقطوفة



الصورة الخامسة

(صورة الراء وأختها)

وهى على ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

ولها ثلاثة أشكال : مجموعة ، ومبسوطة ، ومقورة ، وآبتداؤها فى جميع الصور على وجهين .

أحدهما ــ أن تبدأ من قفاها صاعدا إلى هامتها ثم تنزل إلى وجهها .

والثانى ــ أن تبدأ بها حدا من رأسها ، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البواب .

ثم لكل واحدة منها بعـد ذلك عمل يخصها . فأما المجموعة فطريقها أن تبدأ فيها بوجه القلم وتنزل علىٰ خط الاستواء بقدر ربعها ، ثم تدير القلم وتبـدأ فى العراقة بصدر القلم ، ويكون تنزيلك إيَّاها أكثَرَ صبا من الباء المفردة قليلا ، فإذا عرفت مثلَىْ ما نزلت به أولا علىٰ خط الاستواء نثرت يَدَك بالقلم إلىٰ فوقُ وأنت تريد ذات اليمين بإشارة لطيفة ، ويكون خَتْمها بسنّ القلم ايمنىٰ ؛ وهذه صورتها :

مفـــردة مجموعة



واما المبسوطة : فطريقها أن تنزل بها علىٰ ما ذكرناه ، وترسل ما عرفت منها علىٰ ما تقـدم فى الدال المجموعة وتنقص منها النـثرة الأخيرة ، وتحـدد طرفها ؛ وهذه صورتها :

مفـــردة مبسوطة



وأما المقوّرة : فطريقها أن تنزل بأقلّ ممـا ذكرناه شيئا يسيرا ، وهذه صورتها :

مفـــردة مقوّرة



الضرب الثانى

المركبــة

ولها أربعة أشكال : مخطوفة، ومقطوفة، و بتراء، ومدغمة .

فأما المخطوفة : فهى كالمقورة فى الصورة، غير أن عراقتها بحرف القلم، وهـذه صورتها :

مركبـة مخطوفة



وأما المقطوفة : فإنك تُبْقِى لها ذَنَباً صغيرا، وهذه صورتها :

مركبة مقـورة



وأما البتراء : فإنك تقطفها من الثلثين فتحذف ثلثها وتأتى بها مستدقة الطرف، وهذه صورتها :

مركبـة مقطوفة



وأما المدغمة : فإنها تصلح بعد كل حرف وتقبح بعد المدّ، وسميت مدغمة مجازا وإلا فالحرف الذى قبلها هو الذى يدغم فيها، لكنهم لما حذفوا منها شيئا لقبوها بذلك، ولا بُدَّ أن تحذف من الحرف الذى قبلها شيئا من آخره وتحذف منها شيئا من أولها .

وتُبْقى من كل واحد منهما مايدل عليه، وهذه صورتها :

مركبــة مدغمة



الصورة السادســة

(صورة السين)

وحكمها فى حالتى الإفراد والتركيب سواءٌ، غير أنها فى حالة الإفراد تزيد العراقة، وعراقتها كعراقة النون فى الجمع والبسط والتقوير، وسيأتى الكلام على ذلك فى حرف النون إن شاء الله تعالى .

ثم هى على نوعين : محقَّقة، ومعلقة .

فأما المحققة : فلها شكلان، مُظْهَرة، ومدغَمة .

فطريق المظهرة أن تبدأ بوجه القلم ثم تدير القلم منها إلى أختها إدارة لطيفة فى نهاية الاعتدال، وتحدد رأس الثانية بسن القلم اليمنى . ويكون الذى بين الأولى والثانية أقلَّ مما بين الثانية والثالثة، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب . وإذا كان قبلها شىء يكون سواء، ويجوز أن تكون مصدّرة مقلوبة، وهذه صفتها :

محققة مظهــرة



وأما المعلقة : فصفتها أنك تحذف السين حذفا وتقيم جرّةً مقامها، وتبدأها بوجه القلم عاملا إلىٰ آخرها .

هذا إذا كانت مبتدأة، فإن كانت متوسطة، فالأولىٰ أن تكون محققة، ولا بدّ من جرّ فوقَ المعلقة نقطت أو لم تنقط، وهذه صورتها :

مبتدأة معلقـــة



وتحسن قبل الكاف المشكولة وقبل الألف، ولاتكون قبل الصاد والعين والكاف المعرّاة، وقيل إنها لم تر فى خط ابن البوّاب إلا مفردة .

الصـــورة السابعـــة

(صـــورة الصاد)

والكلام فى عراقتها كالكلام فى عراقة السين : من الجمع، والبسط، والتقوير، وسيأتى الكلام علىٰ ذلك فى حرف النون .

نعم لاتكون عراقتها إلا حديدة الطرَف فى جميع صورها، ولا يجوز فيها الوقف بحال . أما نفس الصاد فلها شكل واحد، وهى تقارب التلويزة . وللناس فيها مذهبان : الاول إظهار مبدإ الصاد تحت رأس العراقة، والآخر إخفاؤه، وفى كلا المذهبين لا بدّ من ظهور رأسها شيئا يسيرا . فإن كانت متوسطة، فيكون رأسها بحرف القلم

محدّد الطَّرَف . و إن كانت مفردة أو متطرّفة فإنها تكون عريضة الرأس بوجه القلم . و إذا ركبت علىٰ خط قبلها ، لايكون خطا علىٰ خط ولا يظهر أكثر من خط واحد ، وهذه صورتها :

مجموعة



الصورة الثامنة

(صورة الطاء وأختها)

وهى ثلاثة أنواع : موقوفة ، ومرسلة ، ومحققة

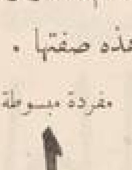
فأما الموقوفة : فطريقها أن تبدأ بها علىٰ صورة الألف المطلق . فإذا وفيت به ، رجعت طالعا من تلقاء ذَنَب الألف حتّىٰ تقارب شاكلته ، فترجع إلىٰ يمينك ، فتركب عليه شكلا علىٰ صورة اللوزة ، وتخرج ذَنَبَ اللوزة من تحت الألف وتقف عليه بعرض القلم فتظهر القطة ، وهذه صفتها .

مفردة موقوفة



وأما المرسلة : فهى علىٰ نحو ما تقدّم فى الموقوفة غير أن الجزة السفلىٰ هاهنا مبطنة ، وفى الموقوفة علىٰ خط مستقيم ، وهذه صفتها .

مفردة مبسوطة



وقد ٱختلف الكُتَّاب فى رأس الطاء، فكان بعضهم يذهب أن يكون علىٰ طَرَف اللَّوْزة من غير ركوب عليها، وهو أحد المذاهب فيها .

قال الشيخ أبو القاسم : سألت بعض مشايخى عن "طى" كيف يكون وضع الياء فيها ؟ بحضرة جماعة من الكُتَّاب، فقال : تُكتَب طاء جيدة بعدها ياء حسنة، فقلت : الحمد لله الذى أبقىٰ علىٰ جديد الأرض مَنْ يُحْسِنُ صفة الخط بمثل هذا الضبط . فلما أردت الانصراف أشار إلىّ أن ٱجلسْ فجلست حتّى ٱنصرف القوم، فقال : قد كنتُ سألتُ عنها شيخنا أبا الحسن بن هلال فقال لى : إذا فرغت من الطاء فاحذف رأس الياء وألصق قفا الياء بذَنَب الطاء، ثم تممها علىٰ مذهبك فى الياء أنّى شئتَ، ولا تخرج صدر الياء من تحت رأس الطاء . وعلامة صحتها أنك إذا حذفت لوزة الطاء بقيت فى نهاية الصحة إن كان بعدها ياء . وإن كان بعدها واو بقيت أيضا فى نهاية الكمال .

قال الشيخ أبو القاسم : فينبغى أن يكون رأسها فى آخر اللوزة، ولا يكون مركبا علىٰ ظهرها لانه إذا تركب بطل هذا القياس .

وأما المحققة : فإنك تبدأ فيها علىٰ صورة اللام المبتدأة المعلقة، ويأتى الكلام علىٰ ذلك فى حرف اللام إن شاء الله تعالىٰ .

وأ كثر ما تستعمل هذه الطاء إذا كانت مشعَّرة بألف قبلها وألف بعدها فتستحسن، وهذه صفتها .

متوسطة بين قائمين



وآعلم أنه لا بدّ للطاء من مدّة قبلها تركب عليها، ويكون طرفها ينتهى إلى تحت رأس الطاء من غير زيادة ولا نُقصان، ويجوز فى طَرَف هـذه المدّة الجمعُ وعدمه، وكلا المذهبين حسن .

الصورة التاســعة

(صورة العين وأختها، ولها حالان)

الحال الأوّل : أن لاتكون متصلة بما قبلها، وهى على نوعين : ملّوّزة، ومركّبة.

«أما الملوزة : فإنك تبدأ فيها من رأس العين بحرف القلم فى غاية الدقة، حتى إذا وصلت إلى هـامتها، مكّنت إدارة قلمك فصرت عاملا بوجهه إلى قَمَحْدُوة العين فتصير على صورة اللوزة، وتكون هذه العين قبل الهـاء المدغمة، وهذه صفتها .

ملــوزة



وتكون أيضا قبل هاء الردف، وهذه صورتها .

ملوزة مع هاء الردف



وأما المركبة : فهى مركبة من راءين محققة ومعلقة ، وآبتـداؤها على ما تقـدم فى الملوزة، غير أنك إذا صرت إلى هامتها وأدرت القَمَحْدُوَة، نزلت على خطٍّ مستقيم أو قريب من الآسـتقامة . والذى وجد بخط الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب على

الأستقامة ، وهـذه العين لا يكون بعدها إلا حرف طالع كالألف واللام وما جرىٰ مجْراهما ، وهذه صفتها .

مركبـة ونعلية



وكثيرٌ من الكُتَّاب يخلطونها مع ما قبلها كالجماعة والبضاعة ، فإنهم يردّون من الألف إلىٰ العين جرّة مبطنة يجعلونها عاليـة العين ، وهى مستحسنة ، ولا بدّ لها من ألف قبلها وحرفٍ طالع بعدها ، وهذه صفتها .

مردوفة ومشكولة



الحال الثانى : أن يكون قبلها شيء متصل بهـا ، وتسـمى المربعة ، وهى علىٰ نوعين : منوّرة ، ومطموسة .

فأما المنوّرة : وتسمّى المحققة ، فإنك إذا خرجت من الحرف الذى قبلها أتبعت خطا محدودبا مبطنا إلىٰ يسارك بصدر القلم ، ثم حررت عالية العين بوجه القلم ثم علىٰ الجرّة الأولىٰ جرة تناقضها مثلها فى القـدر والمساحة بقطع الخط الأوّل ، ثم إن كانت معرقة عرقت . وإن كانت غير ذلك اتبعتها مابعدها .

وعلامة صحتها أن تلتمس البياض الذى فى وسطها فإن تناسبت زواياه فهو فى غاية الصحة وقد تم تركيبها، وإلا فتحرّر حتّى يصح ما رسم؛ وهذه صفتها .

مربعة مفتوحة



وأما المطموسة ، وتسمّى المعلقة ولا تكون إلا فى قلم التوقيعات والرقاع، فصفتها أن تكون وقصاء غير مفتوحة ، ولا يجوز فيها من العراقات غير المجموعة ، وهذه صورتها .

معلقة مطموسة



ثم إن كانت معرّقة مفردة أو مركبة، فالعراقة على ثلاثة أنواع : مسبلة، ومرسلة، ومجموعة، كعراقات الجيم .

فأما المسبلة : فإنك إذا نزلت من ظهرها أسبلت العراقة فتكون أكثر من نصف الدائرة، ولا يخرج الصدر عن الرأس ولا الظهر عن القَمَحْدُوة، بل يكون كل واحد منهما مساويا لما فوقه، غير زائد عليه ولا ناقص عنه. وكان الوزير أبو علىّ بن مقلة رحمه الله يقول: "المرء على ترك شيء مما يعمله أقدرُ منه على تكلف شيء لم يعتده" ويأمر الطلبة بإخراج ذَنَبِ العين من تحت صدرها ؛ وهذه صورتها .

مفردة مسبلة



وأما المرسلة : فإنك تأتى بالعراقة نصف دائرة محققة ، وتتأمل فيها من المسامتة ما وصف فى المسبلة والمسـبلة تكون حديدة الطرف ، والمرسلة يجوز فيهـا التحديد والوقف ، والتحديد مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب ، وهذه صورة التحديد ، وهذه صورة الوقف .

مفردة مرسـلة



وأما المجموعة : فإنها كالمرسلة أيضا فى جميع أوصافها ، وتزيد عليها أنك إذا وَفَّيت بها علىٰ ما مضى من صـفة المرسلة ، رددت ذَنَبها علىٰ عجزها فصارت هنالك دائرةً ، وهذه صفتها .

مفـردة مجموعة



الصـــــــورة العــاشرة

(صـــورة الفــاء)

وهى علىٰ ضربين : مفردة، ومركبة

فأما المفردة : فعلىٰ ثلاثة أقسام : مجموعة، ومبسوطة، وموقوفة. وقد تقدّم الكلام علىٰ هذه العراقات فى حرف الباء، فأغنىٰ عن إعادته هنا؛ وهذه صفة العراقات الثلاث.



وأما المركبـة : فإنها تكون مقلوبة، وذلك أن بياضها يكون الحادّ منه فى ملتقىٰ الخطين اللذين يتقاطعان فى ذهَابها ومجيئها، ويكون عرضه عند هامتها؛ وهذه صفة المتوسطة.



الصـــــــورة الحادية عشرة

(صـــورة القاف)

وهى علىٰ ضربين أيضا : مفردة، ومركبة

فأما المفردة : فحكم رأسها حكم الفاء، وحكم عراقتها حكم النون، وستأتى، غير أنها تكون مفردة مبسوطة وهى مستحسنة بخلاف النون؛ وهذه صفتها.



وأما المركبة : فإنها كالفاء فى جميع ما تقدّم، فلا حاجة إلىٰ تمثيلها.

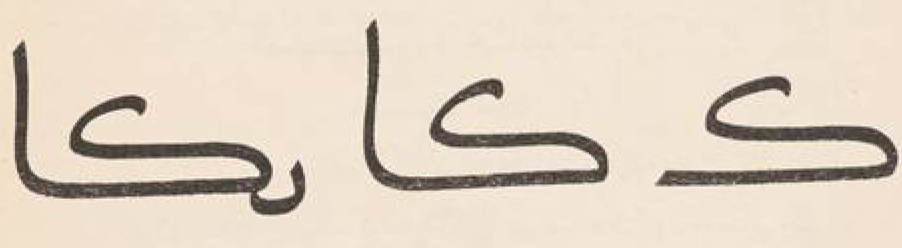
الصـــورة الثانيـــة عشرة

(صورة الكاف)

وهى على ثلاثة أنواع : مبسوطة ، ومشكولة ، ومعرّاة ؛
ولكل واحدة منها موضع يخصها

فأما المبسوطة : فتكون مفردة ومركبة ، و إفرادها قليل ، والمركبة منها موضـعها الأبتداءات والوسط ، ولا تكون طرفا أخيرا بحال ؛ وطريقها أن تبدأ فيها بصدر القلم من رأسها حتّى ترد جبهتها فتخط عاليتها بوجه القلم وتفتل على هذا المنهاج إلى المَطَّة السُّفْلى ، وتمطها بصدر القلم وتقط ذنبها ، وتتوخّى فى عاليتها أن تكون على خط مستقيم لتجعلها قالبا لمطة السفلى ؛ وآعتبار صحتها باعتبار البياض الذى فى وسطها إذا آستقام آستقامت ؛ وهذه صورتها فى الإفراد ، والتركيب ، والأبتداء .

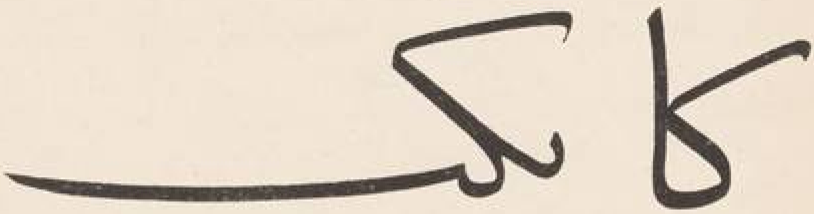
مفردة مبسوطة مبتدأة مبسوطة متوسطة مبسوطة



وأما المشكولة : فلا تكون إلا مركبة ، وموضعها الأبتداءات والوسط ، ولا تنفرد البتة ، وتكون على هيئة شق لوزة فإن وصلت بألف أو لام تبينت ولا يخرج الحرف الذى يكون بعدها من تحت رأسها أصلا لأن الكاف المبسوطة والمشكولة لا يجوز

أن يأتى بعدهما مدة، وإنما سميت مشكولة للجزة التى عليها، وهذه صورتها فى الابتداء وفى الوسط .

مبتـــدأة مشكولة   متوســـطة مشكولة



وأما المعرّاة : فلا تكون إلا طَرَفا أخيرا وهى فى الصورة والشبه كاللام المطلقة، والفرق بين اللام والكاف المعرّاة أن القائم من الكاف ثلثا المبسوط، والمبسوط من اللام كالقائم فيها ؛ وهذه الكاف لا تجمع أبدا، فإن مواضعها أواخر السـطور، وهذه صفتها .

مفردة معـــراة



الصورة الثالثـــة عشرة

(صـــورة اللام)

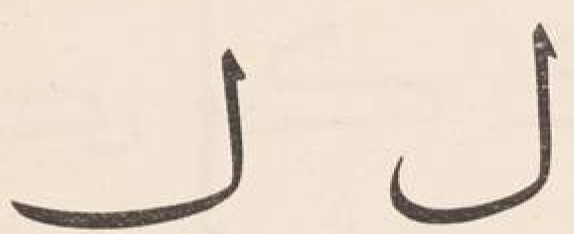
وهى علىٰ ضربين : مفردةٍ، ومركبةٍ

الضرب الأوّل

المفـــردة

وهى علىٰ نوعين : مجموعة، ومطلقة

فأما المجموعة : فطريقها ان تبدأ من قفاها علىٰ نحو ما وصف فى الألف المطلق لأن الالف واللام يجريان علىٰ نظام واحد فى كل خط لأنهما صاحبان، كالباء والتاء، وكالحاء والخاء ؛ وكالعين والغين . فإذا وصلت إلىٰ شاكلته عرقت اللام عراقة أكثر حُدُورا من الباء، وجمعت ذنبها كما تقدم فى حرف الراء، وهذه صفتها .



مجموعـــة   مطلقـــة

الضرب الثانى

المـــركبة

وهى على قسمين : محققة ، ومبتدأة معلقة .

فأما المبتـدأة المحقَّـقة : فهى كالمرسلة غير أنها محذوفة المَطَّة لأجل التركيب ؛ وهذه صفتها .

مبتدأة محققة



وأما المبتدأة المعلقة : فتنزل فيها بعرض القلم مائلا من يمينك إلى يسارك ، وهى تختص بثلاثة أحرف من سائر الحروف وهى الجيم ، والحاء ، والخاء ، ويكون مبتدؤها يوازى قفا الجيم من غير زيادة ولا إشارة إلى العراقة ، وهذه صفتها :

مبتـــدأة معلقة



الصورة الرابعـــة عشرة

(صـــورة الميم)

وهى علىٰ خمسة أضرب : محققة، ومعلقة، ومسبلة، ومبسوطة، ومفتولة .

الضرب الأوّل

المحققـة

وهى علىٰ نوعين : مبتدأة ، وغير مبتدأة

فأما المحققة المبتدأة : فإنهـا كثيرا ما تصحب اللام ، وصفتها إذا أردت(١) وضعها أنك إذا صرت إلىٰ آخر الحرف الذى تريد منه الميم المحققة ، تميل فيه يسيرا ثم ترجع بخط آخر بجواره طالعا فيه ، ثم تعرّق كتعريق الميم المعلقة ، وهذه صفتها .

مبـتـدأة محققة



وكان الشيخ عماد الدين بن العفيف إذا آنتهىٰ من الحرف الذى قبل هـذه الميم ، يقف فيه ثم يبدأ من يمينه براء مدغمة ، وهذه صفتها .

محققـــة مختتمة



وأما المحقَّقة غير المبتدأة(٢) : ... ...

(١) فى العبارة شىء يظهر للتأمل . (٢) سقط الكلام عليها من النسخة .

الضرب الثانى

المعلَّقــة

وهى علىٰ نوعين، مبتدأة، وغير مبتدأة

فأما المعلقة المبتدأة : فإنها لاتحسن إلا مشَـعَّرة مع ما قبلها ، ولا تكون إلا قبل الالف؛ وهذه صفتها .

معلقة مبتـــدأة



وأما المعلقة غير المبتداة: فإنها تختص بالبسملة علىٰ مذهب الحُذَّاقِ.

وطريقها : أنك إذا مططت إلىٰ آخر المطة، رجعت بالميم فى الخط الذى جئت فيه، حتّى إذا بلغت هامتها فارقت ذلك الخط لئلا تجىء منافرة ؛ فإذا وصلت إلىٰ جبهة الميم، عَرَّقتها علىٰ ما رسم فى الراء المجموعة والمقوّرة والمبسوطة والمخطوفة .

وكان الأستاذ أبو الحسن بن البوّاب لا يفردها ؛ وهذه صفتها .

معلقــة مختتمة



وأما المعلّقة المبتدأة : فإنك تبدأ فيها كابتداء المحققة ، فإذا بلغت فتلتها ألصقت مدّتها بقفاها، والأوْلى أن تكون مطموسة،فاذا بلغت جبهتها عَرَّقت كتعريق الراء المُدْغَمة، لا يستعمل فيها غير ذلك،وهذه صفتها .

معلقة مبتـدأة



الضرب الثـالث

المُسْـبَلة

ولا بأس بتركيبها وانفرادها، غير أنك إذا وصلت إلىٰ جبهتها أسبلت عراقة كهيئة الألف «لأىٰ» من فوق، وتكون حديدة الطرف، وهذه صفتها .

مفردة مسبلة



مركبـة



الضرب الرابـع

المبسوطة

وهى كالمحققة، وهى مفردة،وهذه صفتها .

مبسـوطة



الضرب الخامس

المفتــولة

وأكثر مواضعها بعد الهاء المدغمة على مذهب الحُذّاق. وبعض الكتّاب يجيزها مع غير الهاء، والأوّل أجود .

وطريقها أنك إذا جئت بها بعد الهاء المدغمة تقوّس بصدر القلم ثم تنزل بقدر ما قوّست، ثم تدير الميم عن يمينك وتردّ إلى يسارك شكلا مدوّرا، وتعرّقها على ماتقدّم فى المعلقة والمحققة، وهذه صفتها .

مفتــولة



الصورة الخامســة عشرة

(صــورة النون)

وهى على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأوّل

المفــردة

وهى على اربعة أنواع : مجموعة، ومقوّرة، ومبسوطة، ومدغمة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بوجه القلم على خطّ مستقيم . فإذا نزلت منها بمقدار ماينزل من البـاء و بلغت الفتلة، أدرت القلم برفق من الفتلة بصـدر القلم،

ثم تصـير العراقة جمعا بصـدر القلم ، حتىّ إذا بلغت ذنبها ختمت بحرف القــلم ؛ وهذه صفتها .

مفردة مجموعة



وأما المقوّرة : فإنها تكون كنصف دائرة ، ويكون ذَنَبها موازيا لرأسها من غير زيادة عليه ؛ ويجوز أن يكون ناقصا عنه شيئا يسيرا ، وذلك قليل ؛ وهذه صفتها .

مفردة مقوّرة



وأما المبسوطة : فأكثر ماتكون متطرّفة ولا تكون مفردة بحال . وطريقها أنك إذا نزلت علىٰ ماوصف فى المجموعة وبلغت بها الفتلة وأدرت صدر القلم إلىٰ العراقة ، جعلتها قِطْعَةَ قَوْسٍ من دائرة عُظْمىٰ ، حتىّ يكون فيها تبطين يسـير ، وتختمها بحرف القلم ، ولا يجوز فى شىء من مبسوطات العراقة أن يكون مرفوعا ، ولا يجوز أن يكون إلا حديد الطَّرَف ؛ وهذه صفتها :

مفردة مبسوطة



وأما المدغمة : فإنها لاتنفرد البَتَّةَ ، ولاتحسُن إلا مع ثلاثة أحرف ، مع الميم وهى كثيرة المؤاخاة لها ، ومع الكاف ومع العين .

وكان بعض الكُتَّاب يأبىٰ إدغام النون ويكرهه ، إلا الأستاذ أبا الحسن بن البوّاب .

ولا يتقدّم هـذه النونَ من سائر الحروف إلا ثلاثةُ أحرف : الميم المعلقة من سائر الميات ، والعين الملوّزة : وهى الصاديَّة من أشكال العين خاصّة ، والكاف المشكولة من أشكال الكاف خاصّة .

وطريقها أنك إذا بلغت قفا الميم أو صدر العين أو قاعدة الكاف ، صببتَ النون صبًّا فى عَرْض اللام المبتـدأة المعلقة ، فاذا صببتَ ثلثيها ، ختمت العراقة على مارسم فى الراء المدغمة وعراقة الميم المدغمة ، وهذه صورها :

مدغمة مع الميم — مدغمة مع الكاف — مدغمة مع العين



الصورة السادسـةَ عشرةَ

(صـورة الهاء)

وهى على ضربين : مفردةٍ ، ومركبةٍ

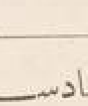
الضرب الأول

المفـردة

وهى على نوعين : معرّاة ، ومركبة

فأما المعرّاة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم ثم تنزل إلى عجزها مميلا إلى ذات اليمين شيئا يسيرا ، ثم تفتل إلى قاعدتها بصدر القلم إلى صدرها ، ثم تصعد بمثل ما كنت انحدرت به من وجهها إلى قفاها ، وهذه صفتها .

معـراة



وأما المركبة : فهى فى الصورة قريبة من المُعَرّاة إلىٰ صدرها ، فاذا بلغتَ صدرها وأنت طالع إلىٰ وجهها ، رفعته بعرض القلم وأخرجت وجه الهاء إلىٰ قفاها ، والكاتب مخير بين التقليل والتكثير فى ذلك . و يكون الطرف الخارج إلىٰ قفاها محـدّدا ؛ وهذه صفتها :

مركبـة



وإنما سميت مُرَكَّبة وإن كانت مفردة مجازا لتركيب طرفها وإلا فالمراد بالمركَّب كيفما وقع فى المصطلح المختلطُ بغيره .

الضرب الثانى

المركبـة

وهى علىٰ قسمين

القســم الأوّل

المشـــقوقة

وهى علىٰ ستة أنواع : ملوّزة ، ووجه الهر ، ومشقوقة طولا ، ومشقوقة عرضا ، ومختَلَسة ، ومدغَمَة

فأما الملوّزة : فتكون مبتدأة ، ومتوسـطة ، ولا تتأخر بحـال . فإن كانت مبتدأة فطريقها أن تبدأ بصدر القلم مقدارَ نصف الهاء المفردة ، ثم تدير القلم من يسارك إلىٰ يمينك حتّىٰ إذا وصلت إلىٰ المكان الذى آبتـدأت منه أدرت إلىٰ يمينك أيضا حتّىٰ يصير مركز نصف دائرة محققة لطيفة بصدر القلم ، وتقف عليها وقفة خفيفة ، ثم تنزل بوجه القلم من غير إدارة حتّىٰ تصير إلىٰ المكان الذى آبتدأتَ منه أوّلا ، فيصير رأس الهاء حادّا فى الغاية .

ومذهب الأستاذ أبي الحسن أن يكون النصف الأعلى أصغر من النصف الأسفل بجزء يسير ؛ وهذه صفتها .

مقـــورة



وإن كانت متوسطة : فهى غير مستحسنة إلا قبل الألف ، وطريقها على ما تقدّم ولها حكم : وهو أنك تجيء بالخط الذى قبلها حتّى يشقها متصلا بالألف ، حتّى لو طرحتَ الهاء لاتصل الألف بما قبله مستغنيا عن الهاء كأنما ركبت من فوقه تركيبا ، ويكون هذا العمل فى كل حرف يقع معها ؛ وهذه صفتها .

مقورة مســـتديرة



وأما وجه الهر : فتكون أيضا مبتدأة ، ومتوسطة ؛ ولا يجوز تأخيرها . وطريقها فى الابتداء والتوسط أنك تبدأ من رأسها بوجه القلم معتدل النزول شيئا قليلا ، ثم تردّها عن يمينك إلى يسارك صاعدة معتدلة ، ثم يصير جميعها دائرة على مركزين ، فإذا بلغت المكان الذى ابتدأت منه تكففتها طولا حذارا من أن يقع فيها حَوَلٌ ، وهو أن يكون أحد شقيها أوسعَ من الآخر . وكثيرا ما يكون شقها بحرف القلم إذا كانت متوسطة .

فإن كانت مبتدأة فشقها بوجه القلم .

وهذه صورتها فى الابتداء

وجه الهــــر



وهذه صورتها فى التوسط

وجه الهر متوسطة



وأما المشقوقة طولا : فإنها لاتكون إلا متوسطة، ولا يجوز تقديمها ولا تأخيرها، ولا تصـحب من حروف المعجم غير اللام وحدها، وطريقها كطريق وجه الهر، ويفترقان فى القاعدة فتكون قاعدتها مسـتديرة ، وتكون اللام نازلة عليها من فوقها؛ وعلامة صحتها أنك إذا حذفت الهاء صارت اللام متصلة بما بعـدها كأنما زيدت الهاء عليها؛ وهذه صفتها .

مشـــقوقة طولا



وأما المشقوقة عرضا : فلا تكون إلا صحبة اللام أيضا، وطريقها أنك إذا نزلت باللام معتدلة، أدرت الهاء فألصقتها بوجه اللام وشققت الهاء عرضا، ولا بد من مدّة لطيفة تكون بعدها؛ وهذه صفتها .

مشـــقوقة عرضا



وأما المختَلَسة: فإنها لا تكون إلا مبتدأة، ويكون بعدها من الحروف حروف المدّ واللين: وهى الألف، والواو، والياء، وهى مطموسة، وهذه صفتها .

مختلسة



وأما المدغمة: فلا تكون إلا متوسطة، وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها أدرت منه إدارة لطيفة، ونزلت بها نزلة إلى ذات اليمين، ثم صَعِدت فى خط يلاصق الخط الذى هبطت فيه من غير وخز يكون بينهما، وتكون مطموسة أيضا ولا يكون أسفلها أوسع من أعلاها بل يكون أعلاها أوسع شيئا يسيرا، ويتوخّى فيها الترطيب: وهو شدة الأستدارات، فمتى كان العمل فيها يابسا كان رديئا، وهذه صورتها :

مدغمة



القســـم الثانى

ما يقع فى آخر الكلمة وهى علىٰ نوعين

هاء الرِّدْف، والمُخْفَاة

فأما هاء الردف : فطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها طلَعْت فيه بصدر القلم، ثم نزلتَ فى الخط الذى صعِدتَ فيه .

هذا مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب .

ومذهب الوزير أبى علىّ بن مقلة أن تنزل فى خط يلاصق الخط الذى صَعِدت فيه ، وكلاهما مستحسن؛ فاذا بلغت ثلثى ماصعدت به جئت بصدر القلم إلىٰ وجه الهاء ولا تخرج رأسها إلىٰ قفاها البتة؛ وهذه صفتها :

مردوفـــة



وأما المُخْفاة : فأكثر ماتصحب الحروفُ القِصَار ، وهى يمين أليق؛ وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها أدرت منه إلىٰ الهـاء إدارة لطيفة مهأّلة، ثم تأتى بنصف راء مدغمة حديدة الطَّرَف مخطوفة؛ وهذه صفتها :

مخطـــوفة



الصورة السابعـــة عشرة

(صـــورة الواو)

ونظيرها فى التركيب الفاء، وفى الإفراد القاف، لكن القاف أكبر مساحة من الواو، وتكون على خمسة أنواع : مجموعة، ومبسوطة، ومقوّرة، وبتراء، ومخطوفة؛ ويكون ذلك فى الإفراد والتركيب .

وكان بعض الكُتَّاب يجعلها معلقة كالراء المدغمة لأنها قدرها . وقد تقدّم أن الراء والزاى، والميم، والواو قدر سواء فى كل خط .

مجمـوعة — مبســوطة — مقـــوّرة



بـــتراء — مخطوفــة — معلقـــة(١)



الصـــورة الثـامنة عشرة

(صورة اللام ألف)

ولها ثلاث صور : محققة، ومخففة، ووراقية

فأما المحققة : فلا تكون إلا مفــردة ولا يجوز تركيبها بحال ؛ وطريقها أن تبــدأ بوجه القلم ثم تنزل به على تلك الصورة، ثم تفتل إلى قاعدتها بوجه القلم، ثم ترفع القلم

(١) لم يضع لها رسما فى الأصل .

وقد بَطَّنْتَ قلمك فصيرت بطنه مما يلي يمينك وظهره عن يسارك، ويكون قدر الألف واللام قدرا سواء فى الطول والالتواء والغِلَظ والنَّحافة، ويكون ما بينهما كواحد منهما، وتكون القاعدة علىٰ هيئة رأس الفاء المبسوطة لكنها مقلوبة، وهذه صورتها :

محققة مفـــردة



وأما المخففة : فيجوز فيها التركيب والإفراد وكلاهما مستحْسَن جيد . وصورتها فى التركيب كصورتها فى الإفراد، وطريقها أن تأتى بلام معلّقة علىٰ ماتقدّم فى اللام المعلقة فى حرف اللام، ثم ترمى عليها ألفا مُعوَجّةً إلىٰ ذات اليمين ويكون ذنب الألف موزونا علىٰ الخط الذى لا مست به الحرف الذى قبل اللام إن كانت مركبة ، وهذه صفتها :

مخففة مركبـة



وإن لم تكن مركبة فتشعرهما معا، وهذه صورتها فى الإفراد :



وأما الوراقيـة : فإنها كالمحققة ، فإذا كتبت اللام ركبت عليها الألف وأخرجتها عنها، ثم صيرت لها منها قاعدة مثلثة حادّة الزوايا، والأولىٰ أن تكون مفردة .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولايكون هذا الشكل إلا فى قلم النسخ وما شاكله وفى قلم المحقق وماشابهه ، وهذه صفتها :

وراقيــة



الصورة التاسعة عشرة

(صـــورة الياء)

وهى على ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأول

المفــردة

وهى على ثلاثة أنواع : مجموعة ، ومقوّرة ، ومبسوطة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بصدر القلم فتعمل رأسها دالا مقلوبة وصدرها أيضا دالا مستوية ، فإذا تركبت الدالان جررت العراقة ، وعلامة صحتها أن تكون الدالان صحيحتين كما تقدم . وإذا ركبت خطا من ذنبها إلى صدرها ، صار صادا جيدة ، وهذه صفتها :

مفــردة مجموعة



وأما المقوّرة : فبـدؤها كبدء المجموعة ، غير أنك إذا وصلت إلىٰ صدرها عرقت نصف دائرة ، و يكون ذنبها يحاذى صدرها ، و تكون حديدة الطرف ، ولا يجوز فيها الوقف ولا الجمع ، ويكون رأسها موزونا علىٰ صدرها ، لا يجاوزها ، سواء آنفردت أو تركبت ، وهذه صورتها :

مقـــوّرة



وأما المبســوطة : فعلىٰ ما تقدّم فى المقوّرة ، وتفارقها من الصدر فتكون العراقة قطعة قوس مهلّلة ، وتكون حديدة الطرف ولايجوز فيها الوقف ، وهذه صورتها :

مبســـوطة



الضرب الثانى

المركبـــة

وهى علىٰ ثلاثة أنواع : مبتدأة ، ومتوسطة ، ومتأخرة

فأما المبتدأة والمتوسطة : فحكمهما حكم الباء ، والتاء ، والنون ، وماشابهها .

وأما المتأخرة : فعلىٰ ثلاث صور ، محققة ، وراجعة ، ومعلقة .

فأما المحققة : فعلىٰ ماتقدم أولا ، غير أنك تحذف رأسها للتركيب ؛ وهذه صورتها :

محققـــة



وأما الراجعة : فتختصّ ببعض الكلم دون بعض : كالفاء ، واللام ، وهى مع الفاء أكثر آستعمالا .

وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها بطنته شيئا يسيرا وجئت برأس كرأس الياء ، ويكون فيها شىء من تبطين ، ثم تجر القلم إلىٰ ذات اليمين جرّة معتدلة فى التكييف ، فاذا بلغت ثلاثة أرباعها أدرت القلم برفق ، ولا تظهر الإدارة ، ثمّ تمرّ وأنت مديرٌ لقلمك حتّى تختمها بحرف القلم فى نهاية الدقة والتحديد ؛ وهذه صورتها :

راجعـــة



واما المعلقة : فتكون علىٰ صورة اللام المجموعة واللام المرسلة ؛ وهذه صفتها :

معلقـــة



النـــــوع الثـانى

قلم الثلث الخفيف

ويقال فيه خفيف الثلث، وهو الذى يكتب به فى قَطْع النصف، وصُوَرُه كصُوَر الثلث الثقيل المتقـدّمة الذكر لاتختلف، إلا أنه أدق منه قليلا وألطف مقادير منه بنزر يسير .

قال الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ : والفرق بينه وبين الثلث الثقيل أن الثقيـل تكون منتصباته ومبسوطاته قدر سَبْع نُقَط على ما فى قلمه، على ماتقدّم، والثلث الخفيف يكون مقدار ذلك منـه خمس نقط . فإن نقص عن ذلك قليلا، سمى القلم اللؤلؤى .

القــــلم الرابع

قــلم التوقيع

بإضافة قلم إلى التوقيع، سمى بذلك لأن الخلفاء والوزراء كانت توقع به على ظهور القِصَص، ويقال فيه قلم التوقيعات على الجمع أيضا، وقد يقال فيه التوقيع والتوقيعات بحذف المضاف إليه . ثم هو على نوعين .

النــــوع الأوّل

قلم التوقيع المطلق

وهو الذى يكتب به فى قَطْع الثلث، وقد تقدم أن أول من آخترعه يوسفُ أخو إبراهيم الشجرى، وأن ذا الرياستين : الفضلَ بن هارون أُعْجِب به، وأمر أن تحرّر الكتابة السلطانية به دون غيره وسماه القلم الرياسى، ولعله إنمـا سمى الرياسى لمـا تقدم من آختصاص الكتب السلطانيـة به أخذا من الرياسـة، وقواعد حروفه وأوضـاعُه فى الأصل قواعد قلم الثلث إلا أنه يخالفه فى أمور .

أحدها ــ أن قَطَّته إلىٰ التدوير أميل، بخلاف الثلث فإن قَطَّته إلىٰ التحريف أميل . وذلك أن التوقيع آمتلاء حروفه علىٰ السواء بخلاف الثلث، فإن فيه تشعيرات تحتاج إلىٰ التحريف .

الثانى ــ أن حروفه إلىٰ التقوير أميل من الثلث، وإن كان فى الثلث ميل إلىٰ التقوير فإنه لايبلغ فى ذلك مبلغ التوقيع .

قال لى الشيخ عبد الرحمن المُكَتِّب(١) الشهير بابن الصائغ : ويكون فى سطره تقوير مّا علىٰ نسبة تقوير حروفه .

قال الشيخ زين الدين شعبان فى ألفيته : وتكون منتصباته مروسة كما فى الثلث .

قال لى الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ المُكَتِّب : ويجوز ترك الترويس فى بعض حروفه .

قال الشيخ زين الدين شعبان الآثارى : ويخيَّر فيه بين الطمس والفتح فى العين المتوسطة، والفاء، والقاف، والميم، والواو، وعقدة اللام ألف المحققة . وخص الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ طمس العين بالآخرة .

قال الشيخ زين الدين شعبان الآثارى : ويختص من الحروف الزائدة علىٰ الثلث، بالراء المقوّرة، والراء البتراء، والراء المخطوفة، والواو المقوّرة، والواو البتراء، والواو المخطوفة، والعين البتراء؛ وسيأتى ذكرها عند تشكيل الحروف فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١) قال فى الصحاح للجوهرى : والمُكْتِب الذى يعلم الكتابة، قال الحسن : كان الحجاج مُكْتِبا بالطائف يعنى معلما . وفى المصباح كتبت الغلام تكتيبا علمته الكتابة . [ففيه لغتان] .

حرف الألف

مطلق مشعر محرّف مركب



الباء

مجموعة موقوفة مبسوطة



مدغمة مجموعة مدغمة مبسوطة مركبة مبتدأة . مركبة متوسطة



مركبة موقوفة مركبة مبسوطة



الجيم

مرسلة — مسبلة — مجموعة



رتقاء مفردة مرسلة — رتقاء مقورة مسبلة — رتقاء مفردة مجموعة



مركبة مبتداة ملوزة — رتقاء مبتداة — مركبة متوسطة



مركبة مختتمة مرسلة — مركبة مسبلة — مجموعة



الدال

مفردة مجموعة	مختلسة	مركبة مجموعة
د	د	عد
مركبة مختلسة	مركبة مخطوفة	مركبة مشعرة
عد	حد	هد

الراء

مقـوّرة	مخطـوفة	مفردة مبسوطة
ر	ر	ر
مفردة مدغمة	مركبة مبسوطة	مركبة مدغمة
ر	حر	عر
مفردة مجموعة	مركبة مجموعة	
ر	صهر	

السين

مخـوفة — مجموعة — مبسوطة

س س س

مبتدأة مركبة — متوسطة — مخـوفة

ساحس عس

مطرفة مبسوطة — مطرفة مجموعة — مفردة معلقة

عس عس س

مركبة مطرفة معلقة — مركبة متوسطة معلقة

عس حسا

الصاد

مخسوفة مجموعة مبسوطة



مبتدأة متوسطة مطرفة مخسوفة



مطرّفة مجموعة مطرفة مبسوطة



الطاء

مفردة مرسلة مفردة موقوفة مركبة ملفوفة



مبتدأة مبسوطة — متوسطة لقائمين — متوسطة لمبسوطين

طسم لطا سط

مطرفة موقوفة — مطرفة مرسلة

وط وط

العين

مرسلة — مسبلة — مجموعة — نعلية بينها منتصب

ع ع ع عا

نعلية بينها ما هو فى حكم المنتصب — صادية بينها مبسوط — صادية بينها ما هو فى حكم المبسوط

عد عس عم

مولفة مع الإفراد　　مولفة مع التركيب　　بتراء



الفاء

مجموعة　　موقوفة　　مبسوطة



مبتدأة　　متوسطة　　متطرفة مجموعة



مطرفة موقوفة　　مطرفة مبسوطة



القاف

مفردة مجموعة | مخسوفة | مبسوطة



مطرفة مجموعة | مطرفة مخسوفة | مطرفة مبسوطة



الكاف

مجموعة مفردة | موقوفة | مبسوطة



مشكولة مبتدأة | متوسطة | مبسوطة مبتدأة



متوسطة مشكولة مبتدأة وسطى



مشكولة مركبة مطرفة مجموعة بزورقها منزول عليها مبسوطة



اللام

مفردة يخرج منها نون على رأى ابن البواب يخرج منها قاف على طريقة ياقوت



أو ياء على طريقة ابن العفيف مركبة مبتدأة وسطى مطرفة

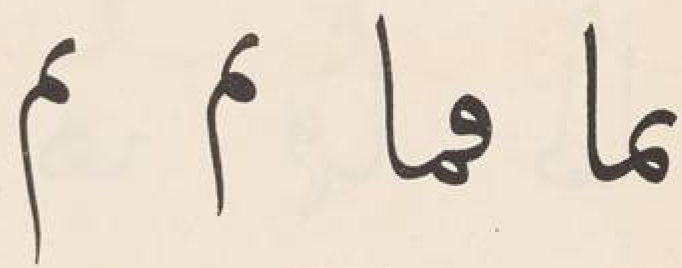


الميم

مفـردة | مخطـوفة | مسبلة | مبتدأة مشعرة



وسطى مقلوبة | وسطى محققة | مسبلة ملفوفة | مسبلة ملوزة



النون

مفردة مجموعة | مدغمة | مختلسة | وسطى



مركبة مطرفة مجموعة | مدغمة | مختلسة

الهاء

مفردة مربعة — مفردة مثلثة — مركبة مبتدأة ملوزة



وجه الهر — مدغمـــة — طالعـــة



مخطوفة — محدودبة — محققة — مردوفة



الـــواو

مجموعة مشدودة — مبسوطة مشدودة — مجموعة مفتوحة — مبسوطة مفتوحة



مقــوّرة — مخلوقة مقوّرة — بــتراء



اللام الف

محققة مفردة — مرشوقة مفردة — مركبة محققة



الياء

مفردة مجموعة　　مركبة　　راجعة



مبتدأة ثم وسطى　　مركبة مجموعة　　مركبة مبسوطة



مركبة راجعة　　مركبة مخسوفة　　مركبة مبسوطة



القلم الخامس

من الأقلام المستعملة بديوان الإنشاء

قلم الرِّقَاع

بإضافة قلم إلى الرقاع، والمعنىٰ أنه يُكْتَبُ به فى الرِّقَاع جمع رُقْعَة، والمراد الورقة الصغيرة التى تكتب فيها المكاتبات اللطيفة والقِصَص وما فى معناها، وهو الذى يكتب به فى قَطْع العادة من المنصورى والقطع الصغير، وصُوَره فى الاصل كصُوَر حروف الثلث والرِّقَاع[1] فى الإفراد والتركيب إلا أنه يخالفه فى أمور :

أحدها ـ أن قلمه أميل إلىٰ التدوير من قلم التوقيع الذى هو أميل إلىٰ التدوير من قلم الثلث .

قال لى الشيخ عبد الرحمن بن الصائغ المُكَتِّب : وتكون جَلْفَةُ قلمه فى البِرَاية أقصر من الثلث والتوقيع .

الثانى ـ أن حروفه تكون أدقَّ وألطف من حروف التوقيع .

الثالث ـ أن الترويس لايقع فى منتصباته من الألف المفردة وأخواتها إلا فى القليل، بخلاف الثلث والتوقيع فإن الترويس فيهما لازم .

الرابع ـ أنه يغلب فيه الطمس فى العين المتوسطة والاخيرة، وكذلك الفاء، والقاف، والميم، والواو، وعقدة اللام ألف المحققة. أما الصاد والطاءُ والعين المفردة والمبتدأة فإنها لاتكون الا مفتوحة .

الخامس ـ أنه يوجد فيه من الحروف ما لا يوجد فى غيره كالألف الممالة إلىٰ جهة اليمين علىٰ ماسيأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١) لعل الصواب ، والتوقيع .

وهـــذه صورة حروفه إفرادا وتركيبا

الألف

مطـلق مشـعر محـرّف طالـع



البـاء

مجـموعة مدغمة مفردة مدغمة مبسوطة مفردة موقوفة



مبتدأة . وسطى . مطرفة مطرفة موقوفة مطرفة مبسوطة



الجيم

مفردة مرسلة — مفردة مسبلة — مفردة مجموعة



رتقاء مرسلة — رتقاء مجموعة — رتقاء مسبلة



مبتدأة — وسطى — وسطى مفتوحة



مطرفة مرسلة — مطرفة مسبلة — مطرفة مجموعة



الدال

مفردة مجموعة	مختلسة	مخطوفة	مشعرة
د	د	د	هد

مركبة مجموعة	مختلسة	مخطوفة
مد	عد	مد

الـــراء

مجموعة	مقورة	مخطوفة	بتراء
ر	ر	ر	ر

محققة	مدغمة	مقطوفة
ر	ر	ر

السين

مجموعة   معلقة   مخـوفة



مبسوطة   مبتدأة   متوسطة



معرقة مجموعة   مبسوطة   مخـوفة   معلقة

الصاد

مجموعة — مبسوطة — مخسوفة

ص ص ص

أولى مركبة — وسطى مركبة — مطرفة مجموعة

صل فصم نص

مطرفة مبسوطة — مطرفة مخسوفة

فص نص

الطـــاء

مرسلة	موقوفة	مبتدأة
ط	ط	طا
متوسطة	**مطرفة مرسلة**	**مطرفة موقوفة**
حطـ	حط	عط

العين

مرسلة	مسبلة	مجموعة
ع	ع	ع
مبتدأة نعلية	**مبتدأة صادية**	**متوسطة**
عا	عـ	ـعـ
مطرفة مرسلة	**مطرفة مسبلة**	**مطرفة مجموعة**
مع	مع	مع

الفـاء

مجموعة موقوفة مبسوطة



أولى مركبة وسطى مطرفة مجموعة



مطرفة موقوفة مطرفة مبسوطة



القاف

مفردة مجموعة　　مخسوفة　　مبسوطة　　مبتدأة



متوسطة　　مطرفة مجموعة　　مطرفة مخسوفة　　مبسوطة

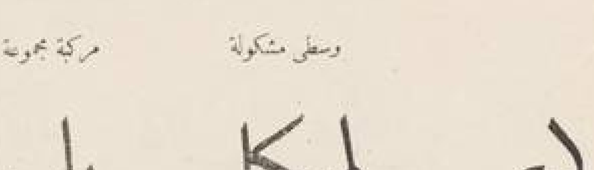


الكاف

مجموعة　　موقوفة　　مبسوطة　　أولىٰ مشكولة



وسطىٰ مشكولة　　مركبة مجموعة



مركبة موقوفة — مركبة مقورة — أولى مبسوطة



وسطى مبسوطة — مشكولة موصولة — مشكولة مفصولة



اللام

مفردة مجموعة — موقوفة — مبسوطة — مبتدأة



متوسطة — مجموعة مركبة — مبسوطة — موقوفة



الميـم

مفردة معلقة — محطـوفة — مسـبلة — مبتدأة مركبة



وسطى مركبة — مطرفة معلقة — مركبة مسبلة — مختتمة محققة



النون

مجمـوعة — مدغمة مجموعة — مدغمة مبسوطة



مبسـوطة — مخسـوفة — أولى ووسطى



مجموعة مركبة — مبسوطة مركبة — مخسوفة مركبة



الهاء

مربعة — مدوّرة — وجه الهر — مدغمة



مشقوقة عرضا — ملوزة — مشقوقة طولا — محدودبة



محققة — مختطفة — مختلسة



الواو

مجموعة مفردة — مبسوطة مفردة — مجموعة مركبة — مبسوطة مركبة



اللام ألف

مرفـــلة	محققة مركبة	مفـــردة	محققة مفردة
فلا	حلا	لا	لا

اليـاء

مبتدأه ، وسطى	راجعـــة	مخســوفة	مجموعة مفردة
ـبـ	ے	ى	ى

راجعة مركبة مختتمة	مخسوفة مركبة	مجموعة مركبة
ے	ى	ى

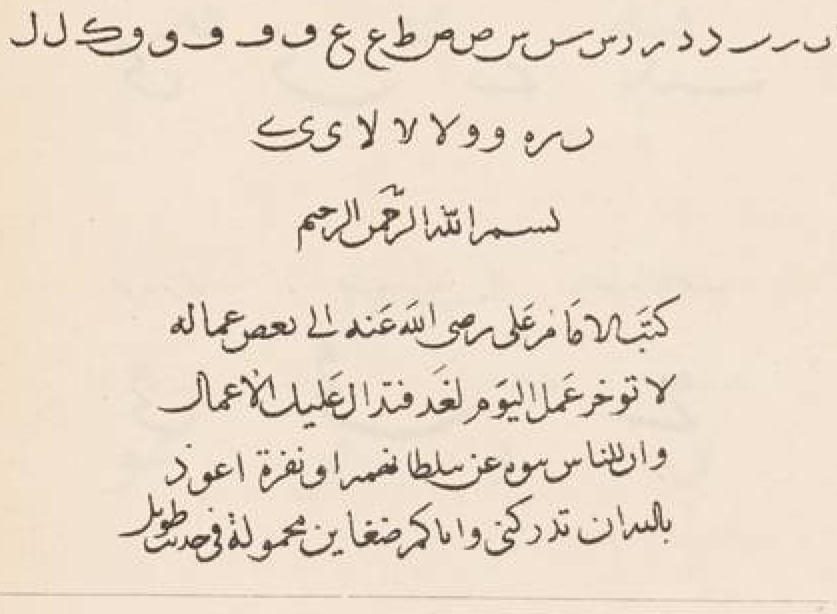
القـــلم السـادس (١)

قــلم الغُبَارِ

سمى بذلك لدقته، كأن النظر يضعُف عن رؤيته لدقتــه كما يضعُف عن رؤية الشيء عند ثَوَرَانِ الغُبَار وتغطيته له، وهو الذى يكتب به فى القطع الصغير من ورق الطير وغيره .

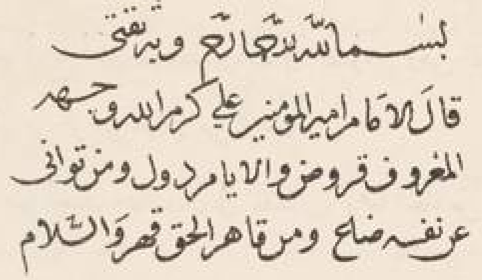
وبه تكتب بطائق الحمام التى تحمل علىٰ أجنحتها فى ورق الطير. وبعضهم يسميه قلم الجَنَاح لذلك، وهو قلم ضئيل مولَّد من الرقاع والنسخ، مُفَتَّح العُقَدِ من غير ترويس فيه، وينبغى أن تكون قَطَّته مائلة إلىٰ التدوير لتفرّعه عن الرقاع والنسخ .

وهذه صورة حروفه إفرادا وتركيبا :



(١) هو فى الحقيقة سابع لتكلمه علىٰ خفيف الثلث فيما سبق فى الكلام علىٰ قلم الثلث حيث قسمه الىٰ نوعين: ثقيل وخفيف . فلم يترك من الأقلام شيئا كما قد يتوهم .

وهذه الصورة المصطلح عليها الآن : (وقد أجازوا فيها الفتح والطمس جميعا)



الجملة السابعة

(فى كتابة البسملة)

وبيان صورتها فى كل قلم من الأقلام المستعملة فى ديوان الإنشاء، وفيها مَهْيَعان

المَهْيَع الأوّل

(فى ذكر قواعدَ جامعةٍ للبسملة فى جميع الأقلام، وتشتمل على ثمانِ قواعدَ)

الأولى ـ قد آتفق الكُتّابُ على تطويل باء البسملة أكثرَ مما يطوّل به غيرها من الباءات التى فى أوّل الكلمة . وسيأتى فى الكلام على البسملة فى المقالة الثالثة أنها طوّلت بدلا من الألف المحذوفة بينها وبين السين لكثرة تكْرارها . وقد ذكر بعضُ المصنّفين فى الخط أنها تكون بمقدار ثُلثَىْ ألفِ ذلك الخطّ .

وقد سبق القول على مقدار ألِف كلّ قلم فيما تقدم، وهذا أصل يترتب عليه غيره .

الثانيــة ـ فى البسملة خمسُ أخوات متساويات فى الطول والآنتصاب، وهى : ألف الجلالة، والألف واللام من الرحمن ، والألف واللام من الرحيم ، فكلّها على مقدار واحد، وقد سبق .

الثالثة ــ فيها أربع أخوات متساويات فى الإرسال: وهى إرسالةُ الميم من بسم وإرسالة الراء من الرحمن، وإرسالة الراء من الرحيم، وإرسالة الميم من الرحيم .

الرابعة ــ فيها أربع أَخَوَات متساويات فى الضَّوْء : وهى الميم من بسم، والهاء من الجَلالة، والميم من الرحمن، والميم من الرحيم .

الخامسة ــ فيها أختان متناسبتان فى المقدار : وهما الحاء من الرحمن ، والحاء من الرحيم .

السادسة ــ أن لامات الجلالة تكون موازيةً من أعلاها للبـاء فى أوّل البسملة إلا أن اللام الثانية من لامات الجلالة تكون أخفضَ من اللام الأولىٰ بيسير .

قال ٱبن عبد السلام فى الميزان : بحيث لايُدْرَك ذلك إلا بتأمل . والذى ذكره الشيخ زينُ الدين الآثارى- أنها تكون ناقصة عنها بقدر نُقْطة (يعنى من نُقَط قلم كتابتها) وتكون الهـاء أخفض من اللام الثانيةِ مثل ذلك .

السابعة ــ أن يكون بين الباء والسين قدرُ رُبُعِ ألِفٍ من ألفات ذلك الخط، وتكون أسنان السين منها محدّدةَ الأطراف. ويكون الأخذ من كل سِنٍّ من أسنان السـين من أعلاها آخذا فيها إلىٰ أسفل مع التساوى من الأعلىٰ وكذا من الأسفل، بحيث إنه إذا خُطَّ خطٌّ من أسـفل البـاء إلىٰ آخر السين لاصق بهما وقع علىٰ الآستقامة، ثم يأخذ فى مدّ السين من أعلىٰ السنة الأخيرة منها، وتكون أصابعه مقدّمة وكُلْوة يده مؤخَّرةً .

الثامنة ــ أن يكون البسط بين اللام الأولىٰ والثانية منخسفا لامستويا، وكذلك ما بين اللام الثانية والهـاء .

المهيع الثانى

(فى بيان صورة البسملة فى كل قلم من الأقلام التى تستعمل فى ديوان الإنشاء)

قد تقدّم أن الأقلام التى تستعمل فى ديوان الإنشاء مما يكتب به كُتّابه ستةُ أقلام وهى : مختَصَرُ الطومار، وقلم الثلث الثقيل والخفيف ، وقلم التوقيعات، وقلم الرِّقاع، وقلم الغُبار. إلا أن المحقَّق لا بسملةَ له فى ديوان الإنشاء : لأنه إنما يستعمل فى كتابة طغراة كُتّاب علىٰ ماتقدّم ذكره، ولا بَسملة للطغراة .

اللهم إلا أن يكتب مختصر الطُّومار علىٰ طريقة المحقَّق فتكتب البسملة فيه علىٰ طريقة المحقق ، بخلاف قلم الغُبار فإنه يكتَبُ به فى الملَطَّفات فيُحتاج إلىٰ البسملة وإن لم يحتج إليها فى البطائق .

ولتعلم أن صورة البسملة فى هذه الأقلام تختلف ما بين صورة واحدة لكل قلم فأكثر . وقد ذكر صاحب العناية الربانية صُوَرا من ذلك : وأنا أوردها علىٰ الترتيب إن شاء الله تعالىٰ .

فأما بسملة قلم مختصر الطومار، فقد تقدّم أن طريقته طريقة الطُّومار، وأن الطُّومار تارةً يُكْتَب علىٰ طريقة المحقَّق وهو الأكثر، وتارةً يُكْتَب علىٰ طريقة الثلث، وعليه عمل كُتّاب الإنشاء، وربما عملوا علىٰ طريقة المحقَّق ؛ وحينئذ فإن كان المكتوب علىٰ طريقة المحقَّق فبسملته علىٰ طريقة المحقق مع امتلاء قلمه علىٰ حَدّ قلم مختصر الطومار علىٰ ما تقدّم بيانه .

وهـــذه صورة بســـملته



على طريقـــة الثلث



وأما قلم الثلث الثقيل وقلم الثلث الخفيف فطريقهما واحدة لا خُلْف بينهما إلا فى رِقَّة القَلَم وغِلَظه على ماتقدّم بيانه فى الكلام على أصل الأقلام.

وللبسملة فيهما ثلاثُ صُوَر.

الصورة الأولى ـ أن تكون الراء فى الرحمن وفى الرحيم محسوفةً، وهذه صورتها :



الصورة الثانية – أن تكون الراء فيهما مجموعة والنون فى الرحمن مجموعة ؛ وهذه صورتها :



الصورة الثالثــة : أن تكون الراء فيهما مُدْغَمَة والنون فى الرحمن مُدْغَمَة ، وهذه صورتها :

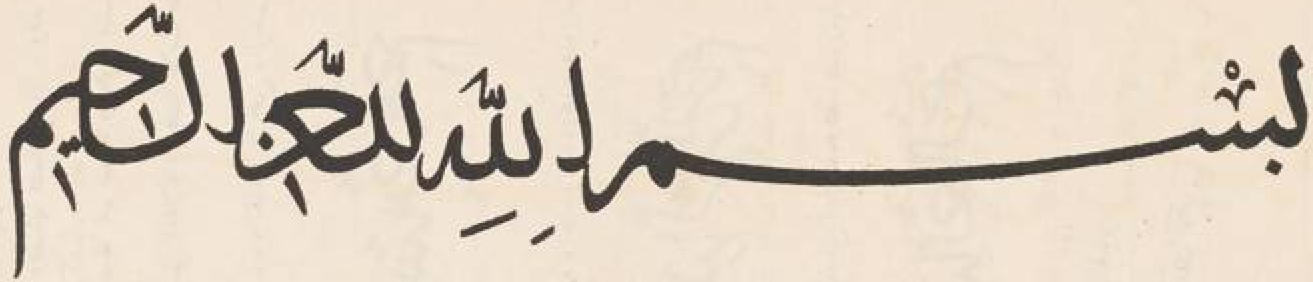


وأما بسملة قَلَم التوقيع فلها ثلاثُ صُوَر :

الصورة الأولى ـ مختصرة من قلم الثُّلُث فتكون كهى ، إلا أنها أدقُّ قلما منها ، وهذه صورتها :



الصورة الثانيـــة ـ أن تكون الحاء فيها فى الرحمن مقلوبة وفى الرحيم مُلَوَّزَة ، وهذه صورتها :



الصـورة الثالثـــة ـ أن تكون الحـاء فيها فى الرحمن والرحيم مقلوبة ،وهذه صورتها :

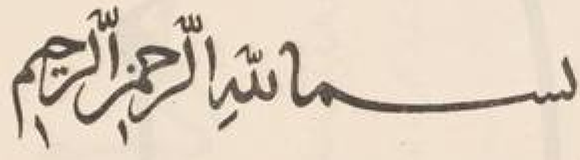


وأما بسملة قلم الرقاع ، فإن السين تكون فيها بالتدريج ، كل سنٍّ دون التى قبلها بيسير ، والكاتب فيها مخير بين وصل أسنانها وفصلها فصلًا يسيرا . وقد اصطلحوا على أن تكتب الألف التى قبل الجلالة فيها متصلةً بميم بسم ، وتكون مثل الألف والصاعد فى قَلَم الرِّقاع ، ثم يجعل لها ذَيْلٌ وتُوصَل بالجلالة ؛ ولها ثلاث صور .

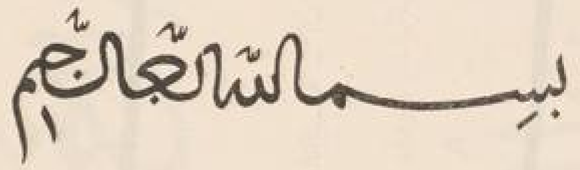
الصورة الأولى ــ أن تكون الراء فيها مدغَمَة ، والحاء فى الرحمن والرحيم مقلوبة ؛ وهذه صورتها :



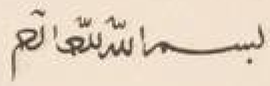
الصورة الثانية ــ أن تكون الراء فيها مدغمة والحاء رتقاءَ ؛ وهذه صورتها :



الصورة الثالثة ــ أن توصل الألف بالجلالة من أعلاها ؛ وهذه صورتها :



وأما بسملة الغبار (١)



(١) لعله قلها صورة واحدة وهى هذه .

الجملة الثامنة

(فى وجوه تجويد الكتابة وتحسينها، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(حسن التشكيل)

قال الوزير أبو علىّ بن مُقْلة : وتحتاج الحروف فى تصحيح أشكالها إلى خمسة أشياء :

الأول ـ التوفية، وهى أن يُوَفَّى كلُّ حرف من الحروف حَظَّه من الخُطُوط التى يركب منها : من مقوس ومُنْحنٍ ومُنْسَطِح .

الثانى ـ الإتمام، وهو أن يعطى كلُّ حرف قِسمتَه من الأقدار التى يجب أن يكون عليها : من طُول أو قِصر أو دِقَّة أو غِلَظ .

الثالث ـ الإكمال ، وهو أن يؤتى كلُّ خط حظَّه من الهيئات التى ينبغى أن يكون عليها : من آنتصاب، وتسطيح، وآنكباب، واستلقاء، وتقويس .

الرابع ـ الإشباع، وهو أن يؤتى كلُّ خط حظه من صَدْر القلم حتّى يتساوى به فلا يكون بعض أجزائه أدقَّ من بعض ولا أغلظَ إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة عن باقية مثل الألف والراء ونحوهما .

الخامس ـ الإرسال، وهو أن يُرْسِلَ يدَه بالقلم فى كل شكل يجرى بسُرْعة من غير آحتباس يُضَرِّسه ولا تَوَقُّف يرعشه .

الضرب الثانى

(حسن الوضـع)

قال الوزير : ويحتاج إلىٰ تصحيح أربعة أشياء .

الأوّل ـ الترصيف، وهو وصل كلّ حرف متصل إلىٰ حرف .

الثانى ـ التأليف، وهو جمع كل حرف غير متصل إلىٰ غيره علىٰ أفضل ماينبغى ويحسن .

الثالث ـ التسطير، وهو إضافة الكلمة إلىٰ الكلمة حتّىٰ تصير سطرا منتظم الوضع كالمِسْطَرة .

الرابع ـ التنصيل، وهو مواقع المَدّات المستحسنة من الحروف المتصلة .

وآعلم أن المَدَّ فى الخط قديم، فقد حكىٰ أبو جعفر النحاس فى "صناعة الكتاب": أن أهلَ الأنبار كانوا يكتبون المَشْق . وكأنه يريد أنهم كانوا علىٰ ذلك فى القديم، فقد تقدّم أن أوّل ما تعلَّم أهلُ الحجاز الخَطَّ من أهل الأنبار . علىٰ أن صاحب "موادّ البيان" قد حكىٰ أن جماعة من المحرّرين كانوا يكرهون المَشْق لإفساده خطَّ المبتدئ ودلالته علىٰ تهاوُن المنتهى .

قال : ولذلك كرهوا كتابة البسملة بغير سين مبيَّنة ثم صارت كراهة ذلك سُنَّة وعُرْفا . والذى عليه حُذَّاق المحررين آستعمال المدّ .

قال فى "موادّ البيان" وهذه المدّات تستعمل لأمرين: أحدهما أنها تحسِّن الخط وتفخِّمه فى مكان كما يُحَسِّن مَدُّ الصوت اللفظَ و يفخِّمه فى مكان . الثانى أنها ربما أوقعت ليتم السَّطْر إذا فضل منه مالا يتّسع لحرف آخر : لأن السطر ربما ضاق عن كلمتين وفَضَل عن كلمة فتمدّ التى وقعت فى آخر السطر لتقع الأخرىٰ فى أوّل السطر الذى يليه .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : مواضع المدّ أواخر السطور ، وتُكره إذا كانت سينا مدغمة .

قال فى "مواد البيان": فيجب على الكاتب أن يعرف أحكامها لئلا يوقعها فى غير المواضع اللائقة بها فيشتبه الحرف بغيره ويفسُد المعنى، مثل أن يوقع المدّ فى متعلم بين الميم والتاء فتشتبه بمستعلم، أو يوقع المدّ فى متسلم بين الميم والتاء فتشتبه بمستسلم. ثم قال : وبالجملة فالكلمة الأصلية اسما كانت أو حرفا أو فعلا لا تخرج عن أربعة أصناف :

الصنف الأول

(الثنائية)

وهى إما أسماء مضاعفة أو أفعال أو حروف .

فالأسماء: نحو ندّ، وضر، وسِرّ، وشَرّ، وظِلّ، وطَلّ، وما أشبه ذلك .

والأفعال : نحو قُلْ، وكُلْ، وقُمْ، وعُدْ، ونَمْ، وسِرْ، ونحو ذلك .

والحروف: نحو هل، وبل، وقط، وقد، ومذ، وعن، ولو، ولم، ومِنْ، وما، وما يجرى مجرى ذلك .

فأما الأسماء والأفعال الثنائية فقد ذكر فى "مواد البيان": أنه لا يحسن المد فى شىء منها إلا فى سِرّ، وشَرّ، من الأسماء وسِرْ من الأفعال لأن السين أو الشين وان كان كل منهما حرفا على حياله فى صورة ثلاثة أحرف .

قال : وقد يحسن فى نحو ظل، وطَلّ، فى بعض المواضع .

وأما الحروف الثنائية فقد ذكر فى "مواد البيان" : أنه لا يَحسُن المدُّ فيها .

وحكىٰ صاحب "منهاج الإصابة" : أن بعض الكتّاب كان يمدّ فى أواخر السطور مثلَ ما، وهل، وعن . ثم حكى عن أبى القاسم بن خلوف : أن ذلك لايجوز فى عن فى أوّل السطر ولا فى آخره .

الصنف الثانى

(الثلاثية)

قال فى "مواد البيان" : والمدّ فيها علىٰ الأكثر قبيح لأنها لاتنقسم بقسمين متساويين .

قال : ومنها ما يُسمَح فى مدّه للضرورة كما إذا وقع فى آخر سطر يحتاج إلىٰ التتميم فيمدُّ كبيع وقطع ونحوهما . وعلىٰ نحو من ذلك جرىٰ صاحب "منهاج الإصابة" ثم قال : ويجوز أن تمدّ إذا كان ثالثها ألفا أو لاما .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : كان والدى يمدّ فى الكلمة الثلاثيّة إذا كان أوّلها الجيمُ وأختاها، والطاء، والسين، والعين .

قال فى "موادّ البيان" : وينبغى إذا مُدَّ أن يُقـدَّم الحرفان الأوّلان وتُوضَع المدّة بينهما وبين الثالث . أما عسىٰ، ومتىٰ، وفتىً، ونحوها فانها لاتحتمل المدّ بحال .

الصنف الثالث

(الرباعية نحو محمد وجعفر)

قال أبو القاسم بن خلوف : والمدّ فيه جائز بل المدّ فيه أحسن من القصر .

قال فى "موادّ البيان" : ولايجوز أن يقدّم منها ثلاثة أحرف ويوقع المدّة بينها وبين الحرف الرابع ولا بالعكس بل يوقع المدّ بين الحرفين الأوّلين والحرفين الآخِرين فقط .

قال : علىٰ أن منها مالا يحسُن المدّ فيه نحو تغلب، وخبير، ونمير .

الصـــنف الرابع
(الخُمَاسية)

نحو : مشتمِل ، ومستقِلّ ، ومسيطِر ، ومهيمِن .

وقد اختلف علماء الخط فيه على مذهبين : فذهب صاحب "مواد البيان" إلى أن المدّ فيها لا يحسُن ، فإنها لا تنقسم بقسمين متساويين كما في الثُّلاثيَّة ، وذهب أبو القاسم بن خلوف إلى أن المد فيها لازم ، لا يجوز تركه . ثم إذا مدّ فالذى ذكره في "مواد البيان" أن الأحسن أن يُقدّم حرفين ويُوقِعَ المدَّ بينهما و بين الثلاثة الأحرف الأخر .

أما ما كان زائدا على خمسة فقد ذكر صاحب "العناية الرّبّانية" أنه يُرجَع فيه إلى الأصول . و يعتبر من السُّداسيّ[1] فإنه مدّ فيما بعد السين من مسلمون و بعد التاء من معتبر .

قال في "مواد البيان" : و يصح المدُّ فيما جاء من الأسماء والأفعال والحروف موصولا بضمير كناية مثل ، كتبته ، وعلمته ، وفيه ، ومنه ، وعليه ، و إليه ، إذا وقعت المَدّةُ بين تمام الكلمة والضمير .

قال : ومَشْق السين يُحسّن الخطَّ في بعض المواضع ، و يقبُح إذا وقعت طَرَفا نحو مَشْق السين من العباس والجوّاس ، وأقبحُ من ذلك مشقُها إذا كانت موصولة بحرف واحد يتقدّمها نحو يأنس ، وعانس ، وجالس ، وناعس . و إذا توالتْ سينان أو سين وشين ، فالأحسن أن يفصل بينهما في الخط المحرّر بمَدّة لطيفة نحو مَسَسْت وغَشَشْت ورَشَشْت .

---

(١) لعل الصواب من الثلاثى بالثامين المثلثين .

قال أبو القاسم بن خلوف : ومن الحروف مالا يحسُن المدُّ بعده إذا كان مبتدأ وهو الباء وأختاها ، والياء ، والفاء ، والقاف ، واللام ، وأما الكاف المشكولة فإنه لايجوز مدُّ مابعدها فى ابتداءٍ ولا توسُّطٍ .

وقد ذكر الشيخ زين الدين شعبان الآثارى فى ألفيته حروفا يجوز مدُّها فى مواضع :

أحدها ـ الباء وأختاها ، فتمدّ إذا كان بعدها دال مثل بَدْر ، أو راء مثل بَرٍّ ، أو ميم مثل تم ، أو هاء مثل بهز ؛ وأنه ربما مُدَّت إذا كان بعدها لام مثل بل ، أو لام ألف مثل بلا .

الثانى ـ الجيم وأختاها ، فتمدّ إذا كان بعدها دال مثل حداد ، أو راء مثل حرير ، أو ميم مثل حم ، أو هاء مثل جهر .

الثالث ـ السين وأختها ، وتمدّ إذا كان بعدها راء مثل سرّ ، أو ميم مثل سم ، أو هاء مثل سهم .

الرابع ، والخامس ـ الصاد وأختها ، والطاء وأختها ، فلا يجوز مدُّ واحدٍ منها بحال.(١)

السادس ـ العين وأختها ، فتمدّ إذا كان بعدها دال مثل عد ، أو راء مثل عر ، أو ميم مثل عم ، أو هاء مثل عهن .

السابع ، والثامن ، والتاسع ، والعاشر ، والحادى عشر ـ الفاء ، والقاف ، واللام ، والميم ، والهاء ، فحكمها حُكم العين وأختها فى جواز المدّ فيما تقدّم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : ولا يجوز الجمع بين مدّتين فى كلمة واحدة و " على " تمدّ إذا كانت الياء معرّقةً ، فإن كانت راجعة لم يجز المدُّ أصلا : لأنه يجتمع فى كلمة ثُلاثيَّة مدّتان .

قال فى " موادّ البيان " : ويقبح أن تُمدّ حرفين تُوالِى بينهما فى سطر واحد ، وأن تُوقِعَ حرفين ممدودين فى سطرين : أعلى وأسفل على تقابلٍ وتحاذٍ .

(١) الكلام فيما يجوز مده ذاتيات هذا القسم سهو عن المُقسم .

قال السُّرَّمَرِّىّ : وإن كان فى آخر الكلمة ياء لم يجز المدّ قبل الياء . قال : ولذلك لا يجوز المدّ بعد السين فى اسم موسى، ولا قبل السين فى اسم عيسى (١) .

قال الآثارىّ : وأجاز بعضُهم مدَّ العين منه بخلاف السين .

قال ابن العفيف : ولا تُدْغَم الواو والنون بعد مدّ أصلا فى خفيفٍ ولا ثقيلٍ .

قال : ولا يحسُن إدغامُ السين بعد الكاف المشكولة، ويجوز بعد اللام والميم .

قال فى "موادّ البيان" : ويقبُح أن تكتب ياءان معطوفتان متقاربتان فى سطر واحد .

قال الشيخ عماد الدين بن الشيرازىّ : وإذا توالت العراقات وكان فيها الياء وجب أن تكون راجعة إلى ذات اليمين .

قال ابن أبى رقيبة : سألت الشيخ عماد الدين بن العفيف : هل يكون ذلك فى كل قلم ؟ قال نعم ! إذا تمكّن الكاتبُ من وضعها إلا فى المحقَّق فإنه غير جائز .

قال السُّرَّمَرِّىّ : وإن أتتْ ياءان متقاربتان مثل قول القائل "لى صلى" رُدَّ ياء الأخرى من الكلمتين دون الأولى، وإن شئت عَرَّقتهما جميعا، وهو اختيار الوزير ابن مقلة . قال : وتردّ الياءُ بعد الألف واللام مثل إلى فى خفيف الأقلام دون ثقيلها على الأحسن .

قال الآثارىّ : وإذا توالت حروفٌ متشابهةٌ كتبت القصير منه مقدّما على الطويل .

الصنف الخامس (٢)

(مراعاة فواصــل الكلام)

قال فى "موادّ البيان" : وذلك بأن تميز الفصول المشتمل كلٌّ فصلٍ منها على نوع من الكلام عمّا تقدّمه : لتُعْرف مَبادئُ الكلام ومَقاطعُه ، فإن الكلام ينقسم فُصُولا طِوالا

(١) كذا فى الضوء أيضا والمراد سواء اتصل المد بالياء أو كان قبله فى كلمته .

(٢) لم يترجم فى الضوء بخامس ، ولا بسادس ، واقتصر فى الترجمة على ما بعدهما وهو المناسب .

وقِصارا ، فالطِّوال كتقسيم منثور المترسل إلىٰ رسائله ، ومنظوم الشاعر إلىٰ قصائده. ومثل هـذا لا يحتاج إلىٰ تفصيل : لأنه لا يشكل الحال فيه فى الرسالة أو القصيدة بغيرها آتصالا وآنفصالا .

والفصول القصار كانقسام الرسالة إلىٰ الفصول ، والقصيدة إلىٰ الأبيات . ومثل هـذا قد يشكل ، فينبغى أن يُميِّز تمييزا يؤمَنُ معهُ من الآختلاط ، فإن ترتيب الخط يفيد مايفيده ترتيبُ اللفظ . وذلك أن اللفظ إذا كان مرتَّبا تخلَّص بعضُ المعانى من بعض ، و إذا كان مُخلَّطا أشكلت معانيه ، وتعذر علىٰ سامعه إدراك محصوله .

وكذلك الخط إذا كان متميز الفُصُول ، وصل معنىٰ كلِّ فصل منه إلىٰ النفْس علىٰ صورته ، و إذا كان متصلا دعا إلىٰ إعمال الفِكْر فى تخليص أغراضه .

وقد آختلفت طُرُق الكُتَّاب فى فصول الكلام الذى لم يُمَيَّزْ بذكر باب أو فصل ونحوه . فالنُّسَّاخ يجعلون لذلك دائرة تفصِل بين الكلامين ، وكُتَّابُ الرسائل يجعلون للفواصل بياضًا يكون بين الكلامين من سجع أو فصل كلام ، إلا أن بياض فَصْل الكلامين يكون فى قدر رأس إبهام ، وفصل السجعتين يكون فى قدر رأسِ خِنْصر .

قال فى "مواد البيان" : و ينبغى أن لا تكون الجملة فى آخر السطر والفاصلة فى أوّل السطر الذى يليه ، فإنه مُلْبِس لآتصال الكلام ، بل لا يجعل فى أوّل السطر بياضا أصلا لأنه يقبح بذلك لخروجه عن نسبة السطور ؛ ولا أن يُفْسِح بين السطر والذى يليه إفْسَاحًا زائدا عما بين كل سطرين ، ولكن يُرَاعِى ذلك من أوّل شروعه فى كتابة السطر فيقدّر الخط بالجمع والمشق حتّى يخلُصَ من هذا العيب .

الصنف السادس

(حسن التدبير فى قطع الكلام ووصله فى أواخر السطور وأوائلها)

لأن السطور فى المنْظَر كالفصول ، فاذا قطع السطر علىٰ شىء يتعلّق بما بعده كان قبيحا ، كما إذا كتب بعض حروف الكلمة فى آخر السطر وبعضها فى أول السطر الذى يليه .

ثم للفصل المستقبَح فى آخر السطر وأول الذى يليه صنفان :

الصنف الأول

(فصلُ بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض ، وتفريقها فى السطر والذى يليه)

مثل أن تقع معه لفظة "كتاب" فى آخر السطر ، فيكتب الكافَ والتاءَ والألف فى آخر السطر والباءَ فى أول السطر الذى يليه ، أو يقع فى آخر السطر لفظُ "مسرور" فيكتب الميمَ والسينَ والراءَ فيه والواوَ والراءَ الثانيةَ فى أول السطر الذى يليه ونحو ذلك .

قال فى "مواد البيان" : وهو قبيح جدًّا لأنه لا يجوز فصل الآسم عن بعضه .

قال : وأكثر ما يوجد ذلك فى مصاحف العامّة وخطوط الورّاقين ؛ والحامل لهم علىٰ ذلك فى الغالب هو ضيق آخر السطر عن الكلمة بكمالها ، ومن هنا آحتاج الكاتب إلىٰ النظر فى ذلك بالجمع والمشق من حين شُروعه فى كتابة أول السطر علىٰ ماتقدم .

قال صاحب "منهاج الإصابة" : وإنما وقع مثل ذلك فى المصاحف التى كتبت فى زمن أمير المؤمنين : عثمان بن عفان رضى الله عنه لأنها كتبت بقلم جليل مبسوط ، فربما وقع فى بعض الأماكن اللفظة فيقطعها فى آخر السطر ويجعل باقيها فى السطر الثانى .

وعلىٰ ذلك حمل ما رُوِى أن عثمان رضى الله عنــه . قال : "إنَّ فى المُصْحَف لَحْنًا سَتُقِيمُه العربُ بألْسِنَتِهَا" إذ لاجائز أن يكون ذلك لَحْنًا فى اللفظ فقد أجمع الصحابةُ رضوانُ الله عليهم علىٰ أن مابين دَفَّتَى المصحَف قُرْءانٌ، ومحالٌ أن يجتمعوا علىٰ لحن. علىٰ أن هذه الرواية غيرُ مشهورة عن عثمان رضى الله عنه كما أشار إلىٰ ذلك الشاطبىّ بقوله فى الرائية :

وَمَنْ رَوىٰ سَتُقِيمُ العُرْبُ ألْسُنَهَا * لَحْنًا بِهِ قولَ عثمانٍ فما شُهِرا

الصنف الثــانى

(فصــل الكلمة التامة وصلتها)

مثل ان يكتب "وصلَ كتابُك وأيَّدك الله" مُفَصَّلات، فيكتب "وصل" فى آخر السطر و"كتابُك" فى أول الذى يليــه، أو يكتب "أيَّدك" فى آخر سطر وآسم "الله" تعالىٰ فى أوّل الذى يليه، وما جرىٰ مجرىٰ ذلك .

قال فى "موادّ البيان" : والأحسن تجنُّبه إذا أمكن، فإن لم يمكن فيتجنَّبُ القبيحُ منه، وهو الفصل بين المضاف والمضاف إليه : كعبد الله وغلام زيد وماأشبه ذلك : لأنَّ المضــاف والمضاف إليــه بمنزلة الآسم الواحد، والفصــلُ بين الآسم وما يتلوه فى النسب : كقولك زيدُ بنُ محمد، فلا يجوز أن يُفْصَل بين الآسم والمنسوب إليــه كما لايجوز أن يفصَل بين المضاف والمضاف إليه . قال : فإن كان المراد بلفظة آبن تثبيت البنوّة كقولك لزيد آبنٌ جاز قطع الآبن عما تقدمه . وكأنه إنما آمتنع ذلك لأن لزيد لا يستقل بنفسه فلا يدخله لبس بخلاف غلام زيد ونحوه . ثم قال : ومما يقبُح فصلُه الفصْلُ بين كل آسمين جُعِلا آسمــا واحدا نحو حضرموت، وتأبط شرًّا، وذى يَزَن، وأحدَ عشر .

قلت : وباب الخط وأقلامه وحسن تدبيره متسع لا يسع آستيفاؤه .

الفصـــل الثـــالث

من البـاب الثـانى من المقـالة الأولىٰ

(فى لواحق الخط ؛ وفيه مقصدان)

المقصـد الأوّل

(فى النقط ؛ وفيـــه أربع جمـل)

الجمـلة الأولىٰ

(فى مسيس الحـاجة إليـــه)

قال محمد بن عمر المدائنىّ : ينبغى للكاتب أن يُعْجِم كتابَهُ، ويبيِّن إعرابه ، فإنه متىٰ أعراه عن الضبط ، وأخلاه عن الشكل والنقط ، كثر فيه التصحيف ، وغلب عليه التحريف . وأخرج بسنده إلىٰ آبن عباس رضى الله عنه أنه قال "لكُلّ شىءٍ نُورٌ، ونُورُ الكتَاب العَجْمُ" . وعن الأَوْزاعىّ نحوه .

وقال أبو مالك الحَضْرمىّ : أىّ قلم لم تُعجَم فُصُوله ، آستعْجمَ مَحْصولُه . ومن كلام بعضهم "الخُطُوط المُعْجمة ، كالبُرُود المُعْلَمة" .

ثم قد تقـدّم فى الكلام علىٰ عدد الحروف أن حروف المعجم تسـعةٌ وعشرون حرفا ، وقد وُضعتْ أشكالُها علىٰ تسعةَ عشرَ شكلا . فمنها مايشتَرِك فى الصُّورة الواحدة منـه الحرفان : كالدال والذال ، والراء والزاى ، والسـين والشين . ومنها ما يشـترك فى الصورة الواحدة منه الثـلاثةُ : كالباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والخاء . ومنها ماينفرد بصورة واحدة كالألف . ومنها ما لايلتبس حالةَ الإفراد ، فإذا رُكِّب ووُصِل بغـيره آلتبس : كالنون والقاف ، فإن النون فى حالة الإفراد منفردةٌ بصورة ،

فإذا رُكِّبت مع غيرها فى أوّل كلمة أو وَسَطها، اشتبهت بالباء وما فى معناها، والقاف إذا كانت منفردة لا تلتبس، فإذا وصلت بغيرها أوّلا أو وسطا التبست بالفاء، فاحتيج إلى مميز يُميِّز بعض الحُروف من بعض : من نقط أو إهمال ليزول اللَّبْس، ويذهبَ الاشتراكُ .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : ولذلك ينبغى أن القاف والنون إذا كتبا فى حالة الإفراد على صُورتهما الخاصَّة بهما لا يُنقطان، لأنه لاشبه بينَهُما ولا يُشبهان غيرهما، فيكونان إذ ذاك كالكاف واللام . قال : ومنع بعضُ مشايخنا الاشتراكَ فى صورة الحروف . وقال : الصورةُ والنقطُ مجموعُهما دالٌّ على كل الحرف ؛

إذا تقرَّر ذلك فالنقط مطلوب عند خوف اللَّبْس، لأنه إنما وُضع لذلك، أما مع أمن اللَّبْس فالأَوْلى تركُه لئلا يُظْلِم الخَطُّ من غير فائدة .

فقد حكى أنه عُرِض على عبدالله بن طاهر خطُّ بعض الكُتَّاب فقال ما أحسَنَه ! لولا أنه أكثَرَ شُونيزَه .

وقد حكى محمد بن عمر المدائنى أن جعفرا المتوكل كتب إلى بعض عُمَّاله أن أَحْصِ مَنْ قِبَلَك من المدنيِّين وعَرِّفنا بمبلغ عددهم، فوقع على الحاء نقطة فجمع العاملُ مَنْ كان فى عمله منهم وخَصَاهم فماتُوا غير رجلين أو واحد .

وقد حكى المدائنى عن بعض الأدباء أنه قال : كثرةُ النَّقْط فى الكِتَاب سُوء ظَنٍّ بالمكتوب إليه .

أما كُتَّاب الأموال فإنهم لا يَرَوْن النقط بحال، بل تعاطيه عندهم عيبٌ فى الكتابة .

الجملة الثانية

(فى ذكر أوّل من وضع النقط)

قد تقدّم فى الكلام على وضع الحروف العربية أن أول مَنْ وضع الحُروفَ العربية ثلاثةُ رجال من قبيلة بَوْلان على أحد الأقوال . وهم : مُرار بنُ مُرَّة[(١)] ، وأسلمُ ابنُ سِدْرة ، وعامر بنُ جَدَرة ، وأن مرارا[(١)] وضع الصُّوَر ، وأسلَمَ فصلَ ووصل ، وعامرا وضع الإعجام . وقضية هذا أن الإعجام موضوع مع وضع الحروف .

وقد روى أن أوّل من نَقَط المصاحفَ ووضع العربيةَ أبو الأسود الدُّؤَلىّ من تلقين أمير المؤمنين : "علىّ كرم الله وجهه" . فإن أريد بالنقط فى ذلك الإعجام ، فيحتمل أن يكون ذلك ابتداء اوضع الإعجام ، والظاهر ماتقدم ، إذ يبعُد أن الحروف قبل ذلك مع تشابه صورها كانت عَرِيَّةً عن النقط إلى حينِ نَقْط المصحف .

وقد روى أنّ الصحابة رضوانُ الله عليهم جَرّدوا المصحفَ من كل شيء حتى من النقط والشكل . على أنه يحتمل أن يكون المرادُ بالنقط الذى وضعه أبوالأسودِ الشكل على ما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(فى بيان صورة النقط ، وكيفية وضعه)

قال الوزيرأبو علىّ بن مقلة رحمه الله : وللنَّقْط صورتان : إحداهما شكلٌ مربَّعٌ والأخرى شكل مستدير .

قال : وإذا كانت نقطتان على حرف ، فإن شئت جعلت واحدة فوقَ أُخرى ، وإن شئت جعلتَهما فى سطرٍ معًا ، وإذا كان بجوار ذلك الحرف حرفٌ يُنْقَط لم يجز أن يكون النَّقْط إذا آتسعت إلا واحدةً فوق أُخرى ، والعلة فى ذلك أن النُّقَط إذا كُنَّ

---

(١) تقدّم التنبيه عليه .

فى سطر خرجْنَ عن حروفهن فوقع اللَّبْس فى الأشكال، فإذا جعل بعضُها علىٰ بعض كان علىٰ كل حرف قِسْطه من النُّقَط فزال الإشكال .

قلت : وإذا كان علىٰ الحرف ثلاث نُقَط ، فإن كانت ثاء جعلت واحدة فوق اثنتين ،و إن كانت شينا فبعضُ الكُتّاب ينقطه كذلك ، وبعضهم ينقطه ثلاث نقط سطرا ،وذلك لسعة حرف الشين بخلاف الثاء المثلثة .

أما السين إذا نقطت من أسفلها فإنهم ينقُطُونها ثلاثةً سطرا واحدًا .

الجملة الرابعـــة

(فيما يختصُّ بكل حرف من النقط وما لا نَقْطَ له)

قد تقـدّم أنّ حروفَ المُعْجَم ثمانية وعشرون حرفًا سوىٰ اللام ألف ،وان ذلك علىٰ عَدَد منازل القَمَر الثمانيةِ والعشرين ،وأن المنازل أبدًا منهـا أربعةَ عشرَ فوق الأرض ، وأربعـةَ عشرَ تحتَ الأرض ،ثم إنه لا بُدَّ أن يَبْقىٰ مما فوقَ الأرض منزلةٌ مختفيَةٌ تحتَ الشَّـفَق ، فكانت الحروف المنقوطةُ خمســةَ عَشَر حرفا بعدد المنـازل المختفيَة : وهى الأربعةَ عَشَر التى تحت الأرض ،والواحدةُ التى تحت الشُّعاع ،إشارةً إلىٰ أنها تحتاج إلىٰ الإظهار لاختفائها : وهى الباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم ، والخاء ، والذال ، والزاى ، والشين ، والضاد ، والظاء ، والغين ،والفاء ،والقاف ،والنون ،والياء ، آخر الحروف .

وكانت الحروف العاطلةُ ثلاثةَ عَشَر بعـدد المنازل الظاهرة : وهى الألفُ ، والحاء ، والدال ، والراء ، والسين ، والصاد ،والطاء ، والعين ،والكاف ،واللام ،والميم ، والهاء ،والواو .

فأمّا الألف فإنها لا تُنْقَط لانفرادها بصورةٍ واحدة، إذ ليس فى الحروف ما يُشْبِهها فى حالتى الإفراد والتركيب .

وأما الباء فإنها تُنْقَط من أسفلُ لتخالِفَ التاءَ المثناة من فوقُ، والثاءَ المثلثةَ فى حالتى الإفراد والتركيب، والياء المثناة من تحتُ، والنون فى حالة التركيب ٱبتداءً أو وسَطا ونُقِطت من أسفلُ لِئلَّا تلتبس بالنون حالة التركيب .

وأما التاء فإنها تُنْقَط بٱثنتين من فوقُ لتخالف ما قبلها وما بعدها من الصورتين فى حالة الإفراد وتخالفهما مع الياء والنون حالة التركيب ٱبتداءً أو وسَطا .

وأما الثاء فإنها تُنْقَط بثلاثٍ من فوقُ لتخالِفَ ماقبلها من الصورتين فى الإفراد وتخالِفَهُما مع النون والياء أيضا فى التركيب ٱبتداء أو وَسَطا .

وأما الجيم فإنها تنقط بواحدة من تحت لتخالِفَ الصورتين بعدها .

وأما الحاء فإنها لا تُنْقَط، ويكون الإهمال لها علامةً، وحُذَّاق الكُتَّاب يجعلون لها علامة غير النقط: وهى حاء صغيرةٌ مكان النُّقْطة من الجيم .

وأما الخاء فإنها تُنْقَط بواحدةٍ من أعلاها لتخالِفَ ماقبلها : من الجيم والحاء .

وأما الدال فإنها لا تُنْقَطُ ولا تعَلَّم، ويكون تركُ العلامة لها علامةً .

وأما الذال فتُنْقَط بواحدة من فوقُ فَرْقا بينها وبين أختها .

وأما الراء فإنها لاتنقَط ولا تعَلَّم، ويكون الإهمال لها علامةً .

وأما الزاى فإنها تنقَط بواحدةٍ من فوقُ فَرْقا بينها وبين الراء .

وأما السين فإنها لا تُنْقَط، وتكون علامتُها الإهمالَ كغيرها، وبعض الكُتَّاب ينقطها بثلاث نقطٍ من أسفلها .

وأما الشين فإنها تُنقَط بثلاث من فوقُ فَرْقا بينها و بين أختها، فإن كانت مدغمة فلا بدّ من جَرَّة فوقها، ثم إن كانت محقَّقة فاللائق التأسيس بنقطتين وجعل نقط ثالث من أعلاهما، وان كانت مدغَمة فالأولى جعلُ الثلاث نقط سطرا واحدا .

وأما الصاد فإنها لا تنقط، نعم حُذّاق الكُتّاب يجعلون لها علامة كالحاء، وهى صاد صغيرة تحتها .

وأما الضاد فإنها تنقَطُ بواحدة من أعلاها فَرْقا بينها وبين أختها .

وأما الطاء فإنها لا تُنْقَط لكن لها علامةٌ كالصاد والحاء، وهى طاء صغيرة تحتها .

وأما الظاء فإنها تنقط بواحدة من فوقها فَرْقا بينها و بين أختها .

وأما العين فإنها لاتُنْقط، ولها علامة كالحاء، والصاد، والطاء، وهى عين صغيرة فى بطنها .

وأما الغين فإنها تنقَطُ بواحدة فَرْقا بينها وبين أختها .

وأما الفاء فمذهب أهل الشرق أنها تنقط بواحدة من أعلاها، ومذهب أهل الغرب أنها تنقط بواحدة من أسفلها .

وأما القاف فلا خلافَ بين أهل الخط أنها تنقَطُ من أعلاها إلا أنَّ مَنْ نقَطَ الفاء بواحدة من أعلاها نقط القاف بأثنتين من أعلاها ليحصل الفرق بينهما، ومَنْ نقط الفاء من أسفلها نقط القاف بواحدة من أعلاها .

وقد تقدّم من كلام الشيخ أثير الدين أبى حيان رحمه الله عن بعض مشايخه : أنّ القاف إذا كتبت علىٰ صورتها الخاصة بها ينبغى أن لا تُنْقط إذ لا شبه بينهما (١) وذلك فى حالتى الإفراد والتطرّف أخيرا .

(١) أى بين القاف والفاء .

وأما الكاف فإنها لا تنقط، إلا أنها إذا كانت مشكولة عُلِّمت بشكلة، وإن كانت معراة رسم عليها كاف صغيرة مبسوطة لأنها ربما ٱلتبست باللام .

وأما اللام فإنها لا تُنْقَط ولا تعلَّم، وتركُ العلامة لها علامةٌ .

وأما الميم فإنها لاتنقط ولا تعلَّم أيضا لأنفرادها بصورة .

وأما النون فإنها تنقط بواحدة من أعلاها، وكان ينبغى ٱختصاصُ النقط بحالة التركيب ٱبتداءً أو وَسَطا لألتباسها حينئذ بالباء، والتاء، والثاء أوائل الحروف، والياء آخر الحروف، بخلاف حالة الإفراد والتطرُّف فى التركيب أخيرا فإنها تختص بصورة فلا تلتبس كما أشار إليه الشيخ أثير الدين أبوحيان رحمه الله، إلا أنها غلبت فيها حالة التركيب فروعيت .

وأما الهاء فإنها لاتنقط بجميع أشكالها، وإن كثرت: لأنه ليس فى أشكالها مايلتبس بغيره من الحروف .

وأما الواو فإنها لا تنقَط وإن كانت فى حالة التركيب تقاربُ الفاء، وفى حالة الإفراد تقارب القاف : لأن الفاء لاتشابهها كلَّ المشابهة، ولأن القاف أكبرُ مساحةً منها .

وأما اللام ألف فإنها لاتنقط لأنفرادها بصورة لايشابهها غيرها .

وأما الياء فإنها تنقط بنقطتين من أسفلها ، وإن كانت فى حالة الإفراد والتطرُّف فى التركيب لها صورة تخصُّها : لأنها فى حالة التركيب فى الأبتداء والتوسط تشابهُ الباء، والتاء، والثاء، والنون، فيحتاج إلىٰ بيانها بالنقط لتغليب حالة التركيب علىٰ حالة الإفراد كما فى النون، وربما نقطها بعض الكُتَّاب فى حالة الإفراد بنقطتين فى بطنها والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

المقصـــد الثانى
(فى الشكل، وفيــه خمس جمــل)

الجملة الأولىٰ
(فى آشــتقاقه ومعنـاه)

قال بعض أهل اللغة : هو مأخوذ من شَكْلِ الدابة ، لأن الحروف تُضبط بقيد فلا يلتبس إعرابها كما تُضْبط الدابّة بالشِّكال فيمنعها من الهُروب . قال أبو تمام :

تَرىٰ الأمْرَ مَعْجُوماً إذا كان مُعْجَماً ٭ لَدَيْه ومَشْكُولا إذا كانَ مَشْكُولَا

الجملة الثانيــة
(فى أوّل من وضع الشَّــكْل)

وقد آختلفت الرواية فى ذلك علىٰ ثلاث مقالات ، فذهب بعضُهم إلىٰ أن المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلىُّ : وذلك أنه أراد أن يعمل كتابا فى العربيّـة يقوِّم النـاسُ به ما فسد من كلامهم : إذ كان ذلك قد فَشَا فى الناس.

فقال : أرىٰ أن أبتدئ بإعراب القرءان أوّلا ، فأحضر من يُمْسك المصحفَ ، وأحضر صِبْغا يخالف لونَ المِداد . وقال للذى يمسك المصحف عليه : إذا فتحتُ فاىَ فاجعل نقطةً فوق الحرف ، وإذا كسرتُ فاىَ فآجعل نقطة تحتَ الحرف ، وإذا ضممتُ فاىَ فاجعل نقطةً أمام الحرف ، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غُنَّـة (يعنى تنوينا) فاجعل نقطتين . ففعل ذلك حتّىٰ أتىٰ علىٰ آخر المصحف .

وذهب آخرون : إلىٰ أن المبتـدئ بذلك نصر بن عاصم الليثىّ ، وأنه الذى خَمَّسها وعَشَّرها .

وذهب آخرون : إلىٰ أن المبتدئ بذلك يحيىٰ بن يَعْمَر .

قال الشيخ أبو عمرو الدانيّ رحمه الله : وهؤلاء الثلاثة من جِلَّة تابعي البصريين .

وأكثر العلماء علىٰ أن أبا الأسود جعل الحركات والتنوين لاغير . وأن الخليل آبن أحمد هو الذى جعل الهمزة والتشديد عن(١) الروم والإشمام .

الجملة الثالثـــة

(فى الترغيب فى الشكل والترهيب عنه)

وقد آختلفت مقاصد الكُتَّاب فى ذلك ، فذهب بعضهم إلىٰ الرغبة فيه ، والحث عليه : لما فيه من البيان والضَّبْط والتقييد .

قال هشام بن عبد الملك : أُشْكُلوا قرائن الآداب ، لئلا تَنِدَّ عن الصواب .

وقال علىّ بن منصور : حَلُّوا غرائِبَ الكَلِم بالتقييد ، وحَصِّنوها عن شُبَه التصحيف والتحريف .

ويقال : إعجام الكُتُب يمنع من آستعجامها ، وشَكْلُها يصونُها عن إشكالها ، ولله القائل :

وكأنَّ أحْرُفَ خطِّه شَجَرٌ ٭ والشَّكْلُ فى أغْصانِهِ ثَمَرُ

وذهب بعضهم إلىٰ كراهته ، والرغبة عنه .

قال سعيد بن حميد الكاتب : لَأَنْ يُشْكِل الحرفُ علىٰ القارئ أحبُّ إلىّ من أن يُعَابَ الكاتبُ بالشكل . ونظر محمد بن عَبَّاد إلىٰ أبى عُبَيْد وهو يقيِّد البسملة فقال : لو عرَفْتَه ما شكلته . وقد جَرَّد الصحابةُ رضوان الله عليهم المصحفَ حين جمعوا القرءان من النقط والشكل وهو أجدر بهما ، فلو كان مطلوبا لما جرّدوه منه .

---

(١) كذا فى الأصل .

قال الشيخ أبو عمرو الدانيّ : وقد وردَت الكراهةُ بنقط المصاحف عن عبد الله آبن عمر، وقال بذلك جماعة من التابعين .

وآعلم أن كُتّاب الدَّيْونة لا يعرِّجون على النقط والشكل بحال، وكُتّاب الإنشاء منهم مَنْ منع ذلك محاشاة للكتوب إليه عن نسبته للجهل بأنه لايقرأ إلا ما نُقِط أو شُكِل ، ومنهم مَنْ ندب إليه : للضبط والتقييد كما تقدّم .

والحق التفريق فى ذلك بين مايقع فيـه اللّبْس ويتطرّق إليه التحريف لغلاقته أو غرابته وبين ماتسهل قراءتُه لوضوحه وسهولته .

وقد رخَّص فى نَقْط المصاحف بالإعراب جماعة : منهم ربيعة بن عبد الرحمن، وآبن وهب . وصرح أصحابنا الشافعيةُ رضى الله عنهم بأنه يُنْدب نقطُ المصحف وشكْلُه ؛ أما تجريد الصحابة رضوان الله عليهم له من ذلك فذلك حين آبتداء جمعه حتّى لايُدْخلوا بين دفتى المصحف شيئا سوى القرءان، ولذلك كرهه مَنْ كرهه .

وأما أهـل التوقيع فى زمانـا فإنهم يرْغبون عنه خشية الإظلام بالنَّقْط والشَّكْل إلا ما فيه إلباس على مامر؛ وأهل الدَّيْونة لايرون بشىء من ذلك أصلا ويعُـدّون ذلك من عيوب الكتابة وإن دعت الحاجة إليه، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الجملة الرابعـــة

(فيما ينشأ عنـه الشكل ويترتَّبُ عليـه)

وآعلم أن الشكل جارٍ مع الإعراب كيفما جرى، فينقسم إلى السُّكون (وهو الجزم)، وإلى الفتح (وهو النصب)، وإلى الضم (وهو الرفع)، وإلى الجر (وهو الخفض) .

أما السـكون فلأنه الأصـل . وأما الحركات الثلاث فقـد قيـل إنها مشاكلة للحركات الطبيعيـة : فالرفع مشاكل لحركة الفَلَك لآرتفاعها، والجر مشاكل لحركة

الأرض والماء لانخفاضها، والنصب مشاكل لحركة النار والهواء لتوسطها؛ ومن ثَمَّ لم يكن فى اللغة العربيـة أكثرُ من ثلاثة أحرف بعدها ساكن إلا ما كان معدولا . فسبحان من أتقن ما صنع ! .

ثم الذى عليه أكثر النُّحَاة أن الحركات الثلاثَ مأخوذة من حروف المـدّ واللين وهى الألف ، والواو ، والياء ، ٱعتمادا علىٰ أن الحروف قبل الحركات والثانىَ مأخوذ من الأوّل . فالفتحة مأخوذة من الألف إذ الفتحة علامة النصب فى قولك : رأيت زيدا ، ولقِيتُ عمرا ، وضربت بكرا ، والألف علامة النصب فى الأسماء المعتلّة[1] المضافة كقولك : رأيت أباك ، وأكرمت أخاك ، ويكون إطلاقا للرَّوِىِّ المنصوب كقولك : المذهبـا ، وأنت تريد المذهب ، فلما أشبعت الفتحة نشأت عنها الألف ، والكسرة مأخوذة من الياء لأنها أختها ومن مخرجها ، والكسرة علامة الخفض فى قولك مررت بزيد ، وأخذت عن زيد حديثا ، والياء علامة الخفض أيضا فى الأسماء المعتلّة[1] المضافة كقولك : مررت بأبيك وأخيك وذى مال ، والضمة من الواو لأنها من مخرجها : من الشَّفَتَيْنِ ، وهى علامة الرفع فى قولك : جاءنى زيد ، وقام عمرو ، وخرج بكر ، والواو علامة الرفع فى الأسماء المعتلّة[1] المضافة كقولك : جاءنى أخوك وأبوك وذو مال .

وذهب بعض النُّحَاةِ إلىٰ أن هذه الحروفَ مأخوذة من الحركات الثلاث ، الألف من الفتحة ، والواو من الضمة ، والياء من الكسرة ٱعتمادا علىٰ أن الحركات قبل الحروف ، بدليـل أن هذه الحروف تحدُث عند هذه الحركات إذا أُشْبعت . وأن العرب قد ٱستغنت فى بعض كلامها بهـذه الحركات عن هـذه الحروف ٱكتفاء بالأصل عن الفرع : لدلالة الأصل علىٰ فرعه .

(١) أى الأسماء الخمسة أو الستة علىٰ الخلاف .

وذهب آخرون إلىٰ أن الحـروف ليست مأخوذةً من الحركات ، ولا الحركات مأخوذة من الحروف، آعتمادا علىٰ أن أحدهما لم يسبق الآخر، وصححه بعض النُّحَاة.

الجمـــلة الخامســـة

(فى صور الشكل ومَحَالّ وضعه علىٰ طريقة المتقدّمين والمتأخرين)

وآعلم أن المتقدّمين ... ...[1] فى غالب الصور إلىٰ النقط بلون يخالف لون الكتابة .

وقال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وأرىٰ أن أستعمل النقط لونين، الحمرة والصُّفْرَة، فتكون الحمرة للحركات، والتنوين، والتشديد، والتخفيف، والسكون، والوصل، والمدّ، وتكون الصفرة للهمزة خاصة .

قال : وعلىٰ ذلك مَصَاحف أهل المدينة . ثم قال : وإن آستعملت الخضرة للآبتداء بألفات الوصل علىٰ ما أحدثه أهلُ بلدنا ، فلا أرىٰ بذلك بأسا . قال : ولا أستجيز النَّقْطَ بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم . وقد وردت الكراهة لذلك عن عبد الله بن مسعود وعن غيره من علماء الأمة .

وأما المتأخرون فقد أحدثوا لذلك صُوَرًا مختلفة الأشكال لمناسبة تخص كل شكل منها، ومن أجل آختلاف صُوَرِها وتباينِ أشكالها رَخَّصوا فى رسمها بالسواد.

ويتعلق بالمقصود من ذلك سبع صور .

الأُولى

(علامة السكون)

والمتقدّمون يجعلون علامة ذلك جرّةً بالحُمْـرَةِ فوق الحرف، سواء كان الحرف المسكّن همزة كما فى قولك: لم يَشَأْ، أوغيرها من الحروف كالذال من قولك: آذْهَبْ.

---

(١) لعل المراد يميلون فى شكل غالب الخ . وفى الضوء كانوا يجعلون الشكل نقطا الخ .

أما المتأخرون: فإنهم رسموا لها دائرة تشبه الميم إشارة إلى الجزم إذ الميم آخر حرف من الجزم، وحذفوا عراقة الميم آستخفافا، وسمّوا تلك الدائرة جزمة، أخذا من الجزم الذى هو لقب السكون، ويحتمل أن يكونوا أتوا بتلك الدائرة على صورة الصّفر فى حساب الهنود ونحوهم إشارة إلى خلوّ تلك المرتبة من الأعداد لأن الصفر هو الخالى، ومنه قولهم: "صِفْر اليَدَيْن" بمعنى أنه فقير ليس فى يديه شىء من المال. وحُذّاقُ الكُتّاب يجعلونها جيما لطيفة بغير عراقة إشارة إلى الجزم .

الثانيـــــــة

(علامة الفتح)

أما المتقدّمون فإنهم يجعلون علامة الفتح نُقْطَةً بالحمرة فوق الحرف . فإن أُتْبعت حركة الفتح تنوينا، جعلت نقطتين، إحداهما للحركة، والأخرى للتنوين .

والمتأخرون يجعلون علامتها ألفا مضطجعة . لما تقدّم من أن الألف علامة الفتح فى الأسماء المعتلة ورسموها بأعلى الحرف موافقة للتقدّمين فى ذلك، وسمّوا تلك الألف المضطجعة نَصْبة أخذا من النصب؛ ويجعلون حالة التنوين خطين مضطجعتين من فوقه كما جعل المتقدّمون لذلك نقطتين، وعبروا عن الخطين بنصبتين .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله: ويكون بينهما بقدر واحدة منهما.

الثالثـــــة

(علامة الضم)

أما المتقـدّمون فإنهم يجعلون علامة الضمة نقطة بالحُمْرة وسطَ الحرف أوأمامه، فإن لحق حركةَ الضم تنوينٌ، رسموا لذلك نقطتين: إحداهما للحركة، والأخرى للتنوين على ما تقدّم فى الفتح .

وأما المتأخرون فإنهم يجعلون علامة الضمة واوا صغيرة : لما تقدّم أن الواو من علامة الرفع فى الأسماء المعتلة، وسَمَّوْها رفعة لذلك، ورسموها بأعلى الحرف ولم يجعلوها فى وسطه كيلا تَشِينَ الحرف، بخلاف المتقدمين لمخالفة اللون ولطافة النقطة . فإن لحق حركةَ الضم تنوينٌ رسموا لذلك واوا صغيرة بخَطَّة بعدها : الواوُ إشارة للضم، والخَطَّة إشارة للتنوين، وعبروا عنهما برفعتَين . وبعضهم يجعل عوض الخطة واوا أخرىٰ مردودة الآخر علىٰ رأس الأولىٰ .

الرابعـــــة

(علامة الكسر)

والمتقدمون يجعلون علامة الجرّ نقطة بالحُمْرة تحت الحرف . فإن لحق حركةَ الكسر تنوين رسموا لذلك نقطتين .

والمتأخرون جعلوا علامة الكسر شَظِيَّةً من أسفل الحرف إشارة إلى الياء التى هى علامة الجر فى الأسماء المعتلة علىٰ مامر، وسَمَّوْا تلك الشَّظِيَّةَ خَفْضَةً، أخذًا من الخفض الذى هو لقب الكسر، ولم يخالفوا بينها وبين علامة النصب لآختلاف محلهما . فإن لحق حركةَ الكسر تنوينٌ رسموا له خطتين من أسفله : إحداهما للحركة، والأخرىٰ للتنوين .

الخامســـة

(علامة التشديد)

والمتقدمون آختلفوا : فمذهب أهل المدينة أنهم يرسُمون علامة التشديد علىٰ هذه الصورة ((١)) ولا يجعلون معها علامات الإعراب بل يجعلون علامة الشدّ مع الفتح فوق الحرف، ومع الكسر تحت الحرف، ومع الضم أمام الحرف .

(١) بياض فى الأصل والضوء .

قال الشيخ أبو عمرو الدانى رحمه الله : وعليه عامة أهل بلدنا . قال : ومنهم من يجعل مع ذلك نقطةً علامة للإعراب، وهو عندى حَسَن .

وعامّة أهل الشرق على أنهم يرسُمُون علامة التشديد صورة شين من غير عراقة على هذه الصورة (ّ) كأنهم يريدون أوّل شديد، ويجعلون تلك العلامة فوق الحرف أبدا ويُعْرِبونه بالحركات . فإن كان مفتوحا جعلوا مع الشدّة نقطة فوق الحرف علامة الفتح، وإن كان مضموما جعلوا مع الشدّة نقطة أمام الحرف علامة الضم، وإن كان مكسورا، جعلوا مع الشدّة نقطةً تحت الحرف علامة الكسر . وعلى هذا المذهب آستقرّ رأىُ المتأخرين أيضا، غير أنهم يجعلون بدل النقط الدالة على الإعراب علامات الإعراب التى آصطلحوا عليها من النصبة، والرفعة، والخفضة . فيجعلون النصبة والرفعة بأعلى الشدّة، ويجعلون الخفضة بأسفل الحرف الذى عليه الشدّة . وبعضهم يجعلها أسفل الشدّة من فوق الحرف . ولا فرق فى ذلك بين أن يكون المشدّد من كلمة واحدة أو من كلمتين كالإدغام من كلمتين .

السادسة

(علامة الهمزة)

والمتقدّمون يجعلونها نقطة صفراء ليخالفوا بها نقط الإعراب كما تقدّم فى كلام الشيخ أبى عمرو الدانى رحمه الله : ويرسُمُونها فوق الحرف أبدا، إلا أنهم يأتون معها بنقط الإعراب الدالة على السكون والحركات الثلاث بالحُمْرة على ما تقدّم . وسواء فى ذلك كانت صورة الهمزة واوا أو ياء أو ألفا، إذ حق الهمزة أن تلزم مكانا واحدا من السطر : لأنها حرف من حروف المعجم . والمتأخرون يجعلونها عينا بلا عراقة، وذلك لقرب مخرج الهمزة من العين، ولأنها تمتحن بها كما سيأتى .

ثم إن كانت الهمزة مصوّرة بصورة حرف من الحروف : فإن كانت الهمزة ساكنة ، جعلت الهمزة من أعلىٰ الحرف مع جزمة بأعلاها . وإن كانت مفتوحة ، جعلت بأعلىٰ الحرف أيضا مع نصبة بأعلاها . وإن كانت مضمومة ، جعلت بأعلىٰ الحرف مع رفعة بأعلاها . وإن كانت مكسورة ، جعلت بأسفل الحرف مع خفضة بأسفلها . وربما جعلت بأعلىٰ الحرف والخفضة بأسفله .

وقد آختلف القـدماء من النحويين فى أىّ الطَّرَفين من اللام ألف هى الهمزة . فحكى عن الخليل بن أحمد رحمـه الله أنه قال : الطَّرَف الأوّل هو الهمزة ، والطَّرَف الثانى هو اللام .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وإلىٰ هذا ذهب عامةٌ أهل النقط ، وآستدلوا علىٰ صحة ذلك بأن رسم هـذه الكلمة كانت أوّلا لاما مبسوطة فى طرفها ألف علىٰ هـذه الصورة "لـــا" كنحو رسم ما أشبه ذلك مما هو علىٰ حرفين من سائر حروف المعجم مثل "يا ، وها" وما أشبههما إلا أنه آستثقل رسم ذلك كذلك فى اللام ألف خاصةً لآعتدال طرفيه لمشابهة كتابة الأعاجم فحسن رسمه بالتضفير فضم أحد الطرفين إلىٰ الآخر فأيهما ضم إلىٰ صاحبه كانت الهمزة أُولىٰ ضرورةً . وتعتبر حقيقة ذلك بأن يُؤخَذ شيء من خيط ونحوه فيُضَفَّر ويخرج كل واحد من الطرفين إلىٰ جهة ، ثم يقام الطرفان فيتبين من الوجهين أن الأوّل هو الثانى فى الأصل ، وأن الثانِىَ هو الأوّل لامحالة فى التضفير .

وأيضا فقـد آتفق أهل صناعة الخط من الكُتَّاب القدماء وغيرهم علىٰ أنه يُرسَم الطَّرَف الأيسر قبل الطَّرَف الأيمن ، ولا يخالف ذلك إلا من جهل صناعة الرسم إذ هو بمنزلة من آبتدأ برسم الألف قبل الميم فى "ما" وشبهه مما هو علىٰ حرفين ، فثبت بذلك

أن الطرف الأوّل هو الهمزة، وأن الطرف الثانى هو اللام : إذ الأوّل فى أصل القاعدة هو الثانى، والثانى هو الأوّل على ما مر، وإنما اختلف طرفاها من أجل التضفير .

وخالف الأخفش : فزعم أن الطرف الأوّل هو اللام، والطرف الثانى هو الهمزة، واستشهد لذلك بأن ما تُلفظ به أوّلا هو المرسوم أوّلا وماتُلُفِّظ به آخرا هو المرسوم آخرا، ونحن إذا قرأنا لأنت ولأنه ونحوهما لفظنا باللام أوّلا ثم بالهمزة بعدها . ونازعه فى ذلك الشيخ أبو عمرو الدانىّ . والحق أن ذلك يختلف باختلاف اللام ألف على مارتبه متأخرو الكُتّاب الآن . ففى المضفورة على ماتقدم، وفى المصوّرة بهذه الصورة " لا " بالعكس .

وإن كانت الهمزة غير مصوّرة بحرف من الحروف كالهمزة فى جزء وخَبْء، جعلت العلامة فى محل الهمزة من الكلمة مع علامة الإعراب : من سكون، وفتح، وضم، وكسر . فإن عرض للهمزة مع حركة من الحركات الثلاث تنوينٌ، جعل مع الهمزة علامة التنوين : من نصبتين أو رفعتين أو خفضتين على ما مر فى غير الهمزة .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وتمتحن الهمزة فى موضعها من الكلام بالعين، فحيث وقعت العين وقعت الهمزة مكانها، وسواء كانت متحركة أو ساكنة لحقها التنوين أولم يلحقها، فتقول فى آمنوا عامنوا، وفى وءاتى المال وعاتى المال، وفى مستهزئين مستهزعين، وفى خاسئين خاسعين، وفى مبرءون مبرعون، وفى متكئون متكعون، وفى ماء ماع، وفى سوء سوع، وفى أولياء أولياع، وفى تَنُوء تنوع، وفى لَتَنُوء لتنوع، وفى أن تبوءا أن تبوعا، وفى تَبُوء تبوع، وفى مِنْ شاطِئٍ من شاطع، وكذلك ما أشبهه حيث وقع فالقياس فيه مطّرد .

السابعـــــة

(علامة الصلة فى ألفـات الوصل)

أما المتقدمون فإنهم رسموا لهـا جرّة بالحمرة فى سائر أحوالها ، وجعلوا محلها تابعا لحركة التى قبل ألف الوصل . فإن وليها فتحة كما فى قوله تعالىٰ: "تَتَّقُونَ ٱلَّذِى" جعلت الصلة جرّة حمراء علىٰ رأس الألف علىٰ هذه الصورة (آ) وإن وليها كسرة كما فى قوله تعالىٰ: "رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ" جعلت الصلة جرّة حمراء تحت الألف علىٰ هذه الصورة (ا) وإن وليها ضمـة كما فى قوله تعالىٰ : " نَسْتَعِينُ ٱهْدِنَا " جعلت الصـلة جرّة حمراء فى وسطها علىٰ هذه الصورة(+). فإن لحق شيئا من الحركات التنوينُ جعلت الصلة أبدا تحت الألف ، لأن التنوين مكسور للساكنين ما لم يأت بعـد السا كن الواقع بعد ألف الوصل ضمةٌ لازمة نحو قوله تعالىٰ : "فَتِيلًا ٱنْظُرْ" و"عُيُونٍ ٱدْخُلُوهَا". قال بعضهم بضم التنوين فتجعل الجرّة علىٰ ذلك فى وسط الألف .

وأما المتأخرون [فإنهم رسموا لذلك صاداً(١) لطيفـة إشارة إلى الوصل] وجعلوها بأعلىٰ الحرف دائمـا ولم يُراعُوا فى ذلك الحركاتِ، ٱكتفاءً باللفظ .

تنبيـــــه

قد تقدم فى ...(٢) ... الأوّل من الهجاء أن اللفظ قد يتعين فى الهجاء إلىٰ الزيادة والنقصان ، ولاشكَّ أن الشكل يتغير بتغير ذلك ، ونحن نذكر من ذلك مايختص بالهجاء العرفىّ دون الرسمىّ بٱعتبار الزيادة والنقص .

---

(١) ما بين الدائرتين بيض له فى الأصل وأخذناه عن "ضوء الصبح" .
(٢) بياض فى الأصل .

أما الزيادة، فمثل أُولئك، وأُولُو، وأُولات ونحوها .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ : وسبيلك أن تجعل علامة الهمزة نقطة بالصُّفْرة فى وسط ألف أولئك وأولو وأولات، وتجعلَ نقطةً بالحُمْرة أمامها فى السطر لتدل على الضمة . قال : وإن شئت جعلتها فى الواو الزائدة : لأنها صورتها، وهو قول عامّة أهل النقط . هذه طريقة المتقدّمين .

أما المتأخرون : فإنهم يجعلون علامة الهمزة على الواو وهو مخالف لما تقدّم من آعتبار الهمزة بالعين فإنها لو آمتحنت بالعين، لكان لفظها عولئك وكذلك البواقى .

وأما النقص فمثل النبيّينَ إذا كتبت بياء واحدة، وهـؤلاء، وياءادم إذا كتبتا بحذف الألف بعد الهاء فى هؤلاء والألف الثانية فى ياءادم فترسم علامة الهمزة من النقطة الصفراء وحركتها على رأى المتقدّمين، وصورة العين على رأى المتأخرين قبل الياء الثانية فى النبيين . وتجعل ذلك على الألف الثانية فى ياآدم لأنها صورتها وعلى الواو فى هؤلاء لأنها صورتها .

و وراء ماتقدّم من الشكل أمور تتعلق بالإدغام، والإظهار، والإخفاء، والإقلاب، والمدّ وغيرها : من متعلقات القراءة ليس هذا موضع ذكرها والله أعلم .

(فائدة)

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولابدّ من تناسب الشكل والنقط وتناسب البياضات فى ذلك للحروف .

الفصل الرابع

من الباب الثانى من المقالة الأولىٰ

(فى الهجاء، وفيه مقصدان)

المقصد الأوّل

(فى مصطلحه الخاصّ، وهو علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(المصــطلح الرسمىّ)

وهو ما ٱصــطلح عليه الصحابة رضوان الله عليهم فى كتابة المصحف عنـد جمع القرءان الكريم، علىٰ ما كتبه زيد بن ثابت رضى الله عنه، ويسمّى الاصطلاح السَّلَفى أيضا، ونحن نورد منه ما جرّ إليه الكلام أو وافق المصطلح العرفىّ .

الضرب الثانى

(المصــطلح العَرُوضىّ)

وهو ما ٱصطلح عليه أهل العَرُوض فى تقطيع الشعر، وٱعتمادهم فى ذلك علىٰ مايقع فى السمع دون المعنىٰ، إذ المعتدّ به فى صنعة العَرُوض إنما هو اللفظ: لأنهم يريدون به عدد الحروف التى يقوم بها الوزن متحرّكا وساكنا فيكتبون التنوين نونا، ولا يُراعون حذفها فى الوقف، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين، ويحذفون اللام وغيره مما يدغم فى الحرف الذى بعده: كالرحمٰن والذاهب والضارب، ويعتمدون فى الحروف علىٰ أجزاء التفعيل، فقد تتقطع الكلمة بحسب مايقع من تبيين الأجزاء كما فى قول الشاعر :

سَتُبْدِى لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً ۞ وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ.

فيكتبونه على هذه الصورة :

سَتُبْدِى، لَكَا لأَيْيَا، مُمَا كُنْ، تَجَاهِلَنْ ۞ وَيَأْتِى، كَبِالأَخْبَا، رِمَلَمْ، تُزَوِّدِى .

المقصد الثانى

(فى المصـطلح العـام)

وهو ما اصطلح عليه الكُتّاب فى غير هذين الاصـطلاحين ، وهو المقصود من الباب ، وفيه جملتان :

الجملة الأولى

(فى الإفراد ، والحذف ، والإثبات ، والإبدال ، وفيه مُدْرَكان)

المُدْرَك الأوّل

(فى بيان الأصل المعتمد فى ذلك ، وما يكتب على الأصل)

وآعلم أن الأصل فى الكتابة مطابقة المنطوق المفهومَ ، وقد يزيدون فى وزن الكلمة [ما ليس فى وزنها[(١)] ليفصـلوا بالزيادة بينه وبين المشـبه له ، وينقصون من الكلمة] عمّا هو فى وزنها آستخفافا وآستغناء بما أبقى عما آنتقص إذا كان فيه دليل على مايحذفون : كما أن العرب تتصرف فى الكلمة بالزيادة والنقصان ، ويحذفون ما لا يتم الكلام فى الحقيقة إلا به آستخفافا و إيجازا إذا عَرَف المخاطَب مايقصدون .

قال آبن قتيبـة : ورُبّما تركوا الآشتباه على حاله ، ولم يفصـلوا بين المتشابهين وآكتفَوْا بما يدل عليه من متقدّم أومتأخر : كقولك للرجل الواحد : يغزوا ، وللآثنين

(١) سقطت هـذه الجملة من الأصل و وجدناها " فى أدب الكاتب " و " فى ضوء الصبح " فأثبتناها لانها مرادة له وليستقيم الكلام .

لن يَغْزُوَا وللجميع لن يَغْزُوا بالواو والألف فى الجميع من غير تفريق بين الواحد والاثنين والجمع ، و بقّوه على أصله .

إذا علمت ذلك ، فالمكتوب على المصطلح المعروف هو على قسمين .

القسـم الأوّل

(ماله صورة تخصّه من الحروف ، وهو على ضربين)

الضرب الأوّل

(ما هو على أصـله المعتبر فيـه فى ذوات الحروف وعددها
بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها ، سواء بقى لفظه على حاله
أم انقلب النطق به إلى حرف آخر)

فيكتب لفظ "امّحى" بغير نون بعـد الألف ، وإن كان أصـله انمحى على وزن انفـعل من المحو : لأن الإدغام من كلمـة واحدة ، بخلاف ما إذا كان الإدغام من كلمتين ، فيكتب لفظ "مِنْ مالٍ" بنون فى مِنْ منفصلةً من ميم مَالٍ و إن كانت النون السا كنة تدغم فى الميم .

ويكتب لفظ خَنْقٍ مصدر خَنَق[1] ولفظ أَنْتَ وما أشبهها بنون ، و إن كانت النون مُخْفَاة فى القاف من خَنْقٍ وفى التاء من أنت . وكذلك حالة التركيب نحو مِن كَافِرٍ .

و يكتب عَنْبَرٌ وما أشبهها بنون أيضا و إن كانت النون السا كنة تنقلب عند الباء ميما ، وكذلك فى حالة التركيب نحو مِنْ بَعْـد . ويكتب مثل اضربوا القوم و يغزو الرجل بواو ، وكذلك كلّ مافيه حرف مدّ حذف لسا كن يليه لأنه لولا التقاء السا كنين لثبتت هـذه الواو لفظا . ويكتب أنا بألف بعد النون و إن كانت فى وصل الكلام لإشباع فى الفتحة لأن الوقف عليه بألف . ومن أجل ذلك كتبت ﴿لَٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ﴾

(١) فى المصباح أن فعل خنق من باب قتل ومصدره ككتف و يسكن للتخفيف .

بألف بعد النون فى لكنّا إذ أصله لكنْ أنا . ويكتب المنوّن المنصوب مثل زيدا وعمرا من قولك : رأيت زيدا وضربت عمرا بالألف لأنه يوقف عليه بالألف بخلاف المنوّن المرفوع والمجرور نحو جاء زيد ومررت بزيد، إذ الوقف عليه بحذف نون التنوين وإسكان الآخر على الصحيح . وتكتب إذًا المنوّنة بالألف على رأى المازنىّ رحمه الله ومَنْ تابعه : لأن الوقف عليها بالألف لضَعْفها، والمبرد والأكثرون على أنها تكتب بالنون . قال الأستاذ ابن عُصْفُور : وهو الصحيح : لأن كل نون يوقف عليها بالألف كتبت بالألف وما يوقف عليها نفسها كما توصل كتبت بالنون وهذه يوقف عليها عنده بالنون، وأيضا فإنها إذا كتبت بالنون كانت فرقا بينها وبين إذًا الظرفية لئلا يقع الإلباس. وفصّل الفرّا فقال : إن ألغيت كتبت بالألف، وإن أُعْمِلت كتبت بالنون لقوتها . ويحكى عن أبى العبّاس محمد بن يزيد أنه كان يقول : أشتهى أن أَكْوِىَ يدَ من يكتب إذَنْ بالألف لأنها مثل أَنْ ولَنْ، ولا يدخل التنوين فى الحروف .

ويكتب نحو لَنَسْفَعًا بالألف لأن الوقف عليها بالألف، وكذلك يكتب اضرِبًا زيدا ولا تَضرِبًا عمرا بالألف على رأى من آدّعى أنه الأكثر، ووجّهه بأن النون الخفيفة تنقلب ألفًا إذا كان ماقبلها مفتوحا فى الوقف .

وذهب بعضهم إلى أنها تكتب بالنون تشبيها لنونه بنون الجمع (١) نحو اضرِبُنْ للجمع المذكر وبه جزم الشيخ أثير الدين أبو حيّان . ووجّهه بأنه لو كتب بالألف لآلتبس بأمر الآثنين ونهيهما فى الخط، وإن كنت إذا وقفت عليه وقفتَ بالألف فلم تُراعَ حالة الوقف فى ذلك لأن الوقف منع من آعتباره ما عرض فيه من كثرة الإلباس :

(١) أى تشبيها لنون التوكيد التى فى الفعل المسند الى المفرد بنون التوكيد التى فى الفعل المسند الى الجمع .

لأنهم لو أرادوا (علىٰ الوقف بالألف) كتابته بالألف، كثُر اللَّبس بالوقف والخط، فتجنبوا ما كثر به الإلباس . ويكتب كل اسم فى آخره ياء نحو قاضى وغازى وداعى وحادى وسارى ومُشْتَرِى ومُهْتَدِى ومُسْتَدْعِى ومُفْتَرِى فى حالتى الرفع والجر بغير ياء، كما فى قولك جاء قاضٍ ومررت بقاضٍ، وكذا فى الباقيات، وفى حالة النصب بالياء مع زيادة ألفٍ بعدها كما فى قولك: رأيتُ قاضيًا وغازيا وداعيا وما أشبهه .

وإن كان جَمْعًا : فإن كان غير منصرف كُتِبَ فى حالتى الرفع والخفض بغير ياء علىٰ ماتقدم .

فيُكْتَبُ فى الرفع هؤلاء جوارٍ وغواشٍ وسَوَارٍ ودَواعٍ، وفى الخفض مررت بِجَوَارٍ وسَوَارٍ وغواشٍ ودواعٍ بغير ياء فى الحالتين .

ويكتب فى النصب بالياء إلا أنه لاتزاد الألف بعدها ، فتكتب رأيت جوارىَ وسوارىَ ودواعِىَ .

فإذا دخلت الألف واللام فى جميع هذه الأسماء، أثبتت فيها الياء سواء المنصرف وغير المنصرف، فيكتب هذا الداعى والغازى والقاضى والمستدعى وهؤلاء الجوارى والسوارى والدواعى بالياء فى الجميع .

قال ابن قتيبة : وقد يجوز حذفها، وليس بمستعمل إلا فى كتابة المصحف .

ويكتب نحو رَهْ أمرا بالرؤية، ولم يَرَهْ نفيا للرؤية، وقِهْ أمرا بالوقاية، ولم يقِهْ نفيا لذلك وما أشبهه بالهاء وإن كانت الهاء تسقط منه حالة الدَّرْج، لأن الوقف عليها بالهاء . وكذلك قولهم : مَهْ أنت[(١)]، ومجىءَ مَهْ جئتَ : لأن الوقف علىٰ ما الاستفهامية بعد حذف ألفه بالهاء فيكتب بالهاء ، بخلاف ما إذا وقعت ما المحذوف ألفها بعد

(١) كذا فى الضوء أيضا ولعله [مِمَّه أنت] .

الجار نحو حَتَّامَ و إِلَامَ وعَلَامَ فإنه لا تلحقها الهاء لشدّة الاتصال فلا تكتب بالهاء .
وتكتب تاء التأنيث فى نحو رحمة ونعمة ونقمة وقسمة وخدمة وطلحة وقمحة بالهاء
لأن الوقف عليها بالهاء على الصحيح ، وبعضهم يقف عليها بالتاء ، وهى لغة قليلة
فتكتب بالتاء موافقةً للوقف . وقد وقع فى رسم المُصْحَف الكريم مواضعُ من ذلك
نحو قوله تعالى : ﴿أَفَبِنِعْمَتِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾ كتبوا أَفَبِنِعْمَتْ بالتاء ، والأكثر ماتقدّم .

قال ابن قتيبة : وأجمع الكُتّاب على كتابة السَّلامُ عليكَ و رحمت الله و بركاته
فى أوّل الكتاب وآخره بالتاء . قال : فإن أضفت تاء التأنيث إلى مضمر ، صارت تاء
فتكتب شَجَرتك وناقتك ورحمتك وما أشبهه بالتاء .

أما أخت و بنت ، وجمعُ المؤنث السالمُ مثل قائمات وصائمات وتائبات ، وتاءُ
التأنيث الساكنةُ فى آخر الفعل نحو قامتْ وقعدتْ ، وما أشبه ذلك ، فإنه يكتب
جميع ذلك بالتاء لأن الوقف عليها بالتاء .

قال ابن قتيبة : وهَيْهاتَ يوقف عليها بالهاء والتاء ، والإجماع على كتابتها بالتاء .

ثم اللفظ الذى يكتب على نوعين :

النـــوع الأوّل

(أن يكون اسما لحرف من حروف الهجاء ، وهو على وجهين)

الوجه الأوّل

(أن يكون اسما قاصرا على الحرف لم يُسَمَّ به غيره ، وله حالان)

أحدهما ـ أن يقصد اسم ذلك الحرف لا مُسَمَّاه فيكتب الملفوظ به نحو جيم إذا
سئل كتابته فيكتب بجيم وياء وميم .

الثـانى ـ أن يقصد مسماه لا ٱسمه فيجب الٱقتصار فى الكتابة علىٰ أول حرف فى الكلمة ، و يكتب بصورة ذلك الحرف مثل قٓ نٓ صٓ ، ولذلك كتبت الحروف المفتتح بهـا السور علىٰ نحو ما كتبوا حروف المعجم . وذلك لأنهم أرادوا أن يضعوا أشكالا لهـذه الحروف تُميز بها ، فهى أسماءٌ مدلولاتها أشكال خَطِّية ، ولو لم يضَعُوا لها هذه الأشكالَ الخطية ، لم يكن للخط دلالة علىٰ المنطوق . ولو ٱقتصروا علىٰ كتبها علىٰ حسب النطق ولم يضـعوا لهـا أشكالا مفردة تُميز بها لم يمكن ذلك : لأن الكتابة بحسب النطق متوقفـةٌ علىٰ معرفة كل حرف حرف وشكلُ كل حرف حرف غير موضوع ، فٱستحال كتبها علىٰ حسب النطق . ألا ترىٰ أنك إذا قيل لك : ٱكتب جيم ، عين ، فاء ، راء ، فإنما تكتب هـذه الصورة "جعفر" والملفوظ بلسان الآمر بالكتابة جيم والمكتوب ج . ولو كان تصوير اللفظ بصور هجائه ، لكان المكتوب "جيم" كالملفوظ علىٰ قياس غيره من الألفاظ .

و يشهد لذلك ماحكيَ أن الخليل رحمه الله قال يوما لطلبته : كيف تنطقون بالجيم من جعفر ؟ فقالوا جيم فقال : إنمـا نطقتم بالٱسم ولم تلفظُوا بالمسئُول عنه ، ثم قال : الجواب جَه لأنه المسمّى من الكاف (يريد جيما مفتوحة ، و إنمـا أتىٰ فيها بالهاء ليمكن الوقف عليها) .

الوجه الثـانى

(أن لا يكون الٱسم قاصرا علىٰ الحرف بأن يسمّى به غيره أيضا كما إذا سُمّيَ رجل بقاف أو بياسين ، فللكُتّاب فيه مذهبان) :

أحدهما ـ أن تكتب صورة الحرف هكذا قٓ و يسٓ .

والثانى ـ أن يكتب الملفوظ به هكذا "قاف" و "ياسين" وهو ٱختيار أبى عمرو بن الحاجب رحمه الله .

النـــوع الثانى

(أن لا يكون آسما لحرف من حروف المعجم، وهو على وجهين أيضا)

الوجه الأول

(أن يكون له معنًى واحدٌ فقط)

فيكتب هكذا (زيد) إذا طلب كتابة زاى، ياء[١]، دال.

الوجه الثانى

(أن يكون له أكثر من معنى واحد)

فيكتب بحسب القرينة كما إذا قيل لك: آكتب شعرا فإن دلت القرينة على أن المراد هذا اللفظ كتب هكذا (شعرا) وإلا فيكتب ماينطبق عليه الشعر إذ هو معنى الشعر.

الضرب الثانى

(ما تغير عن أصله، وهو على ثلاثة أنواع)

النـــوع الأول

(ما تغير بالزيادة. والزيادة تقع فى الكتابة بثلاثة أحرف)

الحرف الأول

(الألف، وتزاد فى مواضـــع)

(منها) تزاد بعد الميم فى مائة فتكتب على هذه الصورة (مائة) فرقا بينها وبين مِنْهُ، وإنما كانت الزيادة من حروف العلة دون غيرها لأنها تكثر زيادتها، وكان حرف العلة ألفا لأنها تشبه الهمزة، ولأن الفتحة من جنس الألف. ولم تكن الزيادة ياء، لأنه يستثقل فى الخط أن يُجْمَعَ بين حرفين مثلين فى موضع مأمون فيه اللبس.

---

(١) عبارة الضوء فان كان له معنى (أى واحد) كتب على هذه الصورة "زيد" وهى أوضح.

ألا ترىٰ إلىٰ كتابتهم خطيئة علىٰ وزن فعيلة بياء واحدة ولو كتبت علىٰ صيغة لفظها، لوجب أن تكتب بياءين، ياء لبناء فعيلة، وياء هي صورة الهمزة . ولم تكن الزيادة واوا لاستثقال الجمع بين الياء والواو، وجُعِلَ الفرق في مائة ولم يجعل في منه لأن مائة اسم ومنه حرف والاسم أحمل للزيادة من الحرف، ولأن المائة محذوفة اللام بدليل قولهم: أمأيت الدراهم، فجعل الفرق في مائة بدلا من المحذوف مع كثرة الاستعمال، ثم اختلف في المثنىٰ منه فقيل لا يزاد في مائتين لأن موجب الزيادة اللبس ولا لَبْس في التثنية، والراجح الزيادة كما في الإفراد : لأن التثنية لا تغير الواحد عما كان عليه .

أما في حالة الجمع، فقد اتفقوا علىٰ منع الزيادة فكتبوا "مئين ومئات" بغير ألف بعد الميم : لأن جمع التكسير يتغير فيه الواحد وجمع السلامة ربما تغير فيه أيضا فغلبت .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : وقد رأيت بخط بعض النحاة "مأة" علىٰ هذه الصورة بألف عليها نبرة الهمزة دون ياء . قال : وكثيرا ما أكْتُبُ أنا "مئة" بغير ألف كما تكتب "فئة" لأن كَتْبَ مائة بالألف خارج عن القياس . فالذى أختاره أن تكتب بالألف دون الياء علىٰ وجه تحقيق الهمزة، أو بالياء دون الألف علىٰ وجه تسهيلها .

(ومنها) تزاد بعد واو الجمع المتطرفة في آخر الكلمة إذا اتصلت بفعل ماض أو فعل أمر مثل ضَرَبُوا واضربوا وما أشبههما فتكتب بألف بعد الواو . وسمى ابن قتيبة هذه الألفَ ألفَ الفصل لأنها تفصل بين الفعل (١) كى لا تلتبس الواو في آخر الفعل بواو العطف . فإنك لو كتبتَ أَوْرَدُوا وصَدَرُوا مثلا بغير ألف ثم اتصلت بكلام

(١) لعل الأظهر لأنها تفصل بين الفعل وما بعده من الكلام .

بعدها، ظن القارئ أنها واو العطف. ولمّا فعلوا ذلك فى الأفعال التى تنقطع واوُها عن الحرف كالفعلين المتقدّمين، فعلوا ذلك فى الأفعال التى تتصل واوُها بالحرف قبلها نحو كانوا و بانوا ليكون حكم هذه الواو فى جميع المواضع واحدا . أما إذا لم تقع طَرَفا فى آخر الكلام نحو ضربوهم. وكَالُوهُمْ وَوَزَنُوهُمْ ، لم تلحق به الألف . فلو آتصلت واو الجمع المذكورة بفعل مضارع نحو لن يضربوا ولن يذهبوا . فمذهب بعض البَصْرِيّين أنه لا تلحقها الألف. ومذهب الأخفش لُحوقُها كالماضى والأمر.

ولو آتصلت باسم نحو ضاربوهم وضاربو زيد . فمذهب البَصْرِيّين أنها لا تُلْحَق بل يجعل الأسم تلو الواو . ومذهب الكوفيين أنها تلحق فيكتبون ضارِبُوا زيد وقاتِلُوا عمرو وهُمُوا بألف بعد الواو فى الجميع، والراجح الأوّل .

(ومنها) زادها الفرّاء فى يدعو و يغزو فى المفرد حالة الرفع خاصّةً تشبيها بواو الجمع .

وأطلق آبن قتيبة النقل عن بعض كُتّاب زمانه بأنها لا تُلْحَق فى مثل ذلك : لأن العلة التى أُدخِلتْ هذه الألف لأجلها فى الجمع لا تلزم هنا : لأنك إذا كتبتَ الفعل الذى تتصل واوه به من هذا الباب مثل أنا أرجو وأنا أدعو لم تشبه واوُه واوَ العطف أيضا إلا بأن تزيل الكلمة عن معناها لأن الواو من نفس الفعل لاتفارقه إلا فى حال جزمه، والواو فى صَدَرُوا، وورَدُوا واوُ جمع مكتف بنفسه يمكن أن يجعل للواحد وتتوهم الواو عاطفةً لشىء عليه . قال : وقد ذهبوا مذهبا . غير أن متقدمى الكُتّاب لم يزالوا على إلحاق ألف الفصل بهذه الواوات كلها ليكون الحكم فى كل موضع واحدا .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : وفَصَّل الكسائىّ فى حالة النصب فقال : إن لم يتصل[1] به ضمير نحو لن يدعوك، كتب بغير ألف فرقا بين الحالين .

(١) لعل الصواب [إن لم يتصل به ضمير نحو لن يدعو كتب بألف . وان آتصل به ضمير نحو الخ] .

(ومنها) تزاد شذوذا بعد الواو المبدلة من الألف فى الرِّبو فتكتب بألف بعد الواو على هذه الصورة (الربوا) تنبيها على أن الأصل أن يكتب بالألف . ووجه الشذوذ أنه من ذوات الواو فكان قياسه أن يكتب بالألف .

وقد زيدت فى مواضع من المصحف، كما فى قوله تعالى: "إِنِ آمْرُؤًا هَلَكَ" تنبيها على أنه كان ينبغى أن تكون صورة الهمزة ألفا على كل حال ولا يعتد بالضم والكسرة إذ اللغة الأصلية فيها إنما هى فتح الراء دائما، والقياس كتابته بصورة الحركة التى قبل الهمزة ، وكذلك كتبوا "لَاأَوْضَعُوا" بزيادة ألف بعد اللام ألف، وذلك مختص برسم المصحف الكريم دون غيره، فلا يقاس عليه والله أعلم .

الحرف الثانى

(الواو ، وتزاد فى مواضع أيضا)

(منها) تزاد فى عمرو بعد الراء إذا كان عَلَمًا فى حالتى الرفع والجر فرقا بينه وبين عُمَر . وكانت الزيادة واوا ولم تكن ياء لئلا يلتبس بالمضاف إلى ياء المتكلم، ولا ألفا لئلا يلتبس المرفوع بالمنصوب . وجعلت الزيادة فى عمرو دون عُمَر، لأن عمْرا أخفّ من عُمَر من حيث بناؤه على فَعْل ومن حيث آنصرافُه . أما فى حالة النصب فلا تزاد فيه الواو ويكتب عمرو بألف وعُمَرُ لايكتب بألف لأنه لاينصرف، وكذلك المحلّى باللام كالعَمْر والمضاف كعَمْرِه والواقع قافية شعر كقول الشاعر :

إِنَّمَا أَنْتَ فِي سُلَيْمٍ كَوَاوٍ ∘ أُلْحِقَتْ فِي الهِجَاء ظُلْمًا بِعَمْرِ

وكذلك عَمْرٌ واحد عُمُور الأسنان : وهو اللحم الذى بينها، وما هو بمعنى المصدر مثل قولهم :لَعَمْرُ الله لاتزاد فيه الواو إذ لا لَبْس . ولم يفرقوا فى الكتابة بين عُمَر العَلَم وعُمَر جمع عُمْرَة لأنهما ليسا من جنس واحد فلا يلتبسان .

(ومنهـا) تزاد فى أولئك بين الألف واللام فرقا بينها وبين إليك إذ حذفوا ألف أولئك الذى بعد اللام لكثرة الاستعمال فالتبست بإليك ، وكانت الواو أولى بالزيادة من الياء : لمناسبة ضمة الهمزة ، ومن الألف : لاجتماع صورتى الألف وهم يحذفون الواحدة إذا اجتمعت صورتاها ، وجعلت الزيادة فى أولئك دون إليك : لأن الاسم أحمل للزيادة من الحرف ولأن أولئك قد حذف منـه الألف فكان أولى بالزيادة لتكون كالعوض من المحذوف .

قال ابن الحاجب : وحملوا أُولىٰ عليه مع عدم اللبس كما حملوا مائتين علىٰ مائة .

(ومنها) تزاد فى أُولِى وفى أُولُو بين الألف واللام ، أما فى أُولِى فللفرق بينها وبين إلىٰ ، وأما فى أولو فبالحمل علىٰ أُولِى بالياء ، صرح به الشيخ أبو عمرو بن الحاجب ، وقاله الشيخ أثير الدين أبو حيان بحثا وادّعىٰ أنه لم يَظْفَرْ فى تعليله بنصّ . قال : وحمل التأنيثُ فى أُولَات علىٰ التذكير فى أُولىٰ .

(ومنها) تزاد فى أُوَيْحَ تصغير أَحى بين الألف والحـاء ، والتغيير يأنس بالتغيير . وجعلت الزيادة واوا لمناسـبة ضمة الهمزة كما فى أولئك ونحوه . وأكثر أهـل الخط لا يزيدونها لأن التصغير فرع عن التكبير وليس ببناء أصلىّ .

الحرف الثالث

(اليـاء المثنـاة تحت)

وتزاد فى مواضعَ من رسم المصحف الكريم فيكتبون قوله تعالىٰ : ﴿بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ﴾ بياءين بين الألف والدال من قوله : " بِأَيْيدٍ ". وقوله تعالىٰ : ﴿من نَبَإِى الْمُرْسَلِينَ﴾ بياء بعد الألف من نبإ ، وقوله تعالىٰ : ﴿من مَلَإِيهِ﴾ و ﴿من مَلَإِيهِمْ﴾ بياء قبل الهاء فيهما . وهذا مما يجب الانقياد إليه فى المصحف اقتداءً بالصحابة رضوان الله عليهم .

أما فى غير المصحف فيكتب بأيد بياء واحدة لأن الهمزة فيه أوّلُ كلمة فتصوَّر ألفا كغيرها من الهَمَزات الواقعة أوّلا علىٰ ما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالىٰ . ويكتب من نبإ ومن ملئه ومن ملئهم بغير ياء لأن الهمزة فى نبإ وملإ أخيرة بعد فتحة فتصوّر ألِفًا كما فى نحو كلإ وخطإ، وكذلك إذا أضيف إليه الضمير .

وذهب بعضهم إلىٰ أنها تكتب فى هذا ياءً علىٰ ما يناسب حركتها سواء أضيفت نحو من كلئه أو لم تضف نحو من الكلئ .

قال بعضهم : والأقيسُ أن يكتب ياء مع الضمير المتصل نحو من خطئه لأنها صارت معه كالمتوسطة ويكتب ألفا إذا تطرّفت نحو من خطإ آعتبارا بما يؤول إليه فى التخفيف والله أعلم .

النوع الثانى

(مايغيَّر بالنقص)

والنقص يقع فى الكتابة علىٰ وجهين .

الوجه الأوّل

(ما لا يختص بحرف من الحروف، وهو المدغَمُ)

فيكتب كلُّ مشدّد من كلمة واحدة حرفا واحدا نحو شدّ ومدّ وآدّكر ومقرّ وآقشعرّ فيكتب بدال واحدة فى شدّ ومدّ وآدّكر وراءٍ واحدة فى مقرّ وآقشعرّ وإن كان فى اللفظ حرفان ، فإن الحرف المدغم فيما بعده هو متلفظ به ساكنا مدغما ، فكان قياسه أن تكتب له صورة بحسب النطق ، لكنه لما أدغم ضَعُفَ بالإدغام ، إذ صار النطق به وبالمدغم فيه نطقا واحدا فآقتصر فى الكتابة علىٰ حرف واحد ولم يجعل للأوّل صورة آختصارا . وسواء كان المدغم إدغام مثل نحو ردّ أومقارب نحو آطّجع أصله

آضطجع . وأجروا نحو قَنَتُّ مُجرىٰ ما هو من كلمة واحدة وإن كان من كلمتين لشدّة آتصال الفعل بالفاعل مع كون الحرفين مثلين .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : وكذلك نحو مِمَّ وعَمَّ والأمَ(١) .

الوجه الثانى

(ما يختص بحرف من الحروف)

ويحصر ذلك فى خمسة أحرف :

الحرف الأوّل

(الألف ، وتحذف فى مواضعَ)

(منها) تحذف مع لام التعريف إذا دخلت عليها لام الجرّ، فيكتب لِلقوم ولِلغلام وللناس بلامين متواليتين من غير ألف ؛ بخلاف ما إذا دخلت عليها باء الجرّ فإنها لا تُحذف، فيكتب بالقوم و بالغلام و بالناس بألف بين الباء واللام . و إن كان فى أوّل الكلمة ألف ولام من نفس الكلمة ليستا اللتين للتعريف نحو الألف واللام فى آلتقاء وآلتفات وآلتباس . ثم دخلت لام الجرّ أو باؤه ثبتت الألف، فيكتب بالتقائنا ولِآلتفاتنا ولِآلتباس الأمرِ علىّ وبآلتباسه ، فإن أدخلتَ ألف التعريف ولامه علىٰ الألف واللام اللتين من نفس الكلمة للتعريف ولم تَصِلِ الكلمة بلام الجرّ و بائه لم تحذف شيئا، فيكتب الآلتقاء والآلتفات والآلتباس بلامين(٢) ولامين، وكذلك إذا وصلتهما بلام الجرّ أو بائه، فيكتب بالآلتقاء و بالآلتفات و بالآلتباس وللآلتقاء وللآلتفات وللآلتباس .

(ومنها) تُحذَف بعد اللام الثانية من لفظ الله تعالىٰ، وبعد الميم من الرحمن إذا دخلت عليها الألف واللام، فيكتب الله بلامين بعدهما هاء علىٰ هذه الصورة "الله"

(١) ليس من الباب فالصواب حذفه كما وقع فى الضوء . (٢) لعله بألفين ولامين .

وإن كانت المدّة بعد اللام الثانية توجب ألِفًا بعدها، ويكتب الرحمن بنون بعد الميم علىٰ هـذه الصورة "الرحمن" وإن كانت المدّة علىٰ الميم توجب ألفا بعدها : لأنه لا ٱلتباسَ فى هذين الاسمين ، ولكثرة الاستعمال . فلو تجرّدا عن الألف واللام كتبا بالألف كما قالوا : لَاهِ أبوك يريدون لله أبوك ، فحذفوا حرف الجرّ والألف واللام وكتبوه بالألف . وكقولك : رَحمانُ الدنيا والآخرة فيكتبونه بالألف .

(ومنها) تحذف بعد اللام من السلام فى عبد السلام وفى السلام عليكم، فيكتبان علىٰ هذه الصورة : "عبد السّلٰم" و"السّلٰم عليكم" .

(ومنها) تحذف بعد اللام من ملائكة، فتكتب علىٰ هذه الصورة : "ملئكة". قال أحمد بن يحيى : لأنه لا يشبهه لفظ مثله ، ولكثرة الاستعمال .

(ومنها) تحذف بعد الميم من سموات، فتكتب علىٰ هذه الصورة : "سمٰوات".

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : وعلة الحذف فيه علة الحذف فى الملائكة من كثرة الاستعمال وعدم الشبه . وأما الألف الثانية منه وهى التى بعد الواو، فإنها لا تحذف : لأنها دليل الجمع ، ولأنها لو حذفت لاجتمع فى الكلمة حذفان، وقد كُتِبَتْ فى المصحف بحذف الألفين جميعا فيجب الانقياد إليه فى المصحف خاصّةً .

(ومنها) تحذف بعد اللام فى أُولئك ، وبعد الذال من ذلك فيكتبان علىٰ هذه الصورة : "أولئك" و"ذلك". فلو تجرّد أولاء وذا عن حرف الخطاب وهو الكافُ، كتبا بالألف فيكتبان علىٰ هذه الصورة : "أولاء" و"ذا" .

(ومنها) تحذَف بعد ها التنبيه إذا ٱتصلت بذا[(١)] التى للإشارة وكانت خالية من كاف الخطاب فى آخر الكلمة، فتحذف من هذا وهذه وهؤلاء، فيكتب الجميع بغير ألف ، فإن ٱتصلت بٱسم الإشارة الكاف نحو ذاك ٱمتنع الحذف، فيكتب بألف

(١) أى وأولاء كما يؤخذ من التمثيل .

بعد الهاء على هذه الصورة "ها ذاك" ولا يضر آختلاف حرف الخطاب بالنسبة للإفراد والجمع والتذكير والتأنيث . وأما تا وتي في الإشارة بتا[1] للمذكر وتي للمؤنث، فإن الألف لاتحذف معهما إذا آتصلت بهما ها التنبيه، فيكتب هاتا وهاتي وهاتان.

وذكر أحمد بن يحيى : أنها حذفت من هأنتم وهأنا وهأنت أيضا، فتكتب بألف واحدة بعد الهاء في جميع ذلك . قال : وهو القياس، وكان الأصل أن تكتب بألفين على هذه الصورة : ها أنتم وها أنا وها أنت، ثم تلي الهمزة . ودليل أن ألف ها قد حذفت من ها التنبيه في غير آتصالها بذا وما والاها من رسم المصحف في ثلاثة مواضع من القرءان الكريم في النور ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وفي الزخرف ﴿يٰأَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ وفي الرحمن ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾.

قال آبن قتيبة : ويكتب أيها الرجل وأيها الأمير بالألف وإن كان قد كتب في القرءان الكريم بالألف وغير الألف لآختلافهم في الوقف عليها .

(ومنها) تحذف من ثمانية عشر وثماني نساء، بخلاف ما إذا حذفت الياء منها نحو ثمان عشرة وعندي من النساء ثمان فإنه لا تحذف الألف، بل تكتب على هذه الصورة : "ثمان عشرة وعندي من النساء ثمان" لأنه قد حذف منه الياء فلو حذف الألف، لتوالى الحذف فيكثر : مثل قول الشاعر :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ ثَمٰنِيًا وثَمٰنِيًا ☆ وثَمَانَ عَشْرَةَ وَٱثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعَا

يكتب الأولان بغير ألف والثالثة بالألف . وفي ثمانين وجهان : أحدهما إثبات الألف بعد الميم فيها : لأنه قد حذف منه الياء إذ الياء في ثمانين ليست ياء ثمانية لأنها حرف الإعراب المنقلب عن الواو في حالة الرفع، فلو حذفت الألف أيضا لتوالى فيه الحذف . والوجه الثاني الحذف : لأن الياء منه كأنها لم تحذف بدليل أنه قد عاقبتها

(١) كذا في الضوء أيضا ولعله سهو أو سبق قلم فإن تا وتي للمؤنث كما هو واضح .

ياء أخرىٰ فهما لا يجتمعان، فكأن الياء موجودة إجراء للعاقِب مجرىٰ المُعاقَب . وإذا قلت ثمانون بالواو، فحكمهُ حكم ثمانين بالياء فى جواز الوجهين .

(ومنها) تحذف بعد اللام من ثلاث فيكتب علىٰ هذه الصورة : "ثَلٰث" سواء كانت مفردة، نحو عندى ثَلٰث من البَطِّ، أو مضافة نحو ثَلٰث نساء، أو مركبة نحو ثلث عشرة آمرأة، أو معطوفة نحو ثلٰث وثلاثون جارية، وحكم ثلثة بالتاء كذلك فى جميع الصور .

وكذلك تحذف أيضا من ثلاثين وثلاثون بالياء والواو، فيكتبان علىٰ هذه الصورة : "ثلثين" و"ثلثون" .

فأما ثُلاثَ المعدولُ كما فى قوله تعالىٰ : "مَثْنَىٰ وثُلَاثَ" . فقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمـه الله : لم أقف فيـه علىٰ نَقْل . قال : والذى أختاره أن يكتب بالألف لوجهين : أحدهما أنه لم يكثر كثرة ثلث، وثلثة، وثلثين، وثلثون . والثانى أنها لو حذفت لألتبست بثلثٍ الذى ليس بمعدول .

قال آبن قاسم رحمه الله : وقد ذكر فى "المقنع" أنه محذوف فى الرسم .

(ومنها) تحذف من ــ يا ــ التى للنداء إذا آتصلت بهمزة نحو يا أحمد، يا إبراهيم، يا أبا بكر، يا أبانا، فتكتب علىٰ هـذه الصورة : يٰأحمد، يٰإبرهيم، يٰأبابكر، يٰأبانا . ثم الأظهر أن المحذوف هو ألف يا لا صورة الهمزة .

وقال أحمد بن يحيىٰ : المحـذوف صورة الهمزة لا الألف من يا نعم إذا كانت الهمزة المتصلة بيا كهمزة آدم آمتنع الحـذف، وكتبت بألفين علىٰ هذه الصورة : يا آدم : لأنهم قد حذفوا ألفا من آدم لتوالى أَلِفَيْنِ، وحرف النداء مع المنادىٰ كالكلمة الواحدة بدليـل أنه لا يجوز الفصل بينهما فلو حذفت الألف من يا لآجتمع فيما هو كالكلمة الواحدة حذف أَلِفَيْنِ .

أما إذا لم يلِ يا همزةُ البتةَ نحو يازيد، ويا جعفر، فالذى يستعمله الكُتَّابُ فيه إثبات الألف فى يا . وفى كلام أحمد بن يحيىٰ تجويز كتابته بغير ألف أيضا، توجيها بأنهم جعلوا يا مع ما بعدها شيئا واحدا، إذ أقاموا يا مُقَامَ الألف واللام بدليل أنهم لاينادون ما فيه ألف ولام، فلا يقولون يا الرجل .

(ومنها) تحذف من الحارث إذا كان عَلَماً ودخلت عليه الألف واللام ، فيكتب علىٰ هذه الصورة : الحٰرث . أما إذا عَرِىَ عن الألف واللام ، فإنه يثبت فيه الألف لئلا يلتبس بحرب بالباء المُوَحَّدَةِ إذ قد سمى به ، وإنما آمتنع اللبس مع الألف واللام لأنهما إنما يدخلان من الأعلام علىٰ ما كان صفةً إذا أريد به معنىٰ التفاؤل وحَرْبٌ ليس بصفة فلم يدخلا عليه وإن كانا قد دخلا علىٰ بعض المصادر كالعَلَاء، وكذلك إذا كان حارث آسم فاعل من الحرث فإنه يكتب بالألف أيضا كما إذا عرى عن الألف واللام .

(ومنها) تحذف مما كثر آستعماله من الأعلام الزائدة علىٰ ثلاثة أحرف إذا لم يحذف منها شىء، سواء كان ذلك العلم من اللغة العربية نحو مالك، وصالح، وخالد، أومن اللغة العجمية نحو إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وهارون، وسليمان، فتكتب علىٰ هذه الصورة: مٰلك، وصٰلح، وخٰلد، وإبرٰهيم، وإسمٰعيل، وهٰرون، وسليمٰن. بخلاف ما إذا لم يكثر آستعماله كحاتم، وجابر، وحامد، وسالم، وطالوت، وجالوت، وهاروت وماروت، وهامان، وقارون، فإنها لاتحذف ألفها .

وقد حذفت فى بعض المصاحف من هاروت ، وماروت ، وهامان ، وقارون، فكتبت علىٰ هذه الصورة: هٰروت، ومٰروت، وهٰمن، وقٰرون .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله: وذكر بعض شيوخنا أن إثباتها فى نحو صالح، وخالد، ومالك جيِّدٌ .

وقال أحمد بن يحيىٰ : يجوز فيه الوجهان، وهو قضية كلام ٱبن قتيبة .

أما إذا كان العَـلَمُ الذى كَثُرَ ٱستعماله علىٰ ثلاثة أحرف فما دونها نحو هَالة وأَوْس(١) ولام ، فإنه لا تحـذف ألفه، وكذلك إذا حذف منه شىء غير الألف نحو إسراءيل وداود، لأنهم قد حذفوا من إسراءيل صورة الهمزة، ومن داود الواو فٱمتنع حذف الألف لئلا يتوالىٰ الحذف .

ويلتحق بذلك فى الإثبات مالو خيف بالحذف ٱلتباسه : كعامر، وعَبَّاس ، فلا تحـذف منه الألف أيضا، لأنه لو كتب بغير ألف، لٱلتبس عامر بعُمَر، وعباس بعَبَّس .

(ومنها) تحذف ٱستحسانا مما كثر ٱستعماله ، مما فى آخره الألف والنون نحو شعبان، وعثمان وما أشبههما، فيكتبان علىٰ هذه الصورة "شعبٰن" و "عثمٰن".

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : إلا أنهم لم يحذفوا ألف عِمْرَان والإثبات فى نحو شعبان حسنٌ أيضا .

قال ٱبن قتيبة : فأما شَيْطَان، ودِهْقَان، فإثبات الألف فيهما حسن . وكان القياس إذا دخلت عليهما الألف واللام أن يكتبا بغـير ألف، إلا أن الكُتَّابَ مُجْمِعُون علىٰ تَرْك القياس فى ذلك .

(ومنها) تحذف من كل جمع علىٰ وزن مفـاعل أو وزن مفاعيل، إذا لم يحصـل بالحذف ٱلتباس الجمع فيه بالواحد لموافقته له فى الصورة، بحيث لا يقع اللَّبْسُ مثل خواتم ودوانق فى وزن مفاعل ومحاريب وتمـاثيل وشياطين فى وزن مفاعيل

(١) كذا فى الأصل والضوء أيضا .

تحذف الألف فيكتب على هذه الصورة : خوتم ، ودونق ، ومحريب ، وتمثيل ، وشيطين ، ودهقين . إذ المفرد منها خاتمٌ ، ودانقٌ ، ومحرابٌ ، وتمثالٌ ، وشيطان ، ودهقان ، وهى لاتشابه صور الجمع فيها . بخلاف ما إذا كان يلتبس فيه الجمع بالواحد ، مثل مساكين فى وزن مفاعيل جمع مِسْكين فإنه يكتب بالألف لئلا يلتبس بالواحد . فلو كان الحذف يؤدى إلى موافقته للواحد فى الصورة لكنه فى غير موضع المفرد نحو ثلاثة دراهم ، ودراهم جياد ، ودراهم معدودة ، حذفتْ منه الألفُ وكتب على هذه الصورة : ثلثة درهم ، ودرهم جياد ، ودرهم معدودة ، لأنه لايلتبس حينئذ . بخلاف عندى دراهم ونحوه فإنه لو حذفت الألف منه ، لالتبس بدرهم المفرد .

ثم الحذف فى مفاعل ومفاعيل على ما تقدم إنما هو على سبيل الجواز ، وإلا فالإثبات أَجْوَدُ .

وشَرَط بعض المغاربة فى جواز الحذف شرطا : وهو أن لاتكون الألف فاصلا بين حرفين متماثلين . فلا تحذف الألف من نحو سكاكين ، ودكاكين ، ودنانير ، لئلا يجتمع مثلان فى الخط وهو مكروه فى الخط ككراهته فى اللفظ .

وقد كُتِبَ فى المصحف مساكين ، ومساكنهم بغير ألف على هذه الصورة مَسْكِينُ ، ومَسْكِنُهُمْ ، وإن كان اللبس موجودا .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : وإنما كتبتا كذلك لأنهما قد قرئتا بالإفراد فكتبتا على مايصلح فيهما من القراءة . كما كتبوا ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ بغير ألف على هذه الصورة ﴿وَمَا يُخْدِعُونَ﴾ لأنه يصلح لقراءة يَخْدَعُونَ من الثلاثى .

(ومنها) تحذف الألف الأولى مما كان فيه ألفان ، مما جمع بالألف والتاء المزيدتين نحو صالحات ، وعابدات ، وقانتات ، وذاكرات ، فتكتب على هذه الصورة "صلحت ، وعبدت ، وقنتت ، وذكرت" .

وكذلك تحذف من صفات جمع المذكر السالم نحو الصالحين، والقانتين، فيكتب على هذه الصورة : "الصّٰلحين" و"القنتين" وإن لم يكن فيه ألف أخرى حملا على المؤنث .

وقال بعض المغاربة : إن كان مع ألف الجمع ألف أخرى كالسماوات، والصالحات، فيختار حذف ألف الجمع وإبقاء الأخرى . وثبت فى المصحف بحذف الألفين جميعا على هذه الصورة : "سموت، وصلحت" وكذلك سياحات، وغَيَابات . وإن كان ليس فيه ألف أخرى فالمختار إثبات الألف كالمسلمات . وثبت أيضا فى المصحف محذوف الألف على هذه الصورة : مسلمت .

قال : وتحذف أيضا فى جمع المذكر السالم من الصفات المستعملة كثيرا : كالشاكرين، والصادقين، والخاسرين، والكافرين، والظالمين، وما أشبهها فى كثرة الاستعمال فتكتب على هذه الصورة " الشكرين، والصدقين، والخسرين، والكفرين، والظلمين " .

نعم إن خِيفَ اللبس فيما جمع بالألف والتاء مثل طالحات، امتنع الحذف لأنه لو حذفت الألف منه، لألتبس بطَلَحَات جمع طَلْحَة . وكذلك لو خيف اللبس فيما جمع بالواو والنون، نحو حاذرين، وفارهين، وفارحين . فلو حذفت الألف منه، لألتبس بحَذِرين، وفَرِهين، وفَرِحين، وهما مختلفان فى الدلالة، لأن فاعلا من هذا النوع مذهوب به مَذْهَب الزمان، وفَعِل يدل على المبالغة لا على الزمان، .

وكذلك لو كان مضعّفا مثل شابّات ، والعادّين ، فلا يجوز فيه حذف الألف لأنه بالإدغام نقص فى الخط إذ جعلوا الصورة للمُدْغَم والمُدْغَم فيه شكلا واحدا . ولذلك كتبوا فى المُصْحَف الضَّالّين والعادّين بالألف . وقد أجرى مُجْرى المُضَعَّف فى الإثبات ما بعد ألفه همزةٌ نحو الخائنين . وقد حذفت ألفه فى بعض

المصاحف ،فكتب على هذه الصورة"الخثنين". ويتعين الإثبات أيضا فيما هو معتل اللام مثل دانيات حملا على دانين ، كما حذف من الصالحين حملا على الصالحات ، ومثل الرامين لأنه قد حذف منه لام الفعل . وحمل ماجمع بالألف والتاء عليه كما حمل الصالحين على الصالحات فى حذف الألف ،وإن كانت العلة فيهما مفقودة .

قال آبن قتيبة : وكذلك ما كان من ذوات الياء والواو لايجوز فيه حذف الألف نحوهم القاضون ، والرامون ، والساعون : لأنهم حذفوا الياء لألتقاء الساكنين لما آستثقلوا ضمة فى الياء بعد كسرة فسكنوا ثم حذفوا الياء ، فكرهوا أن يحذفوا الألف أيضا لئلا يخلّوا بالكلمة .

(ومنها) تحذف إحدى الألفين مما آجتمع فيه ألفان مثل أادم ،وأازر ، وأامن ، وأامين ، وأاتين ، وأانفا ، ووراأك ، وقراأة ، وبراأة ، وشناأان ،وشبهه ، فتكتب على هذه الصورة "آدم ، وآزر ، وآمن ، وآمين ، وآتين ، وآنفا ، ووراءك ، وقراءة ، وبراءة ، وشنآن" فلو آنفتح الأول منهما كما فى قرأا لفعل الآثنين من القراءة ، كتب بألفين على هذه الصورة : (قرأا) ، لئلا يلتبس بفعل الواحد ،إذ المفرد تقول فيه قرأ فتكتبه بألف واحدة .وذهب قوم إلى أنه فى التثنية يكتب أيضا بألف واحدة مسندا إلى ألف الآثنين ، وبه قال أحمد بن يحيى .والذى عليه المتأخرون وهو الأجود عند آبن قتيبة ما تقدم .

(ومنها) تحذف إحدى الألفات مما آجتمع فيه ثلاث ألفات ، مثل براأات جمع براءة ، ومساأات جمع مساءة ، فتكتب بألفين فقط على هذه الصورة : "براآت" و"مساآت" لأنها فى الجمع ثلاث أَلِفَاتٍ . فلو حذفوا آثنتين ،أخَلُّوا بالكلمة .

(ومنها) تحذف من أول الكلمة فى الآستفهام فى آسم ،أوفعل ،نحو آللهُ أَذِنَ لَكُمْ ؟ آلسِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ؟ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأنثيين؟ أاصطفى البَنَاتِ عَلَى البَنِينَ؟

ألرجل فى الدار؟ أاسمك زيد أم عمرو؟ فتكتب بألف واحدة علىٰ هذه الصورة: آللهُ؟ آلسِّحْرُ؟ آلذَّكَرَيْنِ؟ آلرجل؟ آسمك؟ آلآن؟ .

ثم مذهب أحمد بن يحيى، وعليه جرىٰ ٱبن مالكٍ رحمه الله : أنه لافرق بين المكسورة، والمضمومة. والذى ذهب إليه المغاربة أنها تكتب بألفين، إحداهما ألف الوصل، والأخرىٰ همزة الاستفهام .

قال الشـيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمـه الله : وجاز فى نحو ألرجل ألأمران، ورسمت فى المصحف بألف واحدة نحو آلذكرين، آلآن .

(ومنها) تحذف من ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف من حروف الجرّ، نحو عَمَّ تسأل؟ وفِيمَ تُفَكِّرُ؟ ومِمَّ فَرِقْتَ؟ ولِمَ تكلَّمْتَ؟ وبِمَ عَلِمْتَ؟ وحَتَّامَ تَغْضَبُ؟ وعَلَامَ تَدْأَبُ؟ فتكتب كلها بغير ألف فى آخرها فرقا بينها وبين ما الموصولة، ويصير حرف الجرّ كأنه عوض من الألف المحـذوفة . وكان الحذف من الاستفهامية دون الموصولة لأن آخرها منتهىٰ الاسم، والأطراف محلُّ التغيير. بخلاف الموصولة: لأنها متوسطة من حيث إنها تحتاج إلىٰ صلة .

وحكىٰ الكوفيون ثبوتها فى الاستفهامية أيضا، والله أعلم .

تذنيب

تحذف الهمزة المصوّرة بصورة الألف فى أربعة مواضع :

الأوّل ـ تحذف بعد البـاء من بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، فتكتب بغير ألف علىٰ هذه الصورة: "بسم". والقياس إثباتها كما تكتب بأيها بالألف لكنها حذفت لكثرة الاستعمال، أما فى غير بسم الله الرحمن الرحيم، فظاهر كلام ٱبن مالك أنها لاتحذف، فتثبت فى بٱسم ربك، وفى باسم الله، مفردا .

وقال بعضهم : إن كان مضافا إلى لفظ الله تعالى وليس متعلَّق الباء ملفوظا به ، حذفت وإلا فلا ، فتثبت فى بآسم ربك لأنه غير مضاف إلى لفظ الله تعالى ، وفى نحو قولك تبركت بآسم الله : لأن متعلقه ملفوظ به .

وقال الفرّاء فى قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ إن شئتَ أثبتَّ وإن شئت حذفتَ ، فمَنْ أثبت قال : ليست مبتدأ بها ، وليس معها الرحمن الرحيم ؛ ومَنْ حذف ، قال : كان معها الرحمن الرحيم فى الأصل ، فحذفت فى الآستعمال . فإن أضفتَ الآسم إلى الرحمن أو القاهر ونحوه ، فقال الكسائى : تحذف ، وقال الفرّاء : لا يجوز أن تحذف إلا مع الله لأنها كثرت معه ، فإذا عدوتَ ذلك أثبت الألف .

الثانى — تحذف بين الفاء والواو ، وبين همزة هى فاء الفعل من وزن الكلمة ، مثل قولك فَأْت وأْت : لأنهم لو أثبتوا لها صورة الألف ، لكان ذلك جمعا بين ألفين : إحداهما صورة همزة الوصل ، والأخرى صورة الهمزة التى هى فاء الفعل ، مع أن الواو والفاء شديدتا الآتصال بما بعدهما لا يوقف عليهما دونه ، وهم لم يجمعوا بين ألفين فى سائر هجائهم إلا على خلاف فى المتطرّفة كما مر ، لأن الأطراف محلُّ التغييرات والزيادة ، فلذلك حذفوها فى نحو فأذن ، وأْتُمن فلان ، وعليه كتبوا ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ ﴾ فلو كانت الهمزة بين غير الفاء والواو وبين الهمزة التى هى فاء الفعل ثبتت ، نحو آئتو و ﴿ الَّذِى آؤْتُمِنَ ﴾ . ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ آئْذَنْ لِّى ﴾ وكذلك لو كانت آبتداء والهمزة فاء الفعل ، نحو آئْذن لى ، آؤتمن فلان ، ثبتت أيضا ؛ أو ليست فاء ، نحو ثم آضرب ، وآضرب ، فاضرب . وكذلك فى ﴿ وأْتُوا البيوت ﴾ .

الثالث — تحذف فى آبن وآبنة مما وقع فيه آبن مفردا صفةً بين علَمين ، غير مفصول ، فيكتب نحو جاء فلان بن فلان ، أو فلانة بنة فلان بغير ألف فى آبن وآبنة . ولا فرق فى ذلك بين أن يكون العَلَمَان آسمين ، نحو هذا أحمد بن عُمَر ، أو كُنيتين ،

نحو هـذا أبو بكر بن أبى عبد الله ، أو لقبين ، نحو هذا نَبْت بن بطة ، أو آسما وكنيةً ، نحو هـذا زيد بن أبى قُحافَةَ ، أو لقبا وآسما ، نحو هـذا أنف الناقة بن زيد ، أو كنية ولقبا ، نحو هذا أبو الحرْث بن نَبْت ، أو لقبا وكنية ، نحو هذا بدر الدين بن أبى بكر .

فهذه سبع صور: تسقط فيها الألف من آبن ولا تسقط فيما عداها ، فلو قلتَ هذا زيد آبنك ، وآبن أخيك ، وآبن عمك ، ونحو ذلك مما ليس له صيغة بين علمين (١) ، أثبتَّ فيـه الألفَ . وكذلك إذا كان خبرا كقولك : أظنّ زيدًا آبنَ عمرو ، وكأنّ بكرا آبنُ خالد ، وإن زيدا آبنُ عمرو ، فتثبت الألف فى الجميع . ومنه فى القرءان الكريم : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارىٰ الْمَسِيحُ ٱبْنُ اللهِ﴾ كتبتا فى المصحف بالألف . فلو ثنيت الآبن ، ألحقتَ فيـه الألف صـفة كان أو خبرا ، فتكتب قال عبدالله : وزيدٌ آبنا محمد كذا وكذا ، وأظنّ عبد الله وزيدا آبنى محمد فعَلَا كذا بالألف . وكذلك إذا ذكرتَ آبنًا بغير آسم ، فتكتبُ : جاء آبن عبـد الله بالألف أيضا . وحكم آبنة مؤنثا فى جميع ما ذكر حكم الآبن ، تقول : جاءت هندُ بِنْتُ قيس ، فتحذف الألف . وشرط الأستاذ أبو الحسن بن عُصْفُور أن يكون مذكرا فلا تسقط من آبنة .

ونقل أحمد بن يحيىٰ عن أصحاب الكسائى : أنه متىٰ كان منسوبا إلىٰ آسم أبيـه أو أمه أو كنية أبيه أو أمّه وكان نعتا ، حذفوا الألف فلم يُجزه فى غير الآسم والكنية فى الأب والأم . قال : وأما الكسائى فقال : إذا أضفت إلىٰ آسم أبيه أو كنية أبيه ، وكانت الكنية معروفا بها كما يعرف بآسمه ، جاز الحذف ، لأن القياس عنده الإثبات ، والحذف آستعمال ، فإذا عدى الآستعمال ، رُجعَ إلىٰ الأصل .

وحكىٰ آبن جنى عن متأخرى الكُتّاب : أنهم لا يحذفون الألف مع الكنية ، تقدّمت أو تأخرت . قال : وهو مردود عند العلماء علىٰ قياس مذاهبهم .

(١) فى الضوء [مما ليس بين علمين] وهى أوضح . [ولعل الأصل مما ليس صفة ... ...] .

والألف تحذف من الخط فى كل موضع يحذف منه التنوين وهو حُذِفَ مع الكُنىٰ .

الرابع – تحذف من كل مُعَرّف بالألف واللام إذا دخلت عليه لامُ الآبتداء، نحو ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أو لامُ الجر، نحو للدار ألُف ساكن غيرك؛ وقياسها الإثبات كما أثبتوها فى لَآبنك قائم ، ولِأبيك مال ؛ وسبب حذفها آلتباسها بلا النافية .

وذهب بعضهم : إلىٰ أنها لاتحذف مع لام الآبتداء فرقا بينها وبين الجارّة. ولم يحذفوها من نحو مررت بالرجل والله أعلم .

الحرف الثانى

(اللام ، وتحذف فى مواضع)

(منها) تحذف من الذى للزومها ، فكأنها ليست منفصلة ، وكذلك تحذف من جمعه وهو الذين لأنه يشبه مفرده فى لزوم البناء ، ولفظ الواحد كأنه باق فيه ، ولم يحذفوه من المثنّى كما فى قوله تعالىٰ : ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا ٱللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا ﴾ فكتبوه بلامين فرقًا بينه وبين الجمع . وإنما آختصت التثنية بالإثبات ، لأنها أسبق من الجمع ، واللبس إنما حصل بالجمع .

(ومنها) تحذف من ٱلّتى للزومها كما تقدم ، ومن تثنيتها وهى ٱلّتان ، وجمعها : وهى ٱلّاتى لأنهما لايلتبسان ، بخلاف تثنية الذى وحروفه .

وقال أحمد بن يحيىٰ : كتبوا اللاتى (الّتى) واللائى (الّئى) وأسقطوا لاما من أولها وألفا من آخرها . قال : وهذا للآستعمال لأنه يقل فى الكلام مثله ، ويدل عليه ما قبله وما بعده ، ولو كتب علىٰ لفظه كان أولىٰ .

قال الشيخ أثير الدين أبو حَيّان رحمه الله : والذى عهدناه من الكُتّاب أنه لاتحذف الألف لئلا يلتبس بالمفرد .

(ومنها) تحذف من الليل والليلة على أجود الوجهين ، فيكتبان بلام واحدة على هذه الصورة : " الَّيل والَّيلة " : لأنّ فيه آتباع المصحف ، وأجاز بعضهم كتابته بلامين . قال أبو حيّان : وهو القياس .

(ومنها) تحذف من ...(١)... ونحوه ، مما دخل عليه لام الجر فيكتب بلامين وإن كان فى اللفظ ثلاث لامات .

(ومنها) قال أحمد بن يحيى : يكتب الَّطيف بلام واحدة لأنه قد عُرِفَ فحذف ، وهذا بخلاف اللَّهْو ، واللَّعِب ، واللُّعْبَة ، واللاعبين ، واللَّغْو ، واللُّؤلُؤ ، واللَّاتِ ، واللاهم ، واللَّهَب واللوّامة ، فإنها لاتحذف منها اللام .

قال آبن قتيبة : وكل آسم كان أوّله لامًا ثم أدخلت عليه لام التعريف ، كتبتَه بلامين ، نحو اللهم ، واللبن ، واللحم ، واللجام ، وما أشبه ذلك . وإن كانوا قد آختلفوا فى الليل والليلة لموافقة المصحف كما تقدّم .

الحرف الثالث

(النون ، وتحذف فى مواضع)

(منها) تحذف من عَنْ إذا وصلت بِمَنْ أو بِمَا ، فتكتب عَمَّن وعَمَّا وعَمَّ .

(ومنها) تحذف مِنْ مِنْ الجارّة إذا وُصِلَتْ بِمَنْ أو ما ، فتكتب مِمَّن ومِمَّا .

(ومنها) تحذف مِنْ إنْ إذا وُصِلَتْ بلَمْ ، فتكتب إلَّمْ .

(ومنها) تحذف من أنْ المفتوحة إذا وُصِلَتْ بلا ، فتكتب ألَّا .

---

(١) بياض بالأصل ولعله من اللَّعِب ونحوه الخ .

الحرف الرابع

(الواو، وتحذف فى مواضع)

(منها) تحذف لأمن اللبس، مثل ما كتبوا من قوله تعالىٰ : ﴿ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾، ﴿ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ ﴾ بغير واو فى يدعو ويمحو، لأن ذكر الداع فى الأول، وذكر الله تعالىٰ فى الثانى يمنع أن يكون الفاعلُ جماعةً فلا يحصل اللبس، بخلاف قولك لاتضربوا الرجل : فإنه لو حذف لألتبس الجمع فيه بالواحد.

(ومنها) تحذف مما توالىٰ فيه واوان فى كلمة واحدة، مثل داوود، وطاووس، ورؤوس، ويَسْتَوُون، ويَلْوُون، وأْوُوا إلىٰ الكَهْف، ويُسُوءُوا، وتَبَوَّؤُوا، وجاؤُوا، وبَاؤُوا، وأساؤُوا، ويَؤُودُه، ويَؤُوسُ، و، فادرؤوا، ومُبرَّؤُون، فيكتب بواو واحدة.

وكتب بعضهم طاوُوس ونحوه بواوين علىٰ الأصل، والقياس الاقتصار علىٰ واو واحدة كراهة اجتماع المثلين .

وآستثنىٰ ابن عُصْفور من ذلك موضعًا، وهو أن لايؤدّى إلىٰ اللبس، نحو قؤول وصؤول علىٰ وزن فَعُول فإنه يلتبس بقَوْل وصَوْل، وآختاره أحمد بن يحيىٰ .

(ومنها) تحذف مما توالىٰ فيه ثلاث واوات فى كلمتين ككلمة، مثل ليسوءوا، وينوءون، فتكتب ليسوءوا، وينوءون، بواوين فقط، ويكتب لَوَّوْا، وآجْتَوَوْا، وآلْتَوَوْا، بواوين، لأنه لو حذفت إحدىٰ الواوين لألتبس الجمع بالمفرد.

ووقع فى المصحف كتابة يَسْتَوُونَ، ويَلْوُونَ، بواو واحدة، وذلك لأن فى يستوون ونحوه آجتمع واوان وضمة، فناسب الحذف، وفى لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ، ونحوه آنفتح ماقبل الواو فناسب الإثبات .

(ومنها) تحذف للجزم كما فى قولك لم يَغْدُ فتحذف الواو علامةً للجزم، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

الحرف الخامس

(الياء، وتحذف فى مواضع)

(منها) للجزم كما فى قولك : لم يَقْضِ، فتحذف الياء من آخره علامةً للجزم .

(ومنها) تحذف لمراعاة الفواصل، نحو قوله تعالىٰ : "وَٱللَّيْـلِ إِذَا يَسْرِ" بغير ياء فى آخرها لمراعاة ماقبله من قوله "والفَجْرِ" .

(ومنها) تحذف فيما توالىٰ فيه ياءان أو ثلاثة، فتَكْتُبُ النَّبِيِّينَ، وخَاسِئِينَ، وخَاطِئِينَ، وإِسْرَائِيل، وما أشبه ذلك بياءين فقط (١)، وإن كان فى اللفظ ثلاث ياءات .

(ومنها) تحذف لأمن اللبس، فتَكْتُبُ قارءين جمع قارئ بياء واحدة، فرقا بينها و بين قَارِئَيْنِ تثنية قارئ فإنها تكتب بياءين .

(ومنها) تحذف مدّة ضمير (٢) الغائب مثل قولك : ضربه، فتكتبه بغير واو، وإن كنت تلفظ به لأنك إذا وقفت حذفتها ووقفت علىٰ الهاء ساكنة ، وكذلك مدّة ضمير الغائبين، مثـل قولك : ضربهُمُ فى لغة من وصل الميم، وكذلك حذفوها إذا وليت الكاف، نحو ضربكُمُ زيد ولكُمُ فى لغـة من وصل الميم بواو و بيـاء، لأنه إذا وقف حذف الصلة والله أعلم .

النوع الثالث

(ما يُغـيَّر بالبـدل)

والحروف التى يدخلها البدل ثلاثة أحرف : الألف، والواو، والياء، والألف والياء أكثرهما تعاقبا .

فتنوب الياء عن الألف فى ثلاثة محالّ :

---

(١) لعل فى العبارة سقطا والأصل فيكتب بياء فقط وان كان فى اللفظ ياءين و بياءين فقط وان كان الخ .

(٢) تعلق هذا بالحرف الرابع أكثر منه بالخامس .

المحل الأوّل

(الاسم، وهو ثلاثة أحوال)

الحال الأوّل — أن تكون الألف فيه رابعة فصاعدا، نحو المِعْزَى، والمُسْتَدْعَى، والحُبْلَى، والمَرْضَى، والمَلْهَى، والمَدْعَى، والمُشْتَرَى، ومِقْلَى، ومَثْنَى، وكذلك أَعْمَى، وأَعْشَى، وأَظْمَى، وأَقْنَى، وأَدْنَى، وأَعْلَى، ومُعَافَى، ومُنَادَى، وما أشبه ذلك، فتكتب الألف فى جميع ذلك ياءً سواء كان منقلبا عن واو أو منقلبا عن ياء، لأنك إذا ثنيته ثنيته بالياء، ومن ثم كتبت ياويلتَى، وياحسرتَى، ويا أسفَى، بالياء إشعارا بأنها مما تمال أو تقلبها عند التثنية ياء، إلا فيما قبلها ياء نحو الدُّنْيَا، والعُلْيَا، والقُصْيَا، وهُدْيَا، ومَعْيَا، ومَحْيَا، وعام حَيَا ورُؤْيَا، وسُقْيَا، فإنك لاتكتب الألف فيها ياءً كراهة أن تجتمع ياءان فى الخط. نعم يغتفر ذلك فى نحو يحيَى ورَيَّى عَلَمين: للفرق بين يحيَى علما وبينه فعلا وبين ريَّى علما وبينه وصفا، وكان البدل فى العَلَم دون الوصف والفعل لأن الفعل والصفة أثقل.

قال ابن قتيبة: وأحسبهم اتبعوا فى يحيَى رسم المصحف.

فلو كان مهموزا، نحو مستقرأ ومستنبئا[(1)]، أو قبل آخره ياء نحو خَطَايَا، وزَوَايَا، ورَكَايَا، والحَوَايَا، والحيا، وما أشبهه كتب بالألف.

الحال الثانى — أن تكون الألف فيه ثالثةً، فإن كانت مبدلة عن ياء، نحو فتًى، ورحًى، وسوًى، والهُدَى، والمَدَى للغاية، والهوَى لهوى النفس، ونَدَى الأرض، ونَدَى الجُود، وحَفَى الدابة، والكرَى النوم، والقَذَى، والأذَى، والخَنَى: فُحْشُ القول، والضَّنَى: المرض، والرَّدَى: الهلاك، والطَّوَى: الجوع، والأَسَى: الحُزْن، والعَمَى: فى القلب والعين، والجَنَى: جَنَى الثمرة، والصَّدَى: العطش، والشَّرَى: فى الجسد، والضَّوَى:

(1) كذا فى الضوء أيضا وليس مما نحن فيه.

المُزال، والثَّرى : التراب النَّدِىّ، والجَوى : داء فى الجوف، والسُّرى : [سَيْرُ] الليل، والسَّلى : سَلى الناقة، ومِنًى : المكان المعروف، والمَدى(١) الغاية، والصَّدى اسم طائر يقال إنه ذكر البوم، والنَّسى : عرق فى الفَخِذ، وطُوًى : وَادٍ، والوَغى : الحربُ، والوَحى : العَجَلُ، والورى : الخَلْقُ، والذَّرى : الناحية وأنا فى ذَرى فلان، والمِعى واحد الأمعاء، والحِجى والنُّهى العَقْلُ، والحَشى واحد الأحشاء، وما أشبه ذلك كتب بالياء .

وإن كانت منقلبة عن واو، نحو عصا ، ومَنًا للقَدْر، ورَجًا لجانب البئر، والقَنَا فى الأنف، والرِّما والقَرا للظهر، والعَشا فى العين، والقفَا : قفَا الإنسان، والصَّغَا : ميلكُ للرجل، ووَطًا جمع وطاة، و[لَهًا جمع] لهاة، والفَلا جمع فلاة، كتب بالألف .

وتفترق الواو من الياء فيه بطرق أقربها التثنية تقول فى الأوّل فتيان ، ورحيان، وسويان .

قال ابن قتيبة : فلو ورد عليك اسم قد ثُنّى بالواو والياء عَمِلْتَ على الأكثر الأعم . وذلك نحو رَحًى، فإن من العرب من يقول رحوت الرَّحاء، ومنهم من يقول رحَيت، قال : وكَتْبها بالياء أحبُّ إلىّ لأنها اللغة العالية .

وكذلك الرِّضا من العرب من يقول فى تثنيته رضيان ؛ ومنهم من يقول رضوان، قال : وكتابته بالألف أحب إلىّ : لأن الواو فيه أكثر، وهو من الرضوان . وكذلك الحكم فى متى، لأنها لو سُمّى بها وثُنّى، لقلتَ متيان، فيعلم أنه من ذوات الياء ــ وتقول فى الثانى : عَصَوَان ومَنَوان ورَجَوَان، فيعلم أنه من ذوات الواو . فاذا أشكل عليك شىء فلم تَعلَمْ أهو من ذوات الواو [أو من ذوات الياء](٢) ؟ نحو خَسًا بالخاء المعجمة والسين المهملة، كتبته بالألف لأنه هو الأصل .

(١) تقدم فهو مكرر . (٢) الزيادة عن ضوء الصبح .

ومنهم من يكتب الباب كلّه بالألف على الأصل وهو أسهل للكُتّاب. وعلى تقدير كَتْبها بالياء فلو كان منوّنا فالمختار عندهم أنها تكتب بالياء أيضا، وهو قياس المبرّد وقياس المازنيّ أن يكتب بألف إذ هي ألف التنوين عنده في جميع الأحوال.

وقاس سيبويه المنصوبَ(١) بالألف لأنه للتنوين فقط.

قال ابن قتيبة: وتعتبر المصادر بأن يرجع فيها إلى المؤنث، فما كان في المؤنث بالياء كتبتَه بالياء، نحو العمى، والظَّمى، لأنك تقول عَمْياء وظَمْياء، وما كان المؤنث فيه بالواو كتبته بالألف، نحو العَشَا في العين، والعَنَا وهو كثرة شعر الوجه، والقَنَا في الأنف، لأنك تقول عَشْواء، وقَنْواء، وعَنْواء.

قال: وكل جمع ليس بين جمعه وبين واحده في الهجاء إلا الهاء من المقصور، نحو الحصى، والقَطَا، والنَّوى، فما كان جمعه بالواو كتبته بالألف، وما كان جمعه بالياء كتبته بالياء.

وكتبت لَدَى بالياء لانقلابها ياء في لَدَيْكَ.

وأما كِلَا، فالصحيح من مذهب البصريين أنها تكتب بالألف، لأن ألفه عن واو. ومن زعم أنها عن ياء كالمعى، كَتَبَها بالياء. وأجاز الكوفيون كتبها بالياء وهو خطأ على مذهبهم لأن الألف عندهم للتثنية، وألف التثنية لايجوز أن تكتب ياء لئلا يلتبس المرفوع بغيره. وقياس كلتا عند البَصْريين أن تكتب ياء، وشذ كتابتها بالألف.

قال ابن قتيبة: والذى أستَحِبُّه أن تُكْتَبَ كِلَا وكِلْتا في حال الرفع بالألف، وفي حالتي الجرّ والنصب بالياء. فإذا قلت: أتاني كِلَا الرجلين أو كِلْتَا المرأتين، كتبته بالألف. وإذا قلت: رأيت كلى الرجلين أوكلتى المرأتين كتبته بالياء، لأن العرب قد فرقت بينهما في اللفظ(٢) فقالوا: رأيت الرجلين كليهما، ومررت بالرجلين كليهما، ومررت بالمرأتين كلتيهما. وقالوا: جاءنى الرجلان كلاهما، والمرأتان كلتاهما.

(١) لعله المنصوب فقط فقال يكتب بالألف الخ. (٢) أى مع المكنى كما هى عبارة ابن قتيبة.

وتَترىٰ إن لم تنون، فألفها للتأنيث وإن نونت فهى للإلحاق. وقياسها أن تكتب بالياء. ومن زعم أنه فَعْلٌ، فألفه بدل التنوين كألف صبرا، فهو قياسه.

ووقع فى كلام ابن البادس أن تترىٰ فى الخط بياء، وهو خلاف المعروف.

تنبيـــــه

لو اتصل الاسم الذى يكتب بالياء بضمير متصل، نحو رَحَاك، وقَفَاك، ومَلْهَاك، ومَرْعَاك، فقيل يكتب بالياء كحال عدم اتصالها، فيكتب على هذه الصورة: رحيٰك، وقفيٰك، وملهيٰك، ومَرْعيٰك.

قال الشيخ أثير الدين أبوحَيّان رحمه الله: واختيار أصحابنا فيه بالألف إذا اتصل به ضمير خفض أو ضمير نصب، سواء كان ثلاثيا أم أزيد، إلا إحدىٰ خاصةً فإنها تكتب بالياء حال اتصالها بضمير الخفض، نحو من إحديٰهما كحالها دون الاتصال.

واختلفوا إذا اتصلت بتاء تأنيث تنقلب هاء فى الوقف، فذهب البصريون إلىٰ كتابتها ألفا، نحو الحصاة، واختار الكوفيون كتابتها بالياء نحو الحصيٰة.

الحال الثالث — أن تكون الألف فيه ثانية، نحو ما وذا إذا كانا اسمين، فيكتب بالألف علىٰ صورة النطق به.

المحل الثانى

(الفعل، وله حالان)

الحال الأول — أن تكون الألف فيه رابعةً فصاعدًا، نحو أعطىٰ، واستعلىٰ، وتداعىٰ، وتعادىٰ، واستدنىٰ، وما أشبهه فتكتبه كلّه بالياء إلا أن يكون مهموزا، نحو أخطأ، وأنبأ، وتخاطأ، واستنبأ، فإنه يكتب بالألف. وكذلك إذا كان قبل آخره ياءٌ، نحو استحيا، وتحايا، وأعيا، وتعايا، واستعيا، وما أشبهه فإنك تكتبه بالألف.

ووقع فى بعض المصاحف ﴿ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ بالألف فى آخر نخشىٰ ، وفى بعض المصاحف بالياء .

الحال الثانى — أن تكون الألف ثالثةً ، فتردّه إلىٰ نفسك ، فإن ظهرتْ فيه الواو فٱكتبه بالألف ، نحو قولك : عدا ، ودعا ، ومحا ، وغزا ، وسلا ، وعلا من العلوّ ، لأنك تقول : عدوت ، ودَعَوْتُ ، ومحوت ، وغزوت ، وسلوت ، وعلوت . وشذ زكىٰ ، فكتب بالياء وإن كان من ذوات الواو ، لأنه من زكىٰ يزكو ، إلا أن العرب يُميلون الأفعالَ ذوات الواو . وإن ظهرت فيه الياء فٱكتبه بالياء ، نحو قولك : قضىٰ ، ومشىٰ ، وسعىٰ ، وعسىٰ ، لأنك تقول : قضيت ، ومشيت ، وسعيت ، وعسيت ، ويجوز كتابته بالألف أيضا .

تنبيـــــه

لو ٱتصل بالفعل ضمير متصل ، نحو رماه ، وجزاه ، ورعاه ، فقيل يكتب علىٰ حاله بالياء ، فيكتب علىٰ هذه الصورة : رميٰه ، وجزيٰه ، ورعيٰه ، والصحيح كتابته بالألف .

قال ٱبن قتيبة : وكل ما لحقته الزيادة من الفعل لم تنظر إلىٰ أصله ، وكتبته كله بالياء ، فتكتب أَغْزىٰ فلان فلانا ، وأدنىٰ فلان فلانا ، وألهىٰ فلان فلانا بالياء . وهو من غزوت ، ودنوت ، ولهوت ، لأنك تقول فيه : أغزيت ، وأدنيت ، وألهيت . وكذلك تكتب يُغْزىٰ ، ويُدْنىٰ ، ويُلْهىٰ ، علىٰ البناء لما لم يسم فاعله بالياء ، لأنك تقول فى تثنيته : يُغْزَيان ، ويُدْنَيَان ، ويُدْعَيَان .

المحـــــل الثـالث

(بعض الحروف)

وٱعلم أن الحرف الذى فى آخره ألف فى اللفظ إنما يكتب ألِفاً علىٰ صورة لفظه ، نحو ما ، ولا ، وألا ، وما أشبهها ، وٱستثنوا من ذلك أربع صور فكتبوها بالياء .

إحداها ـ بَلَى ، قال بعض النحاة لإمالتها : وقال سيبويه : لأنه إذا سمى بها وثنيت قيل بَلَيَانِ كما يقال فى متى مَتَيانِ .

الثانية ـ إلى ، وكُتبت بالياء لأنها تُرَدّ إلى الياء فى قولهم إليك .

الثالثة ـ على ، وكتبت بالياء لأنها تُرَدُّ إلى الياء أيضا فى قولهم عليك .

قال ابن قتيبة : وكان القياس فيها وفى إلى أن تكتبا بالألف لعدم جواز الإمالة فيهما .

الرابعة ـ حتّى ، وكتبت بالياء حملا على إلى لكونهما بمعنى الانتهاء والغاية ، ولأنه قد روى فيها الإمالة عن بعض العرب فروعى حكمها .

تنبيـــــه

لو وليتْ ما الاستفهامية حتّى ، أو إلى ، أو على ، كُتِبْنَ بالألف على هذه الصورة : حَتَّام ، و إلام ، وعَلَامَ ، لأنها شديدة الاتصال بما الاستفهامية بدليل أن ما بعدها لا يوقف عليه إلا بذكرها معه ، فكأن الألف وقعت وَسَطًا فصارت كحال ما كتب بالياء إذا اتصل بضمير خفض أو ضمير نصب ، فإنه يكتب بالألف .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : فإن وُصل فى حَتَّام و إلى الهاء الحائرة ، فلك أن تجريها على الاتصال ولا تَعْتَدَّ بها ، ولك أن تعتد بها وترجعَ الألف فى حتّى ، و إلى ، وعلى ، إلى أصلها ، فتكتب بالياء يعنى على هـذه الصورة حتّى مه ، و إلى مه ، وعلى مه .

(فائدة)

قد يُكْتَبُ بالياء ما هو من ذوات الألف للمجاورة كما فى قوله تعالى : ﴿ والضُّحَى وَاللَّيلِ إذا سَجى ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ فإن الضُّحَى ونحوه قياسه عند البصريين

أن يكتب بالألف لأنه من ذوات الواو، ولكنه كتب بالياء لمجاورة سجىٰ، وسجىٰ وإن كان من ذوات الواو أيضا، كتب بالياء لمجاورة قلىٰ الذى هو من ذوات الياء، فسجىٰ مجاور، والضحىٰ مجاور المجاور .

وأما الواو فقد نابت عن الألف فى مواضعَ من رسم المصحف الكريم : وهى الصلاة، والزكاة، والحياة، والنجاة، ومِشكَاة، ومَنَاة، فتكتب علىٰ هذه الصورة : الصلوٰة، والزكوٰة، والحيوٰة، والنجوٰة، ومنوٰة، ومِشْكوٰة . فمنهم من كتبها كذلك فى غير المصحف أيضا آتباعا للسَّلَف فى ذلك، ومنهم من كتبها بالألف وهو القياس، ووجه بأن رسم المصحف متبع فى القرءان خاصةً . ولا يكتب شىء من نظائر ذلك إلا بالألف . كالقناة، والقطاة، آقتصارا علىٰ ما ورد به الرسم السلفىّ .

قال آبن قتيبة : وقال بعض أهل الإعراب : إنهم كتبوا هذه الكلمات بالواو علىٰ لغات الأعراب، وكانوا يَميلون فى اللفظ بها إلىٰ الواو شيئا . وقيل بل كتبت علىٰ الأصل، إذ الأصل فيها واو، لأنك إذا جمعت قلت : صلوات، وزكوات، وحيوات، وإنما قلبت ألفًا، لما آنفتحت وآنفتح ماقبلها .

قال : ولولا آعتياد الناس لذلك فى هذه الأحرف الثلاثة : أى الصلاة، والزكاة، والحياة، لكان من أحب الأشياء إلىّ أن تكتب كلها بالألف . وجمعوا فى الربا بين العوض والعوض منه، فكتبوه بواو وألف بعدها علىٰ هذه الصورة : الربوا . وفى بعض المصاحف ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا﴾ بألف بغير واو، وما سواه فلا خلاف فيه .

تنبيـــه

لو آتصل بشىء مما أبدلت ألفه واوا ضمير، نحو صلاتهم، وزكاتهم، وحياتك، ونجاته، ومِشكَاته، ورباه، كتبت بالألف دون الياء (١)، والله أعلم .

(١) كذا فى الضوء أيضا . ولعل صوابه دون الواو .

القسـم الثانى

(ما ليس له صـورة تخصـه)

وهو الهمزة، إذ تقع علىٰ الألف والواو والياء، وعلىٰ غير صورة، ولها ثلاثة أحوال.

الحال الأوّل

(أن تكون فى أوّل الكلمة)

فتكتب ألفا بأىّ حركة تحرّكت : من فتحة، مثل أحمد، وأيوب، وأحد، أو ضمة: نحو أُخذ، وأُكْرِمَ، وأُوحِىَ، وأولئك، أو كسرة: نحو إبراهيم، و إسمعيل، و إسحق، و إثْمِد، و إبِل، و إذ، و إذا، و إلىٰ، و إلّا، و إمّا، سواء فى ذلك همزة القطع مثل أَكْرَمَ، وهمزة الوصل مثل آتخذ، والهمزة الأصلية مثل آمرئ، والهمزة الزائدة مثل إشاح. وذلك لأن الهمزة المبتدأة لا تخفف أصلا من حيث إن التخفيف يقربها من الساكن، والساكن لا يقع أوّلا، فجعلت لذلك علىٰ صورة واحدة. وآختصت الألف بذلك دون الياء والواو حيث شاركت الهمزةَ فى المخرج، وفارقت أختيها فى الخِفّة، ولا فرق فى ذلك بين أن تكون الهمزة مُبْتَدَأَةً كما فى الصور المذكورة، أو تقدّمها لفظ آخر، نحو ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِىَ ﴾ و فَأَىّ، و أفأنت، و بأنه، وكأنه، وكأيّن، و بإيمان، ولإيلاف، ولَبإمام، وسأترك، ولأُقَطِّعن، ومررت بأحمد، وجئتُ لأُكْرِمَك، وآكتحلتُ بالإثمد، إلا فيما شذّ من ذلك، نحو هؤلاء، وآبْنَؤُمَّ، ولئن، ولِئَلا، و يومئذ، وحينئذ، وما أشبهها، فإنه كان القياس أن تكتب الهمزة فيها ألفا لأنها وقعت أوّلا، لكنهم خالفوا فكتبوا همزة هؤلاء، وآبْنَؤُم بالواو، وإن كانت فى الحقيقة مبتدأة بدليل أن ها حرف تنبيه وهو منفصل عن آسم الإشارة . وكذلك آبنُ آسم أضيف إلىٰ الأم، لكنهم شبهوها بهمزة لؤُم، فكتبوها بالواو، و راعَوْا فى ذلك كثرة لزوم

هاء الإشارة، وعدم انفكاك ابنؤم الواقع فى القرءان، فكأنها صارت همزة متوسطة . وكتبوا همزة لئن ، ولئلا، وحينئذ، و يومئذ، وما أشبهها ياء وإن كانت أوّل كلمة وكان القياس أن تكتب بالألف . أما لئن ، فلأن أصلها لإنْ بلام ألف ونون . وأما لِئَـلَّا ، فلأن أصلها لِأَنْ، بلام ألف ونون منفصلة من لا ، بدليل أنهم إذا لم يجيئوا بعـدها بلا ، كتبوها لِأَنْ، نحو جئتَ لأن تقرأ ، لكنهم جعلوا اللام مع أنْ كالشيء الواحد . وكذلك حينئذ، و يومئذ، فإن الأصل أن يفصل الظرف المضاف للجملة التى بقِيَ منها إذِ المنونة تنوينَ العِوَض وأن يكتبَ بالألف ، لكن جعل الظرف مع إذِ كالشيء الواحد، فوصل بإذ . وجعلت صورة الألف ياءً كما جعلوها فى يَئِسَ . وكذلك الحكم فى كل ظرف أضيف إلىٰ ماذكر، سواء المفرد : كالأمثلة المذكورة، والجمع نحو أزمانَئِذٍ . وسيأتى الكلام علىٰ ما يتعلق من ذلك فى الفصـل والوصل إن شاء الله تعالىٰ .

الحال الثانى

(أن تكون متوســطة ، ولها حالتان)

الأولىٰ ــ أن تكون ساكنة ، فلا يكون ما قبلها إلا متحركا وتكتب بحركة ما قبلها . فإن كان ما قبلها مفتوحا ، كتبت أَلِفًا نحو رأس ، وكأس ، و بأس ، و يَأس ، وضأن ، وشأن ، ودأب ، وتأمُر ، وتأكُل . وإن كان ما قبلها مضموما ، كتبت واوًا ، نحو مؤمن ، ونؤمن ، وتؤوى ، وتُؤتى ، ومؤتى ، و يؤفك ، وما أشبهها . وإن كان ما قبلها مكسورا ، كتبت ياء ، نحو بئر ، وذئب ، و بئس ، وأنبِئهم ، ونبئنا ، وجئت ، وجئنا ، وشئت ، وشئنا ، ولمُلِئتَ ، وما أشبهها .

الثانية ــ أن تكون الهمزة متحركة ، والنظر فيها باعتبارين .

الاعتبار الأول ـ أن يكون ماقبلها ساكنا، وحينئذ فلا يخلو: إما أن يكون حرفا من حروف العلة (وهى الألف والواو والياء) أوحرفا صحيحا. فإن كان الساكن الذى قبلها حرفَ علة نُظِرَ: إن كان حرف العلة ألفا، فإن كانت حركة الهمزة فتحةً، فلا تثبت للهمزة صُورة نحو ساءل، وأبناءنا، وأبناءكم، ونساءنا، ونساءكم، وجاءنا، وجاءكم، (وساءل، فاعَلَ من السؤال) وما أشبهه. وإن كانت ضمة تثبت لها صورة الواو، نحو التَّسَاؤُلُ، وآباؤكم، وأبناؤكم، وأولياؤكم، وبآبَائنا (١)، وشبه ذلك. وإن كان حرف العلة واوا أو ياء: فإما أن تكونا زائدتين للمد، أوتكون الياء للتصغير أوأصليتين أوملحقتين بالأصل. فإن كانتا زائدتين للمد نحو خطيئة، ومقروءة، وهنيئا، مريئا، أو ياء تصغير نحو أُفَيْس تصغير أَفْؤُس جمع فاس، فلاصورة للهمزة. وإن كانتا أصليتين نحو سوْءة، وهيْئة، أوملحقتين بالأصل نحو جيئل (وهو الضَّبُعُ)، وحَوْءَبَة (وهو الدلو العظيم)، والحَوْءَبُ (اسم موضع)، والسَّمَوْءَل (اسم رجل)، فإنك تحذفها وتنقل حركتها إلى الساكن قبلها فتقول: سوَة، وهية، وجيل، وحوبة، وحَوب وسَمول. ولا صورة للهمزة حينئذ فى تحقيقها ولا فى حذفها. وإن كان الساكن الذى قبلها حرفا صحيحا، نحو المرْأة، والكَمْأة، ويَسْأَم، ويَسْئِمُ، ويَلْؤُمُ ونحو ذلك، فتنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وتحذف الهمزة. والأحسن الأقيس أن لا تثبت لها صورة فى الخط لا فى التحقيق ولا فى الحذف والنقل.

ومنهم من يجعل صورتها الألف على كل حال، فيكتبها على هذه الصورة: المرأة والكمْأة، ويسأم، ويسإم، ويلأُم، وهو أقل استعمالا. وقد كتب منه حرف فى القرءان بالألف، وهو قوله تعالى: "يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ".

---

(١) كذا فى الأصل، وليس هذا موضعها كما هو ظاهر.

ومنهم من يجعل صورتها على حسب حركتها، فيكتب المرأة، والكمأة، ويَسْأَمُ، بالألف، ويكتب يُسْئِمُ بالياء، ويكتب يَلْؤُمُ بالواو . واستثنى بعضهم من ذلك ما إذا كان بعدها حرف علة، نحو سُئُول، ومَشْئُوم، فلم يجعل لها صورة أصلا، وإذا كان مثل رءوس يكتب بواو واحدة فلا صورة لها . وكذلك الموءودة في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ على ما كتبت في المصحف بواو واحدة لا يجعل لها صورة .

الاعتبار الثانى — أن يكون ماقبلها متحرّكا فينظر : إن كانت مفتوحة مفتوحا ماقبلها، كتبت ألفا نحو سَأَلَ، ورَأَيْتُ، ورَأَوْكَ، وبدأكم، وأَنْشَأَكم، وقرأه، ولِيَقْرَأْهُ، وشبه ذلك . إلا إن كان بعدها ألف فلا صورة لها، نحو مَآل ومَآب . وذهب بعضهم إلى أنها تصوّر ألفا فتكتب بألفين . وإن كانت مفتوحة مكسورا ما قبلها نحو خاطئة، وناشئة ولَيُبَطِّئَنَّ، ومَوْطِئًا، وخَاسِئًا، ويُنْشِئُكُمْ، وشَانِئَكَ، صوّرت بمجانس ماقبلها (وهو الكسرة) فتصوّر ياء . وإن كانت مفتوحة، مضموما ما قبلها نحو الفُؤَاد، والسؤال، ويُؤَدِّهِ إليك، ويؤلف، ومُؤَجَّلا، ومُؤَذِّنٌ، وهُزُؤًا، وشبهه، صَوّرتها بمجانس ماقبلها . وإن كانت مضمومة، مضموما ماقبلها، نحو نُؤُم، كَصُبُرٍ جمع صبور، أومضمومة، مفتوحا ما قبلها نحو لَؤُم، كتبت بالواو فى الحالتين، إلا إن كان بعدها فى الصورتين واو[1]، نحو رءوس، ونَئُوم . وإن كانت مضمومة، مكسورا ماقبلها نحو يَسْتَهْزِءُونَ، وأُنَبِّئُكم، ولأُنَبِّئَنَّكَ، وسَنُقْرِئُكَ، كتبت بواو على مذهب سيبويه، وياء وواو بعدها[2] على مذهب الأخفش .

---

(١) أى فلا صورة لها . (٢) هذا خاص بنحو يستهزءون و يقرءون .

الحـال الثـالث

(أن تكون الهمزة آخرا ؛ ولهـا حالتان أيضا)

الأولىٰ

(أن يكون ماقبلها ساكنا، والنظر فيها باعتبارين)

الأعتبار الأول — أن يكون ما قبلها صحيحا، فتحذف الهمزة وتلق حركتها علىٰ ما قبلها ولاصورة لها فى الخط، نحو جزء، وخبء، ودفء، والمرء، وملء. سواء فى ذلك حالة الرفع والنصب والجرّ. وقيل: إن كان ما قبـل السا كن مفتوحا، فلا صورة لهـا. وإن كان مضموما، فصورتها الواو، وإن كان مكسورا، فصورتها الياء مطلقا. وقيل: إن كان مضموما أومكسورا فعلىٰ حسب حركة الهمزة، فيكتب الجزء، والدفء، بالواو فى الرفع وبالألف فى النصب وبالياء فى الجرّ. وإن كان شىء من ذلك منصوبا منوّنا فيكتب بألف واحدة، هى البدل من التنوين. وقيل: يكتب بألفين، إحداهما صورة الهمزة، والأخرىٰ صورة البدل من التنوين.

الأعتبار الثانى — أن يكون ماقبلها معتلا، فينظر: إن كان حرف العلة زائدا للمدّ، فلا صورة لها نحو نبىء، ووضوء، وسمـاء، والسُّوء والمسىء، وقرّاء، (١) وشاء، ويشاء، والمـاء، وجاء، إلا إن كان منوّنا منصوبا فَيَكْتُبُهُ البَصْريون بألفين، والكوفيون وبعض البَصْريين بواحدة، وهذا إذا كان حرف العلة ألفا نحو سماء: الألف الواحدة حرف العلة، والأخرىٰ البدل من التنوين. فإن آتصل ماقبله ألف بضمير مخاطب أو غائب، فتصوّر الهمزة واوا رفعا، نحو هذا سمـاؤك، وياءً جرّا نحو نظرت إلىٰ سمائك، وألفا واحدة هى ألف المدّ نَصْـباً، نحو رأيت سماءك. أما إذا كان حرف

(١) هذه الألفاظ الأربعة ليس فيها مدزائد ولعله مصحف وأصله [وبناء وفناء والمناء وخباء الخ]. فليحرر.

العلة ياء أو واوا نحو رأيت وضوءا ، فيكتب بألف واحدة . و إن كان حرف العلة غير زائد للمد ، فلا صورة للهمزة فى الخط .

الحالة الثانية

(أن يكون ما قبل الهمزة متحركا)

فتكتب صورة الهمزة على حسب الحركة قبلها . فإن كانت الحركة فتحة ، رسمت ألفا ، نحو بَدَأَ ، وأَنْشَأَ "ومِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ" والمَلَأُ ، ويُسْتَهْزَأُ ، على البناء للمفعول ، و يُنْشَأُ كذلك ، ورأيت آمْرَأً وما أشبهه . و إن كانت كسرة رسمت ياء ، نحو قُرِئَ ، وآسْتُهْزِئَ ، ولكل آمْرِئٍ ، ومن شَاطِئٍ ، و يَسْتَهْزِئُ ، على البناء للفاعل ، و برئ ومررت بامرئ . و إن كانت ضمة ، رسمت واوا ، نحو آمْرُؤٌ ، واللؤلؤ ، وما أشبه ذلك ، إلا فى مثل النبأ إذا كان منصوبا منونا فقيل : يكتب بألفين نحو سمعت نبأا ، وقيل : بواحدة وهو الأَوْلىٰ . وإن آتصل بها ضمير ، فعلىٰ حسب الحركة قبلها كحالها إذا لم يتصل بها ضمير . وقيل : إن كان ماقبلها مفتوحا ، فبألف نحو لن يقرأه ، إلا أن تكون هى مضمومة فبواو ، إن قلنا بالتسهيل بين الهمزة والواو ، و بالياء إن قلنا بإبدالها ياء ، وقيل إن آنضم ما قبلها أو آنكسر ، فكما قبل الآتصال بالضمير ، فتجعل صورتها على حسب الحركة قبلها . و إن آنفتح ماقبلها وآنفتحت ، فبالألف نحو لن يقرأه ، وكذلك إذا آنفتح ماقبلها وسكنت نحو لم يقرأه ، ولم يَنَبَّأْهُ ، وآقرأه ، و إن نشأه وما أشبهه . و إن آنفتح ما قبلها وآنضمت ، فبالواو نحو يقرؤه . وقيل بالواو والألف كما كتبوا فى المصحف ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا﴾ و ﴿نَبَؤُا الْخَصْمِ﴾ و ﴿يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا﴾ بواو وألف فى الجميع . أو آنكسرت ، فبالياء نحو من المقرئه ، وقيل بها وبألف كما كتبوا فى المصحف ﴿مِن نَّبَأِى الْمُرْسَلِينَ﴾ بألف و ياء .

تنبيـــــه

قد تقدم فى الحذف أن همزة الوصل تحذف فى بعض مواضعَ وتثبت فيما عداها. فحيث ثبتت، كتبت بحسب حالها إذا ابتدئ بها. فإن كانت يبتدأ بها مضمومة، كتب ما يليها واوا إن كانت همزة أو واوا مبدلة منهـا، نحو اؤْتُمِنَ فلان، وقلت لك اؤمر فلانا بكذا ؛ وإن كانت يبتـدأ بها مكسورة، كتب ما يليها ياء إن كانت همزة أو ياء مبـدلة منها، نحو ائذن لى يازيد، ائت القوم، ائت عليهم كذلك وإن كان النطق بها واوا بضم ما قبلها نحو ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَقُولُ ٱئْذَنْ لِى﴾ تكتبه ياءً على الهمزة فى الابتـداء بها، ويستثنى فاء افعل من نحو يوْجل مثـل يوْسن فإنها تكتب واوا بعد الواو والفاء كما فى قولك فاوجل، واوجل. يكتبان بإثبات ألف الوصل، والواو بعدها ولم يكتبوها على ابتداء الهمزة. أما بعد غير الواو والفاء، فإنها تكتب بحسب الابتداء بها نحو قلت لهـا ايجلى، أو ثم ايجلى، وقلت لكم ايجلوا، فانك تلفظ به واوا وتكتبه ياء للانفصال؛ وإن كانت قبلها كسرة كانت ياء لفظا وخطا، نحو قلت لكِ ايجلى، وكذلك إذا ابتدئ بهمزة الوصل نحو ايجلى ياهند .

واعلم أنه إذا وقعت همزة استفهام وبعدها همزة قطع صورت همزة القطع بعدها بمجانس حركتها. فإن كانت الحركة فتحة كتبت ألفا، نحو أأسجد وإن كانت الحركة ضمـة كتبت واوا نحو أؤُنْزِل وإن كانت الحركة كسرة كتبت ياء نحو أئِنَّكَ لأنها إذا خُفِّفت بالبدل كان إبدال المفتوحة ألفا، وإبدال المضمومة واوا، وإبدال المكسورة ياء . وقد تحـذف المفتوحة خطا فتكتب بألف واحدة، نحو أسجـد كما فى رسم المصحف .

واختلف فى الساقطة من الهمزتين والحالة هذه : فقيل الثانية ، وهو قول أحمد ابن يحيى ؛ وقيل الأولى وهو قول الكسائى .

فلو كانت ثلاث ألفات فى اللفظ نحو قوله تعالىٰ : ﴿ أآلِهَتُنَا خَيْرٌ ﴾ فقال أحمد ابن يحيىٰ : تكتب بواحدة .

وٱختلف فى الثابتة ، فذهب الفراء وثعلب وٱبن كيسان إلىٰ أنها الاستفهامية لأنها حرف معنًى . وحكىٰ الفراء عن الكسائى : أنها الأصلية وحكاه ٱبن السيد عن غير الكسائى وحُكى عنه أنها ألف الجمع .

وقد تكتب غير المفتوحة ألفا نحو قوله أإنّك ،لأن الألف هى الأصل ، والهمزة حرف زائد لمعنًى كالواو والفاء فلا يعتدّ به ، لكنه قليل ، والله أعلم .

الجملة الثانية

(فى حالة التركيب والفصل والوصل)

وٱعلم أن الأصل فصل الكلمة من الكلمة ،لأن كل كلمة تدل علىٰ معنًى غير معنىٰ الكلمة الأخرىٰ ، فكما أن المعنيين متميزان فكذلك اللفظ المعبِّر عنهما يكون متميزا . وكذلك الخط النائب عن اللفظ يكون متميزا بفصله عن غيره . ويستثنىٰ من ذلك مواضعُ كتبت علىٰ خلاف الأصل :

(منها) أن تكون الكلمتان كشىء واحد ، وذلك فى أربعة مواضعَ .

الموضع الأول ـ أن تكون الكلمتان قد رُكّبتا تركيبَ مزج ،مثل بعلبك : ليدل علىٰ أن التركيب الذى يعتبر[1] فيه وصل الكلمة بالأخرىٰ هو تركيب المزج ،وهو أن يتحد مدلول اللفظين . بخلاف ما إذا رُكبتا تركيبَ إسناد نحو زيد قائم ،أو تركيبَ إضافة نحو غلامُ زيدٍ ،أو تركيبَ بناءٍ لم يتحد فيه مدلول اللفظين نحو خمسة عشرَ ، وصباحَ مساءَ ، وبينَ بينَ ، وحَيْصَ بَيْصَ ، فإن هذا كله يكتب مفصولا لا تخلط فيه كلمة بأخرىٰ .

---

(١) لعله يغتفر .

الموضع الثانى ـ أن تكون إحدىٰ الكلمتين لا يبتدأ بها فى اللفظ، نحو الضمائر البارزة المتصلة، ونون التوكيد، وعلامة التأنيث والتثنية والجمع فى لغة أكلونى البراغيث، وغير ذلك مما لا يمكن أن يبتدأ به، فكل هذا يكتب متصلا و إن كان من كلمتين .

الموضع الثالث ـ أن تكون إحدىٰ الكلمتين لا يوقف عليها ، وذلك ما كان نحو باء الجر، وفاء العطف ، ولام التأكيد ، وفاء الجزاء، فإن هذه الحروف لا يوقف عليها ، فلما آمتزجت فى اللفظ آمتزجت فى الخط فتكتب متصلة و إن كانت فى الحقيقة كلمتين .

الموضع الرابع ـ أن تكون الكلمة مع الأخرىٰ كشىء واحد فى حال مّا فاستصحب لها الآتصال غالبا : مثل بعلبك، إذا أعرب إعراب المضاف والمضاف إليه، فإن هذا الإعراب يقتضى أن تفصل إحدىٰ الكلمتين من الأخرىٰ ، لأن الإعراب قد فصلهما . أما إذا أعرب إعراب ما لا ينصرف فلا يصح فيه الفصل أصلا، لأن اللفظ الثانى منتهىٰ الآسم، فهو مفرد فى المعنىٰ وفى اللفظ .

وكتبوا لئلاَّ مهموزةً وغير مهموزة بالياء (وكان القياس أن تكتب بالألف) كما تكتب لأنْ إذا كانت اللام مكسورة بالألف فكذلك إذا زيدت عليها لا ، إلا أن الناس آتبعوا رسم المصحف ، وكذلك لَئِنْ فعلت كذا تكتبه بالياء آتباعا للمصحف، و إن كان القياس أن يكتب بالألف . وسيأتى الكلام علىٰ وصل لا بإن فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ .

(ومنها) توصل مِنْ الجارة وهى المكسورة الميم بما بعدها بعد حذف النون منها علىٰ ما تقدّم فى موضعين :

الموضع الأول ـ توصل بِمَن المفتوحة الميم مطلقا، سواء كانت موصولة نحو أخذت الدرهم مِمَّنْ أخذتَه منه ، أو موصوفة كما فى المثال المذكور فإنها فيه تحتمل

المعنيين جميعا، أو آستفهامية نحو مِمَّنْ أنت؟ أوشرطية نحو مِمَّن تأخُذْ درهما آخُذْ منه، وإنما وصلت بها لأجل آشتباههما خطا إذ لو كتبتا مِنْ مَنْ لكانتا مشتبهتين في الصورة فأُدغمت نون مِنْ في ميم مَنْ ونُزِّلت منزلة المدغم في الكلمة الواحدة، فلم يجعل له صورة بل حذف مع كتبه متصلا، وقد تقدّم الكلام علىٰ ذلك في الحذف. هذا هو المشهور الراجح.

وقال الأستاذ بن عصفور: إن كانت مَنْ آستفهاميةً، كتبت مفصولة علىٰ قياس ماهو من المدغمات علىٰ حرفين.

الموضع الثاني — توصل بعد حذف النون أيضا بما، إذا كانت موصولة نحو عجِبتُ مما عجِبتَ منه، أو آستفهامية نحو مِمَّ هذا الثوب؟ أو زائدة كما في قوله تعالىٰ: ﴿مِمَّا خَطَايَاهُمْ أُغْرِقُوا﴾. أما إذا كانت شرطية نحو مِنْ ماتأخُذْ آخُذْ، أوموصوفة نحو أكلتُ من ما أكلتَ منه، فإن القياس يقتضي أن تكون مفصولة.

وقال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور: إذا كانت ما غير آستفهامية، كتبت مِنْ معها، وقضيته أنها لاتكتب متصلة إلا في حالة الآستفهام فقط، وتكتب منفصلة فيما عداها.

قال الشيخ أثير الدين أبو حيّان رحمه الله: والأوّل أصح لأنّ علة الوصل في مِمَّن مفقودة في مما، وهي آلتباس اللفظين خطا.

(ومنها) توصل عن بما بعدها بعد حذف النون منها علىٰ ما تقدّم، في موضعين.

الموضع الأوّل — توصل بمَنْ الموصولة غالبا، نحو رَوَيْتُ عَمَّنْ رَويتَ عنه، ويجوز فصلها، فتفصل عن مِنْ مَنْ وتثبت النون في عن، وأما مَنْ غيرُ الموصولة، فالقياس فصلها، فتكتب في الآستفهام عن من تسأل؟ وفي الشرط، عن مَنْ ترض أرضَ عنه، فتفصل عَنْ مِنْ مَنْ علىٰ ما مر.

وزعم ٱبن قتيبة أن عَنْ مَنْ تكتب موصولة بكل حال ، سـواء الموصولة وغيرها كما تكتب عمّ وعمّا موصولة من أجل الإدغام. وزعم غيره أنه لا يؤثر الإدغام فى ذلك لأنهما كلمتان إلا فى نحو عمّا قليل لزيادتها .

الموضع الثانى ـ توصل بمـا الآستفهامية، كما فى قوله تعالىٰ ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ وتحذف الألف من ما علىٰ ماتقدّم فى الحذف .

(ومنها) توصل معَ بما إذا كانت زائدة، وتقطع إذا كانت موصولة، قاله ٱبن قتيبة .

(ومنها) توصل فى بمَنْ فى موضعين :

الموضع الأوّل ـ توصل بمَنْ الآسـتفهامية دائمـا نحو قولك : فيمَنْ تفكر ؟ ولكن لاتحذف اليـاء منها كما حذفت النون من عَنْ ومن، إذ لا إدغام هنا .

الموضع الثانى ـ توصل بما إذا كانت موصولة فى الغالب نحو فكّرتُ فيما فكّرت فيه ، ولا تسقط الياء علىٰ مامر . ويجوز فى هذه الحالة فصلها ، فتفصل "فى" عن "ما". وتكتب علىٰ هذه الصورة "فى ما" . وكذلك توصل بما إذا كانت آستفهامية نحو قوله تعالىٰ : ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ ولا تحذف ياؤها كما تقدّم .

أما مع إذا آتصلت بمـا أو بمن، فإنها تكتب منفصلة . قاله آبن قتيبة .

قال بعضُ النحاة: أظنّ سبب ذلك قلة الآستعمال، وإلا فما الفرق بين مع وبين فى . قال : وقد يمكن أن يفرق بينهما فى الآسمية، فإن فى لا تكون إلا حرفا ، ومع إن تحرّكت كانت آسمـا، وإن سكنت ، نخلاف والأصح الآسمية، وأيضا فإنها تنفصل ممـا بعدها .

(ومنها) توصل الحروف النواصبُ للاسم، الروافعُ للخبر، إذا دخلت علىٰ ما الزائدة نحو إنما وكأنما وليتما . فتكتب إنَّ وكأنَّ ولَيْتَ متصلات بما ، نحو إنما فعلت كذا، وإنمـا كلمتُ أخاك، وإنمـا أنا أخوك، وكأنمـا وجهُه قمر، وليتما هذا الشيءُ لى،

ونحو ذلك . فإن كانت ما موصولة، كتبت مفصولة نحو إنَّ ما قلتَ لَحَقٌّ ، وكأن ما حَدَّثت صحيحٌ، وليت ما لَكَ لى . علىٰ أنه قد جاء فى القرءان كثير من ذلك متصلا . وزعم بعضهم أنه لم يأت فى القرءان مفصولا إلا قوله تعالىٰ فى الأنعام : ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ .وقد كتبوا فى المصحف : ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ فى الطور وغيره متصلا .وكذلك : ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ .مع رفع كيد ونصبه،و إن كانت ما موصولة فى الموضعين .

(ومنها) توصل قلّ بما إذا دخلت عليها نحو قَلَّمَا أتيتك مائة مرة .

(ومنها) توصل إن الشرطية بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون نحو : ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ .

(ومنها) توصل إن الشرطية بما إذا جاءت بعدها بعد حذف النون نحو : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ . وإنما حذفت النون فى هذه وماقبلها لإدغامها كما فى مما وعما ونحوه .

(ومنها) توصل أين بما نحو : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ﴾ .لأن ما إذا دخلت علىٰ أين صارت جازمة إذ تقول : أين تكون أكون ، فترفع النون، فإذا دخلت عليها ما، قلت :أيتما تَكُنْ أَكُنْ بجزمت، فصارت أين وما كأنها كلمة واحدة.فإن كانت ما موصولة، فصلت نحو أين ما آشتريتَ تريد أين الذى آشتريتَ.

ولم يصلوا متىٰ بما بل كتبوها منفصلة عنها، إذ لو وصلت للزم قلب الياء ألفا كما فى حتام فتكتب متَام فيتعذر إدراكها .

(ومنها) توصل حيث أيضا بما نحو : ﴿وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ . كما تقدم فى أين .

(ومنها) توصل كل بمـا المصدرية، إذا دخلت عليها، نحو كُلَّمَا جئتنى أحسنتُ إليك . فإن كانت نكرة منعوتة كتبت مفصولة نحو كلُّ ماتفعلُ حسنٌ،وكلُّ ما كان منك حسنٌ .

قال ابن قتيبة: وكلُّ مَنْ مقطوعة علىٰ كل حال ومكان .

(ومنها) توصل هلْ بِلَا، وتحذف إحدىٰ اللامين علىٰ هذه الصورة (هَلَّا فعلت) وتقطعها من بل، فتكتب (بَلْ لاتفعل) .

قال ابن قتيبة :والفرق بينهما أنَّ لا إذا دخلت علىٰ هل تغير معناها،فكأنها معها كلمة واحدة،و إذا دخلت علىٰ بل لم تغير المعنىٰ تقول : بل تفعل، و بل لاتفعل، كما تقول :كى تفعل، وكى لاتفعل .

(ومنها) توصل بين بمـا الزائدة، نحو بينما أنا جالس، و بينما أنا أمشى .

(ومنها) توصل أىُّ بما إذا كانت ما زائدةً كما فى قوله تعالىٰ حكاية عن موسىٰ عليه السلام : ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ وكما تقول : أيّمـا الرجلين لقيتَ فأكرم . فإن كانت ماموصولة قطعت فتكتب أىُّ ماتراه أوفقُ،أىُّ ماعندك أفضلُ، مقطوعةً .

(ومنها) يوصل يوم وحين بإذٍ من قولك يومئذ وحينئذ،وكان القياس الفصل، علىٰ ما تقدم فى الهمزة .

(ومنها) توصل لَئِنْ ولِئَلَّا و إن كان كل منهما كلمتين . إذ الأصل لَإِنْ ولِأَنْ لا وقد تقدم بيان كتابتهما بالياء دون الألف، لكونهم جعلوه مع مابعده كالشىء الواحد.

(ومنها) توصل أنْ المفتوحة بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون علىٰ أحد الأقوال فتكتب علىٰ هذه الصورة (أَلَّا) . (والثانى)، تفصل منها وتثبت النون، فتكتب علىٰ

هذه الصورة : (أن لايقوم) . و(الثالث)، يُفَصَّل بين أن تكون مخفَّفة عن الثقيلة، فتكتب مفصولة نحو علمت أن لا يقومُ زيدٌ، وعلمت أنْ لا ضرر عندك، التقدير أنه لا يقوم وأنه لا ضرر عنـدك ولذلك ثبتت فى قوله تعالىٰ : ﴿وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ أو ناصبة للفعل فتقدر كَتْبها متصلة علىٰ اللفظ وتحذفها فى الخط، نحو يعجبنى ألَّا تقوم وهو قول الأخفش وٱبن قتيبة وٱختيار ٱبن السيد . (والرابع)، التفصـيل بين أن تدغم بِغُنَّةٍ، فتكتب منفصلة أو بغير غُنَّةٍ فينوَى الاتصال وتحذف خطا. ويروىٰ عن الخليل، وٱستحسنه بعض الشيوخ : وقد وقع فى القرءان مواضع متصلة ومواضع منفصلة فيجب ٱتباعها ٱقتـداء بالسلف . وقد وقع فى المصحف وصل مواضعَ القياسُ فصلُها ، فيجب وصلها فى المصحف ٱتباعا لرسمه ، وتوصل فى غيره فى الغالب أو فى بعض الأحوال .

(ومنها) وصلت بئس بمـا فى موضعين :

أحدهما ـ ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ فى البقرة .

والثانى ـ ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنْ بَعْدِى﴾ فى الأعراف .

(ومنها) وصلت نعم بمـا للادغام . وحكىٰ ٱبن قتيبة فيه الفصل والوصل .

(ومنها) وصلت إن بلم مع حذف النون للإدغام فى قوله تعالىٰ : ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ فى هُودٍ، بخلاف التى فى القَصَصِ فإنها كتبت مفصولة بإثبات النون .

(ومنها) وصلت أن بلَنْ مع حذف النون للإدغام فى سـورة الكهف فى قوله : ﴿أَلَّن نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ .

(ومنها) وصلت أَمْ بمَنْ فى نحو قوله تعالىٰ : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ .

قال محمد بن عيسىٰ: كل ما فى القرءان من ذكر أم فهو موصول إلا أربعة مواضع

فى النساء : ﴿ أَم مَّنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ . وفى التوبة : ﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ﴾ . وفى الصَّافَّات : ﴿ أَم مَّنْ خَلَقْنَا ﴾ . وفى فُصِّلَتْ : ﴿ أَم مَّنْ يَأْتِى آمِنًا ﴾ .

(ومنهـا) وصلت كى بلا فى نحو كَيْلَا ولِكَيْلَا فى أربعـة مواضعَ فى المصحف ، ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ ﴾ فى آل عمران . و ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ فى الحج و ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ فى الأحزاب . و ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا ﴾ فى الحـديد وما عداها فهو مقطوع كما فى أول الأحزاب .

ووجه ابن قتيبة المقطوع بأنك تقول : أتيتك كى تفعل وكى لا تفعل ، كما تقول : حتّى تفعل وحتّى لاتفعل فيختلف المعنىٰ بالنفى والإثبات فيه .

الفصل الخامس

من البـاب الثـانى من المقـالة الأولىٰ

(فيما يُكْتَب بالظاء ، مع بيان ما يقع الاشتباهُ فيه ممـا يُكْتَب بالضاد)

وإنمـا خصت الظاءُ بالذكر دُونَ الضاد لقلّة وقوع الظاء وكثرة وقوع الضـاد ؛ وخُصَّ ما يكتب بالظـاء بالذكر دُونَ ما يُكْتَب بالذال المعجمة ، لأن الدال والذال فى صُورة الكتابة واحد ، فلا يظهر خَطَأ الكاتب فيـه ، بخلاف الظاء والضاد : فإن شكلَهما مختلف فيظهَر خطأ الكاتب وعُوارُه فيه ؛ فلذلك وقعتِ العِناية بالتنبيه علىٰ ما يكتب بالظاء دُونَ ما يكتب بالذال المعجَمة .

وقد أوردْتُه علىٰ حروف المعجَم ليقربَ تناوُلُه .

حرف الألف

فيه ـ أظلَّ الشيء : إذا غَشِيَه ، أما أضَلَّه من الضَّلال إذا ضَلَّ دابتَه إذا نَدَّتْ ، فبالضـاد .

حرف الباء

فيه ـ بَهَظه الأمرُ : إذا أتعبه . وفيه ، البَظْر : وهو اللَّحمة المتدلّية من فَرْج المرأة ، التى تُقْطَع بالخِتَان .

حرف التاء المثناة فوق

فيه ـ التَّقْرِيظُ : وهو المدح ، والتلمُّظ : وهو تحريك الشفتين بعد الأكل لابتلاع ما حَصَل بين الأَسنان .

حرف الجيم

فيه ـ الجَوَّاظ : وهو الجافى المتكبِّر ، أو الأَكُول ، والجُحُوظ : وهو نُتُوُّ العين وبُدُورها ، ومنه أبو عُثمان الجاحظُ ، وجَحْظَة البرمكيُّ .

حرف الحاء المهملة

فيه ـ الحِفْظ : وهو ضدُّ النِّسيان ، والحَفِيظَة : وهى المَوْجِدَة ، والحَظُّ : وهو الغِنَىٰ والنصيب . ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ . وقوله : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ . أما الحَضُّ بمعنىٰ الحث فإنه بالضاد . ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ المِسْكِينِ ﴾ . والحُظْوة : وهى الرفعة ، والحَظْر : وهو المنع . ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هٰؤُلَاءِ وَهٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ . وقوله : ﴿ كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ ﴾ . وفى معناه الحَظِير : وهو المحوط من قصب ونحوه . أمّا الحُضُور خلافُ الغَيْبة فإنه بالضاد ، والحَنْظَل : وهو النَّباتُ المُرُّ المعروف .

حرف الشين المعجمة

فيه ـ الشَّظِيَّة : وهى القِطْعة من الشىء ، والشِّظَاظ : وهى عِيدانٌ لِطَاف يُجْمَع بها العِدْلان ، والشَّظَف : وهو خُشونة العيش ، والشُّوَاظ : وهو لَهَب النار . ومنه

قوله تعالىٰ : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾ . والشَّيْظَمُ : وهو الفَرَس الطويل الظهر، والشَّنَاظِى : وهى أطراف الجبال .

حرف الظاء المعجمة

فيه ــ الظَّنُّ : بمعنىٰ التخمين والشَّكِّ، والظِّنَّة : وهى التُّهمة . أما الضَّنُّ بمعنىٰ البخل فإنه بالضاد، وعلىٰ المعنيين قرئ قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ بالضاد والظاء : لاتّجاه المعنيين فى النبيّ صلى الله عليه وسلم إذ ليس ببَخِيل ولامتَّهَم، وفيه ظَلَّ يفعل كذا : إذا فعله نهارا . ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ فظلوا فيـه يَعْرُجُونَ ﴾ . وقوله : ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ". وقوله : "وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ .

أما ضَلَّ من الضلال : خلاف الهدىٰ، وضَلَّ الشيءُ : إذا ضاع، فبالضاد . وفيه الظِّلُّ : خلاف الحَرّ حيثما وقع وما يُشْـتَقُّ منه ، والظُّلْم وما يَتشـعَّب منه ، والظَّلام وما يتفرع منه ، والظَّلْم (بفتح الظاء) وهو ماء الأسنان ، والظَّلِيمُ : وهو ذَكَر النَّعام ، والظَّبْيُ : واحدُ الظِّباء ، والظَّبْيـة الأنثىٰ منه ، والظَّبْيَة : حَيَاءُ النـاقة ، والظُّبَة : وهو حدُّ السيف ، والظَّرْف : وهو الوِعاء الحَسَن ، والظَّعْن : وهو السَّفَر . ومنـه قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ . والظِّرَاب : وهى الهِضاب . أما الضِّرابُ مصدر ضاربْتُه فإنه بالضاد ، والظَّعينةُ : وهى المرأة ، والظِّلْف : وهو للبقر والغَنَم كالحافر للخيل ، والظَّلَف : وهو نزاهة النفس ، والظُّفُر : واحدُ الأظفار ، والظَّفَر : وهو النصر . أما ضَفْر الشَّعر ونحوه فبالضاد ، والظِّئْر : وهى المُرْضِـعة ، والظَّهْر : وهو العُضْو المعروف . أما الضَّـهْر : وهو صخرة فى الجبـل يخالف لونُهـا لونَه فإنه بالضاد ، والظَّهِير : وهو المُعِين ، والظَّهِيرة : وهى وَسَط النهار ، والظَّمأ : وهو العطَش ، والظِّرار جمع ظِرٍّ : وهو الغليظ من الأرض . أما الضَّرير : بمعنىٰ الأعمىٰ فبالضاد ،

والظَّرِبَان : وهى دُوَيْبَّةٌ منتنة الريح، والظَّلَعُ : وهو الغَمْزُ يقال ناقة ظالع إذا غمزت فى المشى. أما الضِّلَع واحد الأضلاع فإنه يكتب بالضاد، ومنه قولهم فرسٌ ضَلِيع.

حرف العين المهملة

فيه ـ العَظْم : وهو معروف، والعَظَمة : وهى الكِبرياء وما تصرَّف منها، وعَظَّه الدهر وعَظَّته الحرب . أما العَضُّ بالأسنان فبالضاد، والعَظْل[1] : وهو الشدّة، ومنه تَعاظُلُ الجراد والكلاب فى السِّفاد. أما العَضْل بمعنىٰ المنع فإنه بالضاد، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿فلا تَعْضُلُوهُنَّ أن يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ . وكذلك قولهم : أعضَلَ الأمرُ إذا صَعُب . ومنه الداء العُضَال، وسوق عُكَاظ : وهو سوق كان يقام للعرب فى الجاهلية وأصل العَكْظ الحَبْس .

حرف الغين المعجمة

فيه ـ الغَيْظ بمعنىٰ الحَنَق وما تفرَّع عنه، أما غاض الماءُ بمعنىٰ غار والغَيْضَة وهى مَنْبِتُ الشجر فى الماء فبالضاد، والغِلَظ وما تصرف منه .

حرف الفاء

فيه ـ الفَظَاظة : وهى القسوة ومنه قوله تعالىٰ : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ﴾ . أما انْفِضاض الجمع فبالضاد، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ . وكذلك افْتِضاض البكر والكِتَاب، والفَظِيع : وهو الشنيع ، وفاظَ الرجُل إذا مات. أما فَيْض الإناء والدمع بمعنىٰ السَّيَلان، فبالضاد، ومن ثَمَّ جاز أن يكتب فاظَتْ نفسُه بالظاء علىٰ معنىٰ ماتت نفسه ويجوز أن يكتب بالضاد علىٰ معنىٰ سالَتْ نفسه .

---

(١) كذا فى الضوء أيضا بالظاء المشالة . وفى اللسان فى مادة (ع ض ل) ... [وأصل العضل المنع والشدّة] أى بالضاد الساقطة ولم يذكره بهذا المعنىٰ فى مادة (ع ظ ل) .

حرف القاف

فيه ـ القَيْظ وهو صميم الحرّ وما تَصَرَّف منه . أما القَيْض الذى هو القشر الأعلىٰ من البيض فبالضاد ، وكذلك قَيَّضَ الله له كذا أى أتاحه له ، والقَرَظ : وهو ثمرة شجرة السَّنُط التى يدبَغُ بها الجلد . أما القَرْض بمعنىٰ القطع فبالضاد ، ومنه قَرْض المال .

حرف الكاف

فيه ـ الكَظْم : وهو كتم الحُزْن ، والكَظّ : وهو شدّة الحرب ، وكاظِمَةُ : وهو ٱسم مكان بالبحرَيْن .

حرف اللام

فيه ـ لَظَى : ٱسمُ جهنّمَ ، واللَّظّ : وهو اللزوم . ومنـه "أَلِظُّوا بيـاذا الجَلَالِ والإكرام" أى ٱلزموا هـذا الآسم فى الدعاء والمناجاة به ، والَّلحْظ : وهو النظر بمُؤْخِر العين ، واللَّمَظ : وهو بياضُ الجَحْفَلة السُّفْلَىٰ من الفرس ، ومنه قيل فرس أَلْمَظُ ، واللَّفْظ : وهو معروف وما تصرف من جميع ذلك .

حرف النون

فيه ـ النَّظْم وما تصرف منه ، والنَّظَر بالعين وما تصرف منه ، والنَّظِير وهو المثل . أما النَّضَارة بمعنىٰ البَهْجة فبالضاد ، ومنه قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ . ومنه ٱشتقاق بنى النَّضِير وفى معناه النُّضَارُ ٱسمُ الذهب ، والنَّظَافة : وهى خلاف القَذَارة .

حرف الواو

فيه ـ الوَظِيف : مافوقَ الرُّسْغ من ذوات الحافِر ، والوَظِيفةُ ، وأصلها الطعام الراتب ثم ٱستُعمِلت فيما هو أعَمّ من ذلك .

حرف الياء

اليَقَظَة : وهى خلاف النوم .

المقالة الثانية

فى المسالك والممالك؛ (وفيها أربعة ابواب)

الباب الأوّل

فى ذكر الأرض على سبيل الإجمال

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأوّل

(فى معرفة شكل الأرض، و إحاطة البحر بها، وبيان جِهَاتها الأربع، وما آشتملت عليه من الأُقاليم الطبيعية، وبيان مَوْقِع الأقاليم العُرْفية من الأقاليم الطبيعية، وذكر حدودها الجامعةِ لها، ومعرفة طريق آستخراج جهة كل بلد؛ وفيه طَرَفان).

الطَّرَف الأوّل

(فى شكل الأض، و إحاطة البحر بها)

أما شكل الأرض فقد تقرّر فى علم الهيْئة أن الأرض كُرِيَّة الشَّكْل والماء مُحِيط بها من جميع جهاتها إلا ما آقتضته العِنَاية الإلهيَّة من كشف أعلاها لوقوع العِمارة فيه؛ وقيل هى مُسَطَّحة الشَّكْل؛ وقيل كالتُّرْس؛ وقيل كالطَّبْل. والتحقيق الأوّل؛ وبكل حال فالماء محيط بها من جميع جهاتها كما تقدّم.

قال فى "تقويم البُلْدان"(١): وأحواله معلومة فى بعض المواضع دون بعض، فمن المعلوم الحالِ الجانبُ الغربىُّ ويسمّى بحر أُوقِيانُوس (بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنةٌ ثم قاف مكسورة ثم ياء مثناة تحتُ مفتوحةٌ ثم ألف بعدها نون ثم واو ثم سين مهملة).

(١) هذه الفقرة تناسب الكلام على البحار وقد ذكرها هناك.

ثم للأرض أربع جهات :

الأولىٰ ـ المَشْرِق، سميت بذلك لشُرُوق الشمس منها، ويقال لها الشَّرْق أيضا .

الثانية ـ المَغْرِب، سميت بذلك لغروب الشمس فيها، ويقال لها الغَرْب أيضا .

الثالثة ـ الشَّمَالَ (بفتح الشين) وهى التى إذا ٱستقبلتَ المَشْرِق كانت علىٰ شِمَالك ويقال لها الشام أيضا، لأن الشام كانت فى جهة الشَّمال عن بلاد المغرب فسميت الجهة به، وأهل مصر يسمون هذه الجهة البَحْرِيَّة : لكونها جهة البحر الرومىّ، أوتسميةً لها بٱسم الريح التى تهب منها فقد سبق أنهم يسمُّون الرِّيح التى تَهُبُّ من الشمال البحرية: لأنها يسار بها فى البحر كيف كان .

الرابعة ـ الجَنُوب (بفتح الجيم) وهى التى إذا ٱستقبلت المَشْرِق كانت علىٰ جانبك الأيمن ولم يُسَمَّ بالأيمن كما سُمِّى مقابلُه بالشِّمال، لأنه لما ذكر الشِّمال لم يبق إلا الجانبُ الأيمن فٱستُغْنِىَ عن ذكره، وأهل مصر يسمون هذه الجهة القبلية : لوقوعها فى جهة قِبلتهم ولذلك يبدءُون بها فى التحديد، وإن كان الأصل الأبتداءَ بالمشرق : لأن منه مبدأ حركة الفَلَك .

ثم كُرَة الأرض يقسمُها خطٌّ فى وسَطها بنصفين : نصفٍ جنوبىٍّ، ونصف شَمَالىّ، ويسمَّى هذا الخط خط الٱستواء لٱستواء الليل والنهار عنده فى جميع فصول السنة، ويقاطعه خطٌّ آخرُ يقسِمُها بنصفين : نصفٍ شرقىّ ونصف غربىّ، وتصير الأرضُ به أربعةَ أرباع، ويسمى هذا الخط خطَّ نصف النهار لمسامتة الشمس له فى نصف النهار، وكلٌّ من هذين الخطين مقسوم بمائة وثمانين درجةً، كل درجة ستون دقيقةً . وسيأتى تقدير ذلك بالأميال والفراسخ والمراحل والبُرُد فى الكلام علىٰ بُعْد ما بين البُلْدان فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

وآعلم أن كُلَّ مابَعُدَ عن أقصى العِمارة فى المَغْرِب إلى جهة المَشْرِق يعبَّر عنه عند علماء الهيئة والمِيقات بالطُّول ؛ وقد آختلف فى آبتداء ذلك : فالقُدَماء آبتدءُوه من جزائر بالبحر المحيط تُعْرَف بالخالدات ، يأتى الكلام عليها فى جملة جزائر البحر المحيط ، والمحقِّقون على آبتداء ذلك من ساحل البحر المحيط الغَرْبىّ الذى هو أقصى العمارة الآنَ ، و بينهما عَشْرُ دَرَج ، ونهايةُ العمارة فى المشرق موضعٌ يقال له كُنْدُز ، ومنتصفُ مابين الآبتداء والنهاية الشرقية يسمَّى قُبَّة أرين ، و يعبَّر عنه بقبة الأرض ؛ وهى على بعد رُبْع الدَّوْر من المبدإ الغربىّ ، ويختلف الحال فيه بآختلاف الآبتداء من الجزائر الخالدات أومن الساحل . ومابَعُد عن خط الآستواء المقدّم ذكره يعبَّر عنه بالعَرْض ؛ فإن كان فى جهة الجنوب فالعَرْض جنوبىٌّ ، وإن كان فى جهة الشَّمال فالعَرْض شَمَالىّ . ويعتبرَ الطُّول والعرض فى الأمكنة من البُلْدان وغيرها بالدَّرَج والدقائق على ما سيأتى بيانه فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

ثم النِّصف الجنوبىُّ من الأرض لاعِمَارة فيه إلافيما قارب خَطَّ الآستواء فى بعض بلاد الزَّنْج والحبشة ، وما والى ذلك ممـا لايزيد عَرْضُه على ثلاث دَرَج فيما أورده السلطان عماد الدين صاحب حماه فى "تقويم البُلْدان" أوستَّ عشْرَةَ درجةً وخمسٍ وعشرين دقيقة فيما ذكره إسحاق الحارثىّ وغيره . وأكثر المعمور إنما هو فى النصف الشَّمالىّ ؛ والعمارة فيه فيما بين خط الآستواء إلى نهاية ستّ وستين درجةً ونصف درجة فى العَرْض ؛ وماوراء ذلك إلى نهاية الشَّمال خرابٌ لاعِمارةَ فيه ، وغالب العمارة واقع بينما يجاوز عَرْضُه عشْرَ درج إلى حدود الخمسين درجةً ، وما وراء ذلك فى جهة الجنوب إلى خط الآستواء ، و فى جهة الشَّمال إلى حدّ العمارة غالبُه جبال وقِفَار ؛ وغالبُ العمارة فى الطُّول من ساحل البحر المحيط الغربىِّ إلى تسعين درجة فما دُونَها.

الطَّــرَف الثانى

(فيما آشتملت عليه الأرضُ من الأقاليم الطبيعية)

قد قَسَّم الحكماءُ المعمورَ إلىٰ سبعة أقاليم ممتدّة من المغرب إلىٰ المشرق فى عُرُوض قليلة تتشابهُ أحوال البقاع فى كل إقليم منها، ثم آختلفوا فى ترتيبها بحسَب العرض، فقوم جعلوا آبتداء الأوّل منها خطَّ الآستواء، وآخِرَ السابع منتهىٰ العمارة فى الشَّمال وهو ستٌّ وستون درجة علىٰ ماتقدّم .

قال فى "تقويم البُلْدان": والذى عليه المحقّقون أن آبتداء الإقليم الأول حيثُ العَرض آثنتا عشرةَ درجة وثلثا درجة، وما وراء ذلك إلىٰ خط الآستواء خارج عن الإقليم الأوّل فى جهة الجنوب، وآخر الإقليم السابع حيثُ العرضُ خمسون درجة وثلث درجة، وما وراء ذلك إلىٰ نهاية العُمْران فى الشَّمال خارجٌ عن الإقليم السابع إلىٰ الشمال فيكون من العمران مالم يدخل فى الأقاليم السبعة، وعليه وقع الترتيب فى هذا الكتاب .

الإقليم الأوّل — مبدؤه حيثُ العرض آثنتا عَشْرةَ درجةً وثلثَا درجة كما هو مذهب المحققين علىٰ ماتقدّم، ووَسَطه حيث العرض ستَّ عشرةَ درجة ونصفُ وثمن درجة، وآخره حيث العرض عشرون درجة وربعُ وثمنُ درجة، فتكون سعته سبع درجات وثلثى درجة وثمن درجة .

الإقليم الثانى — مبدؤه حيث العرض عشرون درجة وربعُ وثمن درجة، ووسَطُه حيث العرض أربع وعشرون درجة وثلثا درجة، وآخره حيثُ العرض سبعٌ وعشرون درجة ونصفُ درجة، فتكون سَعَتُه بالتقريب سبع دَرَج وثلاثَ دقائق .

الإقليم الثالث – مبدؤه حيث العرضُ سبعٌ وعشرون درجة ونصفُ درجة ؛ ووسَطُه حيث العرض ثلاثون درجة وثلثا درجة ؛ وآخره حيث العرض ثلاث وثلاثون درجة ونصف وثمن درجة (١) بالتقريب .

الإقليم الرابع – مبدؤه حيث العرض ثلاث وثلاثون درجة ونصفُ وثمن درجة ؛ ووسطه حيث العرضُ ست وثلاثون درجة وخمسُ وسدسُ درجة ؛ وآخره حيث العرضُ تسع وثلاثون درجة إلا عُشْرا ؛ فتكون سعتُه خمسَ دَرَج وسبعَ عشرةَ دقيقةً بالتقريب .

الإقليم الخامس – مبدؤه حيث العرضُ تسع وثلاثون درجة ؛ ووسطه حيث العرضُ إحدىٰ وأربعون درجةً وربعُ درجة ؛ وآخره حيث العرضُ ثلاث وأربعون درجة وربعُ وثمنُ درجةٍ ؛ فتكون سعَتُه أربعَ درجات وربعَ وثمنَ وعُشْرَ درجةٍ بالتقريب .

الإقليم السادس – مبدؤُه حيث العرض ثلاث وأربعون درجة وربعُ وثمنُ درجة ؛ ووسطه حيث العرض خمس وأربعون درجة وعُشْرُ درجة ؛ وآخره حيث العرض سبع وأربعون درجة وخمسُ درجة ؛ فتكون سَعتُه ثلاثَ درجات ونصف وثمنَ وخُمسَ درجة .

الإقليم السابع – مبدؤه حيث العرضُ سبع وأربعون درجة وخمسُ درجة ؛ ووسطه حيث العرض ثمانٌ وأربعون درجة ونصفُ وربعُ وثمنُ درجة ؛ وآخره حيث العرضُ خمسون درجةً وثلثُ درجة ؛ فتكون سعته ثلاثَ درجات وثمانَ دقائق .

(١) فتكون سعته ست درجات وثمن درجة [ولعل هذه الفذلكة سقطت من قلم الناسخ وقد ذكرت في الضوء وتقويم البُلدان] .

وأما أطوال هذه الأقاليم فإنها تختلف فى الطُّول والقِصَر باعتبار القُرْب من خط الاستواء والبعدِ عنه ، فكلّما قرُب الإقليم من خط الاستواء كان أكثر طُولا من الذى يليه : ضرورةَ أن أوسع الكُرَة وسَطُها وما بعده من الجانبين يقصُر شيئا فشيئا .

فطول الإقليم الأول - من ابتدائه من ساحل البحر المحيط الغربىّ إلى ساحل البحر المحيط الشرقىّ فيما ذكره فى "تقويم البُلْدان" مائةٌ واثنتان وسبعون درجةً وسَبْعٌ وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم الثانى - مائة وأربع وستون درجة وعشرون دقيقةً .

وطول الإقليم الثالث - مائة وأربع وخمسون درجة وخمسون دقيقة .

وطول الإقليم الرابع - مائة وأربع وأربعون درجة وسبع عشرةَ دقيقة .

وطول الإقليم الخامس - مائة وخمس وثلاثون درجة واثنتان وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم السادس - مائة وستٌّ وعشرون درجة وسبع وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم السابع - مائة وتسعَ عشرة درجة وثلاث وعشرون دقيقة.

الفصل الثانى

من الباب الأوّل من المقالة الثانية

(فى البحار التى يتكرر ذكرها بذكر البُلْدان فى التعريف بها والسَّفَر إليها ، وفيه طرفان)

الطـــرف الأوّل

(فى البحر المحيط)

وهو المستدير بالقَدْر المكشوف من الأرض . وأحوالُه معلومة فى بعض المواضع دون بعض .

فمن المعلوم الحالِ منه الجانبُ الغربىُّ ، ويسمّٰى بحر أُوقيانُوس ، وفيه الجزائر الخالدات المتقدّم ذكرها فى الكلام على الأطوال .

ويأخذ فى الامتداد من سواحل بلاد المغرب الأقصى من زُقَاق سَبْتَة الذى بين الأندلُس وبَرِّ العُدْوة إلى جهة الجنوب حتّٰى يجاوز صحراء لَمْتُونة : وهى بادية البربر بين طَرَف بلاد المغرب من الجَنُوب وبين طرف بلاد السودان من الشَّمال ، ثم يمتدّ جَنُوبا على أرضٍ خرابٍ غير مسكونة ولا مسلوكة حتّٰى يجاوز خط الاستواء المتقدّم ذكره إلى الجنوب .

قال الشريف الإدريسى : وماؤه هناك ثخين غليظ شديد الملوحة ، لا يعيش فيه حيوان ، ولا يسْلُك فيه مركب .

ثم يعطِف إلى جهة الشرق وراءَ جبال القُمْر التى منها منابع نيل مصر الآتى ذكْرُها ، فيصير البحر المذكور جنوبيا عن الأرض ، ويمتدّ شرقا على أراض خراب وراء بلاد الزنج ، ثم يمتدّ شرقا وشمالا حتّٰى يتصل ببحر الصين والهند ، ثم يأخذ مشرّقا حتّٰى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة ، وهناك بلاد الصين ، ثم ينعطف

فى شرق الصين إلى جهة الشّمال و يصير فى جهة الشرق عن الأرض، و يمتدّ شمالا على شرق بلاد الصين حتّى يتجاوز حدّ الصين ، و يسامت سدّ يأجوج ومأجوج ، ثم ينعطف و يستدير على أرض غير معلومة الأحوال، و يمتدّ مغربًا و يصير فى جهة الشمال عن الأرض، و يسامت بلاد الروس و يتجاوزها، ثم ينعطف غربا وجنوبا و يستدير على الأرض و يصير فى جهة الغرب منها، و يمتدّ على سواحل أمم مختلفة من الكُفَّار حتّى يُسامتَ بلاد رُومية من غربها ، ثم يمتـدّ جنوبا و يتجاوز بلاد رومية و يسامت البلاد التى بينها و بين الأندلس ، و يتجـاوزها إلى سواحل الأندلس، و يمتدّ على غربىّ الأَندُلُس جنوبا حتّى يجاوزه و ينتهى إلى زُقاق سَبْتة الذى وقعت البداءة منه .

الطَّـــرَف الثانى

(فى البحار المنبثّة فى أقطار الأرض، ونواحى الممالك، وما بها من الجزائر المشهورة)

وهى على ضربين :

الضرب الأوّل

(الخارج من البحر المحيط وما يتصل به)

والمشهور منه ثلاثة أبحر.

البحر الأوّل

(الخارج من البحر المحيط الغربىّ إلى جهة الشرق)

وهو (بحر الروم) وأضيف إلى الروم لسكنى أممهم عليـه من شَماليِّه، و يعبر عنه بالبحر الرومىّ أيضا، وقد يعـبَّر عنه بالبحر الشامىّ : لوقوع سواحل الشام عليه من شرقيه، ومَخْرَجُه من المحيط من بحر أُوقِيانُوس المتقدّم ذكره بين الأندلس و برّ العُدْوة

من بلاد المغرب، ويُسمّى هناك بحرَ الزُّقَاق، وربما قيل زُقَاق سَبْتَةَ ـ لمجاورته لها علىٰ ما سيأتى ؛ وهو هناك فى غاية الضيق .

قال الشريف الإدريسىّ : والثابت فى الكتب القديمة أن سَعَته عشرةُ أميال ولكنه آتسع بعد ذلك .

قال آبن سعيد : وهو فى زماننا ثمانيةَ عشرَ ميلا .

قال فى "الروض المعطار" ويذكر أنه كان عليه قنطرة عظيمة بين الأندلس وساحل طَنْجة من برّ العُدْوة، مبنيّةٌ بالحجارة، لا يُعلم لها نظير فى معمور الأرض، يمرّ عليها الناس والدوابُّ من جانب إلىٰ جانب، وأن البحر قبل الفتح الإسلامىّ بمائة سنة طمىٰ فأغرق القنطرةَ ؛ وربما ظهرتْ لأهل المراكب تحت الماء . قال : والناس يقولون إنه لابُدَّ من ظهورها قبل فَنَاء الدنيا .

ويبتدئ هذا البحر من أول بحر الزُّقاق المقدّم ذكره، ويمتدّ علىٰ (سواحل الغرب) إلىٰ حدود الديار المِصْريّة فيمرّ علىٰ مدينة (طَنْجة) حيث الطول ثمانُ درج، والعرض خمس وثلاثون درجةً ونصفٌ، ثم ينْعطف جنوبا وشرقا إلىٰ مدينة (سَلَا) .

ثم يمتدُّ شرقا وشَمالا إلىٰ مدينة (سَبْتة) ويمتدّ كذلك حتّى يسامت مدينة (فاس) قاعدة الغرب الأقصىٰ علىٰ بُعْد منه ؛ ثم يمتدّ إلىٰ حدود مدينة (تِلِمْسان) قاعدة الغرب الأوسط، ثم يأخذ شرقا بمَيْلة إلى الشمال حتّى يصير عند (الجزائر) فُرْضة بجاية، ويمرّ حتّى يسامت (بجاية) .

ثم يمتدُّ حتى يجاوز مدينة (مَرْسىٰ الخرز) الذى به مَغَاص المَرْجان شرقىَّ قُسَنْطِينَةَ : آخرِ مملكة بجايةَ من الشرق ، ثم يتجاوز مملكة بجايةَ إلىٰ أول حدود أفريقية، ويمرّ فى سمت وسط المشرق حتّى يقابل مدينة (تُونُس) قاعدة أفريقية من شماليها، ويدخل منه خور إلىٰ تُونُس المذكورة .

ثم يمتدّ بعد أن يتجاوز تُونُس نحوَ تسعين ميلا شرقا نَصًّا، ثم يَعْطِف جنوبا حتّى يصير له دخلة كبيرة فى الجنوب، وفى فَم هذه الدخلة حيث يعطف البحر عن الشرق إلى الجنوب جزيرة (قَوْصَرَة) مقابلة لجزيرة صقلية.

ثم يمتدّ فى الجنوب إلى قريب من مدينة (سُوسة)، ثم يشرق إلى سُوسة المذكورة ثم يأخذ شرقا وجنوبا إلى مدينة (المَهْدِيَّة)، ثم يمرّ شرقا وجنوبا حتّى يتجاوز مدينة (صَفَاقُس)، ويمتدّ حتّى يجاوز جزيرة (جِرْبَة)، ثم يعطف شمالا ويصير للبر الجنوبى دخلةٌ فى البحر، ويمتـدّ شرقا وشَمالا حتّى يبلغ مدينة (أطْرَابُلُس): وهى آخر مدن أفريقيَةَ، ثم يمتدّ شرقا حتّى يجاوز حدود أفريقية عند طول إحدى وأربعين درجة، ثم يمتـدّ شَمَـالا على سواحل (بَرْقَة) الآتى ذكرها فى جملة نواحى الديار المصرية إلى (طَلْميثا) ثم ينعطف إلى جهة الشمال، ويكون للبر فى البحر دخلةٌ إلى (رأس أوثان): وهو جبل داخل فى البحر، ثم يشرق من رأس أوثان إلى (رأس تُنْيَى): وهو جبل فى البحر قبـالة رأس أوثان من جهة الشرق، ثم يعطف إلى الجنوب ويمتدّ جنوبا حتّى يسامت (عقبـة بَرْقة): وهى أوّل حدود الديار المصرية، على ما يأتى ذكره فى تحديدها.

ثم يمتدّ على سواحل مصر، ويمرّ شرقا وجنوبا إلى مدينة (الإسكندرية) من قواعد الديار المصرية.

ثم يأخذ شرقا إلى عند مَصَبّ فِرْقة النيل الشرقية، ويأخذ مشرّقا إلى (رشيد)[1] ثم إلى (الفَرَما) ثم إلى (العَرِيش) ثم إلى (رَفَح): وهى منزلة فى طَرَف رمل الديار المصرية

(١) بياض فى الأصل. وفى الضوء [رشـيد عند مصب فرقة النيـل الغربية، ويمتدّ كذلك إلى مدينة دمياط، عند مصب فرقة النيل الشرقية، ويأخذ شرقا إلى الطينة ثم إلى الفرما ... ... الخ].

من جهة الشام على مرحلة من غَزَّة، حيث الطُّول نحو ستٍّ وخمسين درجة ونصف والعرضُ اثنتان وثلاثون درجة، ومن هنا ينقطع تشريقه .

ثم ينعطف و يأخذ شمَالا على (سواحل الشام) الآتى ذكرها فى الكلام على المملكة الشامية فيمتدّ إلى مدينة (غَزَّة)، ثم إلى (عَسْقَلان)، ثم إلى (يَافَا) مِيناء الرملة من أعمال الصَّفْقة الساحلية من دمشق، ثم إلى (قَيْسارِيَّة). (بفتح القاف) وهى مدينة خراب تعدّ من جُنْد فلسطين، كانت من أمَّهات المُدُن، ثم إلى (عَثْلِيث) من أعمال صَفَد، ثم إلى (عَكّا) من أعمالها، ثم إلى (صُور) من أعمالها، ثم إلى (بَيْروت) من أعمال الصفقة الشمالية من دمشق، ثم إلى (جُبَيل): وهى مدينة قديمة خراب، ثم إلى (أَنَفَة): من أعمال طرابلس، ثم إلى مدينة (طرابلس)، ثم إلى (أَنْطَرْطُوس) من أعمالها، ثم إلى (بُلُنْياس)(١) من أعمالها، ثم إلى (جَبَلة) من أعمالها، ثم إلى (اللَّاذِقيَّة) من أعمالها، ثم إلى (السُّوَيْدية) ميناء أنْطاكِيَة من أعمال حَلَب، ثم يأخذ البحر غربا بشمال إلى (أَيَاس)، مدينة الفتوحات الجاهانية، ثم إلى (المَصِّيصة) ثم إلى (أَذَنَة) ثم إلى (طَرَسوس) ثم يمتدّ شمَالا بغَرْب حتى يجاوز حدود بلاد الأرمن؛ و يمتدّ على سواحل بلاد الروم التى هى الآن بيد التركمان الآتى ذكرها فى مكاتبات ملوكهم إلى (الكُرْك). (بضم الكاف وسكون الراء المهملة) وهى بلدة بساحل بلاد المسلمين هى الآن بيد صاحب قبرس؛ ثم يمرّ شمَالا إلى (العَلَايَا)، ويقابلها من البر الآخر (دِمياط) من سواحل الديار المصرية تقريبا؛ ثم يمرّ إلى (أَنْطالِيَة)، ثم إلى (بَلَاط)، ثم إلى (طنفزلو)، ثم إلى (اياس لوق)، ثم إلى (مَغْنيسيا)، ثم إلى مدينة (ابزو): وهى بلدة على فم الخليج القسطنطينى من الشرق، وبها يعرف الخليج فيقال فم ابزو، ويقابلها من البر الآخر غربىُّ مدينة الإسكندرية، فيما بينها و بين بَرْقة؛ ثم يجاوز الخليج المذكور و يمتـدّ مغربا بمَيْلة إلى الجنوب على سواحل الروم والفرنجة، فيمرّ على بلاد المرا: وهى مملكة أوّلها فم الخليج القسطنطينى

(١) قال فى معجم البلدان [بضمتين وسكون النون]. وفى القاموس [بِلِنْياس كسِرِطراط] فلعل فيه لغتين.

المتقدم ذكره من جانبه الغربىّ . كانت فى الأيام الناصرية ابن قلاوون مشتركة بين صاحب القسطنطينية وبين طائفة الكيتلان من الفرنج، وقد فتحها الآن ابن عثمان واستملكها من الروم .

ثم يأخذ بين الغرب والجنوب حتى يجاوز بلاد (الملفجوط) وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به . ويقابلها من البر الآخر شرقىّ بَرْقة ، ثم يمتدّ فى الغرب إلى بلاد اقليرنس ، ثم إلى بلاد الباسليسة : وهى امرأة ملكت هذه البلاد بعد السبعمائة فعُرِفَتْ بها .

ويقابلها من البر الآخر أوساط بَرْقة . وبآخر هذه المملكة من جهة الغرب (جَوْن البنادقة) وهو خليج يخرج من بحر الروم هذا ، ويمتدّ غربا بشَمَالٍ حتّى يصير طَرَفُه غربىَّ رومية، وعلى طرفه مدينة (البُنْدُقية) ومن فمه إلى منتهاه نحو سبعمائة ميل ، ثم يجاوز فم الخور المذكور إلى مملكة بولية، وأولها فم خور البنادقة من الجانب الغربىّ .
ويقابلها من البحر الآخر (طَلْمِيثا) فُرْضة بَرْقة المتقدّمة الذكر ، ثم يمتدّ فى الغرب إلى بلاد (قلفريه) من جملة مملكة بوليه المتقدّمة الذكر .

ويقابلها من البر الآخر بلاد أطْرابُلس من بلاد إفريقية ، ثم يمتدّ إلى ساحل (رومية) ، المدينة المعظمة المشهورة .

ويقابلها من البر الآخر شرقىّ تُونُس من إفريقية . ثم ينقطع تغريبه ويأخذ جَنُوبا حتّى يجاوز سواحل بلاد رومية المذكورة إلى بلاد التُّسْقان : وهم جنس من الفرنج وبلادهم معروفة بنبات الزَّعفران .

ويقابلها من البر الآخر مدينة تُونُس : قاعدة أفريقية المتقدّمة الذكر ، ويمتدّ فى الجنوب إلى بلاد (بيزه) وهى بلدة على الركن الشمالىّ من جزيرة الأندلس إليها ينسب الفرنج البيازنة والحديثم البيزانىّ .

ويقابلها من البر الآخر (مَرْسَى الخرز) آخر مملكة بِجَايَةَ من الشرق على ماتقدم ذكره.
ثم يمتـد إلى بلاد (جَنوة) الآتى ذكرها فى الكلام على البلاد الشمالية، ثم يأخذ غربا إلى جبل البُرت: وهو الجبل الفاصل بين جزيرة الأندلس وبين الأرض الكبيرة ذات الأمم المختلفة، ثم ينقطع تغريبه ويعطف مشرّقا ويدخل الركن الشرقىّ من الأندلس فيه، ويمتدّ فى الشرق، ويستدير على الركن المذكور، ثم يعطف غربا ويمتدّ على (سواحل الأندلس) إلى مدينة (بَرْشَلُونه) ثم إلى مدينة (طَرْطُوشه).

قال فى "الروض المعطار": ويقابلها من البر الآخر مدينة بجاية.

قال فى "تقويم البلدان": وعرض البحر بينهما ثلاثة مجار، ثم يمتدّ كذلك بين الغرب والجنوب إلى مدينة بَلَنْسِية، ثم يعطف غربا إلى دانِيَة، ثم يمتـدّ غربا بجنوب إلى مدينة مالَقَةَ ثم يمرّ إلى الجزيرة: وهى مقابلة لساحل سَبْتة وطَنْجة حيث وقع الابتداء.

وسيأتى الكلام على ضبط مالم يُضبط من البلاد على ساحل هذا البحر بالحروف مع ذكر صفاتها عند التعرّض لذكرها فى الكتاب فى مواضعها إن شاء الله تعالى.

وطول هذا البحر من البحر المحيط إلى ساحل الشام فيما يُذكَر ألفُ فرسخ ومائة وسبعون فرسخا، وغاية عَرْضه فى بعض الأماكن ستمائة ميل.

وأما مايتصل بالبحر الرومىّ المتقدّم الذكر فبحر نِيطش (بنون مكسورة وياء مثناة تحت ساكنة وطاء مهملة مكسورة وشين معجمة فى الآخر). وهو المعروف فى زماننا ببحر القِرِم: لتركب بلاد القِرِم على ساحله، ويعرف أيضا بالبحر الأرمنىّ: لتركب بعض بلاد أرمينِيَةَ على بعض سواحله، وربما قيل فيه البحر الأسودُ: وهو متصل ببحر الروم المذكور من شماليّه، ويتركب عليه من آخره (بحر مانيطش) بزيادة لفظ "ما" فى أوله وباقى الضبط على ماتقدم وهو المعروف فى زماننا ببحر الأَزَق: لتركب بلاد الأَزَق على ساحله الشرقىّ وليس وراءه بحر متصلٌ به: ولذلك يُعبر عنه بعضهم ببحيرة مانيطش وهو

يصبُّ فى بحر نيطش، وبحر نيطش يصب فى بحر الروم، ولذلك تُسرع المراكبُ فى سيرها من القِرِم إلى بحر الروم، وتبطئ فى سيرها من بحر الروم إلى القِرِم لآستقبالها جَرَيان الماء .

وأوّل بحر نيطش المذكور مما يلى بحر الروم . (الخليج القسطنطينى) المتقدّم ذكره فى تحديد بحر الروم : وهو خليج ضيق للغاية بحيث يرى الإنسان صاحبه من البر الآخر .

قال آبن سعيد : وطول هذا الخليج نحو خمسين ميلا .

وذكر فى "تقويم البُلْدان" عن بعض المسافرين أن طوله سبعون ميلا وآتصاله بالبحر الرومىّ من جانبه الشمالىّ، ويمتدّ شمالا على (سواحل بلاد الروم) من البر الشرقىّ منه إلى (قلعة الجرون) وهى قلعة خراب على ساحل هذا الخليج مقابِلَ القسطنطينية ويمتدّ من الجرون شمالا بميلةٍ يسيرة إلى الشرق إلى مدينة كربى على خليج القسطنطينية على القرب من الجرون المذكورة، ثم يمتدّ شرقا بشَمالٍ إلى مدينة (كترو) ، وهى آخر مدن القسطنطينية التى على هذا الساحل، ثم يمتدّ إلى مدينة (كينولِى) وهى بلدة على الخليج القُسْطنطينىّ، ثم يأخذ بين الشَّمال والغرب، ويكون للبر دخلة فى البحر إلى جهة الغرب، وعلى طَرَف هذه الدخلة فرضة (سنوب) من سواحل الروم الآتى ذكرها فى مكاتبات ملوك الكفر، ثم يأخذ فى الآتساع إلى مدينة (سامسون) ، وهى بلدة من سواحل بلاد الروم، ثم يأخذ مُشَرِّقاً إلى مدينة (طرابزون)، وهى فُرْضَةٌ للروم بهذا الساحل، ثم يمتد شَمالًا بميلة إلى مدينة (سُخُوم)، وهى مدينة على ثلاثة أيام عن طرابزون شرقا بشَمالٍ، وبينها وبين بلاد الكَرَج يوم واحد، ويقال إنها من بلاد الكَرَج، ثم يمتدّ شرقا بشمال إلى مدينة (أَبْخاس)، وهى مدينة فى جبل على ساحل البحر على القرب من سُخُوم، ثم يتضايق البحر مُغَرِّباً ويضيق من البر الآخر حتّى يتقارب البَرّان ويصير

الماء بينهما مثل الخليج، وهو مصب بحر مَانِيطش فى بحر نِيطش، وعلىٰ جانب هذا الخليج مدينة (الطامَان) من سواحل الروم: وهى حدّ بلاد الروم، من مملكة بركة المشتملة علىٰ القِرم، ودَشْت القَبْجَاق، والسراى، وخُوَارِزْم علىٰ ما سيأتى بيانه فى مكاتبات القانات، ثم يأخذ فى الاتساع شرقا وشمالا وغربا ويصير كالبركة، ويمتد علىٰ سواحل الأَزَق الآتى ذكرها فى مكاتبات حاكمها إلىٰ مدينة الشقراق، وهى أول بلاد الأَزَق، ومنها ينتهى تشريقهُ، ثم يَعْطِفُ إلىٰ الشَّمال ويأخذ إلىٰ مدينة (الأَزَق)، ثم يستديرُ من الأزق حتّى يصير إلىٰ الغرب، وينتهى إلىٰ الخليج الذى بين بحر نيطش وبحر مانيطش المتقدّم ذكره .

وهناك مدينة الكِرْش من بلاد الأَزَق مقابل مدينة الطَّامَانِ المتقدّمة الذكر من البر الآخر، ثم يمرّ جَنُوبا ويمتد علىٰ سواحِل القِرم الآتية الذكر فى مكاتبة حاكمها، فيمرّ إلىٰ مدينة (الكَفَا) فرضة القِرم .

ويقابلها من البر الآخر مدينة طرابزون المتقدّمة الذكر، ثم يمتد كذلك إلىٰ مدينة صُوداق: وهى فُرْضة ببلاد القِرم أيضا .

ويقابلها من البر الآخر مدينة سامسون المتقدّمة الذكر، ثم يأخذ فى الانضمام جنوبا ويعطف مشرقا بحيث يكون للبر دخلة فى البحر، ويمتد علىٰ سواحل بلاد البلغار إلىٰ مدينة صَارِى كِرمان من بلاد البلغار، وبينها وبين صُلْغَات مدينة القِرم خمسة أيام .

ويقابلها من البر الآخر مدينة سَنُوب المتقدّمة الذكر، ثم يأخذ فى الاتساع غربا بميلة إلىٰ الجنوب ويمتد كذلك إلىٰ مدينة أَقْجا كِرمَان من بلاد البلغار، ثم يأخذ جنوبا ويمتد علىٰ (سواحل بلاد القُسْطَنْطِينِيَّة) إلىٰ بلدة صَقْجى، وعندها يصب نهر طُنَا (بطاء مهملة مضمومة بعدها نون وألف) . وهو نهر عظيم بقدر مجموع دِجْلَة والفُرَات، ثم

يتضايق و يأخذ شرقا حتّى ينتهى إلىٰ أوّل الخليج القُسْطَنْطِينِىّ المتقدّم ذكره، ثم يأخذ جنوبا و يتقارب البرّانِ و يمتدّ كذلك إلىٰ مقابل مدينة كربى المتقدّمة الذكر، ثم يمتدّ كذلك إلىٰ مدينة (القُسْطَنْطِينِيَّة) قاعدة ملك الروم الآتى ذكرها فى مكاتبة مَلِكها .

و يقابلها من البر الآخر قلعة الجرون المتقدّمة الذكر، ثم يمتد حتّى يصبّ فى بحر الروم حيث وقع الابتداء. وسيأتى الكلام علىٰ ضبط مالم يضبط من البلاد التى علىٰ ساحل هذا البحر المتقدّمة الذكر مع ذكر صفاتها عند الكلام علىٰ مكاتبات ملوكها وحُكّامها إن شاء الله تعالىٰ .

و ببحر نيطش المتقدّم ذكره علىٰ القرب من الخليج القُسْطَنْطِينِىّ جزيرة (مَرْمَرا) الآتى ذكرها عند الكلام علىٰ مكاتبة مَلِكها فى جملة ملوك الكفر إن شاء الله .

البحر الثانى

(الخارج من المحيط الشرقىّ إلىٰ جهة الغرب)

وهو بحر يخرج عند أقصىٰ بلاد الصِّين الشرقية الجنوبية مما يلى خط الاستواء حيث لا عرض، وقيل : علىٰ عرض ثلاث عشرة درجة فى الجنوب، و يمتدّ غربا بشَمال علىٰ (سواحل بلاد الصِّين) الجنوبية، ثم علىٰ المفاوز التى بين الصِّين والهِنْد حتّى ينتهىَ إلىٰ (جبال قامرُون) الفاصلة بين الصِّين والهِنْد .

قال ابن سعيد : ومدينة الملك بها فى شرقيها، ثم يجاوز (جبال قامرون) المذكورة و يمتدّ علىٰ سواحل بلاد (الهند) من الجنوب، و يمرّ علىٰ (سُفَالة الهند) وهى سُوفَارة، و يمتدّ حتّى ينتهىَ إلىٰ آخر الهند، ثم يمتدّ علىٰ مفازة السِّنْد الفاصلة بينه و بين البحر، و يمرّ حتّى ينتهىَ إلىٰ فم بحر فارس الخارج من هـذا البحر إلىٰ جهة الشَّمال علىٰ ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالىٰ .

ويجاوزه إلى بلاد اليمن فيمرّ على (ساحل مَهْرَة) : أوّل بلاد اليمن، ويمتدّ من شمالها على سواحل اليمن من جنوبيه حتى ينتهى إلى مدينة (عَدَن) فُرْضَة اليمن، ثم يمرّ من عَدَن إلى الشمال بميلة إلى الغرب نحو مجرًا حتى ينتهى إلى (باب المَنْدَب) وهو فُرْضَة بين جبلين، ويخرج منه ويمتدّ غربا بميلة إلى الشمال اثنى عشر ميلا، ثم يعطف شمالا ويمتدّ على سواحل اليمن الغربية إلى (عَلَاقِقَة) فرضة مدينة (زَبِيد)، ثم يمتدّ شمالا أيضا إلى مدينة (حَلْى) من أطراف اليمن من جهة الحجاز، وهى المعروفة بحَلْى ابن يعقوب ثم يمتدّ شمالا على (ساحل الحجاز) إلى (جُدَّة)، فرضةٌ على بحر القُلْزُم، ثم يمتدّ شمالا إلى (الجُحْفَة) ميقاتِ الإحرام لأهل مصر، ثم يمتدّ شمالا بميلة إلى الغرب حتى يتصل بساحل (يَنْبُع)، ثم يأخذ بين الغرب والشمال حتى يجاوز (مَدْيَن) الآتى ذكرها فى كُوَرِ مصر القديمة، ويمتدّ شمالا بجنوب حتى يقارب (أَيْلَة) الآتى ذكرها فى كُوَر مصر القديمة أيضا، ثم يعطف إلى الجنوب حتى يجاوز أَيْلَةَ المذكورة إلى مكان يعرف (برأس أبى محمد) ويكون للبر دخلة فى البحر فى جهة الجنوب، ثم يعطف شمالا حتى ينتهى إلى فُرْضَةِ (الطُّور) : وهى مكانُ حَطٍّ وإقلاعٍ لمراكب الديار المصرية، وما يصل إليها من اليمن وغيرها، ويمرّ فى الشمال حتى يصل إلى فُرْضَةِ (السُّوَيْس) : وهى مكانُ حَطٍّ وإقلاعٍ للديار المصرية أيضا، وعنده ينتهى بر العرب بحر القلزم ويبتدئ بر العجم.

وهناك يقرب هذا البحر من بحر الروم على ما تقدّم ذكره فى الكلام على أصل هذا البحر.

ثم من السُّوَيْس يعطف إلى الجنوب على ساحل مصر، ويمتدّ موازيا لبلاد الصعيد حتى ينتهى إلى مدينة (القُلْزُم) التى ينسب إليها هذا البحر الآتى ذكرها فى الكلام على كُوَرِ مصر القديمة، ويقابلها من برّ الحجاز أَيْلَةُ، ثم يأخذ عن القُلْزُم جنوبا بميلة إلى الشرق حتى يسامتَ فُرْضَةَ الطُّورِ المتقدّم ذكرها، وتصير فرضة الطُّور بين أَيْلَةَ

والقُلْزُم غربيَّ الدخلة المتقدم ذكرها، ثم يمتدّ كذلك حتّى ينتهى إلىٰ (القُصَيْر)، فُرْضَة قُوص، ثم يتسع فى جهتى الجنوب والشرق حتّى يكون ٱتساعه تسعين مِيلاً. وتسمّى تلك القطعة المتسعة بِرْكَةَ الغُرُنْدُلِ: وهى التى أغرق الله تعالىٰ فيها فرعون، ثم يأخذ جنوبا بميلة يسيرة إلى الغرب إلىٰ (عَيْذابَ)، فُرْضَةُ قُوص أيضا. ويقابلها من بَرّ الحجاز جُدَّةُ فُرْضَةُ مكة المشرّفة، ثم يمتدّ فى سمت الجنوب علىٰ (سواحل بلاد السودان) حتّى يصير عند (سَوَاكِنَ) من بلاد البجاة، ثم يمتدّ كذلك حتّى يحيط (بجزيرة دَهْلَكَ) وهى جزيرة قريبة من ساحل هـذا البحر الغربيّ، وأهلها من الحَبَشَـة المسلمين. ويقابلها من البر الآخر جنوبيُّ حَلْيِ ٱبن يعقوبَ من بلاد اليَمَن، ويمتـدّ حتّى يصل إلىٰ رأس (جبل المَنْدَب) المتقدم ذكره.

وهناك يضيق البحر حتّى يرىٰ الرجل صاحبه من البر الآخر.

ويقال: إنه بقدر رميتى سَهْم، وتُرىٰ جبـال عَدَنَ من جبال المَنْدَبِ فى وقت الصحو، ثم يتجاوز باب المَنْدَب ويأخذ شرقا وجنوبا، ويتسع قليلا قليلا ويمرّ علىٰ بقية سواحل الحبشة حتّى يمرّ بمدينة (زَيْلَعَ) من بلاد الحبشة المسلمين.

ويقابلها عَدَن من بَرّ اليَمَن، وهى عن عدَن فى الغرب بميلة إلىٰ الجنوب، ثم يمرّ إلىٰ مدينة مَقْدَشُو[(١)]، ثم يمتدّ كذلك حتّى ينتهىَ إلىٰ (خليج بَرْبَرَا) الخارج من بحر الهند فى جانبه الجنوبيّ علىٰ ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالىٰ.

ويتجاوز فم هذا الخليج ويمتدّ علىٰ (سواحل بلاد الزَّنْج) حتّى ينتهىَ إلىٰ آخرها، ثم يمتدّ علىٰ (سواحل بلاد الواق واق) علىٰ أماكنَ مجهولة حتّى ينتهى إلىٰ مبدئه من البحر المحيط الشرقيّ. علىٰ أنه فى تقويم البُلْدان لم يتعرّض لساحل هـذا البحر الجنوبيّ فيما هو شرقيّ باب المَنْدَبِ لعدم تحققه.

(١) فى تقويم البُلْدان [بكسر الدال] وفى معجم البلدان [بفتح الدال] فهما لغتان.

وآعلم أن هـذا البحر يسمّى فى كل مكان باسم ما يسامته من البُلْدان ، أو بآسم بعض البُلْدان التى عليـه . فيسمّى فيما يقابل بلاد الصِّين بحرَ الصِّين ، وفيما يقابل بلاد الهِنْـد إلى ماجاورها إلى بلاد اليمن شرقىّ باب المَنْـدَبِ بحرَ الهند ، وفيما دون باب المندب إلى غايته فى الشمال والغرب بحرَ القُلْزُم نسبةً إلى مدينة القُلْزُم المتقدّمة الذكر فى ساحل الديار المصرية .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وطول هذا البحر من طَرَف بلاد الصِّين الشرقىّ إلى القُلْزُم ألفان وسبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا بالتقريب ، ومقتضى كلام آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" أن طوله أربعة آلاف وتسعمائة وستة وستون فرسخا وثلثان : فإنه قد ذكر أن طول بحر الصين والهنـد إلى باب المَنْدَبِ أربعة آلاف وخمسمائة فرسخ ، ثم ذكر أن طول بحر القُلْزُمِ ألف وأربعمائة مِيلٍ ، وهى أربعمائة وسـتة وستون فرسخا وثلثان وبين الكلامين بَوْنٌ .

وكلام صاحب تقويم البُلْدان أقرب إلى الصواب . فإنه آستخرجه من تضريب الدَّرَج وآستخراج أميالهـا وفراسخها . وبآخر بحر القُلْزُمِ من الذراع الآخذ إلى جهة السُّوَيْسِ على مِيلٍ من مدينة القُلْزُم موضـع يعرف (بذَنَبِ التِّمْسَاح) يتقارب بحر القلزم وبحر الروم فيما بينه و بين الفَرَما حتى يكون بينهما نحو سـبعين مِيلا فيما ذكره ابن سعيد .

قال فى "الروض المعطار" : وكان بعض الملوك قد حفره ليوصل مابين القلزم وبحر الروم فلم يتأت له ذلك لآرتفاع القلزم وآنخفاض بحر الروم ، والله تعالى قد جعل بينهما حاجزا كما ذكر تعالى فى كتابه . قال : ولمـا لم يتأت له ذلك آحتفر خليجا آخر مما يلى بلاد تِنِّيس ودِمْيَاط وجرى المـاء فيه من بحر الروم إلى موضع يعرف بقيعان (؟) .

فكانت المراكب تدخل من بحر الروم إلىٰ هذه القرية ، وتدخل من بحر القُلْزُم إلىٰ ذَنَب التمساح فيقرب ما فى كل بحر إلىٰ الآخر، ثم آرتدم ذلك علىٰ طول الدهر .

وقد ذكر آبن سعيد أن عمرو بن العاص كان قد أراد أن يخرق بينهما من عنـد ذَنَب التمساح المتقـدّم ذكره فنهاه أمير المؤمنـين عمر بن الخطاب رضى الله عنـه . وقال : إذَنْ يَتَخَطَّفُ الرومُ الحُجّاجَ .

وذكر صاحب "الروض المِعْطار" أن الرشيد همّ أن يوصل ما بين هذين البحرين من أصل مَصَبّ النيل من بحر بلاد الحبشة وأقاصى صعيد مصر فلم يتأتّ له قسمة ماء النيل ، فرام ذلك مما يلى بلاد الفَرَمَا فقال له يحيىٰ بن خالد : إن تمّ هذا تُتَخطَّف الناسُ من المسجد الحرام ومكة ، وآحتجّ عليه بمنع عمر بن الخطاب عمرو بن العاص من ذلك ، فأمسك عنه .

ويتفرّع من البحر الهندىّ بحران عظيمان مشهوران ، وهما (بحر فارس ، والخليج البربرىّ) .

فأما بحر فارس ، فهو بحر ينبعث من بحر الهنـد المتقدّم ذكره من شماليّـه ، ويمتدّ شَمالا بميلة إلىٰ الغرب غربىّ (مفازة السِّنْد) الفاصلة بينه وبين بحر الهنـد ، ثم علىٰ غربىّ بلاد السـند ، ثم علىٰ أرض (مُكْرَانَ) من نواحى الهند ، ويخرج منه من آخر مُكْرَانَ خَوْرٌ يمتدّ شرقا وجنوبا علىٰ ساحل مُكْرَانَ والسِّنْد حتّىٰ يصير السند غربيّه ، ثم ينعطف آخره علىٰ (ساحل بلاد كِرْمَانَ) من شماليها حتّىٰ يعودَ إلىٰ أصل بحر فارس ، فيمتدّ شمالا حتّىٰ ينتهىَ إلىٰ مدينة (هُرْمُوز) وينتهى إلىٰ آخر كِرْمَانَ فيخرج منه خَوْر يمتـدّ علىٰ ساحل كِرْمَانَ من شمـاليّها ، ثم يرجع من آخره علىٰ ساحل بلاد فارس من جنوبيها حتى يتّصلَ بأصل بحر فارس ، ويمتدّ شَمَالا ثم يعطف ويمتـدّ مغرّبا إلىٰ (حصن آبن عُمَارَةَ) من بلاد فارس ، وقيل من بلاد كِرْمَانَ ، وهو اليوم خراب ،

ثم يمتدّ مغرّبا فى جبال منقطعة ومفاوزَ إلى مدينة (سِيرَاف)؛ ثم يمتدّ كذلك إلى (سِيفِ البحر) بكسر السين : وهو ساحل من سواحل فارس، فيه مزارع وقرى مجتمعة؛ ثم يمتدّ إلى (جُنَّابَةَ) من بلاد فارس، ثم يمتدّ إلى (سِينِيزَ) من بلاد فارس، وقيل من الأهواز ثم يمتدّ إلى مدينة (مَهْرُوبَانَ) من سواحل خوزستان، وقيل من سواحل فارس، وهى فُرْضَةُ (أَرَّجَانَ) وما والاها، ثم يمتدّ مغرّبا بميلة يسيرة نحو الشَّمال إلى مدينة (عَبَّادَانَ) من أواخر بلاد العِرَاقِ من الشرق على القرب من البَصْرَةِ عند مَصَبِّ دِجْلَةَ فى هذا البحر؛ ثم ينعطف و يمتدّ جَنُوبا إلى (كَاظِمَةَ) وهى جَوْنٌ على ساحل البحرين مما يلى البصرة على مسيرة يومين منها؛ ثم يمتدّ إلى (القَطِيف) من بلاد البَحْرَيْنِ ثم يمتدّ كذلك إلى مدينة (عُمَانَ) فُرْضَةُ بلاد البحرين، وإليها تنتهى مراكب السند والهند والزَّنْج، ويخرج على القرب منها عن يمين المُقْلِع من ساحلها فى جهة الغرب بحرُ ببلاد (الشَّحْرِ) من اليَمَن أيضا، وإليها ينسب العَنْبَر الشَّحْرِىُّ الطَّيِّبُ كما تقدم ذكره فى النوع الخامس فيما يحتاج إليــه من نفيس الطيب؛ ثم يمرّ على سواحل (مَهْرَةَ) من شرقىّ بلاد اليمن حتّى ينتهى إلى مَبْدَئه من بحر الهند .

قال فى "تقويم البُلْدان": وبهم هذا البحر ثلاثة أجْبُلٍ يخشاها المسافرون، يقال لأحدها كُسَيْر، والثانى عُوَيْر، والثالث ليس فيه خَيْر .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات": وطول هذا البحر أربعمائة فرسخ وأربعون فرسخا، وعُمْقُه ثمـانون باعا .

وأما الخليج البَرْبَرِىّ، فهو ينبعث من بحر الهنـد المتقدّم ذكره فى جنوبىّ جبل المَنْـدَبِ المتقدّم الذكر، ويمتـدّ فى جنوبىّ بلاد الحبشة، ويأخذ غربا حتّى ينتهى إلى مدينة بَرْبَرَا (بباءين موحدتين مفتوحتين وراءين مهملتين الأولى منهما ساكنة)

وهى قاعدة الزَّغَاوَةِ من السُّودَان، حيث الطولُ ثمان وستون درجةً والعرضُ ست درج ونصف .

قال فى "تقويم البُلْدان": وطوله من المشرق إلىٰ المغرب نحو خمسمائة مِيلٍ .

قال الشريف الإدريسىّ : وموجه كالجبال الشواهق ولكنه لا ينكسر . قال: يركب فيه إلىٰ جزيرة قنبلو ويقال قنبلة، وهى جزيرة للزَّنْج فى هذا البحر .

قال فى "القانون": وطولها آثنتان وخمسون درجة، وعرضها فى الجنوب ثلاث درج .

قال الإدريسىّ : وأهلها مسلمون .

البحر الثالث

(الخارج من المحيط الشمالىّ، المعروف ببحر بَرْدِيلَ)

(بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت ولام فى الآخر) .

قال آبن سعيد : ويقال له بحر برطانية أيضا، وهو بحر يخرج من شَمالىّ الأَنْدَلُسِ ويأخذ شرقا إلىٰ خلف جبل الأبواب الفاصل بين الأَنْدَلُسِ والأرض الكبيرة ، ويقرب طرفه الشرقىّ حتّىٰ يبقىٰ بينه وبين بحر الروم المتقدّم ذكره أربعون مِيلًا، وهناك مدينة (بَرْدِيلَ) التى يضاف البحر إليها .

الضرب الثانى

(من البحار المنبثة فى أقطار الأرض ما ليس له آتصال بالبحر المحيط)

وهو بحر الخَزَرِ (بفتح الخاء والزاى المعجمتين، وراء مهملة فى الآخر) .

ويسمّى بحر جُرْجَانَ لوقوع مدينة جُرْجَانَ على ساحله ، وبحر طَبَرِسْتَانَ لوقوع ناحية طَبَرِسْتَانَ على ساحله أيضا، وهذا البحر بحر مِلْحٌ متفرد عن البحار لا آتصال له بغيره البتة .

قال آبن حوقل : وهو مظلم القعر، ويقال إنه متصل ببحر نِيطش من تحت الأرض .

قال المسعوديّ : وهو غلط لا أصل له ،ولم أدر من أين أخذه قائله أَمِنْ طريق الحِس، أم من طريق الآستدلال والقياس .

قال الشريف الإدريسيّ : وهو مدوّر الشكل إلى الطُّول ،وقيل مثلث الشكل كالقلْع ،وعلى ساحله الجنوبيّ بلاد الجيل والدَّيْلَم ،وعلى جانبه الشرقيّ بلاد جُرْجَانَ والمفازةُ التي بين جُرْجَانَ وخُوارِزْم ،وعلى جانبه الشَّماليّ بلاد التُّرْك والخَزَر وجبال سِيَاهْ كُوهْ ،وعلى جانبه الغربيّ بلاد إيلاقَ وجبال القبْتِق ،وآبتداؤه من جهة الغرب عند مدينة (باب الحديد) المعروف بباب الأبواب من بلاد أَرّانَ ،حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض نحو إحدى وأربعين درجة على القرب من دَرْبَنْد شَرْوَانَ ، ثم يمتدّ جنوبا من باب الحديد أحدا وخمسين فرسخا ، وهناك مصب نهر الكُرّ فيه ،ثم يمتدّ مشرقا بانحراف إلى الجنوب ستة عشر فرسخا ،فيمر على أراضي مُوقان من عمل أَرْدَبِيل من أَذَرْبِيجانَ ، ثم يمتدّ جنوبا وشرقا حتّى تبلغ غايته في الجنوب حيث العرض سبع وثلاثون درجة قبالة مدينة (آمل) قصبة طَبَرِسْتَانَ، ثم ينعطف ويمتدّ شرقا حتّى يجاوز بلاد الجيل إلى مدينة آبَسْكُونَ ، وهي فُرْضَةُ جُرْجَانَ ، ثم يمتدّ إلى نهايته في الشرق حيث الطول ثمانون درجةً ، والعرض نحو أربعين عند مدينة جُرْجانَ ،وهي في الشرق منه قريبة من ساحله ، ثم ينعطف ويمتدّ شمالا وغربا حتّى يبلغ نهايته في الشمال حيث العرضُ نحو خمسين درجة ، والطولُ تسع وسبعون

درجة ، وفى شماليه وغربيه يصب نهر إتل (١) الذى عليه مدينة السراى قاعدة مملكة أزبك الآتى ذكرها فى مكاتبة قانهم إن شاء الله تعالىٰ .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وليس فى هذا البحر جزيرة مسكونة .

الفصل الثالث

من الباب الأوّل من المقالة الثانية

(فى كيفية آستخراج جهات البُلْدان والأبعاد الواقعة بينها، وفيه طرفان)

الطرف الأوّل

(فى كيفية آستخراج جهات البُلْدان)

إذا كنتَ فى بلد وأردتَ أن تعرف جهة بلد آخر عن البلد الذى أنت فيه ، فالذى أطلقه كثير من المُصَنِّفين أنك تعرف طول البلد الذى أنت فيه وعرضَه ، وطولَ البلد الآخر وعرضَه ، وتقابل بين الطولين وبين العرضين فإن كان ذلك البلد أعرضَ من بلدك مع مساواته له فى الطول ، فهو عنك فى جهة الجنوب . وإن كان أطولَ من بلدك مع مساواته له فى العرض ، فهو عنك فى جهة الشرق . وإن كان أقلّ طولا مع مساواته فى العرض ، فهو عنك فى جهة الغرب . وإن كان أطولَ وأعرضَ من بلدك ، فهو عنك بين الشرق والشّمال . وإن كان أقلَّ طولا وعرضا ، فهو عنك بين المغرب والجنوب . وإن كان أقلّ طولا وأكثرَ عرضا ، فهو عنك بين الجنوب والشّمال . وإن كان أكثر طولا وأقل عرضا ، فهو عنك بين الشرق والجنوب .

والذى ذكره المحققون من علماء الهيئة أن البلد إذا كان أطولَ من بلدك مع مساواته له فى العرض ، يكون عنك فى جهة الشرق بميلة إلى الشّمال . وإذا كان أقلّ

(١) فى معجم البلدان بالمثناة الفوقية [بوزن إبل] .

طولا مع مساواته له فى العرض ، يكون فى جهة الغرب بميلة إلىٰ الشمال أيضا . وإذا كان أقلّ طولا وعرضا، يكون بين المغرب والجنوب علىٰ ماتقدم، إلا أن يقلّ الفصل بينهما بأن يكون أقل من درجة ، فإنه يحتمل أن يكون كذلك وأن يكون علىٰ وسط المغرب . وإذا كان أقلّ طولا وأكثر عرضا، فإنه يكون بين المشرق والمغرب علىٰ ماتقدم، إلا أن يقل الفصل بينهما فيحتمل أن يكون كذلك وأن يكون علىٰ وسط المشرق .

الطرف الثانى

(فى معرفة الأبعاد الواقعة بين البُلْدان)

قد تقدّم أن الأطوالَ والعُرُوضَ فى الأمكنة والبُلْدان تعتبر بالدَّرج والدّقائق، وأن الدّرجة مقسومة بستين دقيقة، ثم الذى حققه القدماء كبَطْلَيْمُوسَ صاحبِ المَجَسْطِى وغيره تقدير الدّرجة بستة وستين ميلاً وثلثَىْ ميل ، وبه أخذ أكثر المتأخرين، وعليه العمل . وما وقع لأصحاب الرَّصَدِ المَأْمُونِىّ مما يخالف ذلك بنقص عشر درج مما لا تعويل عليه .

وقد نقل علاء الدّين بن الشاطر من المتأخرين فى "زيجه" عن القدماء أنهم قدّروا الدرجة بالتقريب بعشرين فرسخا ، وبستين ميلاً، وبمائتى ألف وأربعين ألف ذراع، وبخمسة بُرُدٍ، وبمسير يومين .

وقدّر الشافعىّ رضى الله عنه ذلك بسير يومين بالأيام المعتدلة دون لياليهما، وقدّر السير بالسير المعتدل، وتقدير الدرجة كما بين الفُسْطَاط ودِمْيَاط، فإن عَرْض دِمْيَاط يزيد علىٰ عرض الفُسْطَاط بدرجة وكسر يسير علىٰ ما سيأتى ذكره .

فاذا أردت أن تعرف كم بين البلد الذى أنت فيه وبين بلد آخر علىٰ الخط المستقيم، فلك حالتان :

الحالة الأولى – أن يكون ذلك البلد على سَمْتِ بلدك الذى أنت فيه فى الطول أو العرض، فانظركم درجة بينهما بالزيادة والنقص فاضربه فى ست وستين، وهو ما لكل درجة من الأميال، فما خرج من الضرب فهو بُعْد ما بينهما من الأميال على الخط المستقيم، فاعتبره بما شئتَ من المراحل والفراسخ والبُرُدِ على ما تقدم بيانه .

الحالة الثانية – أن لا يكون ذلك البلد على سَمْت بلدك الذى أنت فيه. فطريقك أن تقابل بين عَرْض بلدك وطوله، وبين عرض البلد الآخر وطوله، وتنظركم فَضْلُ ما بين الطولين وبين العرضين، وهو ما يزيده أحد الطولين أو أحد العرضين على الآخر فتضرب كلًّا من فَضْل الطولين وفضل العرضين فى مثله، وتجمع الحاصل من الضربين فما كان خذ جَذْرَهُ، وهو القدر الذى إذا ضربتَه فى مثله حصل عنه ذلك العدد، فما بلغ فهو مقدار ما بين بلدك والبلد الآخر من الدرج، فاضربه فى ست وستين وثُلُثين على ما تقدّم، فما بلغ فهو أميال . فاعتبره بما شئت من المراحل والفراسخ والبُرُدِ على ما تقدّم .

مثال ذلك – أن الفُسْطَاطَ طوله خمس وخمسون درجة، وعرضه ثلاثون درجة ودِمَشْقَ طولُها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصفُ درجة، ففضل ما بين طوليهما خمس درج، وفضل ما بين عرضيهما ثلاث دَرَج ونصف درجة، فتضرب فضل ما بين الطولين : وهو خمس درج فى مثله يبلغ خمسا وعشرين، وتضرب فضل ما بين العرضين، وهو ثلاث ونصف فى مثله يبلغ اثنى عشر وربعا، فتجمع ما حصل من الضَّرْبَين، وهو خمس وعشرون واثنا عشر وربع يكون سبعا وثلاثين وربعا تخذ جَذْرَها يكن ستا ونصفَ سُدُسٍ تقريبا، وهو ما بين الفُسْطَاطِ ودِمَشْقَ من الدَّرَج، فاضربه فى ست وستين وثُلُثين، وهى ما للدرجة الواحدة من الأميال يكن أربعمائة وخمسةَ أميال وثلثَ سدسِ مِيلٍ، فإذا اعتبرت كل أربعة

وعشرين ميلاً بمرحلة على ما تقدم، كانت سبع عشرة مرحلة تقريبا، وهو القدر الذى بين الفُسْطَاطِ ودِمَشْق على الخط المستقيم .

أما الطرق المسلوكة إلى البُلْدان على التعاريج بسبب البحار والجبال والأودية وغيرها، فإنها تقتضى الزيادة على ذلك .

وقد ذكر أبو الرَّيْحان البيرونىّ فى كتابه "القانون": أن زيادة التعريج على الاستواء يكون بقدر الخُمُس تقريبا . فإذا كان بين البلدين أربعون ميلاً على الخط المستقيم كانت بحسب سير السائر خمسين ميلاً .

قلت : وفيه نظر لطول بعض التعاريج على بعض فى الزيادة بالبحار والجبال عن الخط المستقيم على ما هو مشاهد فى الأسفار .

اللهم إلا أن يريد الغالب كما تقدّم بين الفُسْطَاطِ ودِمَشْقَ، فقد مرّ أن بينهما على الخط المستقيم سبع عشرة مرحلة بالتقريب، فإذا أضيف إليها مثلُ خمسها، وهو ثلاثة وخمسان، كانت عشرين مرحلة، وهو القدر المعتاد فى سيرها بالسير المعتدل .

واعلم أن أطوال البُلْدان وعُرُوضَها قد وقع فى الكتب المصنفة فيها ككتاب "الأطوال" المنسوب للفُرْس . و"رسم المَعْمُورِ" المترجم للمأمون من اللغة اليونانية . و" الزيجات " وغير ذلك اختلاف كثير وتباين فاحش . وممن صرح بذكر ذلك أبو الريحان البيرونىّ فى كتابه "القانون" فقال عند ذكرها : ولم يتهيأ لى تصحيح جميعها، وقد صححتُ ما أمكن منها .

قال فى "تقويم البُلْدان" : إلا أن معرفة ذلك بالتقريب خير من الجهل بالكلية .

الباب الثانى

من المقالة الثانيـــــة

(فى ذكر الخلافة ومَنْ وليها من الخلفاء، ومقرّاتهم فى القديم والحديث، وما آنطوت عليه الخلافة من الممالك فى القديم، وما كانت عليه من الترتيب، وما هى عليه الآن، وفيه فصلان)

الفصـل الأوّل

فى ذكر الخلافة ومن وليهـا من الخلفاء : من خلفاء بنى أُمَيَّةَ بالشام، وخلفاء بنى العبّاس بالعراق، وخلفاء الفَاطِمِيِّينَ بمصر، وخلفاء بنى أُمَيَّةَ بالأَنْدَلُس .

أما الخلافة، فسيأتى فى المقالة الخامسـة فى الكلام على الولايات أن المراد بها خلافة النبىّ صلى الله عليه وسلم بعده فى أمته . ولذلك كان يقال لأبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه : خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الراجح أنه لايجوز أن يقال فى الخليفة خليفة الله إلى تمام القول فيما سيأتى ذكره هناك، إن شاء الله تعالى .

وأما مَنْ وليها من الخلفاء، فعلى أربع طبقات .

الطبقة الأولى

(الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

وأوّلهم (أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه)؛ بويع بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم ! على ما سيأتى ذكره فى الكلام على البيعات من المقـالة الخامسة إن شاء الله تعالى .

وبقى حتى تُوُفِّىَ لتسع ليال بَقِينَ من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ودفن مع النبىّ صلى الله عليه وسلم! فى حُجْرة عائشة رضى الله عنها

وبويع بعده (عمر بن الخطاب رضى الله عنه) فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله عنه بعد أن عَهِدَ له بالخلافة ، وتُوُفِّىَ يوم السبت سَلْخَ ذى الحجة الحرام سنة ثلاث وعشرين بطعنة أبى لُؤْلُؤَةَ : غلامِ المغيرة بن شعبة ، ودفن مع النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه

وفى أيامه فتحت الأمصار ففتحت دِمَشْقُ على يد خالد بن الوليد وأبى عُبَيدة آبن الجرَّاح ، وتبعها فى الفتح سائرُ بلاد الشام ، ففتحت بَيْسَانُ ، وطَبَرِيَّةُ ، وقَيْسارِيَّة ، وفِلَسْطِينُ ، وعَسْقَلانُ ، وبَعْلَبَكُّ ، وحِمْصُ ، وحَلَبُ ، وقِنَّسْرِينُ ، وأَنْطَاكِيَةُ ، وسار إلى بيت المَقْدِسِ فى خلال ذلك ، ففتحه صُلْحًا .

وفُتِح من بلاد الجزيرة الفراتية الرَّقَّةُ ، وحَرَّانُ ، والمَوْصِلُ ، ونَصِيبِينُ ، وآمِدُ والرُّها .

وفُتِح من العراق القَادِسِيَّةُ ، والمَدَائِنُ ، على يد سعد بن أبى وَقَّاصٍ ، وزال مُلْكُ الفُرْسِ ، وآنهزم مَلِكُهم يَزْدَجِرْدُ إلى فَرْغَانَةَ من بلاد التُّرْك .

وفتحت أيضا كُوَرُ دِجْلَةَ ، والأُبُلَّةِ ، على يد عُتْبَةَ بن غَزْوَانَ .

وفتحت كُوَرُ الأَهْوَازِ على يد أبى موسى الأشعرىّ .

وفتحت نَهَاوَنْدُ ، وإِصْطَخْرُ ، وأَصْبَهَانُ ، وتُسْتَرُ ، والسُّوسُ ، وأَذْرَبِيجَانُ ، وبعض أعمال خُرَاسَانَ .

وفتحت مِصْرُ ، والإِسْكَنْدَرِيَّةُ ، وأَنْطَابُلُسُ ، وهى بَرْقَةُ ، وطَرَابُلُسُ الغرب ، على يد عمرو بن العاص .

وبويع بالخلافة بعده (عثمان بن عفَّان رضى الله عنه) لثلاث بقين من المحرّم سنة أربع وعشرين ، وقتل بالمدينة لثمانَ عشرةَ ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، وقيل يوم الأضحى ، وقيل غير ذلك .

وبويع بالخلافة بعده ﴿عليّ كرم الله وجهه﴾ يوم قتل عثمان ، وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة بالعراق ، ودفن بالنجف على الصحيح المشهور .

وبويع بالخلافة لابنه ﴿الحسن﴾ بالكوفة من العراق يوم قتل أبيه ، وسلم الأمر لمعاوية لخمس بقين من ربيع الأول ســنة إحدى وأربعين ، وقيل فى ربيع الآخر ، وقيل فى جمادى الأولى ، ولحق بالمدينة فأقام بها إلى أن تُوفِّى بها فى ربيع الأول سنة تسع وأربعين ، وقيل ست وخمسين .

الطبقـــــة الثـانية
(خلفاء بنى أمية)

أولهم ﴿مُعَاوِيَةُ بن أبى سُفْيَانَ﴾ كان أميرا على الشام فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنـه ، واستمرّ بها إلى أن سلم الحســن إليه الأمرَ ، فاستقلّ بالخلافة وبقى حتّى توفى بدِمَشْقَ مستهلَّ رجب الفرد سنة ستين من الهجرة ، وقيل فى النصف من رجب ، وهو أوّل من رتب أمور الملك فى الإسلام .

وقام بالأمر بعده ابنه ﴿يَزِيدُ﴾ بالعهد من أبيه ؛ وبويع له بعد وفاته فى رجب سنة ستين ، وتوفى لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين .

وقام بالأمر بعده ابنه ﴿مُعَاوِيَةُ﴾ وبويع له بالخلافة فى النصف من شهر ربيع الآخر ســنة أربع وســتين ، فأقام بالخلافة أربعين يوما ، وقيل ثلاثة أشهر ، وقيل عشرين يوما .

وقام بالأمر بعـده ﴿مَرْوَانُ بن الحَكَمِ﴾ ؛ وبويع له بالخلافة بالجابِيَة فى رجب ســنة أربع وستين ، ثم جُدّدت له البَيْعَةُ فى ذى القَعْدَةِ من الســنة المذكورة ، وتُوُفِّىَ بالطاعون بدِمَشْقَ فى شهر رمضان سنة خمس وستين .

وقام بالأمر بعده ابنه «عبد الملك» بالعهد من أبيه، وبويع له بالخلافة فى الثالث من شهر رمضان المذكور، وتوفى بدِمَشْق منتصف شوال سنة ست وثمانين .

وقام بالأمر بعده ابنه «الوليد» بالعهد من أبيه، وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وتوفى بدِمَشْق فى منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين .

وقام بالأمر بعده أخوه «سليمان بن عبد الملك» ، وبويع له يوم موت أخيه الوليد، وكان أبوه قد عهد أن يكون هو الخليفة بعد أخيه الوليد، وتوفى بدَابِق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين .

وقام بالأمر بعده ابن عمه «عمر بن عبد العزيز» بعهده له، وبويع له بالخلافة يوم موته، وتُوُفّى بخُنَاصِرَةَ لخمس وقيل لستٍّ بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

وقام بالأمر بعده «يزيد بن عبد الملك بن مَرْوان» بعهد من أخيه سليمان أن يكون له الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز، وقيل بعهد من أبيه أن يكون له الأمر بعد أخيه سليمان، ولكنه سلم لابن عمه عُمَر، وبويع له يوم موت عمر، وتوفى بحَوْلانَ لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة .

وقام بالأمر بعده أخوه «هشام بن عبد الملك» بعهد من أخيه يَزِيد، بويع له بالخلافة فى يوم موته ، وتوفى بالرُّصَافَةِ لِستٍّ خلون من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة .

وقام بالأمر بعده «الوليد بن يَزِيدَ بن عبد الملك» ، بويع له بالخلافة لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وقتل لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين[1] .

(١) أى فكانت خلافته سنة واحدة وشهرين .

وقام بالأمر بعـده ٱبنه (يزيد) المعروف بالناقص، سمى بذلك لنقصه الجند ما كان زادهم يَزِيدُ، بويع له بالخلافة يوم قَتْلِ الوليد، وتوفى بدِمَشْق لعشر بقين من ذى الحجة من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعـده أخوه (إبراهيم بن الوليد)، بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه فى ذى الحجة المذكور، فمكث أربعة أشهر، وقيل أربعين يوما ثم خلع نفسه .

وقام بالأمر بعـده (مَرْوان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعـدىّ) بتسليم إبراهيم بن الوليد الأمرَ إليه، وفى أيامه ظهرت دعوة بنى العبّاس، وقصدته جيوشهم فهرب إلى مصر، فأُدْرِك وقتل بقرية يقال لها بُوصِير من الفَيُّومِ، و بزواله زالت دولة بنى أُمَيَّةَ .

الطبقـة الثـالثة

(خلفاء بنى العَبّاسِ بالعِـراق)

وأوّل من قام بالأمر منهم بعـد خلفاء بنى أُمَيَّـةَ (السَّـفَّاحُ) وهو أبو العبّاس عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس: عم النبىّ صلى الله عليه وسلم، بويع له بالخلافة بالكوفة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ٱثنتين وثلاثين ومائة، وتوفى بالأنبار لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة .

وقام بالأمر بعـده أخوه (المنصور) أبو جعفر عبد الله، بويع له بالخلافة يوم موت أخيه السَّفَّاح، وتوفى بطريق مكة وهو محرم بالحج سنة ثمانٍ وخمسين ومائة، ودفن بالحَجُونِ .

وقام بالأمر بعده ٱبنه (المَهْدِىّ) أبو عبد الله محمد، بويع له بالخلافة يوم مات أبوه بطريق مكة وهو يومئذ ببغداد، وتوفى بماسَبَذانَ فى المحرّم سنة تسع وستين ومائة .

وقام بالأمر بعده ٱبنه (الهادى) أبو محمد موسى، بويع له بعد أبيه يوم موته وهو غائب(١)، فسار إلى بغداد ودخلها بعد عشرين يوما، وتوفى لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة .

(١) وكان مقيما بجرجان يحارب أهل طبرستان بعسكر أبيه .

وقام بالأمر بعده (الرشيد) أبو محمد هرون بن المَهْدىّ ؛ بويع له بالخلافة ليلة مات أخوه الهادى ، وتوفى ليلة السبت لثلاث خلون من جمادىٰ الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وقام بالأمر بعده آبنه (الأمين) أبو عبد الله محمد ، ويقال أبو موسىٰ ، ويقال أبو العبّاس ، بالعهد من أبيه هرون الرشيد ؛ وبويع له صبيحة الليلة التى توفى فيها أبوه الرشيد ، وقتل لخمس بقين من المحرّم سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم قام بالأمر بعده أخوه (المأمون) أبو العبّاس ، ويقال أبو جعفر عبد الله ، بالعهد له من أبيه الرشيد أن يكون له الأمر بعد أخيه الأمين ؛ وبويع له بالخلافة يوم قتل أخيه الأمين ببغداد وهو غائب ؛ وبويع له البيعة العامة لخمس بقين من المحرّم سنة ثمان وتسعين ومائة ، وتوفى بأرض الروم لليلة بقيت من رجب ، وقيل لثمان خلون منه سنة ثمانى عشرة ومائتين ، ودفن بطَرَسُوسَ .

وقام بالأمر بعده أخوه (المعتصم بالله) أبو إسحاق محمد بن هرون الرشيد ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه المأمون وهو يومئذ بطَرَسُوسُ ، فسار إلىٰ بغداد ، فدخلها مستهلَّ رمضان سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وتوفى بسَامَرّا لثمانى عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل سنة سبع وعشرين ومائتين .

وقام بالأمر بعده آبنه (الواثق بالله) أبو جعفر هرون ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه ، وتُوُفِّىَ بِسُرَّ مَنْ رَأىٰ لِستٍّ بقين من ذى الحجة سنة آثنتين وثلاثين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أخوه (المتوكل علىٰ الله) أبو الفضل جعفر ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه الواثق ، وقتل لثلاث خلون من شوّال سنة سبع وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ابنه (المستنصر بالله) أبو جعفر محمد؛ بويع له بالخلافة صبيحة قتل أبيـه المتوكل، وتوفى بسامرا لثلاث خلون من ربيع الآخر، وقيل لخمس خلون من ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده (المستعين بالله) أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله المتقدم ذكره؛ بويع له بالخلافة فى اليوم الثانى من موت المستنصر، وخلع نفسه لأربع خلون من ربيع الآخر سـنة ثمـان وأربعين ومائتين، وجهز إلى واسط، فقتـل بها فى آخر رمضان من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعـده (المُعتزّ بالله) أبو عبد الله محمد، وقيل أبو الزبير ابن المتوكل على الله المتقدم ذكره؛ بويع له ببغداد حين خلع المستعينُ نفسَه، وبايعه المستعين فيمن بايع، وخلع لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، ثم قتل بعد ذلك .

وقام بالأمر بعـده (المهتدى بالله) أبو عبـد الله، ويقال أبو جعفر محمد بن الواثق بالله المتقدم ذكره؛ بويع له بالخلافة بعد ليلتين من خلع المعتز بالله، وقتل لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سـنة ست وخمسـين ومائتين ؛ وكان يقـال هو فى بنى العبّاس مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أُمَيَّة .

وقام بالأمر بعـده (المعتمد على الله) أبو العباس، ويقال أبو جعفر أحمد بن جعفر المتوكل المتقدم ذكره؛ بويع له بالخلافة يوم قتل المهتدى بالله، وتوفى لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده (المعتضد بالله) أبو العباس أحمد بن الموفق، طلحة بن جعفر المتوكل؛ بويع له بالخلافة يوم قتل المعتمد على الله، وتوفى ببغداد لسبع وقيل لثمـان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمـانين ومائتين .

وقام بالأمر بعده آبنه (المكتفى بالله) أبو محمد علىّ ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المعتضد وهو غائب بالرَّقَّة، وكتب إليه بذلك فأخذ البيعة على من عنده وسار إلى بغداد، فدخلها لثمان خلون من جمادى الأولى من سنته، وتوفى ببغداد لثلاث عشرة ليلة، وقيل لثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أخوه (المقتدر بالله) أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله المتقدّم ذكره، وخُلِع لعشر بَقِين من ربيع الأوّل سنة ست وتسعين ومائتين .

وبويع (المرتضى بالله) أبو محمد عبد الله بن المعتز، فأقام يوما وليلة ثم آضطرب عليه الأمر فآختفى، وعاد الأمر إلى المقتدر فظفر بابن المعتز فصادره، ثم أُخرج من دار السلطان ميّتاً لليلتين خلتا من ربيع الآخر من السنة المذكورة، ثم خَلَع المقتدرُ بالله نفسه، وبويع بالخلافة أخوه القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد فأقام يومين، ثم عاد الأمر إلى المقتدر بالله وبقى حتى قُتِل لثلاث خلون من شوّال سنة عشرين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده أخوه (القاهر بالله) المتقدّم ذكره، لليلتين بقيتا من شوّال سنة عشرين وثلثمائة ، ثم خلع وسُمِلت عيناه لِستٍّ خلون من جمادى الأولى سنة آثنتين وعشرين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده آبن أخيه (الراضى بالله) أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله المتقدّم ذكره، وتوفى لستَّ عشرةَ ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده أخوه (المتقى بالله) أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله المتقدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة لعشر بقين من ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وثلثمائة، وخُلِع وسُمِلت عيناه لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبن عمه «المستكفى بالله» أبو القاسم[(١)] عبد الله بن المكتفى بالله المتقدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة يوم خلع المتقى بالله بمشاركته[(٢)] له، ثم خلع وسملت عيناه فى جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبن عمه «المطيع لله» أبو القاسم، ويقال أبو العباس الفضل ٱبن المقتدر بالله المتقدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة يوم خلع المستكفى، وخلع نفسه منها للعجز بالمرض فى الثالث عشر من ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة .

وولى الخلافة بعده ٱبنه «الطائع لله» أبو بكر عبد الكريم؛ بويع له بالخلافة يوم خَلْع أبيه المطيع لله، وقُبِضَ عليه لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة، فخلع نفسه .

وقام بالأمر بعده «القادر بالله» أبو العباس أحمد بن إسحاق؛ بويع له بالخلافة يوم خلع الطائع، وكان غائبا بالبطائح فأُحْضِر، وجدّدت له البيعة ببغداد فى شهر رمضان من السنة المذكورة، وتوفى حادى عشر ذى الحجة سنة ٱثنتين وعشرين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبنه «القائم بأمر الله» أبو جعفر عبد الله، بالعهد من أبيه، وجدّدت له البيعة بعد موت أبيه، توفى ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبن ٱبنه «المقتدى بأمر الله» عبد الله [بن] ذخيرة الدين محمد ابن القائم بأمر الله المتقدّم ذكره، وتوفى فجأة فى الخامس والعشرين من المحرّم سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبنه «المستظهر بالله» أبو العباس أحمد؛ بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه، وتوفى سادسَ عشر ربيع الآخر سنة ٱثنتىْ عشرة وخمسمائة .

(١) كذا فى العقد أيضا وفى حياة الحيوان [أبو العباس] .

(٢) ليست هذه الكلمة فى العقد ولا فى حياة الحيوان وهى قابلة الجدوى كما ترى .

وقام بالأمر بعده آبنه (المسترشد بالله) أبو منصور الفضل ؛ بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيـه المستظهر، وقتل فى قتال الباطنية سابعَ عشر ذى القعدة سـنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعـده آبنه (الراشـد بالله) أبو جعفر المنصور، بالعهد من أبيـه ؛ وجدّدت له البيعة يوم قتله ، وخلع فى منتصف ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعـده (المقتفى لأمر الله) أبو عبد الله محمد بن المستظهر المتقدّم ذكره ؛ بويع له بالخلافة يوم خلع الراشـد بالله ، وتوفى ثانى ربيع الأوّل سـنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده آبنـه (المستنجد بالله) أبو المُظَفَّر يوسف ؛ بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المقتفى ، وتوفى تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعـده آبنه (المستضىء بالله) أبو محمد الحسـن ؛ بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيـه المستنجد من أقاربه بيْعةً خاصة ، وفى عشره[(1)] بيْعةً عامة ، وتوفى ثانى ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده آبنـه (الناصر لدين الله) أبو العباس أحمد ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المستضىء ، وتوفى أوّل شوّال سنة آثنتين وعشرين وستمائة .

وقام بالأمر بعده آبنـه (الظاهر بأمر الله) أبو نصر محمد ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيـه الناصر ، وتوفى رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

وقام بالأمر بعده آبنـه (المستنصر بالله) أبو جعفر المنصور ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه الظاهر ، وتوفى لعشر خلون من جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة .

وقام بالأمر بعده آبنـه (المستعصم بالله) أبو أحمد عبـد الله ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيـه المستنصر بالله ، وقتله هُولَاكُو مَلِكُ التَّتارِ فى العشرين من المحرّم سنة

(١) أى ناشر ربيع الآخر التالى البيعة الخاصة الواقعة فى التاسع .

ست وخمسين وستمائة . وبقتله آنقرضت الخلافة العباسية من بغداد، وهو الثامن والثلاثون من خلفاء بنى العباس ببغداد إذا عدّت خلافة آبن المعتز، وحسبت خلافة القاهر أوّلا وثانيا خلافةً واحدة .

الطبقة الرابعـــة

(خلفاء بنى العبّاس بالديار المصرية من بَقايا بنى العبّاس)

وأوّل من قام بأمر الخلافة بها «المستنصر بالله» أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبى نصر محمد المتقـدّم ذكره . وذلك أنه لمـا قتل التتر المستعصم المتقـدّم ذكره، وبقيت الخلافة شاغرةً نحوا من ثلاث سنين ونصف ثم قَدِمَ جماعة من عرب الحجاز إلى مصر فى رجب سـنة تسع وخمسين وستمائة أيامَ الظاهر بيبرس، ومعهم المستنصر المذكور، وذكروا أنه خرج من دار الخلافة ببغداد لمّـا ملكها التَّتَرُ، فعقد الملك الظاهر له مجلسا حضره جماعة من العلماء، منهـم الشيخ عز الدّين بن عبد السلام شيخ الشافعية، وقاضى القضاة تاجُ الدين ابن بنت الأعز الشافعىّ، وهو يومئذ قاضى الديار المصرية بمفرده، وشهد أولئك العرب بنسبه، ثم شهد جماعة من الشهود على شهادتهم بحكم الآستفاضة، وأثبت آبن بنت الأعز نسبَه، ثم بايعه الملك الظاهر بالخلافة وأهلُ الحلّ والعقد، وآهتم الملك الظاهر بأمره، وآستخدم له عسكرا عظيما، وتوجه الملك الظاهر إلى الشام وهو صحبته فجهَّزه من هناك بعسكره إلى بغداد طمعا أن يسـتولى عليها وينتزعها من التـتار، فخرج إليه التتار قبل أن يصل بغداد فقتلوه، وقتلوا غالب عسكره فى العشر الأوّل من المحرّم سنة ستين وستمائة . فكانت خلافته دون السنة، وهو أوّل خليفة لقب بلقب خليفة قبله، وكانوا قبل ذلك يلقبون بألقاب مرتجَلَة .

وقام بالأمر بعده (الحاكم بأمر الله) أبو العباس أحمد بن حسين بن أبى بكر آبن الأمير أبى على القبى آبن الأمير حسن بن الراشد بالله أبى جعفر المنصور المتقدّم ذكره فى الخلفاء ببغداد . قدِمَ مصر سنة تسع وخمسين وستمائة، وهو آبن خمسَ عشرةَ سنة فى سلطنة الظاهر بيبرس، وقيل إن الظاهر بعث من أحضره إليه من بغداد، وجلس له مجلسا عاما أثبتَ فيه نسبَه، وبايعه بالخلافة فى سنة ست وستين وستمائة ، وأشركه معه فى الدعاء فى الخطبة علىٰ المنابر، إلا أنه منعه التصرّفَ والدّخول والخروج . ولم يزل كذلك إلىٰ أن ولِيَ السلطنة الملكُ الأشرف خليل بن المنصور قلاوون، فأسكنه بالكبش بخط الجامع الطولونى، فكان يخطب أيام الجمعة فى جامع القلعة ويصلى، ولم يطلق تصرفه إلىٰ أن تسلطن المنصور لاجين، فأباحه التصرف حيث شاء وأركبه معه فى الميادين، وتوفى فى شهور سنة إحدىٰ وسبعمائة .

وقام بالأمر بعده آبنه (المستكفى بالله) أبو الربيع سليمان بالعهد من أبيه الحاكم، وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وآستقرّ علىٰ ما كان عليه أبوه من الركوب والنزول وركوب الميادين مع السلطان إلىٰ أن أعيد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلىٰ السلطنة المرّة الثانية بعد خلع الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فى شهور سنة تسع وسبعمائة، فحصل عند السلطان منه وحشة، فجهزه إلىٰ قُوص ليقيم بها ، وبقى بقُوص حتّىٰ توفى فى سنة أربعين وسبعمائة .

وولى الخلافة بعده آبنه (المستعصم بالله) أبو العباس أحمد بعهد من أبيه المستكفى بأربعين شاهدا بمدينة قوص، ودعى له علىٰ المنابر فى العشر الأخير من شوّال سنة أربعين وسبعمائة .

ثم خلعه الناصر محمد بن قلاوون، وبايع بالخلافة (الواثق بالله) أبا إسحاق إبراهيم آبن الحاكم بأمر الله المتقدّم ذكره، وأمر بأن يدعىٰ له علىٰ المنابر، وتحمل له راية الخلافة،

فجرىٰ الأمر علىٰ ذلك . وكان قد هم بمبايعته بعد موت المستكفى فلم يتم له . فلما توفى الملك الناصر فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدىٰ وأربعين وسبعمائة، أعيد المستعصم بالله أحمد المتقدم ذكره إلى الخلافة بعد خلع الواثق إبراهيم، وبقى حتّى توفى رابعَ شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

ثم ولى الخلافة بعده أخوه (المعتضد بالله) أبو الفتح أبو بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان سابع عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وتوفى عاشر جمادىٰ الأولىٰ سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

وولى الخلافة بعده ٱبنه (المتوكل علىٰ الله) أبو عبد الله محمد بن المعتضد بالله المتقدم ذكره بالعهد من أبيه المعتضد، وٱستقر له الأمر بعد وفاة أبيه يوم الخميس ثانى عشر جمادىٰ الأولىٰ سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وبقى حتّى خلعه الأمير أَيْبَكْ أتابكُ العساكر فى سلطنة الملك المنصور علىّ بن الأشرف شعبان بن حسين .

وولى الخلافة مكانه (المستعصم بالله) أبو يحيىٰ زكريا بن الواثق إبراهيم المتقدم ذكره ، فأقام فى الخلافة دون ثلاثة أشهر . ثم أعيد المتوكل علىٰ الله محمد بن أبى بكر إلىٰ الخلافة ثانيا فى أواخر المحرّم أو أوائل صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة، وٱستمرّ حتّى قبض عليه الظاهر برقوق وٱعتقله بقلعة الجَبَل فى مستَهَلّ شهر رجب سنة خمس وثمانين وسبعمائة .

وولّى الخلافة مكانه (الواثق بالله) أبو حفص عمر بن الواثق بالله إبراهيم المتقدم ذكره، فبقى حتّى توفى فى العشر الأول من شوّال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، فأعاد الظاهر برقوق المستعصم بالله زكريا المتقدم ذكره ثانيا إلىٰ الخلافة، والمتوكل علىٰ الله فى الٱعتقال والناس لا يَرَوْنَ فى كل ذلك الخليفةَ غيره .

ثم عنّ للملك الظاهر برقوق بعد ذلك فأطلق المتوكلَ على الله من الاعتقال، وأكرمه وأحسن إليه فى ثانى جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وبقى فى الخلافة حتى توفى سابع عشرى شهر رجب الفرد سنة ثمان وثمانمائة .

وولى الخلافة بعده آبنه ﴿ أبو الفضل العباس ولُقِّبَ المستعينَ بالله ﴾ وبقى فى الخلافة على سَنَنِ من تقدمه من الخلفاء العبّاسيين بالدّيار المصرية من قصور أمره على العهد إلى السلطان والدعاء له على المنابر قبل السلطان إلى أن قبض على الناصر فرج بن برقوق بالشام فى الثانى عشر من ربيع الأول من سنة خمس عشرة وثمانمائة، فاستقلَّ بالأمر واستبدّ به، وأجمعوا له أمر الخلافة: من ضرب آسمه على السِّكّةِ فى الدنانير والدراهم والدعاء له على المنابر بمفرده، والعلامة على التقاليد والتواقيع والمكاتبات وغيرها، وفوّض أمر تدبير دولته للأمير "شيخ" وكُتب له تفويضٌ فى ورق، عرضُه ذراعٌ ونصفٌ بذراع البز، يزيد عما كان يكتب فيه للسلاطين نصف ذراع بقلم مختصر الطومار .

وكان المتولى لأمر كتابته المقرّ الشمسىّ محمد العمرى عين أعيان كُتّاب الدست الشريف بالأبواب الشريفة السلطانية، ونائب كاتب السر . وسيأتى ذلك فى الكلام على التواقيع فى المقالة الخامسة إن شاء الله تعالى .

واما مقرّات الخلفاء، فهى أربع مقرّات :

المقرة الأولى

(المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام)

كانت مقرّة الخلفاء الراشدين إلى حين آنقراضهم، وذلك أن مبدأ النبوّة كان بمكة ثم هَاجَر النبىّ صلّى الله عليه وسلم إلى المدينة، وأقام بها حتّى تُوُفِّىَ[1] فى الثالث عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرةَ من الهجرة .

(١) المشهور أن وفاته يوم الاثنين الثانى عشر الخ ولكن فى العقد "لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول" ولعل المؤلف آعتمده .

ثم كان بعده فى الخلافة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علىّ، ثم الحسن إلىٰ حين سَلَّمَ الأمر لمعاوية، وإنما كانَ مُقام علىّ والحسن بالعراق زمن القتال بينهما وبين معاوية .

المقرّة الثانيـــة

(الشـــأم)

وهى دار خلفاء بنى أُمَيَّة إلىٰ حين آنقراضهم

قد تقـدّم أن معاوية كان أميرا علىٰ الشأم قبـل الخلافة، ثم آستقل بالأمر حين سَـلَّمَ إليه الحسنُ، وبقى فى الشأم هو ومَنْ بَعْدَهُ إلىٰ حين آنقراض خلافتهم، فقتل مَرْوَانُ بن محمـد علىٰ ماتقدّم ذكره . وكانت دارُ إقامتهم دِمشق، وإن نزلوا غيرها فليس لإقامة .

المقرّة الثـالثـــة

(العِـــراق)

وهى دار خلفاء بنى العبّاس

وكان أوّل مبايعة السَّفّاح به بالكوفة علىٰ ماتقدّم، ثم بنىٰ بعد ذلك بالأنْبَارِ مدينةً وسماها الهـاشمية ونزلها . فلما ولى أخوه أبو جعفر المنصورُ الخلافةَ بعده بنى بَغْدَادَ وسكنها وصارت منزلا لخلفاء بنى العبّاس بعده إلىٰ حين آنقراض الخلافة منها بقتل التتر المستعصمَ آخرَ خلفائهم بهـا .

المقرّة الرابعـــة

(الديار المصرية)

وهى دار الخلافة الآن

وقد تقدّم سبب آنتقال الخلافة إليها بعد آنقراضها من بغداد فى الكلام علىٰ من ولى الخلافة من الخلفاء، فأغنىٰ عن إعادته هنا .

وقد تقدم أن الحاكم بأمر الله ثانيَ خلفائهم بمصر أسكنه الأشرفُ خليل بن قلاوون بالكبش بخُطّ الجامع الطُّولُونيّ . أما الآن فاستقرّت دار الخلافة بخُطّ المشهد النفيسيّ بين مصر والقاهرة، ولا أخلىٰ الله هذه المملكة من آثار النبوّة .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الثانية

(فيما آنطوت عليه الخلافة من الممالك فى القديم، وما كانت عليه من الترتيب ، وما هى عليه الآن)

أما ما آنطوت عليه من الممالك، فآعلم أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد فتح مكة وما حول المدينة من القرىٰ كخَيْبر ونحوها .

وفتح خالد بُصْرىٰ من الشأم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه، وهى أول فتح فُتِح بالشأم، ثم كانت الفتوح الكثيرة فى خلافة عمر رضى الله عنه ، ففتح بلادَ الشأم، وكُوَر دِجْلَة والأُبُلَّة ، وكُوَرَ الأهْوَازِ، و إصْطَخْر، وأصْبَهان ، والسُّوس ، وأَذْرِبِيجان ، والرَّيّ، وجُرْجَان، وقَزْوِين ، وزَنْجان، و بعض أعمال خُرَاسَان . وكذلك فتحت مِصْرُ، و بَرْقَةُ، وطَرَابُلُس الغرب .

ثم فتح فى خلافة عثمان رضى الله عنه : كَرْمَانُ ، وسِجِسْتَان ، ونَيْسَابُورُ، وفارِسُ ، وطَبَرَسْتَان ، وهَرَاةُ ، و بقية أعمال خُرَاسَانَ . وفتحت أرْمِينِيَةُ ، وحَرَّانُ ، وكذلك فتحت أفْرِيقِيَةُ ، والأَنْدَلُس، وسدّ الإسلامُ مابين المشرق والمغرب، وكانت الأموال تُجْبىٰ من هذه الأقطار النائية والأمصار الشاسعة، فتحمل إلىٰ الخليفة، وتوضع فى بيت المال بعد تكفية الجيوش وما يجب صرفه من بيت المال. ولم يزل الأمر علىٰ ذلك إلىٰ أثناء خلافة بنى العباس ، ماعدا الأَنْدَلُس فإن بقايا خلفاء بنى أمية آستولَوْا عليه

حتى يقال : إن الرشيد كان يستلق على ظهره وينظر إلى السحابة مارّة ويقول : "آذهبى إلى حيث شئت يأتينى خَرَاجُك" ثم آضطرب أمر الخلافة بعد ذلك وتقاصر شأنها وآستبد أكثر أهل الأعمال بعَمَله من خلافة الراضى على ماسيأتى ذكره فى الكلام على ترتيب الخلافة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما ترتيب الخلافة : فله حالتان ،

الحالة الأولى

(ما كان عليه الحال فى الزمن القديم)

اعلم أن الخلافة لآبتداء الأمر كانت جارية على ما أُلِف من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم : من خُشونة العيش، والقُرْب من الناس، وآطّراح الخُيَلاء وأحوال الملوك، مع ما فتح الله تعالى على خلفاء السلف من الأقاليم، وجبى إليهم من الأموال التى لم يفُز عظماء الملوك بجزء من أجزائها . وناهيك أنهم فتحوا عِدّةً من الممالك العظيمة التى كانت يضرب بها المثَل فى عظَم قدرها، وآرتفاع شأن ملوكها، من ممالك المشرق والمغرب . حتى ذكر عظماء الملوك عند بعض السلف فقال: "إنما المَلِكُ الذى يأكل الشعير ويَعُسُّ على رجليه بالليل ماشيا وقد فُتِحَتْ له مشارقُ الأرض ومغاربُها" يريد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولم يزل الأمرُ على ذلك إلى أن سلّم الحسنُ رضى الله عنه الأمرَ لمُعَاوِيَةَ ، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : "الخِلافَةُ فى أُمتى ثلاثُونَ سنةً ثم مُلْكٌ بعد ذلك" فكان آخر الثلاثين خلافةَ الحسن .

فلما سلّم الحسن رضى الله عنه لمعاوية بعد وقوع الآختلاف وتبايُنِ الآراء، آقتضى الحال فى زمانه إقامةَ شِعَارِ الملك، وإظهارَ أُبهة الخلافة، فأخذ فى ترتيب أمور الخلافة على نظام الملك لما فى ذلك من إرهاب العدو وإخافته . بل كان ذلك شأنه وهو

أمير بالشأم قبل أن يلى الخلافة. حتى حكى صاحب "العقد" وغيره أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم الشأم فى خلافته وهو راكب على حمار، ومعه عبد الرحمن بن عوف، ومعاوية أميرٌ على الشأم، فخرج معاوية لملاقاته فى موكب عظيم، فلقيه فى طريقه فى خِفٍّ من القوم فلم يشعر به وتعدّاه طالبا له، ثم عُرِّف ذلك فيما بعد، فرجع وسلَّم على أمير المؤمنين عمر، ومشى إلى جانبه، فلم يلتفت إليه وطال به ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتعبتَ الرجل يا أمير المؤمنين، فالتفت إليه حينئذ، وقال: أنت صاحب الموكب الآنَ مع ما يبلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك؟ — فقال: يا أمير المؤمنين: إنا بأرض يكثر فيها جواسيسُ العدو فأحتاجُ أن أُظهر لهم من أُبَّهَة المُلك والسلطان ما يَزَعُهُمْ، فإن أمرتنى به، ائتمرت، وإن نهيتنى عنه، انتهيت — فقال: إن كان ماقلتَ حَقًّا، فإنه لَرَأْىُ أديبٍ! وإن كان غير حق، فإنه لَخُدعة أريب. لا آمُرك ولا أنهاك — فقال عبد الرحمن: لَحَسَنٌ يا أمير المؤمنين! ما صَدَرَ به هذا الفتى عما أوردْتَه فيه — فقال: لِحُسْنِ مَصَادِرِه وموارده جَشَّمْنَاهُ ما جشمناه.

فلما صارت الخلافة إليه، زاد فى حسن الترتيب و إظهار الأُبَّهة، وأخذ الخلفاء بعده فى مضاعفة ذلك والاحتفال به حتى أمست الخلافة فى أغنى مايكون من ترتيب الملك، وفاقت فى ذلك الأكاسرةَ والقياصرة. بل اضمحلّ فى جانب الخلافة سائر الممالك العظام، وانطوى فى ضمنها ممالك المشارق والمغارب، خصوصا فى أوائل الدولة العباسية فى زمن الرشيد ومَنْ والاه.

حتى يحكى أن صاحبَ عَمُّورِيَّةَ من ملوك الروم كانت عنده شريفةٌ مأسورةٌ فى خلافة المُعْتَصِم فعذّبها، فصاحت وَا مُعْتَصِماه! فقال لها: لا يأتى المعتصم لخلاصك إلا على أبْلَق. فبلغ ذلك المعتصم، فنادى فى عسكره بركوب الخيل البُلْقِ، وخرج

وفى مقدّمة عسكره أربعـةُ آلاف أبلق، وأتىٰ عَمُّورِيَّةَ لحاصرها وخلص الشريفة،
وقال: آشهدى لى عند جدّك المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم أنى جئت لخلاصك،
وفى مقدّمة عسكرى أربعة آلافِ أَبْلَق .

وقد حكىٰ آبن الأثير فى تاريخه: أنه لما وصلت رُسُل ملك الروم إلىٰ بغداد فى سنة خمس وثلثمائة فى خلافة المقتدر، رُتِّبَ من العسكر فى دار الخلافة مائة وستون ألفا ما بين راكب وراجل، ووقف بين يدى الخليفة سبعُمائة حاجب، وسبعة آلاف خادم خَصِىٍّ : أربعـة آلاف بِيض وثلاثة آلاف سُود، ووقف الغِلْمـان الحُجَرِيَّةُ الذين هم بمثابة مماليك الطباق الآن بالباب، بتمام الزينة والمناطق المُحَلَّاة، وزينت دار الخلافة بأنواع الأسلحة، وغرائب الزينـة، وغُشِّيت جُدْرَانُها بالستور، وفرشت أرضها بالبُسُط، وكان عدّة البسط آثنين وعشرين ألف بساط، وعدّة الستور المعلقة ثمـانيةً وثلاثين ألف ستر، منها آثنا عشر ألف ستر من الديباج المُذْهَبِ، وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب والفضة بأغصانها وأوراقها، وطيورُ الذهب والفضة علىٰ أغصانها، وأغصانُها تمـايل بحركات موضوعة، والطيور تُصَفِّرُ بحركات مرتبة، وألقيت المراكب والدبادب فى دِجْلَةَ بأحسن زينـة . وكان هنـاك مائة سَبُع مع مائة سَبَّاع، إلىٰ غير ذلك من الاحوال الملوكية التى يطول شرحها .

هذا مع تقهقر الخلافة وآنحطاط رتبتها يومئذ . ولم تزل الخلافة قائمةً علىٰ ترتيبٍ واحد فى النفقة والجرايات والمطابخ وإقامة العساكر إلىٰ آخر أيام الراضى بالله .

فلما ولى المُتَّقِى لله، تقاصر أمرُ الخلافة وتناقص، وقَنِـع الخلفاء من الخلافة بالدعاء علىٰ المنابر وضَرْبِ آسمهم علىٰ الدنانير والدراهم ، وربما خطب الواحد منهم بنفسه، ومع ذلك فكان الخليفة هو الذى يولّى أربابَ الوظائف من القُضاة وغيرهم، وتكتب عنه العهود والتقاليد وغيرها لا يشاركه فى ذلك سُلْطَان .

وأما شعار الخلافة :

فمنها — الخَاتَمُ : والأصل فيه ماثبت فى الصحيح "أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم ! قيل له : إن الملوك لا يَقْرءُون كتابا غير مختوم فاتّخذ خاتَما من وَرِقٍ، وجعل نَقْشَهُ محمدٌ رسول الله " فلما تُوُفّىَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم، لبسه أبو بكر بعده ثم لبسه عمر بعد أبى بكر، ثم لبسه عثمانُ بعد عمرَ، فوقع منه فى بئر فلم يُقْدَرْ عليه .

واتخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيمَ، لكل خاتَم نقشٌ يخصه، وبقى الأمر على ذلك إلى انقراض الخلافة من بَغْدَادَ .

(ومنها) البُرْدة : وهى بردة النبيّ صلّى الله عليه وسلم التى كان الخليفة يلبسها فى المواكب .

قال ابن الأثير : وهى شَمْلَةٌ مُخَطَّطة، وقيل كِساءٌ أسودُ مربّع فيه صِغَرٌ، وقد اختلف فى وصولها إلى الخلفاء .

فحكى المَاوَرْدىّ فى الأحكام السلطانية عن أبان بن تغلب أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم كان وَهَبها لكعب بن زُهَيْرٍ حين امتدحه بقصيدته التى أولها : "بَانَتْ سُعَادُ" فاشتراها منه معاوية. والذى ذكره غيره أن كعبا لم يسمح ببيعها لمعاوية، وقال: لم أكن لأوثِر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا . فلما مات كعب اشتراها معاويةُ من ورثته بعشرة آلاف درهم .

وحكى المَاوَرْدىّ أيضا عن حَمْزَةَ بن ربيعة أن هذه البردة كان النبيّ صلّى الله عليه وسلم أعطاها لأهل أَيْلَةَ أمانًا لهم، فأخذها منهم عبد الله بن خالد بن أبى أوفى وهو عامل عليهم من قِبَل مَرْوانَ بن محمد آخرِ خلفاء بنى أُميَّةَ وبعث بها إليه، وكانت فى خِزَانته حتى أُخذت بعد قتله. وقيل اشتراها أبو العبّاس السفّاحُ: أوّلُ خلفاء بنى العبّاس بثلثمائة دينار .

(ومنها) القَضِيب : وهو عُود كان النبيّ صلّى الله عليه وسلم يأخذه بيده .

قال الماوردىّ : وهو من تَرِكَة النبيّ صلّى الله عليه وسلم التى هى صدقة .

قلت : وكان القضيب والبردةُ المتقدّما الذكر عند خلفاء بنى العبّاس ببغدادَ إلى أن انتزعهما السلطان سنجر السَّلْجُوقِىّ من المسترشد بالله، ثم أعادهما الى المقتفى عند ولايته فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة. والذى يظهر أنها بقيت عندهم إلى انقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة فإن مقدار ما بينهما مائةٌ و إحدى وعشرون سنة، وهى مدّة قريبة بالنسبة إلى ماتقدّم من مدّتهما.

(ومنها) ثياب الخلافة : وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماه فى تاريخه فى الكلام على ترجمة الملك السعيد إسماعيل أحد ملوك بنى أيوب باليَمَنِ أنه كان به هَوَجٌ، فادّعى أنه من بنى أمية ولبس ثياب الخلافة، ثم قال: وكان طول الكم يومئذ عشرين شِبْرًا، فيحتمل أنه أراد زمن بنى أمية، وأنه أراد زمن بنى أيوب .

(ومنها) اللون فى الأعلام والخِلَع ونحوها .

وكان شعار بنى أُميـة من الألوان الخُضْرَة، فقد حكى صاحب حماة عن الملك السعيد إسماعيل المتقدّم ذكره : أنه حين ادّعى الخلافة وأنه من بنى أُميَّـةَ لبس الخُضْرَةَ، وهذا صريح فى أنه شِعَارُهم .

أما بنو العباس فشعارهم السَّوَادُ، وقد اختلف فى سبب اختيارهم السَّوَادَ، فذكر القاضى المَاوَرْدِىّ فى كتابه "الحاوى الكبير" فى الفقه : أن السبب فى ذلك أن النبىّ صلّى الله عليه وسلم فى يوم حُنَيْنٍ و يومِ الفَتْح عقد لعمه العبّاس رضى الله عنه رايةً سوداء .

وحكى أبو هلال العسكرى فى كتابه "الأوائل" : أن سبب ذلك أن مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية حين أراد قتل إبراهيم بن محمد العباسى : أول القائمين من بنى العباس بطلب الخلافة قال لشيعته : لا يهولنكم قتلى، فإذا تمكنتم من أمركم فاستخلفوا عليكم أبا العباس يعنى السفاح ؛ فلما قتله مروان، لبس شيعته عليه السواد، فلزمهم ذلك وصار شعارا لهم .

ومن غريب ماوقع مما يتعلق بذلك ما حكاه ابن سعيد فى "المغرب" أن الظافر الفاطمى أحد خلفاء مصر لما قتله وزيره عباس، بعث نساء الخليفة شعورهن طى الكتب إلى الصالح طلائع بن رزيك ، وهو يومئذ وال بمنية بنى خصيب[1] ، فحضر إليهم وقد رفع تلك الشعور على الرماح ، وأقام الرايات السود إظهارا للحرب على الظافر، ودخل القاهرة على ذلك ، فكان ذلك من الفال العجيب ، وهو أن مصر انتقلت إلى بنى العباس بعد خمس عشرة سنة، ورفعت راياتهم السود بها .

✣

وأما تولية الملوك عن الخلفاء، فكان الحال فيه مختلفا باعتبار السلطان بحضرة الخلافة وغيره. فإن كان الذى يوليه الخليفة هو السلطان الذى بحضرة الخلافة، كبنى بويه وبنى سلجوق وغيرهم ، فقد حكى ابن الأثير وغيره أن السلطان طغرلبك بن ميكائيل السلجوقى لما تقلد السلطنة عن "القائم بأمر الله" فى سنة تسع وأربعين وأربعمائة، جلس له الخليفة على كرسى ارتفاعه عن الأرض نحو سبعة أذرع، وعليه البردة ، ودخل عليه طغرلبك فى جماعة ، وأعيان بغداد حاضرون، فقبل طغرلبك الأرض ويد الخليفة، ثم جلس على كرسى نصب له، ثم قال رئيس الرؤساء وزير الخليفة عن لسان الخليفة : "إن أمير المؤمنين قد ولاك جميع ماولاه الله تعالى من

(١) معجم البلدان [منية أبى الخصيب] .

بلاده، وردَّ إليك أمرَ عباده، فاتق الله فيما ولَّاك، وآعرف نعمته عليك" ثم خُلِعَ على طغرلبك سبعُ جبات سود بزيق واحد، وعمامة سوداء، وطُوِّق بطوق من ذهب، وسُوِّر بسِوَارَيْن من ذهب، وأُعطى سيفا بغلاف من ذهب، ولقبه الخليفة، وقرئ عهده عليه فقبل الأرض ويدَ الخليفة ثانيا وآنصرف، وقد جُهِّز له فرس من إصْطَبْلَات الخليفة بمَرْكَب من ذهب مقندس فركب وآنصرف إلى داره. وبعث إلى الخليفة خمسين ألفَ دينار، وخمسين مملوكا من الترك بخيولهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها . ولعل هذا كان ترتيبهم فى لبس جميع ملوك الحضرة .

وإن كان الذى يوليه الخليفة من ملوك النواحى البعيدة عن حضرة الخليفة كملوك مصر إذ ذاك ونحوهم، جهز له التشريف من بغداد صحبة رسول من جهة الخليفة، وهو جُبَّة أطلس أسود بطراز مُذْهَب وطوق من ذهب يجعل فى عنقه، وسِوَارَانِ من ذهب يجعلان فى يديه، وسيفٌ قِرَابُه مُلَبَّسٌ بالذهب، وفرس بمركب من ذهب، وعَلَمٌ أسودُ مكتوب عليه بالبياض آسم الخليفة ينشر على رأسه، كما كان يبعث إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم أخيه العادل. فإذا وصل ذلك إلى سلطان تلك الناحية، لبس الخِلْعَة والعمامة، وتقلد السيف وركب الفرس وسار فى موكبه حتّى يصل إلى محل ملكه . وربما جهز مع خلعة السلطان خِلَعٌ أخرى لولده أو وزيره أو أحدٍ من أقاربه بحسب ما يقتضيه الحال حينئذ .

وآخر من وصلت إليه الخِلْعَةُ والطوق والتقليد من ملوك بنى أيوب من بغداد الناصرُ يوسف بن العزيز بن السلطان صلاح الدين عن المستعصم فى سنة خمس وخمسين وستمائة .

وأما الوظائف المعتبرة عندهم ، فعلىٰ ضربين :

الضرب الأوّل

(وظائف أرباب السيوف ؛ وهى عدّة وظائف)

(منها) الوزارة فى بعض الأوقات دون بعض .

وقد ذكر القُضَاعىّ وغيره أن أوّل من لُقِّب بالوزارة فى الإسلام ، أبو سلمة ، حفص بن سليمان الخلال وزير أبى العبّاس السَّفَّاح أوّل خلفاء بنى العبّاس ،ولم يكن ذلك قبله ، ثم جرىٰ الأمر علىٰ ذلك فى اتّخاذ الخلفاء الوزراءَ إلىٰ انقراض الخلافة ببغداد بقتل التتار المستعصمَ فى سنة ست وخمسين وستمائة ، ووزيره يومئذ مؤيد الدين بن العلقمىّ ، وقتله هولاكو ملك التتار بعد قتل المستعصم لممالأته علىٰ المستعصم مع التتار ، وهو آخر وزراء الخلافة ببغداد .

(ومنها) الحِجَابة : وكان موضوعها عندهم حفظَ باب الخليفة والاستئذانَ للداخلين عليه ، لا التَّصدّى للحكم فى المَظَالم كما هو الآن .

وقد ذكر القضاعىّ فى "تاريخ الخلائف" ما يقتضى أن الخلفاء لم تزل تتخذ الحُجَّابَ من لَدُنِ الصِّدِّيق رضى الله عنه فَمَنْ بعده ، خلا الحسنَ بن علىّ فإنه لم يكن له حاجب .

(ومنها) وِلَاية المَظَالم : وموضوعها قَوْدُ المتظالمين إلىٰ التناصف بالرَّهْبة ، وزَجْر المتنازعين عن التجاحُد بالهيبة . كما قاله المَاوَرْدىُّ فى "الأحكام السلطانية" وهى شبيهة بالحجوبية الآن فى هذا المعنىٰ ؛ وكانت عندهم من أعلىٰ الوظائف وأرفعها رتبة لا يتولّاها إلا ذوُو الأقدار الجليلة ، والأخطار الحفيلة .

(ومنها) النِّقَابةُ علىٰ ذوى الأنساب : كالطالبيين والعباسيين ومَنْ فى معناهم ، كما فى نِقَابة الأشراف الآن بالديار المصرية وأعمالها ؛ وكانت لديهم من وظائف

أرباب السيوف، ولذلك ٱستُصْحِبَ هذا المعنىٰ فى نقيب الأشراف الآن، فيكتب فى ألقابه الأميرىّ، وإن كان من أرباب الأقلام علىٰ ما سيأتى ذلك فى كتابة توقيعه إن شاء الله تعالىٰ .

الضرب الثانى

(وظائف أرباب الأقلام، وهى نوعان، دينية وديوانية)

فأما الديوانية ـ فأجلُّها الوِزَارَةُ إذا كان الوزير صاحب قَلَم . وقد مر القول فى ٱبتداء وزارة الخلفاء وٱنتهائها فى الكلام علىٰ وزارة أرباب السيوف فى الضرب الأوّل .

وأما الدينية ـ (فمنها) القَضَاء، وكانت ولاية القضاء عن الخليفة تارةً تكون عامّةً لبغداد وأعمالها ، وتارة قاصرةً علىٰ بغداد أو أحد جانبيها .

(ومنها) الحِسْبَةُ وأمرها معروف .

(ومنها) ولاية الأوقاف والنظر عليها .

(ومنها) الولاية علىٰ المساجد والنظر فى أمر الصلاة .

ومن الوظائف الخارجة عن حضرة الخلافة لأرباب السيوف الإمارةُ علىٰ الجهاد، والإمارةُ علىٰ الحج، وغيرهما .

ومن الوظائف الخارجة عن الحضرة لأرباب الأقلام ولايةُ قضاء النواحى ، والحسبةُ بها إلىٰ غير ذلك من ولايات زعماء الذمة وغيرهم .

الحـالة الثانيـــة

ما صار إليه الأمر بعد ٱنتقال الخلافة إلىٰ الديار المصرية عند ٱستيلاء التتار علىٰ بغـداد لمـا بايع الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ فى سـنة تسع وخمسـين وستمائة

" المستنصر بن الظاهر " أوّل الخلفاء بمصر على ماتقدّم ذكره وكتب له عهد عنه بالسلطنة من إنشاء القاضى محيى الدّين بن عبد الظاهر، وعمل له السلطان الدّهاليز وآلات الخلافة ورتب له الجمدارية، وآستخدم له عسكرا عظيما وجهزه إلى بغداد للآستيلاء عليها فقتله التتار على ماتقدّم .

ثم لما بايع الظاهر أيضا الإمامَ "الحاكم بأمر الله" ثانى خلفائهم أيضا فى سنة تسع وخمسين وستمائة على ماتقدّم ذكره، بقى مدّة، ثم أشركه معه فى الدّعاء فى الخطبة على المنابر فى سنة ست وستين وستمائة، إلا أنه منعه من التصرف والدخول والخروج. ولم يزل كذلك إلى أن ولى السلطنةَ الملكُ الأشرفُ "خليل بن المنصور قلاوون" فأطلق سبيله، وأسكنه فى الكبش على القرب من الجامع الطُّولُونِىّ، وكان يخطب أيام الجمع بجامع القلعة إلى أن ولى السلطنة الملكُ المنصورُ حُسَام الدّين لاجين، فأباح له التصرف والركوب إلى حيث شاء ؛ وبقى الأمر على ذلك إلى أن ولى الخلافةَ "المستعصم بالله" أبو العباس أحمد بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان المرّة الثانية بعد موت الملك الناصر محمد بن قلاوون، ففوّض إليه السلطان نظر المشهد النفيسىّ، وآستقرّ بأيدى الخلفاء إلى الآن .

والذى آستقرّ عليه حال الخلفاء بالديار المصرية أن الخليفة يفوّض الأمور العامة إلى السلطان، ويُكْتَبُ له عنه عهدٌ بالسلطنة ويدعى له قبل السلطان على المنابر إلا فى مصلّى السلطان خاصة فى جامع مصلاه بقلعة الجبل المحروسة، ويستبدّ السلطان بما عدا ذلك : من الولاية والعزل وإقطاع الإقطاعات حتّى لخليفة نفسه، ويستأثر بالكتابة فى جميع ذلك .

قلت : ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن قُبِض على السلطان الملك الناصر فرج آبن الظاهر برقوق بالشام فى أوائل سنة خمس عشرة وثمانمائة على ما تقدّم ذكره،

فاستقل الإمام "المستعينُ بالله" خليفة العصر بأمر الخلافة : من الكتابة على العهود ومناشير الإقطاعات، والتقاليد، والتواقيع، والمكاتبات وغيرها، وأُفرد بالدعاء على المنابر، وضرب آسمه على الدنانير والدراهم والطرز على ما تقدم ذكره فى الكلام على ترتيب الخلفاء، وهيئته فى لبسه عند ركوبه بالمدينة فى المواكب أو غيرها .

فعمامته مدوّرة لطيفة عليها رَفْرَفٌ من خَلْفه تقدير نصف ذراع فى ثلث ذراع مرسل من أعلى عمامته إلى أسفلها، وفوق ثيابه كاملِيَّةٌ ضيقة الكُمِّ مُفَرَّجَةُ الذيل من خلف وتحتها قباء ضيق الكُمّ .

أما تقليده السلطان السلطنة، فالذى رأيته فى بعض التواريخ فى عهد الإمام الحاكم بأمر الله أبى العباس : أحمد بن أبى الربيع سليمان، إلى السلطان الملك المنصور أبى بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مبايعة الحاكم المذكور عند موت أبيه فى سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة : أنه طلع القضاةُ والأمراء إلى القلعة وآجتمعوا بدار العدل، وجلس الخليفة على الدرجة الثالثة من التخت، وعليه خِلْعَةٌ خضراء، وعلى رأسه طرحة سوداء مرقومة بالبياض، وخرج السلطان من القصر إلى الإيوان من باب السرّ على العادة، فقام له الخليفة والقضاة والأمراء، وجاء السلطان فجلس على الدرجة الأولى من التخت دون الخليفة، ثم قام الخليفة فقرأ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ إلى آخر الآية، وأوصى السلطانَ بالرفق بالرعية، وإقامة الحق، وإظهار شعائر الإسلام ونُصْرة الدِّين، ثم قال : "فوضت إليك جميع أمر المسلمين، وقلدتك ما تقلدته من أمور الدين". ثم قرأ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ إلى آخر الآية، ثم أُتِىَ الخليفةُ بخِلْعَةٍ سوداءَ وعمامة سوداء مرقومة الطرف بالبياض، فألبسها السلطانَ وقلّده سيفَه، ثم أُتِى بالعهد المكتوب عن الخليفة للسلطان فقرأه القاضى علاءُ الدين بن فضل الله كاتب السر إلى آخره . فلما فرغ من قراءته، تناوله الخليفة

فكتب عليه ماصورته ـ فوّضت إليه ذلك ـ وكتب ـ أحمد بن عم محمد صلّى الله عليه وسلم ـ وكتب القضاة الأربعة شهادتهم بالتولية، ثم أُتِى بالسماط على العادة .

وأخبرنى مَنْ حضر تقليد السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق عن الإمام المتوكل على الله أبى الفتح : محمد المشار إليه فيما تقدّم : أنه حضر الخليفة وشيخ الإسلام سراجُ الدين البلقينىّ، والقضاة الأربعة وأهل العلم، وأمراء الدولة إلى مَقْعَد بالإصْطَبْلات السلطانية يعرف بالحرّاقة، وجلس الخليفة فى صدر المكان على مَقْعَد مفروش له، ثم أتى السلطان وهو يومئذ حَدَثٌ، فجلس بين يديه، وسأله شيخ الإسلام عن بلوغه الحُلُمَ فأجاب بالبلوغ، فخطب الخليفة خطبةً، ثم خاطب السلطان بتفويض الأمر إليه على نحو ما تقدم ذكره، ثم أُتِىَ الخليفةُ بخِلْعةٍ سوداء وعمامة سوداء مرقومة فوقها طرحة سوداء مرقومة، ثم جلس الخليفة فى مكانه الذى كان جالسا فيه، ونُصِبَ للسلطان كرسىٌّ إلى جانب مقعد الخليفة فجلس عليه، وجلس الأمراء والقضاة حوله على قدر منازلهم، وقد استقرت جائزة تقليد السلطنة للخليفة ألف دينار مع قماش سكندرىّ .

أما حضوره مجلس السلطان فى عامة الأيام، عند حضوره إلى السلطان لسلام أومُهِمّ أو غير ذلك، فقد أخبرنى بعض جماعة الخليفة أن الإمام المتوكلَ المتقدّمَ ذكرُه كان إذا حضر إلى مجلس السلطان الظاهر، قام له، وربما مشى إليه خطوات وجلس على طَرَف المَقْعَد وأجلس الخليفة إلى جانبه .

الباب الثالث

من المقالة الثانيـــة

(فى ذكر مملكة الديار المصرية ومضافاتها، وفيه ثلاثة فصول)

الفصـــل الأول

(فى مملكة الديار المصرية ومضافاتها، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فى الديار المصرية، وفيه آثنا عشر مقصدا)

المقصد الأول

(فى فضـلها ومحاسـنها)

أما فضـلها فقد ورد فى الكتاب والسنة ما يشهد لهـا بالفضيلة، ويقضى لهـا بالفخر قال تعـالىٰ: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَـا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَـا﴾ يريد بالقوم بنى إسرائيـلَ، وبالأرض أرضَ مصر؛ ووصفها بالبركة إما بمعنىٰ الفضل كما فى قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾. وإما من الخِصْبِ وسَعَة الرزق بدليـل قوله تعالىٰ مخبرا عن قوم فرعون: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾. وقال جل وعز: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فأمر بالعبادة فى بيوتها إشارة إلىٰ شرف أرضها ورفعة قدرها.

وقد ذكر الله تعالىٰ آسمها فى غير موضع من كتابه العزيز فى ضمن قِصَص الأنبياء عليهم السلام . فقال تعالىٰ إخبارا عن يوسف عليه السلام : ﴿وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ﴾ وفى موضع آخر . ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ وقال حكاية عن فرعون لعنه الله : ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى﴾ وفى معناه قوله تعالىٰ خطابا لبنى إسرائيل : ﴿اهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ علىٰ قراءة الحسن والأعمش مصر غير مصروف.

قال القضاعىّ : وكذلك قراءة من قرأ ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ مصروفا بناء علىٰ أن مصر مذكر سمى به مذكرا فلم يمنع الصرف فيه، والتصريح بذكرها دون غيرها من الأقاليم دليل الشرف والفضل .

وقد ورد أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ بِلَادًا يُذْكَرُ فيها القِيراطُ فَاسْتَوْصُوا بِأهلها خيرًا فإن لأهلها نَسَبًا وصِهْرًا" أراد بالنسب هاجَرَ أم إسماعيل عليه السلام ، وكان بعض ملوك مصر قد وهبها لزوجته سَارَةَ . وأراد بالصِّهْر مارية أمّ إبراهيم : ولدِ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، كان المُقَوْقِسُ قد أهداها للنبىّ صلى الله عليه وسلم فى جملة هديته .

ويروىٰ أن النبىّ صلىٰ الله عليه وسلم قال : "إذا فتح اللهُ عليكم مِصْرَ فاتخذوا بها جُنْدا كثيفا، فذاك خير جند الأرض، قيل : ولم ذاك يارسول الله ؟ قال : لأنهم فى رِبَاطٍ إلىٰ يوم القيامة" .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "مِصْرُ أطيبُ الأَرَضِينَ ترابا وعَجَمُها أكرم العَجَم نِصَابا" .

ويقال فى التوراة : "مِصْرُ خزائنُ الله، فَمَنْ أرادها بسوء قَصَمه الله".

وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه ولايةُ مِصْرَ جامعةٌ تعدل الخلافة .

ومن كلام كعب الأحبار "مصرُ بلد معافًى من الفتن ، فمن أرادها بسوء كبه الله علىٰ وَجْهه " .

ووصفها الكِنْدِىّ فقال : جَبَلُها مُقَدس ، ونيلها مبارَك ، وبها الطُّور الذى كلَّم الله تعالىٰ عليه موسىٰ عليه السلام .

قال كعب الأحبار : كلم الله تعالىٰ موسىٰ من الطور إلىٰ طُوًى وفى التوراة وادٍ مقدّس أفيح ، يريد وادى موسىٰ عليه السلام .

ودخلها جماعة من الأنبياء عليهم السلام ، منهم إبراهيم ، ويعقوب ، ويوسف ، وإخوته عليهم السلام .

ونقل فى "الروض المعطار" عن الجاحظ أن عيسىٰ بن مريم عليه السلام ولد بها بكُورة أُهْنَاس الآتى ذكرها فى كُورِ مصر المقدسة ، وأن نخلة مريم كانت بأهناس قائمة إلىٰ زمانه . وذكر أيضا أن موسىٰ عليه السلام وُلِدَ بها بمدينة أُسْكَرَ شرقىّ النيل ، وهى الآن قرية من الأعمال الإطفيحية الآتى ذكرها فى أعمال الديار المصرية .

وبها سجن يوسف عليه السلام بمدينة بُوصِير الخراب من الأعمال الجيزية علىٰ القرب من البَدْرَشِين .

٨١ قال القُضَاعِىّ : أجمع أهل المعرفة من أهل مِصْرَ علىٰ صحة هذا المكان ، وأن الوَحْىَ كان ينزل عليه به ، وسطحه معروف بإجابة الدعاء .

سأل كافور الإخشيدىّ الإمامَ أبا بكر بن الحدّاد الفقيه الشافعىّ عن موضع يستجاب فيه الدعاء ، فأشار عليه بالدعاء علىٰ سطح هذا السجن .

قال القضاعىّ : وعلىٰ القرب منه مسجد موسىٰ عليه السلام ، وهو مسجد مبارك .

وبسفح المُقَطَّم بالقرافة الصغرى قبرُ (يَهُوذَا ورُوبِيل) من إخوة يوسف عليه السلام.

وقد روى أنه دخلها من الصحابة رضوان الله عليهم ما يزيد على مائة رجل، ودُفِن بقرافتها جماعة منهم فيما ذكره ٱبن عبد الحكم عن ٱبن لَهِيعة خمسةُ نفروهم : عمرو بن العاص، وعبد الله بن حُذَافَة، وأبو بَصْرة الغفارىّ، وعُقْبَةُ بن عامر الجُهَنىّ، وعبد الله بن الحرث الزبيدىّ، وهو آخرهم موتاً .

قال القُضَاعىّ : وذكر غير ٱبن لَهِيعَةَ أن مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّدٍ الأنصارىّ أيضا مات بها، وهو أميرها .

⁂

أما محاسنها، فلا شك أن مصر مع ما ٱشتملت عليه من الفضائل، وحُفَّتْ به من المآثر أعظمُ الأقاليم خَطَرًا، وأجلُّها قَدْرًا، وأفخمها مملكة، وأطيبها تُرْبَةً، وأخفُّها ماء، وأخْصَبُها زَرْعًا، وأحسنُها ثِمارًا، وأعْدَلُها هواءً، وألطفها ساكنًا .

ولذلك ترى الناس يرحلون إليها، وُفُودا، ويَفِدُون عليها من كل ناحية، وقلّ أن يخرج منها مَنْ دخلها، أو يرحلَ عنها من وَلَجَها، مع ما ٱشتملت عليه من حسن المَنْظَرِ، وبهجة الرَّوْنَقِ لا سيما فى زمن الربيع، وما يبدُو بها من الزروع التى تملأ العينَ وَسَامَةً وحُسْنًا، وتروقُ صورةً ومعنًى .

قال المسعودىّ : وصف الحكماءُ مصْرَ فقالوا : ثلاثة أشهر لؤلؤةٌ بيضاء، وثلاثة أشهر مِسْكَةٌ سوداء، وثلاثة أشهر زُمُرُّدَةٌ خضراء، وثلاثة أشهر سَبِيكَةٌ حَمْراء .

فاللؤلؤة البيضاء، زمانَ النيل، والمِسْكَةُ السوداء زمانَ نُضُوب الماء عن أرضها والزُّمُرُّدَةُ الخضراء زمانَ طلوع زرعها، والسَّبِيكَةُ الحمراء زمانَ هَيْج الزرع وٱكتِهاله .

وقد قيل : لو ضُرِب بينها وبين غيرها من البلاد سورٌ، لَغَنِى أهلها بها عما سواها ولما ٱحتاجوا إلى غيرها من البلاد . وناهيك ما أخبر الله تعالى به عن فرعون مع

عتوه وتجبره وآدعائه الربوبية بآفتخاره بملكها بقوله : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

قال آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وهى إقليم العجائب، ومعدن الغرائب، كان أهلها أهلَ مُلْك عظيم، وعز قديم، وإقليمها أحسنَ الأقاليم مَنْظَرًا، وأوسعها خيرا، وفيها من الكنوز العظيمة مالا يدخله الإحصاء. حتى يقال إنه ما فيها موضع إلا وفيه كنز .

قلت : أما ما ذكره أحمد بن يعقوبَ الكاتب فى كتابه فى "المسالك والممالك" من ذمه مصر بقوله : هى بين بحر رَطْبٍ عَفِنٍ كثير البُخارات الرديئة، يولد الأدْوَاءَ ويُفْسِد الغِذَاءَ، وبين جَبَل وبَرٍّ يابس صلْد، لشدّة يبسه لا تنبت فيه خَضْراء، ولا تنفجر فيه عين ماء، فكلامُ مُتَعَصِّبٍ خرق الإجماع، وأتى من سخيف القول بما تنفر عنه القلوب وتَمُجُّه الأسماع، وكفى به نقيصة أنْ ذَمَّ النيلَ الذى شهد العقلُ والنقل بتفضيله، وغَضَّ من المُقَطَّم الذى وردت الآثار بتشريفه .

---

13 ## المقصد الثانى

(فى ذكر خواصها وعجائبها، وما بها من الآثار القديمة)

أما خواصُّها، فمن أعظمها خَطَرًا مَعْدِنُ الزُّمُرُّدِ الذى لا نظير له فى سائر أقطار الأرض، وهو فى مَغَارة فى جبل على ثمانية أيام من مدينة قُوص، يوجَدُ عروقا خُضْرًا فى تطابيق حَجَرٍ أبيض، وأفضله الذُّبابىُّ، وهو أقل من القليل، بل لا يكاد يوجد .

ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزُّمُرُّدُ إلى أثناء الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" فأهمل أمره وترك .

قال فى "مسالك الأبصار" : وجميع ملوك الأرض وأهلُ الآفاق تستمدّ منه، وقد مرّ القول عليه فى جملة الأحجار الملوكية فى أواخر المقالة الأولى .

وأعظم خطرا منه وأرفع شأنا البَلَسَانُ الذى تسميه العامّة البَلَسَم، وهو نبات يزرع بِبُقْعة مخصوصة بأرض المَطَرِيَّةِ من ضواحى القاهرة على القرب من عَيْن شَمْس ، ويسقى من بئر مخصوصة هناك، يقال إن المسيح عليه السلام آغتسل بها حين قدِمت به أُمُّه إلى مصر، والنصارى تزعم أنه حفرها بعَقِبِه وهو طِفْلٌ، حين وضعته أُمُّه هناك .

ومن خاصتها أن البَلَسان لا يعيش إلا بمائها ولا يوجد فى بقعة من بقاع الأرض غير هذه البقعة .

قال آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وطول هذه الأرض ميلٌ فى ميلٍ ، وشأنه أنه يُفْصد فى شهر كيهك من شهور القِبْط، ويجمع ما يسيل من دُهْنِه ويصفى ويطبخ ويحمل إلى خِزانة السلطان، ثم ينقل منه قَدْر معلوم إلى قلاع الشام والبيمارستان ليستعمل فى بعض الأدوية ؛ وملوك النصارى من الحَبَشة والروم والفرنج يستهدُونه من صاحب مصر ويهادونه بسببه، لما يعتقدونه فيه من أثر المسيح عليه السلام فى البئر، وله عليهم بذلك اليدُ الطُّولى والمِنَّةُ العظمى، لا يساويه عندهم ذهب ولا جوهر .

قال فى "مسالك الأبصار" : والنصارى كافَّةً تعتقد فيه ما تعتقد، وترى أنه لا يتم تنصُّر نَصْرانِىّ حتى يوضع شىء من هذا الدهن فى ماء المعمودية عند تغطيسه فيها .

وبها معدن النَّطْرُون، وهو منها فى مكانين .

أحدهما — بِرْكة النَّطْرون التى بالجبل الغربىّ غربىّ عمل البحيرة الآتى ذكره

فى جملة أعمالها المستقرّة ، وهى من أعظم المعادن وأكثرها مُتَحَصَّلاً على حَقَارة النطرون وقلة ثمنه .

قال فى "التعريف" : لا يعرف فى الدنيا بركة صغيرة يُستَغَلّ منها نظيرها، فإنها نحو مائة فَدَّانٍ تغل نحو مائة ألف دينار .

والثانى ـ مكان بالخَطَّارة من الشرقية ، ولا يبلغ فى الجَوْدَةِ مبلغ البركة الأولى ، ولا يبلغ فى المُتَحَصِّلِ قريبا من ذلك .

وبها أيضا مَعْدِن الشَّبّ على القرب من أُسْوان، وهو من المعادن الكثيرة المتَحَصِّل أيضا إلى غير ذلك من الخواصّ .

وبها معدن النِّفط على ساحل بحر القُلْزُم ، يسيل دهنه من أعلى جَبَلٍ قليلا قليلا وينزل إلى أسفله فيتحصل فى دِبارٍ قد وضعها له الأوّلون، وتأتى العرب فتحمله إلى خزائن السلاح السلطانية .

وأما عجائبها، فكثيرة .

(منها) جبل الطير شرقىّ النيل مقابل مُنْيَة بنى خَصِيب فيه صَدْع يأتى إليه جنس البواقير من الطير، وهو المعروف بالبَحّ فى يوم من السنة فيضعون مناقيرهم فى ذلك الصدع واحدا بعد واحد حتى يتعلق منها واحد فى ذلك الصدع فيتركونه ويذهبون.

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : قال أبو بكر الموصلىّ : سمعت من أعيان تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصبا ، يُقْبَض على طائرين، و إن كان متوسطا، يقبض على طائر واحد، و إن كان جَدْباً، لم يقبض على شىء .

(ومنها) مكان بالجبل الشرقىّ عن النيل ، على القرب من أَنْصِنا به تلال رمل إذا صُعِد إلى أعلاها وكسح الرمل إلى أسافلها سمعت له أصوات كالرعد، يسمع من البر الغربىّ من النيل .

وقد أخبرني بعض أهل تلك البلاد أنه إذا كان الذى صَعِد على ذلك المكان جُنُباً أو كانوا جماعة فيهم جنب، لم يسمع شيء من تلك الأصوات لو كسح الرمل .

(ومنها) مكان بالجبل المذكور على القرب من إخْمِيمَ به تِلَالُ رمل إذا كسحها الإنسان من أعلى إلى أسفل، عادت إلى ما كانت عليه وآرتفع الرمل من أسفلها إلى أعلاها .

قال فى "الروض المعطار" : وعلى النيل جبل يراه أهل تلك الناحية مَنْ آنتضى سيفَه وأولجه فيه وقبض على مَقْبِضه بيديه جميعا، آضطرب السيفُ فى يديه وآرتعد فلا يقدر على إمساكه ولو كان أشدّ الناس، وإذا حُدّ بحجارة هذا الجبل سِكّينٌ أو سيف لا يؤثر فيه حديد أبدا، وجذب الإبر والمَسَالّ أشدّ جذبا من المِغْناطيس، ولا يبطل فعلها بالثوم كما يبطل المغناطيس، أما الحجر نفسه فإنه لايجذب .

قال القُضَاعىّ : وبجبل زماخير الساحرة يقال إن فيه خِلْقَةً من الجبل ظاهرةً مشرفةً على النيل لا يصل إليها أحد يلوح فيها خط مخلوق "باسمك اللهم" . وعلى القرب من الطُّور عين ماء فى أَجَمَة رملٍ ينبُعُ الماء من وسطها فوراتٍ لطيفةً وينبسط ماؤها حولها نحو الذراع، ثم يغوص فى الرمل فلا يظهر له أثر، ولا يعرف أحد إلى أين يذهب . وهى على ذلك مدى الدهور والأيام لاينقطع نبعها، ولا يجتمع ماؤها فى مكان يدركه البصر، وعجائبها أكثر من أن تذكر .

المقصد الثالث

(فى ذكر نيلها ومبدئه وآنتهائه، وزيادته ونقصه، وما تنتهى إليه زيادته، وما تصل إليه فى النقص قاعدتُه)

أما آبتداؤه وآنتهاؤه، فاعلم أن آبتداءه من أوّل الخراب الذى هو جنوبىّ خط الآستواء المقدّم ذكره، ولذلك عَسُرَ الوقوف على حقيقة خبره .

16 وقد ذكر الحكماء أنه ينحدر من جبل القمر، إما (بفتح القاف والميم كما هو المشهور، وإما بضم القاف وسكون الميم) كما نقله فى " تقويم البُلْدان " عن ضبط ياقوت فى " المشترك " وابن سعيد فى " معجمه " .

قال فى " رسم المعمور " وطَرَفه الغَرْبى عند طول . . . . [1] ونصف وعرض إحدىٰ عشرة ونصف فى الجنوب، وطرفه الشرقى حيث الطول إحدىٰ وستون درجةً ونصف والعرض بحاله . قال فى الرسم : ولونه أحمر . وذكر الطوسى أنهم شاهدوه علىٰ بُعْدٍ، ولونه أبيض لما غلب عليه من الثلج . واعترضه فى "تقويم البُلْدان" بأن عرض إحدىٰ عشرة فى غاية الحرارة لا سيّما فى الجنوب لحضيض الشمس .

قال بطليموس : والنيل ينحدر من الجبل المذكور من عشرة مَسِيلات، بين كل مسيلين منها درجة فى الطول المقدّم بيانه، والغربىُّ منها، وهو الأوّل عند طلوع ثمان وأربعين درجة، والثانى عند طلوع تسع وأربعين، وعلىٰ ذلك حتّىٰ يكون العاشر منها عند طلوع سبع وخمسين، كل مَسِيل منها نهر، ثم تجتمع العشرة وتصب فى بطيحتين كلُّ خمسةٍ منها تصب فى بَطِيحة، ثم يخرج من كل واحدة من البطيحتين أربعة أنهار، ثم تتفرّع إلىٰ ستة أنهار، وتسير الستة فى جهة الشمال حتّىٰ تصب فى بحيرة مدوّرة عند خط الاستواء تعرف ببحيرة كورى، فيفترق النيل منها ثلاث فِرَق . ففرقة تأخذ شرقا وتذهب إلىٰ مَقْدَشو من بلاد الحبشة المسلمين علىٰ ساحل البحر الهندى مقابل بلاد اليمن . وفرقة تأخذ غربا وتذهب إلىٰ التُّكْرُور وغانةَ من مملكة مالى من بلاد السُّودان، وتمرّ حتّىٰ تصب فى البحر المحيط الغربى عند جزيرة أوليل وتسمّى نيل السودان .

(١) بياض فى الأصل .

وفرقة تأخذ شَمَالًا ــ وهى نيل مصر ــ فيمرّ فى الشَّمال علىٰ بلاد زَغَاوَة، وهى أول مايلقىٰ من بلاد السودان .

ثم يمرّ علىٰ بلاد النُّوبة حتّٰى ينتهى إلىٰ مدينتها دُنْقُلَة الآتى ذكرها فى الكلام علىٰ ممالك السُّودان . 17

ثم يمرّ شمالا بميلة إلىٰ الغرب إلىٰ طول إحدىٰ وخمسين، وعرض سبع عشرة علىٰ حاله .

ثم يمرّ مغرّبا بميلة قليلة إلىٰ الشَّمال إلىٰ طول آثنتين وثلاثين ،وعرض تسع عشرة .

ثم يرجع مُشَرِّقًا إلىٰ طول إحدىٰ وخمسين .

ثم يمرّ فى الشمال إلىٰ الجَنَادِل : وهو الجبل الذى ينحدر عليه النيل بين منتهىٰ مراكب النُّوبة فى آنحدارها ومراكب مصر فى صُعُودها ، حيث الطول ست وخمسون درجة، والعرضُ آثنتان وعشرون درجة .

ثم يمرّ شَمالا إلىٰ مدينة أُسْوان الآتى ذكرها فى أعمال الدّيار المصرية علىٰ القرب من الجنادل المقدّمة الذكر .

ويمرّ شَمالا بميلة إلىٰ الغرب إلىٰ طول ثلاث وخمسين، وعرض أربع وعشرين .

ثم يُشَرِّقُ إلىٰ طول خمس وخمسين .

ثم يأخذ فى الشمال حتّٰى ينتهىَ إلىٰ مدينة الفُسْطَاط الآتى ذكرها فى قواعد مصر المستقرة .

ويمتد فى جهة الشَّمال أيضا حتّٰى يصير بالقرب من قرية تسمّٰى شَطَّنُوف(١) من قرىٰ مصر، من عمل مَنُوف فيفترق بفرقتين : فرقة شرقية وفرقة غربية . فأما الفرقة الشرقيــة، فتمرّ فى الشَّمال حتّٰى تأتى علىٰ قرية تسمّٰى المنصورة من عمل المُرْتاحية،

(١) كذا ضبطه ياقوت بالعبارة . وقال فى القاموس" شَطَنُوف كَحَلَزُون" .

فتتشعب شُعْبتين وتمرّ الغربية منهما، وهى العظمى إلى دمياط من شرقيها، وتصب فى بحر الروم حيث الطول ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة، والعرض إحدى وثلاثون وخمس وعشرون دقيقة، وتمرّ الشرقية منهما على أُشْمُوم طَنَاح، من غربيها حتّى تجاوز بلاد المَنْزِلَة، وتصب فى بحيرة شرقىّ دِمْياط حتّى بحيرة تِنِّيس حيث الطول أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة.

وأما الفِرقة الغربية، فتمرّ من شَطَّنُوف المقدم ذكرها حتّى تأتى بالقرب من قرية تسمى بأبى نُشَّابَة من عمل البحيرة، فتتشعب شعبتين، الغربية منهما، وهى العظمى تأخذ شمالا بين عمل البحيرة من شرقيها وبين جزيرة بنى نصر من غربيها، والشرقية تأخذ شمالا أيضا بين جزيرة بنى نصر من شرقيها، وبين عمل الغربية من غربيها. ويسمّى هذا البحر بحر أَبيار، ويمرّ حتّى يلتقى مع الفرقة الغربية عند قرية تسمّى الفَرَسْتَق من الغربية بالقرب من مدينة أَبْيار المنسوب إليها البحر المقدم ذكره، ويصير شعبة واحدة ويمرّ حتّى يصب فى البحر الرومىّ غربىّ قرية تسمّى رشيد حيث الطول ثلاث وخمسون، والعرض إحدى وثلاثون.

ومن هذه الفرقة يتفرع خليج صغير يدخل إلى بُحيرة نَسْتَرُوه[١] الآتى ذكرها فى جملة البحيرات، ويتفرع من كل فرقة من هذه الفرق وما يليها من أعلى النيل خُلْجانٌ يأتى ذكر المشهور منها فيما بعدُ إن شاء الله تعالى.

وأما زيادته ونقصه، فقد آختلف فى مَدَد زيادته: فنقل المسعودىّ عن العرب أنه يستمدّ من الأنهار والعيون. ولذلك تَغِيض الأنهار والعيون عند زيادته. وإذا غاض زادت؛ ويؤيده ما روى القضاعىّ بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: "إن نيل مصر سيدُ الأنهار، سخر الله له كلَّ نهر بين

(١) كذا ضبطها المؤلف فيما يأتى وألحق بها الهاء، وكذلك ياقوت إلا أنه حذف منها الهاء: نَسْتَرُو.

المشرق والمغرب أن يُمدّه، فأمدّته الأنهار بمائها، وفجّر الله له الأرض عيونا فانتهى جريُه إلى ما أراد الله، فأوحى الله إلى كل منها أن يرجع إلى عُنْصُره».

ويقال عن أهل الهند زيادته ونقصه بالسيول، ويعرف ذلك بتوالى الأنواء وكثرة الأمطار، ورُكُود السحاب.

وقالت القِبْطُ: زيادته من عيون فى شاطئه رآها مَنْ سافر ولحِق بأعاليه، ويؤيده ماروواه القضاعى بسنده إلى يزيد بن أبى حبيب «أن معاوية بنَ أبى سفيان رضى الله عنه قال لكعب الأحبار: أسألك بالله! هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله عز وجل خبرا؟ قال: إى والله! إن الله عز وجل يُوحِى إليه فى كل عام مرتين، يوحى إليه عند خروجه، فيقول: إن الله يأمرك أن تجرىَ، فيجرى ما كتب الله له، ثم يُوحى إليه بعد ذلك، فيقول: يانيلُ إن الله يأمرك أن تنزلَ، فينزل». ولا شك أن جميع الأقوال المتقدّمة فرع لهذا القول، وهو أصل لجميعها.

وبكل حال فإنه يبدأ بالزيادة فى الخامس من بشُونه من شهور القِبْط. وفى ليلة الثانى عشر منه يوزن الطِّينُ، ويعتبر به زيادة النيل بما أجرى الله تعالى العادة به، بأن يوزن من الطين الجافّ الذى يعلوه ماء النيل زنة ستة عشر درهما على التحرير، ويرفع فى ورقة أونحوها ويوضع فى صُنْدُوق أو غيرذلك، ثم يوزن عند طلوع الشمس، فمهما زاد اعتبرت زيادته كل حبة خروب بزيادة ذراع على الستة عشر درهما.

وفى السادس والعشرين منه يُوخذ قاع البحر وتقاس عليه قاعدة المقياس التى تبنى عليها الزيادة.

وفى السابع والعشرين ينادىٰ عليه بالزيادة، ويحسب كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا إلى أن يكمل اثنى عشر ذراعا، فيحسب كل ذراع أربعا وعشرين أصبعا، فإذا وفى ستة عشر ذراعا، وهو المعبر عنه بماء السلطان، كسر خليج القاهرة،

وهو يوم مشهود ، ومَوْسِمٌ معدود، ليس له نظير فى الدّنيا ؛ وفيه تكتب البشارات بوفاء النيل إلىٰ سائر أقطار المملكة، وتسير بها البُرُدُ، ويكون وفاؤه فى الغالب فى مسرىٰ من شهور القِبْط، وفيها جُلُّ زيادته .

وفى النيروز ، وهو أوّل يوم من توت يكثر قطع الخُلْجَانِ والتُّرَع عليه ، وربما آضطرب لذلك ثم عاد .

وفى عيد الصليب ، وهو السابع عشر من توت المذكور يقطع عليه غالب بقية التُّرَع .

وقد حكىٰ القُضَاعِىّ عن آبن عفير وغيره عن القِبْط المتقدّمين أنه إذا كان الماء فى آثنى عشر يوما من مسرىٰ آثنى عشر ذراعا ، فهى سَنَةُ ماء ، وإلا فالماء ناقص، وإذا تمّ الماء ستة عشر ذراعا قبل النوروز فالماء يتم ، ثم غالب وفائه يكون فى النصف الأوّل من مسرىٰ ، وربما وفىٰ فى النصف الثانى منها ، وقد يتأخر عن ذلك .

وفى الثامن من بابه يكون نهاية زيادته .

ورأيت فى "تاريخ النيل" أنه تأخر وفاؤه فى سنة ثمان وسبعمائة إلىٰ تاسع عشر بابه فوفىٰ ستة عشر ذراعا، وزاد أصبعين بعد ذلك فى يومين : كل يوم أصبع بعد أن آستسقىٰ الناس أربع مرات، وهذا مما لم نسمع بمثله فى دهر من الدّهور .

وقد جَرَتْ عادتُه أنه من حين آبتداءِ النداءِ بزيادته فى السابع والعشرين من بشونه إلىٰ آخر أبيب تكون زيادته خفيفة ما بين أصبعين فما حولها إلىٰ نحو العشرة، وربما زاد علىٰ ذلك . فإذا دخلتْ مسرىٰ، آشتدّت زيادته وقويت، فيزيد العشرة فما فوقها، وربما زاد دون ذلك . وأعظم ما تكون زيادته علىٰ القرب من الوفاء حتى ربما بلغ سبعين أصبعا .

ومن العجيب أنه يزيد فى يوم الوفاء سبعين أُصْبُعًا مثلا، ثم يزيد فى صبيحة يوم الوفاء أصبعين فما حولها، ويتم على ذلك . وله فى آخر بابه زيادة قليلة يعبر عنها بصَبة بابه لما يَنْصَبُّ إلى النيل من ماء الأملاق .

وقد ذكر عبد الرحمن بن عبد الله بن الحَكَم وغيره أنه لما فتح المسلمون مصر أتى أهلُها إلى عمرو بن العاص حين دخل شهر بئونه، فقالوا : أيُّها الأمير إن لِنيلنا هذا سُنَّةً لايجرى إلا بها، وهو أنه إذا كان آثنا عشر من هذا الشهر عمدنا إلى جاريةٍ بِكْرٍ من أبويها فأرضيناهما فيها، وزيناها بأفضل الزينة، وألقيناها فيه . فقال : هذا مما لا يكون فى الإسلام، فأقاموا أبيب ومسرى وهو لايزيد قليلا ولا كثيرا . فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى أمير المؤمنين عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه يعرّفه ذلك ، فكتب إليه أن أصبت ، وكتب رُقعةً إلى النيل فيها " من عَبْد الله عمرَ أميرِ المؤمنين إلى نيل مصر .

أما بعدُ، فإن كنتَ تجرى من قِبَلك، فلا تَجْرِ ، وإن كان الله الواحدُ القهّارُ الذى يُجْرِيك، فنسأل الله أن يُجْرِيَكَ " .

وبعث بها إليه ، فألقاها فى النيل ، وقد تهيأ أهل مصر للخروج منها ، فأصبحوا يوم الصليب، وقد بلغ فى ذلك اليوم ستة عشر ذراعا .

ويروى أنه وقع مثل ذلك فى زمن موسى عليه السلام ، وهو أن موسى عليه السلام دعا على آل فِرْعَوْنَ، فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء، فرَغبوا إلى موسى فدعا لهم بإجراء النيل رجاء أن يؤمنوا، فأصبحوا وقد أجراه الله فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا .

ورأيت فى "تاريخ النيل" المتقدم ذكره : أنه فى زمن المستنصر أحد خلفاء الفاطميين

بمصر مكث النيل سنتين لم يطْلُع، وطلع فى السنة الثالثة وأقام إلىٰ الخامسة لم ينزل، ثم نزل فى وقته وَنَضَب الماء عن الأرض، فلم يوجد من يزرعها لقلة الناس؛ ثم طلع فى السنة السادسة وأقام حتّٰى فرغت السابعة، ولم يبق إلا صُبَابة من الناس، ولم يبق فى الأقاليم مايمشى علىٰ أربع غير حمار يركبه الخليفة المستنصر، وأنه وفّٰى ست عشرة ذراعا(١) فى ليلة واحدة بعد أن كان يخاض من بَرّ إلىٰ بَرّ؛ وأقل ماآنتهىٰ إليه قاع النيل فى النقص ذراع واحد وعشرة أصابع، ووقع ذلك من سنة الهجرة وإلىٰ آخر الثمانمائة مرتين فقط: المرّة الأولىٰ ـ فى سنة خمس وستين ومائة من الهجرة. وبلغ النيل فيها أربع عشرة ذراعا وأربعة عشر أصبعا. والمرّة الثانية ـ فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة. وبلغ فيها سبع عشرة ذراعا وخمسة أصابع.

وقد وقع مثل ذلك فى زماننا، فى سنة ست وثمانمائة. وأغيٰ ماآنتهىٰ إليه القاعُ فى الزيادة مما رأيتُه مسطورا إلىٰ آخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة تسعة أذرع. وسمعت بعض الناس يقول إنه فى سنة خمس وستين وسبعمائة كان القاع آثنتى عشرة ذراعا.

وأقل ما بلغ النقص فى نهاية الزيادة آثنا عشر ذراعا وأصبعان. وذلك فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة، وأغيٰ ما كان ينتهى إليه فى الزمن المتقدم ثمانية عشر ذراعا حتّٰى تعجب الناس من نيل بلغ تسع عشرة ذراعا فى زمن عمر بن عبد العزيز، ثم آنتهىٰ فى المائة السابعة إلىٰ أن صار يجاوز العشرين فى بعض الأحيان.

ومن العجيب أنه فى سنة تسع وسبعين وثلثمائة كان القاع علىٰ تسع أذرع، ولم يُوفِ بل بلغ خمس عشرة ذراعا وخمس أصابع؛ وفى سنين كثيرة كان القاع فيها

(١) الذراع والاصبع يذكران و يؤنثان وقد جريا فى كلامه تارة بالتذكير وتارة بالتأنيث وكل صحيح.

دون الذراعين ، وجاوز الوفاء إلى ثمانى عشرة ذراعا فما دونها . ولا عبرة بقول المسعودى فى "مروج الذهب" إن أقلّ مايكون القاعُ ثلاثة أذرع ، وإنه فى مثل تلك السنة يكون متقاصرا . فقد تقدم ما يخالف ذلك ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَايَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَاكَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ .

قلت : وقد جرت عادة صاحب المقياس ، أنه يعتبر قياسه زمن الزيادة فى كل يوم وقت العصر ، ثم ينادى عليه من الغَدِ بتلك الزيادة أصابعَ من غير تصريح بذَرْع إلا أنه يكتب فى كل يوم رقاعا لأعيان الدولة من أرباب السيوف والأقلام ، كأرباب الوظائف من الأمراء ، وقضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، وكاتب السرّ ، وناظر الخاصّ ، وناظر الجيش ، والمحتسب ، ومَنْ فى معناهم ؛ فيذكر زيادته فى ذلك اليوم من الشهر العربىّ وموافقه من القِبْطِىّ من الأصابع وما صار إليه من الأذرع ويذكر بعد ذلك ما كانت زيادته فى العام الماضى فى ذلك اليوم من الأصابع وما صار إليه من الأذرع والبعادة بينهما بزيادة أو نقص ، ولا يُطْلِع على ذلك عوامّ الناس ورَعَاعهم ؛ فإذا وفَّى ستة عشر ذراعا صرح فى المناداة فى كل يوم بما زاد من الأصابع ، وما صار إليه من الأذرع ، ويصير ذلك مشاعا عند كل أحد .

وأما مقاييسه ، فقد ذكر إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب " العجائب " أن أوّل من وضع مقياسا للنيل (خصليم) السابع من ملوك مصر بعد الطوفان : صنع بركة لطيفة وركب عليها صورتى عُقَابٍ من نُحَاسٍ : ذكر وأنثى ، يجتمع عندها كهنتهم وعلماؤهم فى يوم مخصوص من السنة ، ويتكلمون بكلام فيصَفِّر أحد العقابين . فإن صفر الذكر آستبشروا بزيادة النيل . وإن صفَّرت الأنثى آستشعروا عدم زيادته فهيَّئوا ما يحتاجون إليه من الطعام لتلك السنة .

قال المسعودى : وقد سمعتُ جماعة من أهل الخبرة يقولون : إن يوسف عليه السلام حين بنى الأهرام آتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه .

قال القضاعى : وذلك بمدينة مَنْف ، وقيل : إن النيل كان يقاس بأرض يقال لهـا علوة إلى أن بنى مقياس مَنْف ، وان القبْط كانت تقيس عليه إلى أن بطل .

21 قلت : وموضع المقياس بمَنْف إلى الآن معروف على القرب من الأهراء اليوسفية من جهة البلدة المعروفة بالبَدْرَشين ، وقيل كانوا يقيسونه بالرصاصة .

قال المسعودى : ووَضَعت دَلُوكَة العجوز ملكة مصر بعد فرعون مقياسا بأنْصِنَا صغير الأذرع ، ووضعت مقياسا آخر بإخْمِيمَ ، ووضعت الرُّومُ مقياسا بقَصْرِ الشَّمَع .

قال القضاعى : وكان المقياس قبـل الفتح بقَيْسارية الأكسية بالفُسْطَاط إلى أن آبتنى المسلمون أبنيتهم بين الحصن والبحر ؛ ثم جاء الإسـلام وفتحت مصر والمقياس بمَنْف .

كان النيل يقاس بمنف ويدخل القيّاس إلى الفسطاط فينادى به ، ثم بنى عمرو بن العاص مقياسا باسوان ، ثم بنى مقياسا بدَنْدَرَة ، ثم بنى فى أيام معاوية مقياسا بأنْصنَا .

فلمـا ولى عبد العزيز بن مَرْوَانَ مصر ، بنى مقياسا صـغير الاذرع بحُلْوَانَ من ضواحى الفُسْطَاط ، ثم لمـا ولى أُسَامَةُ بن زيد التَّنُوخى بنى مقياسا فى جزيرة الصِّنَاعة المعروفة الآن بالرَّوضَة بأمر سليمان بن عبد الملك : أحد خلفاء بنى أمية سـنة سبع وتسـعين من الهجرة ، وهو أكبرها ذَرْعا ؛ ثم بنى المأمون (١) مقياسا أسـفل الأرض بالجزيرة المذكورة فى سـنة سبع وأربعين ومائتين فى ولاية يزيد بن عبد الملك (٢) على مصر ، وهو المعمول عليه إلى زماننا هذا .

---

(١) صوابه المتوكل كما هى عبارة المقريزى و ياقوت .

(٢) صوابه يزيد بن عبد الله التركى كما فى المقريزى .

وكانت النصارى تتولّى قياسه فعزلهم المتوكل عنه ورتّب فيه أبا الرّدّاد عبدَ الله بن عبد السلام بن أبى الرّدّاد المؤدّب، وكان رجلا صالحا، فٱستقرّ قياسه فى بَنِيه إلى الآن، ثم أصلحه أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين .

ثم كل ذراع يعتبر بثمانية وعشرين أصبعا إلى تمام ٱثنتى عشرة ذراعا، ثم يكون كل ذراع أربعةً وعشرين أصبعا ، فلما أرادوا وضعه على ستة عشر ذراعا ، وزعوا الذراعين الزائدين، وهما ثمانية وأربعون أصبعا على ٱثنى عشر ذراعا لكل ذراع منها 22
أربعة أصابع ،فصار كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا،وبقى الزائد على ذلك كل ذراع أربعة وعشرون أصبعا .

قال القضاعىّ :وكان سبب ذلك فيما ذكره الحسين(١) بن محمد بن عبد المنعم فى رسالة له أن المسلمين لمـا فتحوا مصر عرض على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يلقاه أهلها من الغلاء عند وقوف النيل فى حدّ لمقياس لهم فضلا عن تقاصره ، ويدعوهم ذلك إلى الاحتكار، والاحتكار يدعوهم إلى زيادة الأسعار ، فكتب عمر إلى عمرو ٱبن العاص يسأله عن حقيقة ذلك ، فأجابه : إنى وجدت ما تروى به مصر حتّى لا يَقْحَط أهلها أربع عشرة ذراعا،والحدّ الذى يروى منه سائرها حتّى يفْضُل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ست عشرة ذراعا، والنهايتان المخوفتان فى الزيادة والنقصان : فى الظمإ والاستبحار، ٱثنتا عشرة ذراعا فى النقصان وثمانى عشرة ذراعا فى الزيادة. فٱستشار عمر رضى الله عنه علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه فى ذلك ، فأشار بأن يكتب إليه أن يبنى مقياسا ، وأن يَفُضّ ذراعين على ٱثنتى عشرة ذراعا، ويبقى ما بعدهما على الأصل .

(١) فى الخطط للقريزى "الحسن" .

قال القضاعى : وفى هذا نظر فى وقتنا لزيادة فساد الأنهار، وٱنتقاض الأحوال، وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها إلىٰ آخرها أربعة وعشرون أصبعا كل ذراع بغير زيادة علىٰ ذلك .

قال المسعودى : فإذا تم النيل خمس عشرة ذراعا، ودخل فى ست عشرة، كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يُسْتَسْقىٰ فيه، وكان فيه نقص من خراج السلطان . وإذا ٱنتهت الزيادة إلىٰ ستة عشر ذراعا، ففيه تمام خراج السلطان وأخصبَ الناسُ، وفيه ظمأ ربع البلد، وهو ضارّ للبهائم لعدم المرعىٰ .

قال : وأتم الزيادات العامة النافعة للبلد كله سبع عشرة ذراعا ، وذلك كفَافُها ورَىُّ جميع أرضها . وإذا زاد علىٰ السبع عشرة ذراعا وبلغ ثمانى عشرة، ٱستبحر من مصر الربع، وفى ذلك ضرر لبعض الضِّياع . قال : وذلك أكثر الزيادات .

قلت : هـذا ما كان عليه الحال فى زمانه وما قبله وكان الحال جاريا علىٰ ما ذكره فى غالب السنين إلىٰ ما بعد السبعمائة .

أما فى زماننا، فقد عَلَتِ الأرض مما يرسب عليها من الطين المحمول مع الماء فى كل سنة وضَعُفَت الجسور، وصار النيل بحكمة الله تعالىٰ إلىٰ ثلاثة أقسام : متقاصرة وهى ست عشرة ذراعا فما حولها، ومتوسطة وهى سبع عشرة ذراعا إلىٰ ثمان عشرة ذراعا فما حولها، وعالية وهى ما فوق الثمان عشرة، وربما زادت علىٰ العشرين .

المقصـــد الرابع فى ذكر خُلْجَانها،

(وخلجانها القديمة ستة خُلُج)

الخليج الأول

(المَنْهى)

وهو الخليج الذى حفره "يوسف الصديق عليه السلام" ومَخْرَجه بالقرب من دَرْوَة سَرَبَام، من عمل الأُشْمونينِ الآتى ذكرها، وهى المعروفة بِدَرْوَةِ الشَّريف، ويأخذ شمالا إلىٰ مدينة البهنسىٰ، ثم إلىٰ قرية اللّاهُون من عمل البهنسىٰ، ويمر فى الجبل حتّىٰ يجاوزه إلىٰ إقليم الفَيُّوم، ويمر بمدينته وينبثُّ فى نواحيه .

وهذا النهر من غرائب أنهار الدنيا تجِفُّ فُوَّهته فى أيام نقص النيل، وباقيه يجرى فى موضع ويجف فى آخر إلىٰ إقليم الفَيُّوم، فيجرى شتاءً وصيفًا من أعين تنفجر منه ولا يحتاج إلىٰ حفرٍ قطُّ .

ويقال: إن "يوسف عليه السلام" حفره بالوَحْىِ ومياهه منقسمة علىٰ استحقاق مقدّرٍ، كما فى دِمَشْقَ من البلاد الشامية .

قال فى "الروض المعطار" : وكانت مَقَاسِمُه بحجر اللّاهُون علىٰ القرب من القرية المنسوبة إليه المتقدمة الذكر . قال : وهو من عجائب الدنيا، وهو شاذَرْوان 24
بين قبتين من أحكم صنعة، مُدَرّج علىٰ ستين درجة، فيها فوارات فى أعلاها وفى وسطها وفى أسفلها، يسق الأعلىٰ الأرضَ العُلْيا، والأوسطُ الأرضَ الوُسْطىٰ، والأسفل الأرضَ السُّفْلىٰ بوزن وقدر معلوم .

قال : ويقال إن يوسف عليه السلام عمله بالوحى، وإن مَلِكَ مِصْرَ يومئذ لما عاينه قال هذا من مَلَكُوت السماء .

ويقال إنه عمل من الفضّـة والنّحاس والرخام . قلت : قد ذهبت معالم هذا اللاهون وبقى بعض بنائه ونُقِلت المقاسم إلى مكان آخر بالفيوم تسقى الآن الأراضى على حكمها .

ومن غرائب أمره أن به التمـاسيحَ التى لا تحصى كثرةً ، ولم يشتهر فى زمن من الأزمان أنها آذتْ أحدا قطُّ .

الخليج الثـانى

(خليج القاهرة الذى يكسر سدّه يومَ وفاء النيل)

حفره عمرو بن العاص وهو أمير مصر، فى خلافة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه.

قال القضاعىّ : أمر بحفره عام الرَّمادة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وساقه إلى بحر القُلْزُم، فلم يتم عليـه الحول حتّى جرَتْ فيـه السفن وحمل فيها الزاد والأطعمة إلى مكّةَ والمدينة، ونفع الله بذلك أهلَ الحجاز .

وذكر الكِنْدىّ فى كتاب "الجند العربىّ" أن حفره كان سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وفرغ منه فى سـتة أشهر ، وجرت فيـه السفن ووصلت إلى الحجاز فى الشهر السابع .

قال الكِنْدىّ : ولم يزل يحمل فيه الطعام حتّى حَمَلَ فيه عمر بن عبد العزيز ، ثم أضاعتـه الوُلاة فترك وغلب عليـه الرمل ، وصار منتهاه إلى ذَنَب التِّمساح من ناحية الطُّور والقُلْزُم .

وذكر ابن قديد : أن أبا جعفر المنصور أمر بسدّه حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ليقطع عنه الطعام .

ولم يكن عليه قنطرة إلى أن بنى عليه عبد العزيز بن مَرْوَانَ قنطرة فى سنة تسع ...(١)

وقد ذكر المسعودىّ فى " مروج الذهب " أنه آنقطع جريان هذا الخليج(٢) عن الإسكندرية إلى سنة آثنتين وثلاثين وثلثمائة لردم جميعها وصار شرب أهلها من الآبار .

قال آبن عبد الظاهر : وليس لها أثر فى هذا الزمان . قال : وإنما بنى السلطان الملك الصالح أيوب آبن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب هاتين القنطرتين الموجودتين الآن على بستان الخشاب وباب الخرق ، يعنى قنطرة السدّ وقنطرة باب الخرق فى سنة نيف وأربعين وستمائة .

وذكر فى موضع آخر من خِطَطه أن القنطرة التى عليه خارجَ باب القنطرة بناها القائد جوهر سنة ستين وثلثمائة ، وقنطرة اللؤلؤة ـ وهى التى كانت بالقرب من مَيْدان القمح ، وبعضها باق إلى الآن ـ من بناء الفاطميين أيضا ، واللؤلؤة التى تنسب هذه القنطرة إليها مَنْظَرة على بَرّ الخليج القبلىّ ، بناها الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمىّ ، كانت مستنزها لخلفاء الفاطميين ينزلون فيها فى أيام النيل ويقيمون بها إلى آخر النيل .

قلت : أما باقى القناطر التى على هذا الخليج : كقنطرة عمر شاه ، وقنطرة سنقر ، وقنطرة أمير حسين ، فكلها مستحدَثة فى الدولة التركية ، وغالبها فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون .

قال آبن أبى المنصور فى " تاريخه " : وأوّل من رتب حفره على الناس المأمونُ آبن البطائحىّ ، وكذلك البساتين فى دولة الأفضل ، وجعل عليه واليا بمفرده .

---

(١) لعله تسع وستين فان آبتداء ولايته لمصر فى خمس وستين .

(٢) هذه الفقرة غير مناسبة هنا وقد ذكرها قريبا بلفظها فى الكلام على خليج الاسكندرية فتنبه .

الخليج الثالث

(خليج السَّـرْدُوس)

ويقال السَّرْدُوسى بزيادة ياء فى آخره، وهو الذى حفره هامانُ لفرعون .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ويقال : إنه لما حفره سأله أهل البلاد أن يجريه إليهم على أن يجعلوا له على ذلك مالا ، فتحصل له من ذلك مائة ألف دينار فحملها إلى فرعون، فقال : ويحك ! إنه ينبغى للسيد أن يعطف على عبيده ولا ينظر إلى ما فى أيديهم، وأمر بردّ المال إلى أربابه .

قال : وكان هـذا الخليج أحد نزهات الدنيا يُسار فيه يوما بين بساتينَ مشتبكة وأشجار مُلْتَفَّة وفواكه دانية . قلت : أما الآن فقـد ذهب ذلك ، وبطل الخليج وعوض عنه ببحر أبى المنجا الآتى ذكره .

الخليج الرابع

(خليج الإسكندرية)

وهو خليج مخرجه من الفرقة الغربية من النيل عنـد قرية تسمّى العَطْف تُقَابِلُ فُوَّة، مدينة المزاحمتين، ويميل غربا حتى يتصل بجُدْران الإسكندرية، وتدخل منه قناةٌ تحت الأرض إلى داخلها ، ويتشعب منها شُعَبٌ كثيرة تدخل دُورَها، وتخرج من دار إلى أخرى، ويخالط آبارها فيحلو ماؤها وتملأ منها صهاريجها حينئذ فتمكث من السنة إلى السنة .

وكانت فُوَّهَةُ هذا الخليج فيما تقدم جنوبىّ فُوَّهته الآن عندقرية تسمّى الظاهرية من عمل البُحَيْرة ، وكان يمر على دَمَنْهور مدينـة البحيرة ، ثم نقل إلى مكانه الآن، ويقال إن أرضه فى القديم كانت مفروشة بالبلاط .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وهو من أحسن المتزهات لأنه محضر الجانبين بالبساتين، وفيه يقول ظافر الحداد الشاعر السكندرى :

وعَشِيَّةٍ أهدَتْ لِعَيْنِكَ مَنْظَرًا ◦ جَاءَ السُّرُورُ بِهِ لِقَلْبِكَ وَافِدَا
رَوْضٌ كَمُخْضَرِّ العِذَارِ وجَدْوَلٌ ◦ نَقَشَتْ عَلَيْهِ يَدُ الشَّمَالِ مَبَارِدَا
والنَّخْلُ كالغِيدِ الحِسَانِ تَزَيَّنَتْ ◦ ولَبِسْنَ مِنْ أَثْمَارِهِنَّ قَلَائِدَا

وقد ذكر المسعودى فى "مروج الذهب" : أنه انقطع جَرَيان هذا الخليج عن الإسكندرية إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة لردم جميعها، وصار شرب أهلها من الآبار .

الخليج الخامس

27

(خليج منجا)

ويقال إن الذى حفره بَرْصا : أحد ملوك مصر بعد الطوفان .

الخليج السادس

(خليج دِمْياط)

ولم أقف على تفاصيل أحواله .

أما بحر أبى المنجا، فإنه وإن عظم شأنه مستحدث حفره الأفضل بن أمير الجيوش وزير المستعلى بالله الفاطمى .

قال ابن أبى المنصور فى "تاريخه" : وكان سبب حفره أن البلاد الشرقية كانت جارية فى ديوان الخلافة، وكان معظمها لا يروى فى أكثر السنين ولا يصل الماء إليها إلا من خليج السَّردوس المتقدم ذكره أو من غيره من الأماكن البعيدة .

وكان يشارف العمل يهودىٌّ آسمه أبو المنجا فرغب أهل البلاد إليه فى فتح ترعة يصل الماء منها إليهم فى آبتدائه فرفع الأمر إلىٰ الأفضل، فركب فى النيل فى آبتدائه فى مركب ورمىٰ بحُزَمٍ من البُوصِ فى النيل وجعل يتبعها بمركبه إلىٰ أن رماها النيل إلىٰ فَم ذلك البحر فحفر من هناك ، وآبتدأ حفره يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة، وأقام الحفر فيه سنتين وغُرِمَ فيه مال كثير . وكان فى كل سنة تظهر فائدته ، ويتضاعف آرتفاع البلاد التى تحته ، وغلب عليه إضافته إلىٰ أبى المنجا لتكلمه فيه . فلما عرض علىٰ الأفضل ما صرف عليه آستعظمه وقال غَرِمنا عليه هذا المال العظيم والآسم لأبى المنجا ، فسماه البحر الأفضلىّ فلم يتم له
28 ذلك ولم يعرف إلا بأبى المنجا ، ثم سطى بأبى المنجا المذكور بعد ذلك ونُفِى إلىٰ الإسكندرية . ولما ولى المأمون بن البطائحى الوزارة تحدث معه الأمراء فى أن يتخذ لفتحه يوما كفتح خليج القاهرة، فآبتنىٰ عند سده منظرة متسعة ينزل فيها عند فتحه .

قلت : وكانت فيه معدّية يعدّى فيها بين قليوب و بيسوس، وكان يحصل للناس بها مشقة عظيمة لكثرة المازين، فعمر عليها الظاهر بيبرس رحمه الله قنطرةً عظيمة بحجر صَلْد، من غرائب البناء، تمرّ عليها الناس والدواب، فحصل للناس بها الآرتفاق العظيم، وهى باقية علىٰ جِدَّتِها إلىٰ زماننا .

وكان سده يقطع فى عيد الصليب فى سابع عشر توت ، ثم آستقر الحال علىٰ أن يقطع يوم النَّوْروز فى أوّل يوم من توت حرصا علىٰ رىّ البلاد .

وأما بقية خُلُج الدّيار المصرية المستحدثة وتُرَعها بالوجهين : القبلىّ والبحرىّ، فأكثر من أن تحصر، ولكل منها زمن معروف يقطع فيه .

المقصـــــــد الخامس

(فى ذكر بُحَيرات الديار المصرية ، وهى أربع بحيرات)

الأولى منها — بُحَيْرَةُ الفَيُّوم ، ويُعَبَّر عنها بالبِرْكة ، وهى بُحَيرةٌ حُلْوةٌ بالقرب من الفيوم بين الشمال والغرب عنه ، على نحو نصف يوم ، يصب فيها فضلات مائه المنصب إليه من خليجه المَنْهى المتقدّم ذكره ، وليس لها مَصْرِفٌ تنصرف إليه لإحاطة الجبل بها ، ولذلك غلبت على كثير من قرى الفَيُّوم وعلا ماؤها على أرضها .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وطولها شرقا بغرب نحو يوم ، وبها أسماك كثيرة تُحصل من صيدها جملةٌ كثيرةٌ من المال ، وبها من آجام القَصَب والطَّرْفاء والبَرْدِىّ ما يتحصل منه المال الكثير .

الثانية — بحيرة بُوقِيرَ (بضم الباء المُوَحَّدَةِ وسكون الواو وكسر القاف وسكون الياء المثناة تحتُ وراء مهملة فى الآخر) وهى بُحَيرةُ ماءٍ مِلْحٍ يخرج من البحر الرومىّ بين الإسكندرية ورشيد ، ولها خليج صغير مشتق من خليج الإسكندرية المتقدّم ذكره ، يأتيها ماء النيل منه عند زيادته ، وبها من صيد السمك ما يتحصل منه المال الكثير ، وفيها من أنواع الطير كلُّ غريب ، وبجوانبها المَلَّاحَاتُ الكثيرة التى يحمل منها المِلْحُ إلى بلاد الفرنج وغيرها .

قال : وقد وقع للسلطان عماد الدين صاحب حماة رحمه الله وَهَمٌ فجعل هذه البحيرة هى بحيرة نَسْتَرُوه الآتى ذكرها ، على أن هذه البحيرة قد انقطع مَدَدها من البحر الملح فى زماننا بواسطة غَلَبَةِ الرمل على أشْتُونها الموصل إليها الماء من بحر الروم فجفَّت وصارت سبخة طويلة عريضة ، ومات ما كان يصاد منها من السمك البُورِىّ ، وما يتحصل منها من المِلْح المنعقد بسواحلها ، وعاد على الإسكندرية

بواسطة ذلك ضرر كبير لأنه كان الغالب على أهلها أكل السمك و يحصل لهم بالملح رفق كبير .

الثـالثة ــ بُحيرة نَسْتَرُوه (بفتح النون وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوق وضم الراء المهملة وسكون الواو وهاء فى الآخر) وهى بحيرة ماء مِلْح أيضا بالقرب من البرلُّس فى آخر بلاد الأعمال الغربية الآتى ذكرها، متسعة الأرجاء إذا توسطها المركب لا تُرى جوانبها لعظمها، لبعد مركزها عن البر . و بالقرب منها قرية تسمى نَسْتَرُوه ، وهى التى تضاف إليها، وداخلها قرية أخرى تسمى سِنْجار لا زرع فيهما ولا نفع ، وليس بهما غير صيد السمك ، وهى الغاية القُصْوى فيما يتحصل من المال .

قال صاحب حماة : يبلغ متحصل صيد سمكها فى كل سنة فوق عشرين ألف دينار مصرية، وليس يساويها بحيرة من البحيرات فى ذلك .

قلت : وأخبرنى بعض مباشريها أنها فى زماننا قد تميز متحصلها عن ذلك نحو مثله للاجتهاد فى الصيد، وكثرة الضبط وارتفاع السعر .

الرابعة ــ بحيرة تِنِّيس قال السمعانى (بكسر التاء المثناة فوق والنون المشددة المكسورة ثم ياء مثناة تحت وسين مهملة فى الآخر) وهى بُحيرة متصلة بالبحر الرومى أيضا بآخر عمل الدقهلية والمُرْتاحية الآتى ذكره، وفيها مصب بحر أُشْمُوم المنفرق من الفرقة الشرقية من النيل، ولذلك يعذب ماؤها فى أيام زيادة النيل . و بوسطها تِنِّيس الآتى ذكرها فى الكلام على الكُوَر القديمة .

قال صاحب "الروض المعطار" : طمى عليها البحر قبل الفتح الإسلامى بمائة سنة فغرّقها وصارت بحيرة ، و يتصل بهذه البحيرة من جهة الغرب "بحيرة دمياط" وهما فى الحقيقة كالبحيرة الواحدة .

المقصـــد السادس
(فى ذكر جبالها)

إعلم أن وادى مِصْرَ يكتنفه جبلان شرقا وغربا ، يبتدئان من الجنادل المتقدّمة الذكر فوق أُسْوان آخِذَيْن فى جهة الشَّمال على تقارب بينهمـا بحيث يُرى كل منهما من الآخر والنيل مارّ بين جَنْبَيْهما .

فأما الشرقىّ منهما فيمرّ بين النيل وبحر القُلْزُم المتقدّم الذكر حتّى يجاوز الفُسْطَاط فينعطف ويأخذ شرقا حتّى يأتىَ على آخر بحر القُلْزُم من الشَّمال، يرتفع فى موضع وينخفض فى آخر، وفى أوائل هـذا الجبل من جهة الجنوب على القرب من مدينة قُوص (مَعْـدِن الزُّمُرُّدِ) المتقدّم ذكره فى خواص الدّيار المصرية، فى مغارة طويلة 31
فى قطعة جبل عالية، تسمّى قرشنده ليس هناك أعلى منها، وعلى القرب من ذلك (مقطع الرُّخامِ) الملوّن من الأبيض والسُّمَّاقىّ وسائر الألوان المستحسنة التى لا تساوى حُسْنًا .

ويسمّى الجبل المطلّ منه على النيـل مقابل المراغات من عمل إخميم . (جبـل الساحرة) وأظنه جبـل زماخير الساحرة المتقدّمة الذكر فى عجائب الدّيار المصرية .

ويسمّى الجبـل المطل منه على النيل مقابل مدينة مَنْفَلُوط (جبل أبى فيدة) بفاء وياء مثناة تحت .

ويسمّى الجبل المطل منـه على النيل مقابل منية بنى خصيب من الأُشْمُونين . (جبل الطيلمون) ، ويعرف الآن بجبل الطَّير ، وقد تقـدّم ذكره فى جملة عجـائب الديار المصرية .

ويسمّى ماسامت الفُسْطَاط والقرافة منه (المُقَطَّم) وربمـا أُطْلِقَ المُقَطَّم على جميع المُقَطَّم(1) ، وقد آختلف فى سبب تسميته بذلك ، فقيـل سمى باسم مُقَطَّم الكاهن كان مقيما فيه لعمل الكيميا .

(1) لعله على جميع الجبل .

وقال أبو عبد الله اليمني : سمي بالمُقَطَّم بن مصر بن بيصر، وكان عبدا صالحا آنفرد فيه لعبادة الله تعالىٰ .

وذكر الكِنْدِيّ في كتاب "فضائل مصر" ما يوافق ذلك : وهو أن عمرو بن العاص رضي الله عنـه سار في سفح المُقَطَّم ومعه المُقَوْقِسُ ، فقال له عمرو : ما بالُ جبلكم هذا أقرعَ ليس عليـه نبات كجبال الشام ؟ فلو شققنا في أسفله نهرا من النيل وغرسناه نخلا — فقال المقوقس : وجدنا في الكتب أنه كان أكثر البلاد أشجارا ونبتـا وفاكهة ، وكان ينزله المُقَطَّمُ بن مصر بن بيضر بن حام بن نوح عليه السلام ، فلمـا كانت الليلة التي كلم الله تعالىٰ فيها موسىٰ عليـه السلام ، أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ الجبـال : إني مكلِّمٌ نبيا من أنبيائي علىٰ جبل منكِ فسمَتِ الجبال كلُّها وتشامخت إلا جبلَ بيت المقدس فإنه هبط وتصاغر ، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه : لِمَ فعلت ذلك؟ وهو به أخبر ، فقال : إعظاما وإجلالا لك يارب ! فأمر الله تعالىٰ الجبال أن يحبُوه 32
كل جبل ممـا عليه من النبت ، فجاد له المُقَطَّمُ بكل ما عليه من النبت حتىٰ بقِي كما ترىٰ ، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه إني معوّضك علىٰ فعلك بشجر الجنة أو غَرْس الجنة .

وأنكر القضاعيّ وغيره أن يكون لمصر ولد آسمه المقطم ، وجعلوه مأخوذا من القطم وهو القطع ، لكونه منقطع الشجر والنبات .

قال آبن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وفيه كنوز عظيمة ، وهيا كلُ كثيرة ، وعجائبُ غريبـة . وللملوك مصر فيه من الجواهر والذهب والفضة والأواني ، والآلات النفيسة ، والتماثيل العجيبة ، وتراب الصنعة ما يخرج عن حدّ الإحصاء .

قال في "الروض المعطار" وإذا دُبِّرَتْ تُرْبَتُهُ حصـل منها ذهب صالح .

ويلي المُقَطَّمَ من جهة الشَّمال (اليَحَاميمُ) ، وهي الجبال المتفرقة المطلة علىٰ القاهرة من جانبها الشرقي وجَبَّانَتِهَا .

قال القضاعىّ : وقيل لها اليَحَامِيمُ لاختلاف ألوانها ، واليَحْمُوم فى كلام العرب الأسْوَدُ المظلمُ ، ولعله يريد الجبل الأحمر وما والاه .

وفى شرقىّ المُقَطَّم علىٰ بحرالقُلْزُم (طُورُسِينَا) الذى كلَّم الله تعالىٰ موسىٰ عليه السلام عليه ، وهو جبل مرتفع للغاية ، داخل فى البحر .

قال الأزهرى : وسمى الطُّور بطُور بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ومن خاصَّته أنه كيفما كُسِرَ ، ظهر فيه صورة شجر العليق ، وقد بُنِىَ هناك دَيْرٌ بأعلىٰ الجبل ، وغرس بواديه بَسَاتِينُ وأشجارٌ .

⁂

وأما الغربىّ منهما ، فإنه يبتدئ من الجنادل أيضا و يمرّ فى الشَّمال فيما بين بلاد الصعيد والصحراء ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والوَاحَاتِ ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والفَيُّوم حتّىٰ ينتهى إلىٰ مقابل الفُسْطَاط . وهناك موقع الهَرَمَيْنِ العظيمين المقدّم 33
ذكرهما علىٰ القرب من بُوصِير، ثم ينعطف و يأخذ غربا بشَمَالٍ فيما بين بلاد ريف الوجه البحرىّ والبَرِّيَّة حتّىٰ يجاوز بِرْكة النَّطْرُون ، ويمضى إلىٰ قريب من الإسكندرية .

و يسمَّى فيما سامت الواحات (جبل جالوت) نسبة إلىٰ جالوت البربرى .

و يتصل به من جنوبىّ الوَاحَاتِ (جبل اللَّازَوَرْد) قيل إن به معدن لازورد ، وانه امتنع استخراجه لانقطاع العمارة هناك .

المقصـــــد السابع

(فى ذكر زروعها، ورياحينها، وفواكهها، وأصناف المطعوم بها)

أما زروعها فيزرع فيها من أنواع الحبوب المُقْتاتة وغيرها كالبُرّ والشعير والذُّرَة والأُرْز، والبَاقِلِّى ، والحِمَّص ، والعَدَس ، والبِسِلَّا ، والجُلُبَّان ، واللُّوبِيَا ، والسِّمْسِم ، والقُرْطُم ، والخَشْخَاش ، والخِرْوَع ، والسَّلْجَم ، و بِزر الكَتَّان ، والبِرْسِيم ، وغير ذلك .

وبها قصب السكّر في غاية الكثرة، والبِطّيخ، والقِثّاء على آختلاف أنواعها، والمُلوخيا، والقُلْقاس، واللفتُ، والباذنجان، والدُّبّاء، والهِلْيَوْن، والقُنّبِيط، وأنواع البقول المختلفة، كالثوم، والبصَل، والكُرّاث، والفُجْل وغيرها؛ وعامة زرع حبوبها على النيل عند نزوله عن أرضها من أثناء بابَه من شهور القِبْط إلى أثناء طُوبَه منها بحسب ما يقتضيه حال الزرع . وربما زرع فيها على السواقى والدواليب؛ وأكثر ما يكون ذلك في بلاد الصَّعِيد خصوصا في سنين الجَدْب؛ ويُزْرَع في الفيوم في غير زمن النيل على نهره المنهى المتقدّم ذكره في جملة الأنهار . ولا زرع فيها على المطر إلا القليل النادر بأطراف البحيرة مما لا عبرة به على قلة المطر بها بل فقده بصعيدها .

وأما رَياحِينُها، ففيها الآس، والوَرْدُ، والبَنَفْسَجُ، والنَّرْجِسُ، والياسَمِينُ، والنِّسْرِينُ، والبَانُ، واللَّيْنُوفَرُ، وأزهار المحمضات، والرَّيْحانُ الفارسيّ على آختلاف أنواعه، والمنثور فيها بقلة، وإنما كثر بالإسكندرية، إلى غير ذلك من بقايا الأنواع التي يشق آستيعابها .

وأما فواكهها، ففيها الرُّطَبُ، والعِنَبُ، والتِّينُ، والرُّمّانُ، والخَوْخُ، والمِشْمِشُ، والقَراصِيَا، والبَرْقُوقُ، والتُّفّاحُ، والكُمَّثْرَى، والسَّفَرْجَلُ بقِلّةٍ، واللَّوْزُ الأخضر، والنَّبِقُ، والتُّوتُ، والفِرْصَادُ، والمَوْزُ . ولا يوجد فيها الجَوْزُ، والفُسْتُقُ، والبُنْدُقُ، والإجّاص إلا مجلوبا بعد جفافه . وإن زرع بأرضها شيء من ذلك لم يُفلح؛ والزيتون فيها بقِلّةٍ، ولا يستخرج منه زيت البتة وإنما يؤكل مِلْحًا .

وفيها من المحمضات الأُتْرُجُّ، والحُمّاضُ، والكِبَاد، والنّارَنْجُ، واللَّيْمُونُ، على آختلاف أنواعها .

وأما أصناف المطعوم ففيها ما يستطاب من الألبان، والأجبان، والعسل، الذى لا يساوى حسنا ، ولا يشبهه غيره من سائر الأعسال، والسكر الكثير من المكرر والتبع، والوسط، والنبات . ومنها يجلب إلى أكثر البلاد . قال فى "مسالك الأبصار" : وقد نسى به ما كان يذكر من سكر الأهواز .

وبها من أنواع الحلوى والأشربة المتخذ ذلك من السكر والأشربة(؟) الفائقة مالا يوجد فى غيرها من الأقاليم .

وبها من لحم الضأن، والبقر، والمعز، ما لا يعادله غيره فى قطر من الأقطار لطافة ولذة .

قلت : ومن محاسنها أن فاكهتها لايدوم نوع منها فى جميع السنة فيمل، بل يأتى كل نوع منها فى وقت دون وقت . فتتشوف النفوس إلى طلبه . ويكون لقدومه بهجة . ولا يعترض ذلك بدوام أكل الجنة، فإن الجنة أكلها لا يمل بخلاف مأكل الدنيا . ولأهل الرفاهية بذلك فرحة، وتتغالى فيه فى ابتدائه مع أنه يجتمع فى الحين الواحد من الفواكه والرياحين مالا يحتاج معه فى زمنه إلى غيره .

قال المهذب بن مماتى فى "قوانين الدواوين" : بعثت غلاما لى ليحضر من فكاهى القاهرة ما وجد بها من أنواع الفاكهة والرياحين، فأحضر لى منها الورد، والنرجس، والبنفسج، والياسمين، والمنثور، والمرسين، والريحان، والطلح، والبلح، والجمار، والخيار، والبطيخ الأخضر، والباقلى، والتفاح، والفقوس، والأترج، والنارنج، والأشباه، والليمون، والتمرهندى الأخضر، والعنب، والحصرم .

وقال بعض الجوالين فى الآفاق : طفت أكثر المعمور من الأرض فلم أر مثل ما بمصر من ماء طوبه، ولبن أمشير، وخروب برمهات، وورد برموده، ونبق بشنس، وتين بئونة، وعسل أبيب، وعنب مسرى، ورطب توت، ورمان بابه، وموز هتور، وسمك كيهك .

المقصـــد الثامن

(فى ذكر مواشيها، ووحوشها، وطيورها)

أما مَوَاشِيها، ففيها الإبل المستجادة، والبقر العظيمات القدود، والأغنام المستطابة اللحوم، والخيول المُسَوَّمَةُ، والبغال النفيسة، والحُمُرُ الفارهة مما ليس له نظير فى إقليم من الأقاليم، ولا مصرٍ من الأمصار .

وأما وُحُوشُها، ففى براريها الغِزْلَانُ، والنَّعامُ، والأَرَانِبُ، والثَّعالب، والضِّبَاعُ، والذِّئابُ، وغير ذلك، ويجاب إلىٰ سلطانها الفِيَلَةُ، والزَّرَافَاتُ، وغيرها من الوحوش من البلاد القاصية، والسِّـبَاعُ من بلاد الشام من مملكته لتكون فى إصطبلاته زينةً لمملكته .

وأما طيورهـا ففيها من الطيور الدَّواجن فى البيوت الدَّجَاجُ ، والإوزُّ، والحَمَامُ؛ ومن الطيور البَرِّيَّةِ الصَّقْرُ، والعُقَابُ، والنَّسْرُ، والكُرْكِىّ، واللَّغْلَغُ، والإوزُّ التُرْكِىّ، والمرزم، والبَجَعُ، والبَلَشُون، والحُبْرُجُ، والحَجَلُ، والكَرَوانُ، والسُّمَانَىٰ، والبُلْبُلُ، وسائر أنواع العصافير، والأنواع المختلفة من طيور المـاء . ويجلب إلىٰ سلطانهـا سائر أنواع الجوارح الصائدة علىٰ اختلاف أجناسها من أقاصى البُـلْدان ، ويقع التغالى فى أثمانها للغاية القصوىٰ علىٰ ما يأتى ذكره فى الكلام علىٰ أوصافها إن شاء الله تعالىٰ .

المقصـــد التاسع

(فى ذكر حدودها)

قد اضطربت عبارات المُصَنِّفِينَ فى المسالك والممالك فى تحديدها، والذى عليه الجمهور أن حدّها الشَّمالىّ، وهو المعبر عنه عنـد المصريين بالبحرىّ يبتدئ ممـا بين الزعقة ورَفَح عنـد حدّها من الشام والبحر شمـاله ، ويمتـد غربا علىٰ ساحل البحر

المذكور حيث الشجرتان عند الشجرة التى يعلق فيها العوامُّ الخِرَق وتقول هذه مفاتيح الرمل، عند الكُثُب المجنبة عن البحر الرومىّ، إلىٰ رَفَحَ ثم إلىٰ العريش آخذا علىٰ الجِفَار، إلىٰ الفَرَما، إلىٰ الطينة، إلىٰ دِمياط، إلىٰ ساحل رشيد، إلىٰ الإسكندرية، وهى آخر العمارة بهذا الحدّ. ثم يأخذ علىٰ اللينونة، علىٰ العميدين، إلىٰ بَرْقَة، إلىٰ العقبة الفاصلة بين الديار المصرية وإفْرِيقِيَّة علىٰ ما تقدم ذكره فى الكلام علىٰ سواحل البحر الرومىّ .

وحدّها الغربىّ يبتدئ من ساحل البحر الرومىّ حيث العَقَبة، و يمتدّ جنوبا، وأرض إفْرِيقِيَّة غربيه، علىٰ ظاهر الفَيُّوم والْوَاحَات حتّٰى يقع علىٰ صحراء الحبشة علىٰ ثمان مراحل من أُسْوان .

وحدّها الجَنُوبىّ وهو المعبر عنه عند المصريين بالقِبْلِىّ، يبتدئ من آخر هذا الحدّ بصحراء الحبشة و يمتدّ شرقا، وبلاد الروم من بلاد البَرِّيَّة جنوبيّه حتّٰى يأتى إلىٰ أسوان، ثم يمتدّ من أسوان شرقا حتّٰى ينتهى إلىٰ بحر القُلْزُم مقابل أسوان علىٰ خمس عشرة مرحلة منها .

وحدّها الشرقى يبتدئ من آخر هذا الحدّ و يمتدّ شمالا و بحرُ القُلْزُم شرقيُّه إلىٰ عَيْذَابَ إلىٰ القُصَيرِ إلىٰ القُلْزُمِ إلىٰ السُّوَيْس، ثم يأخذ شرقا عن بركة الغُرُنْدُل التى أغرق الله تعالىٰ فيها فرعون من بحر القُلْزُمِ إلىٰ تِيهِ بنى إسرائيل؛ ثم يعطف شمالا ويمرّ علىٰ أطراف الشام حتّٰى يَنحطَّ علىٰ ما بين الزعقة ورَفَحَ ساحل البحر الرومىّ حيث وقعت البداءة .

وعلىٰ هذا التحديد جرىٰ السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تقويم البُلْدان" والمقرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "التعريف" إلا أنه فى "تقويم البُلْدان" جعل آبتداء الحدّ الشمالىّ نفس رَفَح، ونهاية الحدّ الغربىّ حدود بلاد النُّوبة؛ وفى "التعريف"

جعل ٱبتداء الحدّ الشمالى ما بين الزعقة ورفح، ونهاية الحدّ الغربى صحراء بلاد الحبشة على ما تقدّم فى التحديد، والأمر فى ذلك قريب .

وخالف فى ذلك القُضاعىّ بجعل ٱبتداء الحدّ الشّمالىّ من العَريش ، وليس فيه بُعْدٌ عن رَفَحَ بل فى الآثار ما يدل عليه . كما سيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى. وجعل الحدّ الجَنوبىّ يقطع بحر القُلْزُم و ينتهى إلى ساحل الحجاز بالحَوْراء: أحدِ منازل طريق الحجاز من مصر، والحدّ الشرقىّ يمتدّ على ساحل البحر الشرقىّ إلى مَدْيَنَ، إلى أَيْلَةَ، إلى تِيهِ بنى إسرائيل، إلى العَرِيش . فأدخل بحر القُلْزُم من حدّ الحَوْراء إلى نهايته فى الشَّمال، وما على ساحله من برّ الحجاز مما يسامت العَرِيشَ كأَيْلَةَ ومَدْيَنَ ونحوها فى أرض مصر .

قلت : وفيه نظر، والظاهر ما تقدّم لأن البر الشرقىّ من القُلْزُم معدود من ساحل الحجاز من جملة جزيرة العرب، وهى ناحية على ٱنفرادها، وكأن الذى حمل القُضاعىّ على ذلك مسامتة هذا الساحل لحدّها بساحل البحر الرومىّ على ما تقدّم .

وٱعلم أن جميع المحدّدين لها و إن ٱختلفت عباراتهم فى ٱبتداء الحدّ الشّمالى الفاصل بينها و بين الشام، هل هو من العريش أو من رَفَحَ أو بين الزعقة ورَفَحَ؟ متفقون على أن ٱبتداء الحدّ حيث الشجرتان ، وكأنهما شجرتان قديمتان حدّد فى الأصل بهما .

قال فى "التعريف" : وما إخال الآن بقاء الشجرتين، وإنما هو موضع الشجرة التى تعلّق فيها العوامّ الخِرَق ، و يقولون هذه مفاتيح الرمل عند الكُثُب المجنبة عن البحر الرومىّ قريبا من الزَّعْقَة .

قال : فأما الأشجار التى بالمكان المعروف الآن بالسردية[(١)]، و يعرف قديما بالعُشّ فهى و إن عظمت محدثة من زمن مَنْ حدّد الأقاليم ،وليست فى موضع ما ذكروه.

(١) فى الضوء، والتعريف "بالخرّوبة" .

ثم لها طُول وعَرْضٌ . فطولها ما بين جهتى الشَّمال والجنوب ، وعَرْضها ما بين جهتى المشرق والمغرب . وقد قيل إن طولها مسيرة شهر وعرضها مسيرة شهر . وذكر القضاعى أن ما بين العريش إلى بَرْقة أربعون ليلة .

المقصد العاشر

(فى ٱبتداء عمارتها، وتسميتها مصر، وتفرّع الأقاليم التى حولها عنها)

أما ٱبتداء عمارتها، فقد ذكر المؤرّخون أنها عُمِرت مرتين :

المرّة الأولى ـ قبل الطُّوفان، وأوّل من عَمَرها قبل الطوفان نقراووس بن مصريم ٱبن براجيل[1] بن رزائيل بن غرباب بن آدم عليه السلام، نزلها فى سبعين رجلا من بنى غرباب جبابرة، فعَمَرها . وهو الذى هَنْدس نِيلَها وحفره حتّى أجراه ، ووجه إلى البرية جماعةً هندسُوه وأصلحُوه، وبَنَى المُدُنَ وأثارَ المعادنَ، وعمل الطلسمات .

المرة الثانية ـ بعد الطُّوفانِ ، وأوّل من عَمَرها بعد الطوفان مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ، قدم إليها هو وأبوه بيصر فى ثلاثين رجلا من قومه حين قسم نوح الأرضَ بين بنيه ، فنزلوا بسفح المُقَطَّم ، ونَقَرُوا فيه منازل كبيرة نزلوا بها ثم ٱبتنَوا مدينة مَنْف وسكنوها على ما يأتى ذكره فى الكلام على قواعد مصر القديمة إن شاء الله تعالى .

قال ٱبن لَهِيعَة : وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر أن يُسْكِنَه الله تعالى الأرضَ الطيّبة المباركة التى هى أمُّ البلاد، وغَوْثُ العباد ، ونهرها أفضل الأنهار، ويجعلَ له فيها أفضلَ البركات، ويُسَخِّر له الأرضَ واولده ويذلّلها لهم، ويقوّيهم عليها . فسأله عنها فوصفها له، وأخبره بها .

---

(١) لم تتفق الكتب على هذه الأسماء، بل كل كتاب يخالف الآخر فلذلك لم نعوّل عليها واقتصرنا على ما فى نسختنا الخطية .

وأما تسميتها مصر ، فقيل : إن نقراووس بن مصريم أول ملوكها قبل الطوفان حين عمرها سماها باسم أبيـه مصريم تبركا ، وأن مصر بن بيصر إنما سمى باسمه . وأكثر المؤرخين على أنها سميت بمصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام . وعلى الوجهين تكون عَلَمًا منقولا عن آسم رَجُل .

وقال الجاحظ فى رسالة له فى مدح مصر : إنما سميت مِصْرَ لمصير الناس إليها

قلت : ويجوز أن تكون سميت مِصْرَ لكونها حدًا فاصلا بين بلاد المشرق والمغرب إذ المصر فى أصل لغة العرب آسم للحدّ بين الأرْضَيْن كما قاله القُضَاعىّ . ومنـه قول أهل هجر : آشتريت الدار بمُصُورها ، أى بحدودها .

قال القضاعىّ : وكيف ما [1] ... أما أن أريد بالمصر البلد العظيم فإنه ينصرف ويجمع على أمصار .

وأما تَفَرُّعُ الأقاليم التى حولها عنها . فعن آبن لَهِيعة أنه لما آستقرّ مصر بن بيصر بهذه البلاد هو وأبوه بيصر وإخوته : فارق ، وماح ، وياح وكثر أولادهم ، قال له إخوته : قد علمت أنك أكبرُنا وأفضلُنا ، وأن هذه الأرضَ أسكنك إياها جدُّك نوحٌ ، ونحن نضيّق عليك أرضَك ، ونحن نطلب إليـك بالبركة التى جعلك فيها جدّك نوح أن تبارك لنا فى أرض نلحق بها ونسكنها ، وتكون لنا ولأولادنا ، فقال : نعم عليكم بأقرب البلاد إلىّ ، لا تباعدوا منى ، فإن لى فى بلادى هذه مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسى ، وتكون لى ولولدى وأولادهم ، فحاز مصر لنفسه ما بين الشجرتين اللتين بالعريش إلى أُسوان طولا ، ومن بَرْقَةَ إلى أَيْلَةَ عَرْضا ؛ وحاز فارق لنفسـه ما بين بَرْقَةَ إلى إفْرِيقِيَّـة ، فكان ولده الأفارقة ، وبذلك سميت إفْرِيقِيَـةُ ، وذلك مسـيرة شهر ؛ وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهى حدّ مصر إلى الجزيرة ، مسيرة

(١) كذا فى الأصل بدون بياض وهو غير مستقيم ولعله وكيفما كان فإنها لا تنصرف . أما إن الخ .

شهر، وهو أبو نَبَط الشام . وحاز ياح ما وراء الجزيرة كلها من البحر إلى الشرق مسيرة شهر، فهو أبو نَبَط العراق .

وقد قال القضاعي بعد ذكر حدود مصر الأربعة : وما كان بعد هذا من الجانب الغربي فهو من فتوح أهل مصر وثغورهم من بَرْقَة إلى الأَنْدَلُس .

قلت : وذلك أن المسلمين بعد فتح مصر توجهت طائفة منهم إلى إفْرِيقِيَّة ففتحتها، ثم توجهت طائفة من إفْرِيقِيَّة إلى الأَنْدَلُس ففتحته على ما سيأتى ذكره فى الكلام على مكاتبات ملوك الغرب إن شاء الله تعالى .

المقصد الحادى عشر

(فى ذكر قواعدها القديمة ، والمبانى العظيمة الباقية على ممر الأزمان، والقواعد المستقرة، وما فيها من الأبنية الحسنة)

وقواعدها القديمة على ضربين :

الضرب الأول

(ما قبل الطوفان)

والمعروف لها إذ ذاك قاعدتان :

القاعدة الأولى – مدينة أمسوس، وهى أول مدينة بنيت بالديار المصرية قبل الطوفان، بناها نقراووس بن مصريم بن براجيل بن رزائيل بن غرباب بن آدم عليه السلام : أول ملوك مصر قبل الطوفان، وموضعها خارج الإسكندرية تحت البحر الرومى كما ذكره بعض المؤرخين، وشق لها نهرا يتَّصل بها من النيل .

القاعدة الثانية – مدينة برسان، وهى مدينة بناها نقراووس المتقدم ذكره لابنه مصرايم وأسكنه فيها، ولم أقف على مكانها .

الضرب الثـانى
(قواعدها فيما بعد الطوفان)

والمشهور منها ثلاث قواعد :

القاعدة الأولى ـ مدينة مَنْف. قال فى "تقويم البُلْدان" : (بكسر الميم وسكون النون وفاء فى الآخر) والجـارى على الألسنة منف (بفتح الميم) وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وهى أول مدينة بنيت بمصر بعـد الطوفان، بناها مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام حين نزل مصر .

قال فى "الروض المعطار" : وأصلها بالسريانية مافه ومعناها بالعربية ثلاثون وذلك أن مصر حين نزلها كان فى ثلاثين رجلا من أهل بيته، فسماها بعددهم .

قال ابن الأنبارى فى كتابه "الزاهر" : وهى على آثنى عشر ميلًا من الفُسْطَاط .

قلت : ومَنْف هذه فى جنوبىّ الفُسْطَاط على القرب من البلدة المعروفة بالبَدْرَشين من عمل الجيزة، وهى المعروفة بمصر القديمة، وقد خربت وصارت كيمانا، وبها آثار بنيان من الحجر الكَذَّان، يوجد تحت الردم على القرب من أحجار الأهرام فى العظمة والمقدار وبوسطها آثار بَرْبَاةٍ عظيمة، بها صنمـان عظيمان من حجر صوّان أبيض، طول كل صنم منهما نحو عشرين ذراعا، وهمـا مطروحان على الأرض، وقد غطّى الطين أسفلهما .

وكان على القرب منهما بيت عظيم من حجر أخضر، قطعة واحدة: جوانبه الأربعة وأرضـه وسقفه، ولم يزل على ذلك إلى الدولة النـاصرية حسن بن الناصر محمد بن

قلاوون، وأراد الأمير شيخو أتابك العساكر نقله إلى القاهرة صحيحا فعولج فانكسر فأمر بأن تحت منه أعتاب فنحتت وجعل منها أعتاب خانقاه وجامعه بصليبة الجامع الطولونى ، وشرقىّ هذه المدينة معالم سور مبنىّ بالحجر الكذّان النحيت فصوصا صغارا بالطين والجير الذى قد علمت ، لونه لون الحجر . ويقال : إنه سور الأهراء التى بناها يوسف عليه السلام لادّخار الحنطة فى سنبلها .

ويذكر بعض أهل تلك البلاد أنه يوجد بعض السُّنْبُل الذى أخبر به يوسف عليه السلام تحت تلك الأرض إلى الآن ، وأنه فى المقدار فوق مقدار الحنطة المتعارفة بقليل .

وفى شمالىّ هذه المدينة بلدةٌ صغيرة تعرف بالعزيزية ، يقال إنها كانت منزلة العزيز وزير الملك ، وهناك مكان على القرب منها يعرف بزَلِيخَا ، وفى غربيّها إلى الشمال فى سفح جبل مصر الغربىّ سِجْن يوسف عليه السلام ، وإلى جانبه مسجد موسى عليه السلام ، وعلى القرب من السُّور المقدّم ذكره مسجد يعقوب عليه السلام .

ويقال إن النيل كان تحت هذا السُّور ، وهناك مكان يعرف بالمقياس إلى الآن .

⁂

القاعدة الثانية — مدينة الإسكندرية نسبة إلى الإسكندر بن فيلبس المقدونىّ ملك اليونان المقدّم ذكره .

وقد ذكر القضاعىّ : أنه كان بها عدّة عجائبَ ، من أعجبها المَنَارة ، وهى مَنَارة مبنية بالحجر والرّصاص ارتفاعها فى الهواء ثلثمائة ذراع كل ذراع ثلاثة أشبار ، وقيل أربعمائة ذراع ، وقيل مائة وثمانون ذراعا ، وقيل بالحجر (١) لغلبة الجير فيه . وعلى رأسها مرآة من أخلاط يرى فيها من حضر إليها على بُعْـد ، وتهتدى بها المراكب السائرة إلى الإسكندرية إذ برّها منخفض لا جبال فيها ، تحرق بشعاعها ما أرادوا إحراقه 48

(١) لعله وقيل بالجير أى هى مبنية بالحجر والرصاص وقيل بالجير الخ تأمل .

من المراكب الواصلة . آحتال عليها النصارى فى أوائل الإسـلام فى خلافة الوليد آبن عبـد الملك الأُموى فكسروها، وتداعى هدم المنـارة شيئا فشيئا إلى أوساط المـائة الثامنة فاستؤصلت و بقى أثرها .

(ومنها) المَلْعَبُ الذى كانوا يجتمعون فيه فى يوم من السنة ثم يرمون بكُرَةٍ فلاتقع فى حَجْرِ أحد إلا مَلَكَ مصر ؛ و إن حضر فيه أنف ألف من النـاس كان كل منهم ناظرا فى وجه صاحبـه ، و إن قرئ كتاب ، سمعوه جميعا ، أو أُتى بنوع من اللعب رَأَوْهُ عن آخرهم لا يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العِلْيَة والسِّفْلَة .

وكان من غريب هذا المَلْعَبِ أن عمرو بن العاص رضى الله عنه حضر فيه فى الجاهلية فى يوم لَعِبِ الكُرَةِ فوقعت الكُرَةُ فى حَجْرِه ، وهم لا يعرفونه ، فتعجب القوم منـــه وقالوا ما رأينـا هذه الكُرَة كذبت قَطُّ إلا هذه المرّة ، فآتفق أنْ مَلَكها فى الإسلام . و (عمود السَّوارى) الذى بظاهر الإسكندرية الآن أحد عُمُـدِ هذا الملعب ،وهو عمود عظيم يرمى الرجل القوىّ السهمَ عن قَوْسٍ قوىّ فلا يبلغ رأسه .

(ومنها) عمودا الإعيـاء ، وهما عمودان ملقيان وراء كل منهـما جبل حَصْباؤه كصُـبَرِ الجمـار بمِنًى يُقْبِل العيىّ بسبع حصيات حتّى يستاقَ على أحدهمـا ، ثم يرمى وراءه بالسبع و يقوم ولا يلتفت ، و يمضى لطَلِبته فلا يُحس بشىء من تعبه .

(ومنها) القبـة الخضراء ، وهى قبة ملبسة نحاسا كأنه ذهب إبريز لا يُبْلِيـه القِدَم ولا تُخْلِقه الدهور . 44

(ومنها) المِسَلَّتان ، وهمـا جبلان(١) قائمـان على سَرَطانات نحاس فى أركانهما كل ركن على سرطان ، فلو أراد مريد أن يدخل تحتها شيئا إلى الجانب الآخر لفعل .

قال آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وهاتان المِسَلَّتان إحداهمـا فى الركن الشرقىّ من البلد ، والثانيـة ببعض البلد ، وهمـا عمودان مُرَبَّعان من حجر أحمر ،

(١) لعله — هيكلان — أو بناءان .

وعَرْض قواعدهما من الجهات الأربع أربعون شبرا، طول كل واحدة منهما خمس قامات، وأعلاها مُسْتَدِقٌ (١)، وعرض قاعدتهما من الجهات الأربع أربعون شبرا . ويقال إن عليهما مكتوب بالسريانية: "أنا يَعْمَر بن شدّاد، بنيت هذه المدينة وأردت أن أجعل فيها من الآثار المعجزة، والعجائب الباهرة، فأرسلت البتون بن مرة العادى ومقدام بن يعمر بن أبى رِغَال الثمودى إلى جبل بَرِيم الأحمر، فاقتطعوا منه حجرين وحملاهما على أعناقهما، فانكسرت ضلع البتون، فوددت أن أهل مملكتى كانوا فداء له، فأقامهما القطن بن حازم (٢) المؤتفكى فى يوم السعادة" .

وقد قيل فيها : إنها إِرَمُ ذات العِمَادِ، ولم تزل عامرة إلى الفتح الإسلامى، فلما فتحها عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

" أما بعد . فإنى فتحت مدينة لا أَصِفُ ما فيها، غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف بِنْيَة، وأربعة آلاف حَمَّامٍ، وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية، وأربعمائة مَلْهًى للملوك". ويقال إنه وجد فيها أربعة آلاف بَقَّالٍ يبيعون البَقْل، وكان فيها من الروم يومئذ مائة ألف من أهل القوّة لحقوا بأرض الروم فى المراكب، وكان مَنْ بقى ستمائة ألف سوى النساء والصبيان .

قلت : وقد ذهب جلُّ ذلك وزال أكثره، ولم يبق من عجائبها ظاهرا إلا 45
عمود السوارى، وهو عمود عظيم من حجر صوّان خارج المدينة لا يكاد يكون له نظير فى الدنيا، ويقال إنه كان قبلها مدينة فى مكانها تسمّى رقوده بناها مصر بن بيصر بن حام بن نوح المتقدّم ذكره حين بنى مدينة مَنْف، وعلى مِنْوالها نسج الإسكندر مدينته .

٭ ٭ ٭

القاعدة الثالثة — قَصْرُ الشَّمَع الذى هو داخل مدينة الفُسْطَاطِ الآن، وهو المعبر عنه فى كتب الفتوح بالحصن، بناه كسرجوس الفارسى أحد نوّاب مَلِك الفُرْس

(١) يظهر أنه مكرر مع المذكور فى السطر قبله . (٢) فى ياقوت قَطَن بن جاوُد .

عند آستيلائهم على مصر بعد غلبة بُخْتَنَصَّر الآتى ذكره فى الكلام على ملوكها .

قال القضاعى : ولم يكله و إنما كله الروم بعد ذلك (١) التى فتحت مصر وهى مقرّة الملوك بها . وقد قيل : إن المُقوقِس كان يقيم بالإسكندرية أربعة أشهر من السنة، وبمدينة منف أربعة أشهر، و بقصر الشمع أربعة أشهر .

وآعلم أنه قد كان بالديار المصرية مستقَرات أخرى عظام كانت قواعد لبعض ملوكها فى بعض الأزمان، ومدن دون ذلك يأتى الكلام على جميعها بعد ذكر الكور القديمة والأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .

وأما المبانى العظيمةُ الباقية على ممرّ الأزمان ، فاعلم أن ملوك مصر الأقدمين كان لهم من العناية بالبناء ما ليس لغيرهم ، وكانوا يتفاخرون بذلك لإخباره على طول الزمن بعَظَمة مُلْكِهم وآقتدارهم على ما لم يبلغه غيرهم، ومن أعظم أبنيتهم (الأهرام). وهى قُبورٌ آتخذوها فى غاية الوَثاقة حفظا لأجسامهم ، وكان لهم بها العناية التامة ، وآبتنَوْا منها عدّة بالجَبَل الغربىّ من النيل، بعضها مقابل الفُسْطَاطِ، وبعضها ببُوصِير السِّدْر وسَقَّارَةَ ودَهْشُورَ من الأعمال الجيزية، و بعضها بمَيْدُومَ من البهنساوية ؛ وأعظمها خَطَرا وأجلّها قدرا الهَرَمَانِ المقابلان للفُسْطَاطِ، يقال إن طول عمود كل هرم منهما ثلثمائة وسبعة عشر ذراعا، تحيط بها أربعة سطوح متساوية الأضلاع، طول كل ضلع منها أربعمائة وستون ذراعا .

قال أبو الصلت : ليس على وجه الأرض بناءٌ باليد حجر على حجر بهذا المقدار .

ويقال : إن لهما أبوابا فى أزَج فى الأرض طول كل دَرَج مائة وخمسون ذراعا، وباب الهَرَم الشرقىّ من الجهة البحرية، وباب الهرم الغربىّ من الناحية الغربية،

(١) بياض بالأصل .

والصابئة تحجّ هذين الهَرَمَيْنِ ويقولون : إن أحدهما قبر إدريس عليه السلام، والآخر قبر ابنه صابئ الذى إليه ينتسبون .

وقد اختلف فى بانيها فأكثر المؤرخين على أن بانيها سوريد بن سهلوق أحد ملوك مصر قبل الطوفان، الآتى ذكره فى الكلام على ملوكها فيما بعدُ إن شاء الله تعالى، جعلها قبورا لأجسادهم وكنوزا لأموالهم، حين أخبره مُنَجِّمُوهُ وكَهَنَتُه بما دلهم عليه الرَّصْد النجومى من حدوث حادثة تعم الأرض؛ ورجحه محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم وقال : لو بُنِيت الأهرام بعد الطوفان، لكان علمها عند الناس .

وذكر ابن عُفَير عن أشياخه أن بانيها جَيَّاد بن مياد بن شمر بن شدّاد بن عاد ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

قال : ولم تزل مشايخ مصر يقولون : إن الذى بناها شدّاد بن عاد . وذهب المسعودى وغيره إلى أنه بناها يوسف عليه السلام .

وقال ابن شبرمة بنتها العمالقة حين ملكوا مصر . وبالجملة فهما من أعظم الآثار وأقدمها وأجلّ المبانى وأدومها، ولله القائل .

أُنْظُرْ إلى الهَرَمَيْنِ وَاسْمَعْ مِنْهُمَا * ما يَرْوِيَانِ عَنِ الزَّمانِ الغَابِرِ
لَوْ يَنْطِقَانِ، لَخَبَّرَانَا بِالَّذِى * صَنَعَ الزمانُ بِأَوَّلٍ وبِآخِرِ

وكيفما كان فمآلهما إلى الخراب، شأن الدنيا ومبانيها .

وقد كان المأمون : أحد خلفاء بنى العبّاس حين دخل إلى مصر فى سنة ست عشرة ومائتين قصد هدمهما فلم يقدر، فأعمل الحيلة فى فتح طاقة فى أحدهما يتوصل منها إلى مزلقان، يصعد فى أعلاه إلى قاعة بأعلى الهرم، بها ناووس من حجر، وينزل فى أسفله إلى بئر تحت الأرض لم يعلم ما فيها . ويقال : إنه وَجَدَ فى أعلاه مالا فاعتبره

فإذا هو قـدر المـال الذى صرفه من غير زيادة ولا نقص ؛ وقد أخذ الآن فى قطع حجارتهما الظاهرة لاتخاذ البلاط منها . فإن طال الزمان يوشك أن يخربا كغيرهما من المبـانى .

ولله المتنبى حيث يقول :

أَيْنَ الذى الهَرَمانِ من بُنْيَانِهِ؟ ◦ ما قَوْمُهُ؟ مَا يَوْمُهُ؟ مَا الْمَصْرَعُ؟
تَتَخَلَّفُ الآثَارُ عن أصحابها ◦ دَهْرًا، ويُدْرِكُها الفَنَاء فتَتْبَعُ!

قال إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب "العجائب" : وقد قيل إن هوجيب أحد ملوك مصر قبـل الطوفان أيضا بنى الهَرَمَ الكبير الذى بدَهْشُور ؛ والثانى بناه قِفْطريم ، بن قِفط ، بن قبطيم ، بن مصر ، بن بيصر ، بن حام ، بن نوح عليه السلام بعد الطُّوفان .

قال القُضاعى : أما الهَرَمُ الذى بدير أبى هِرْمِيس : وهو الهرم المدرّج يعنى الذى شمـالىّ أهرام دهشور ، فإنه قبر قرياس ، وهو فارس أهـل مصر ، كان يعدّ فيهم بألف فارس ، فلما مات جزع عليه ملكه وبنى له هذا الهرم فدفنه فيه .

قال : وقبر الملك نفسه الهَرَمُ الكبير من الأهرام التى غربىّ دير أبى هِرْمِيس ، وعلى بابه لوح من الحجر الكذّان طوله ذراع فى ذراع مكتوب بالخط البرباوىّ .

ومن عظيم بنيانهم أيضا ولطيف حِكَمهم (البَرَابى) وهى بيوت عبادة كانت لهم ،
48 زَبَرُوا فيها حِكَمهم ، ورقموا تواريخ ملوكهم ، وصوّروا فيها صُوَر الأمم التى حولهم .
فمتى قصدتهم أمة من الأمم ، أوقعوا بصُوَرهم المصوّرة من النَّكال ما أرادوا ، فيصيب تلك الأمة على البُعْـد ما أوقعوه بتلك الصور ، إلى غير ذلك من الحِكَم التى أودعوها والطِّلّسْمات التى وضعوها بجُدْرانها .

ويقال : إن أول من بنى البرابى بمصر دَلُوكة العجوز، التى ملكت مصر بعد فرعون لعنه الله !

قال فى "مسالك الأبصار" : وقد أخبرنى الحكيم شمس الدين محمد بن سعد الدمَشْقِى أنه رآها وتأملها، فوجدها مشتملة على جميع أشكال الفَلَك ، وأن الذى ظهر له أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولّى عليها قوم بعد قوم حتّى تكاملت فى دَوْر، وهو ثلاثون ألف سنة : لأن مثل هذه الأعمال لا تُعمل إلا بالأرصاد ولا يكمل رصد المجموع فى أقل من هذه المدّة .

قلت : ويجوز أن يكون الرَّصْدُ حصل على الوجه المذكور ، وزُبِرَ ورُقِمَ فى الكُتُب فلما بنى الثانى هذه البرابى، نقل منها ما زُبِرَ فى الكتب من ذلك الزمن المتقدم .

واعلم أن أكثر البرابى بالوجه القبلى من الديار المصرية، وبالوجه البحرى القليلُ منها ، وقد استولى الخراب على جميعها، وذهبت معالمها ولم يبق إلا آثارها ، والذى وقفتُ عليه فى التواريخ، ووقفتُ على آثار غالبه ورسومه سبعُ برَابٍ .

(منها) بِرْبا سَمَنُّودَ، كانت بظاهر سَمَنُّود من الأعمال الغربية بالوجه البحرى .

قال الكندى : رأيتها وقد خَزَنَ فيها بعضُ عُمَّالها قَرَظا فرأيت الجمل إذا دنا من بابها بحمله وأراد أن يدخلها ، سقط كل دبيب فى القرظ فلا يدخل منها شىء إلى البربا .

قال القضاعى : ثم خربت عند الخمسين وثلثمائة .

(ومنها) بربا تُمَى بالمُرْتاحية من الوجه البحرى على القُرْب من مدينة تُمَى الخراب 49
وعامة أهل تلك الناحية يقولون بربا عاد، وهى باقية بجُدْرانها، وسقوفُها من أعظم

الحجارة العظيمة، إلىٰ الآن باقية، وبأعلىٰ بابها قطعة مبنية بالطوب الآجُرّ والجِصّ، وداخلها أحواض عظيمة من الصوّان غريبة الشان .

(ومنها) بربا إخميم، وهى بربا بظاهر مدينة إخميم من الوجه القبلى، كانت من أعظم البَرابى وأحسنها صنعةً وأكبرها حكمةً، ولم تزل عامرة إلىٰ أوساط المائة الثامنة، فأخَذ فى هدمها والعمارة بأحجارها خطيب إخميم، ولم يبْق إلا آثارها، وبعض جُدْرانها قائمة إلىٰ الآن .

(ومنها) بربا دَنْدَرَة من الأعمال القُوصية .

قال القضاعى : وهى بربا عجيبة فيها مائة وثمانون كُوّة تدخل الشمس فى كل يوم فى كوّة منها، ثم تكُرّ راجعة إلىٰ الموضع الذى بدأت منه، وهى الآن خراب لم يبق إلا آثارها .

(ومنها) بربا الأَقْصُر: وكانت بربا عظيمة فهُدِمت أيضا، ولم يبق منها إلا آثارها.

ومن بقايا الآثار بها صنم عظيم من حجر صوّان أملس، قائم علىٰ باب ضريح الشيخ أبى الحجاج الأَقْصُرى علىٰ حاله إلىٰ الآن، ومر عليه زمنُ الشيخ وهو علىٰ ذلك، ولعله إنما أراد ببقائه التنبيهَ علىٰ ضعف عقول عَبَدَة الأصنام لكونهم يعبدون حجرا مثل هذا .

(ومنها) بربا أَرْمَنْت، وهى بربا صغيرة قد ذهبت معالمها، ولم يبق بها إلا عُمُد صوّان قائمة من غير شىء محمول عليها .

(ومنها) بربا إسْنا، وهى متوسطة القدر بين الكبر والصغر، وقد بقى منها قطعة جيدة جُعلت شونة للغلال، وأهل إسنا يذكرون أن الفأر لا يدخلها، وإن دخلها مات .

ومن الآثار العجيبة بمصر أيضا مِسَلَّتان بعين شمس على القرب من المَطَرِيّة من ضواحى القاهرة من حجر صوّان أحمر محدّدتا الرأسين . ذكر القضاعىّ : أن الشمس تطلعُ على الجنوبية منهما فى أقصر يوم فى السنة ، وعلى الشّمالية فى أطول يوم فى السنة ، وتتردّد فيما بينهما فى بقية السنة . وذكر أنه كان عليهما صَوْمعتان من نُحَاس ، إذا كان زمن زيادة النيل تقاطر الماء من أعلاهما إلى أسفلهما ، فينبتُ حولهما العَوْسَجُ ، وما فى معناه من الحشيش .

ومن العجائب حائطُ العجوز ، وهو حائط من لَبِنٍ ، بنتها دَلُوكة ملكة مصر بعد فرعون ، من العَرِيش إلى أُسْوان ، دائرة على أراضى مصر من شرقيّها وغربيّها فى لِحف جبليها ، وجعلت بين كل ثلاثة أميال مَحْرَسا ، وشقّت خليجا من النيل إلى جانبها ، وآثارها باقية إلى الآن بالجانب الشرقىّ والجانب الغربىّ .

المقصد الثانى عشر

(فى ذكر قواعدها المستقرّة)

وهى ثلاث قواعد ، قد تقاربت واختلطت حتّى صارت كالقاعدة الواحدة .

القاعدة الأولى

(مدينة الفُسْطَاط)

بفاء مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم طاء ثانية فى الآخر . ويقال فيه فُسْتَاط بإبدال الطاء الأولى تاء وفُسَّاط . قال الجوهرىّ : وكسر الفاء لغة فيهن ، وهى المدينة المعروفة بين العامة بمصر واسمها القديم باب أَلْيُونَ(١) .

قال أبو السعادات بن الأثير فى نهايته : بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو ونون فى الآخر .

---

(١) وفى ياقوت بابِلْيُون الباء الثانية مكسورة واللام ساكنة وقد ذكره أيضا فى أليون

قال القضاعىّ : وهو آسمها بلغة الرُّومِ والسُّودَانِ ، ولذلك يعرف القصر الذى بالشرق بباب أَلْيُونَ ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها ثلاث وخمسون درجة ، وعَرْضها ثلاثون درجة وعشر دقائق .

وقال فى "القانون" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعَرْضها تسع وعشرون درجة وخمس وخمسون دقيقة .

وقال آبن سعيد : طولها ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها تسع وعشرون درجة وخمس وخمسون دقيقة .

وقال فى "رسم المعمور" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة .

والذى عليه عمل أهل زماننا فى وضع الآلات وغيرها طول خمس وخمسين درجة ، وعرض ثلاثين .

وآختلف فى سبب تسميتها بالفُسْطَاط ، فقال آبن قُتَيْبَة : إن كل مدينة تسمّى فُسْطَاطًا ، ولذلك سميت مصر الفُسْطَاطَ .

وقال الزَّمَخْشَرِىّ : الفُسْطَاطَ آسم لضَرْب من الأبنية ، فى القدر دون السُّرادِقِ والذى عليه الجمهور أنه يسمّى بذلك لمكان فُسْطَاط عمرو بن العاص رضى الله

51 عنه يعنى خيمته ، وذلك أن عمرا لما فتح الحصن المعروف بقصر الشَّمَع فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة وآستولىٰ عليه ضرب فُسْطَاطَه علىٰ القرب منه فلما قصد التوجه إلىٰ الإسكندرية لفتحها ، أمر بنزع فُسْطَاطِه للرحيل ، فإذا بحَمَام قد أفرخ فيه فقال : لقد تحرّم مِنّا بحَرَم ، وأمر بإقرار الفُسْطَاط مكانه ، وأوصىٰ علىٰ الحَمَام ، وسار إلىٰ الإسكندرية ففتحها ، ثم عاد إلىٰ فُسْطَاطِه ونزل به ونزل الناس حوله ، وآبتنىٰ داره الصغرىٰ التى هى علىٰ القرب من الجامع العتيق مكانَ فُسْطَاطِه ، وأخذ الناس فى الآختطاط حوله فتنافست القبائل فى المواضع والآختطاط ، فولّى عمرو

على الخطط معاوية بن حُدَيج التجيبيّ، وشريك بن سُمَىّ الغطيفيّ، وعمرو بن قحزم الخولانيّ، وحيويل بن ناشرة المعافرى، ففصلوا بين القبائل وأنزلوا الناس منازلهم، فاختطوا الخطط وبنَوا الدور والمساجد، وعُرفت كل خطة بالقبيلة أو الجماعة التى اختطتها، أو بصاحبها الذى اختطها .

فأما الخطط والآدُر التى عرفت بالقبائل والجماعات .

(فمنها) خِطَّةُ أهل الراية، وهم جماعة من قُرَيْش، والأنصار، وخُزاعة، وأسْلَم، وغِفار، ومُزَيْنَة، وأشْجَع، وجُهَيْنَة، وثَقِيف، ودَوْس، وعَبْس بن بَغِيض، وجُرَش من بنى كِنانة، ولَيْث بن بكر، لم يكن لكل منهم من العدد ما ينفرد به بدعوة من الديوان فجعل لهم عمرو بن العاص رايةً لم ينسبها إلى أحد، وقال يكون وقوفكم تحتها، فكانت لهم كالنسب الجامع، وكان ديوانهم عليها فعُرِفوا بأهل الراية، وانفردوا بخِطَّة وحدهم، وخِطَّتهم من أعظم الخطط وأوسعها .

52 (ومنها) خِطَّة مَهْرَة، وهم بنو مَهْرَة بن حَيْدانَ بن عمرو بن الحافِ بن قُضاعة ابن مالك بن حِمْيَر، من قبائل اليمن .

(ومنها) خِطَّة تُجِيب، وهم بنو عَدِىّ وسعد ابنى الأشْرَس بن شَبِيب بن السَّكَن بن الأشرس بن كِنْدَة، وتُجِيبُ اسم أمهما عرفت القبيلة بها .

(ومنها) خِطَطُ لَخْم، وهى ثلاث : الأولى بنو لخم بن عَدِىّ بن مُرَّة بن أُدَد، ومَنْ خالطهم من جُذَام . والثانية، بنو عبد ربه بن عمرو بن الحرث بن وائل بن راشدة (١) ابن لَخْم . والثالثة، بنو راشدة بن أُذَبَّ بن جَزِيلة بن لَخْم .

(ومنها) خِطَطُ اللَّفِيف، وهم جماعة من القبائل تسارعوا إلى مراكب الرُّوم حين بلغ عمرا قدومُهم الإسكندرية عند فتحها، فقال لهم عمرو (٢)، وقد استكثرهم : إنكم

(١) كذا فى ابن دقاق أيضا ووقع فى المقريزى " بورية " وهو تصحيف .
(٢) فى خطط المقريزىّ وابن دقاق " فقال لهم عمرو بن جمالة " .

لكما قال الله : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ فسُمُّوا اللَّفِيف من يومئذ .

(ومنها) خِطَط أهل الظاهر ، وهم جماعة من القبائل قَفَلوا من الإسكندرية بعد قفول عمرو بن العاص ، فوجدوا الناس قد أخذوا منازلهم ، فتحاكموا إلى معاوية بن حُدَيْج الذى جعله عمرو على الخِطَط ، فقال لهم : إنى أرى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذوا لكم منازل ، فسميت منازلهم الظاهر .

(ومنها) خِطَط غَافِق ، وهم بنو غافق بن الحرث بن عَكّ بن عُدْثان بن عبد الله ابن الأَزْدِ .

(ومنها) خِطَط الصَّدِف : بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين . وهم بنو مالك بن سَهْل بن عمرو بن قيس بن حِمْيَر من قبائل اليَمَن ، وقيل بنو مالك بن مُرَتّع بن كِنْدة ، سمى الصَّدف لأنه صَدَف بوجهه عن قومه حين أتاهم سَيْلُ العَرِمِ .

(ومنها) خِطَط خَوْلانَ ، وهم بنو خَوْلان بن عمرو بن مالك بن زيد بن عَرِيب .

(ومنها) خِطَطُ الفارسيين ، وهم بقايا جند باذانَ ، عامل كسرى ملك الفُرْس على اليَمَن .

(ومنها) خِطَط مَذْحِج ، وهم بنو مالك بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زيد بن كَهْلان بن عبدالله .

(ومنها) خِطَّة يَحْصُبَ ، وهم بنو يَحْصب بن مالك بن أسلم بن زيد بن غَوْث ابن حِمْيَر .

(ومنها) خِطّة رُعَيْن ، وهم بنو رُعَين بن زيد بن سهل بن يَعْفُر بن مُرَّة بن أُدَدَ .

(ومنها) خِطَّة بنى الكُلَاع ، وهو الكُلَاعُ بن شُرَحْبِيلَ بن سَعْد بن حِمْيَر .

(ومنها) خِطَّة المَعَافِر ، وهم بنو المَعَافِر بن يَعْفُر بن مُرَّة بن أُدَدَ .

(ومنها) خِطَط سَبَإٍ ، وهم بنو مالك بن زيد بن وليعة بن معبد بن سَبَا .

(ومنها) خِطَّة بنى وائل ، وهو وائل بن زيد مناة بن أَفْصَى بن إياس بن حَرَام بن جُذَام بن عَدِىّ .

(ومنها) خِطَّة القَبَض، وهم بنو القبض بن مَرْثَد.

(ومنها) خِطَط الحَمْراوات، وهى ثلاث، سميت بذلك لنزول الروم بها، وهم حُمْر الألوان :

الأولىٰ ـ الحمراء الدُّنيا ، وبها خطة بَلِيّ، وهم بنو بلِيّ بن عمرو بن إلْحَاف بن قُضَاعَة إلا من كان منهم فى أهـل الراية، وخِطَّة ثَراد من الأزد، وخطة فَهْمٍ، وهم بنو فَهْمٍ بن عمرو بن قيس بن عَيْلَانَ، وخطة بنى بحر بن سَوَادة من الأَزْدِ .

الثـانية ـ الحمراء الوُسْطىٰ ، وبها خطة بنى نبه ، وهم قوم من الروم حضروا الفتح، وخِطَّة هُذَيْل ، وهم بنو هذيل بن مُدْرِكَة بن إلْيَاس بن مُضَر، وخِطَّة بنى سَلَامَانَ من الأَزْدِ .

الثالثة ـ الحمراء القُصْوىٰ، وهى خطة بنى الأزرق من الرُّوم، وحضر الفتح منهم أربعمائة رجل، وخِطَّة بنى يَشْكُرَ بن جَزِيلَةَ من لَخْمٍ، وإليهم ينسب جبل يَشْكُرَ الذى بُنِى عليه جامع أحمد بن طولون الآتى ذكره مع جوامع الفُسْطَاطِ إن شاء الله تعالىٰ.

(ومنها) خِطَط حَضْرَمَوتَ، وهم بنو حَضْرَمَوتَ بن عمرو بن قَيْس بن معاوية بن حِمْيَرَ، إلىٰ غيرذلك من الخطط التى دَرَسَتْ قبل الاهتمام بالتأليف فى الخِطَط .

⁂

واعلم أنه كان فى خلال هذه الخِطَط دُور جماعة كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم ممن حضر الفتح .

(منها) دار عمرو بن العاص، ودار الزُّبَيْر بن العوّام، ودار قَيْس بن سَعْد بن عُبَادة الأنصارىّ، ودار مَسْلَمَة بن مُخَلَّد الأنصارىّ، ودار عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوىّ، ودار وَهْب بن عُمَير بن وَهْب بن خَلَف الجُمَحِىّ، ودار نافع بن عبد القيس بن لَقِيط الفِهْرِىّ ، ودار سَـعْد بن أبى وَقَّاص، ودار عُقْبَـة بن عامر الجُهَنِىّ، ودار القاسم

وعمرو آبنَىْ قيس بن عمرو ، ودار عبد الله بن ســعد بن أبى سَرْح العامرىّ ، ودار مسعود بن الأسود بن عبد شمس بن حَرَام البَلَوِىّ ، ودار المستَوْرِد بن شدّاد الفِهْرِىّ ، ودار حُيَى بن حَرَام اللَّيْثِىّ (وفى صحبته خلاف) ، ودار الحرث بن مالك اللَّيْثِىّ المعروف بآبن البَرْصاء ، ودار بِشْر بن أَرْطَاة العامرىّ ، ودار أبى ثعلبة الخُشَنِىّ ، ودار إيَاس بن البُكَير الليثىّ ، ودار مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلة القُرَشِىّ العَدَوِىّ ، ودار أبى الدَّرْدَاء الأنصارىّ ، ودار يعقوب القِبْطِىّ رسول المُقَوْقِس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم مع مارِيَةَ : أمّ ولده إبراهيم وأختها شِـيرين ، ودار مُهَاجِر مولى أم سَلَمَة زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، ودار عُلْبَة بن زيد الأنصارىّ ، ودار محمد آبن مَسْلَمَة الأنصارىّ ، ودار أبى الأسود مَسْروح بن سدر الحصنى ، ودار عبد الله آبن عُمَر بن الخَطَّاب ، ودار خارجةَ بن حُذَافة بن غانم العَـدَوِىّ ، ودار عُقْبَـة بن الحرث ، ودار عبـد الله بن حُذَافة السهمىّ ، ودار محمية بن جَزْء الزُّبَيدىّ ، ودار المُطَّلب بن أبى وَدَاعة السَّهْمِىّ ، ودار هُبَيْب بن مَعْقِل الغِفارِىّ ، وبه يعرف وادى هُبَيْب بالقرب من الإسكندرية ، ودار عبـد الله بن السائب المخزومىّ ، ودار جَبْر القِبْطىّ رسول المُقَوْقِس إلى رســول الله صلّى الله عليه وسـلم ، ودار يزيد بن زياد الأسْلمىّ ، ودار عبد الله بن ريَّان الأسلمىّ ، (وفى صحبته خلاف) ، ودار أبى عميرة رشيد بن مالك المُزَنِىّ ، ودار سِبَاع بن عُرْفُطَة الغِفَارِىّ ، ودار نضلة بن الحرث 55 الغِفَارِىّ ، ودار الحرث بن أسد الخزاعىّ (وفى صحبته خلاف) ، ودار عبد الله بن هشام بن زُهَرَة من ولد تيم بن مُرَّة ، ودار خارجة بن حُذَافَة بن غانم العدوىّ[(١)] ، وهو أوّل من آبتنَى غُرْفة بالفُسْطَاط ، فكوتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أمرها فكتب إلى عمرو بن العاص : أن آدخُل غرفة خارجة وآنصب فيها سريرا ، وأقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير ، فإن آطَّلع من كُوَاها فاهـدِمْها . ففعل عمرو فلم

(١) تقدم قريبا فهو مكرر .

يبلغ الكُوىٰ فأقرّها ، ودار محمد بن حاطب الجُمَحى ، ودار رِفَاعة الدَّوْسِىّ ، ودار فَضَالة آبن عبيد الأنصارىّ ، ودار المطلب بن أبى وَدَاعة السهمىّ (١) . إلىٰ غير ذلك من الدور التى أغفلت ذكرَها أصحابُ الخِطَط .

قلت : وكان أمراء مصر القائمون مقام ملوكها الآن ينزلون بالفُسْطَاط ، ولم يكن لهم فى آبتداء الأمر مَقَرّة معيَّنة ، ولا دارٌ للإمارة مخصوصة . فنزل عمرو بن العاص أوّلُ أمرائها بداره علىٰ القرب من الجامع ، ولم يزل كلُّ أمير بعده ينزل بالدار التى يكون بها سكنه إلىٰ آخر الدولة الأُمَوِيَّة ، وكان عبد العزيز بن مَرْوانَ ، وهو أمير مصر فى خلافة أخيه عبد الملك بن مَرْوانَ قد بنىٰ دارا عظيمة بالفُسْطَاط سنة سبع وستين من الهجرة وسماها دار الذهب ، وجعل لها قُبَّة مُذْهَبة إذا طلعت عليها الشمس لايستطيع الناظر التأمّلَ فيها خوفا علىٰ بصره ، وكانت تعرف بالمدينة لسَعَتِها وعِظَمِها ، وكان عبد العزيز ينزلها ، ثم نزلها بنوه بعده . فلما هرب مَرْوان بن محمد آخِرُ خلفاء بنى أُمَيَّةَ إلىٰ مصر ، نزل هذه الدار فلما رهِقَه القوم ، أمر بإحراقها ، فلامه فى ذلك بعض بنى عبد العزيز بن مَرْوانَ فقال : إن أَبْقَ ، أَبْنِها لَبِنَةً من ذهب ولَبِنَةً من فِضَّة ، وإلا فما تصاب به فى نفسك أعظم ، ولا يَتمتع بها عدوك من بعدك .

فلما غلب بنو العبّاس علىٰ بنى أُمَيَّةَ وهرب مَرْوانُ بن محمد آخرُ خلفاء بنى أُمَيَّةَ إلىٰ الديار المصرية ، وتبعه علىّ بن صالح بن علىّ الهاشمىّ إلىٰ أن أدركه بمصر 56
وقتله وآستقر أميرا علىٰ مصر فى خلافة السَّفَّاح أوّلِ خلفاء بنى العبّاس ، آبتنىٰ دارا للإمارة ونزلها ، وصارت منزلةً للأمراء بعده إلىٰ أن وَلِى أحمد بن طولون الديار المصرية فنزل بها فى أوّل أمره ، ثم آختطّ بعد ذلك قَصْره المعروف بالمَيْدَان فيما بين قلعة الجبل الآن والمَشْهد النَّفيسىّ وما يلى ذلك فى سنة ست وخمسين ومائتين ،

(١) سبق ذكرها فإعادتها سهو .

وكان له عدّة أبواب : بعضها عند المشهد النفيسىّ، وبعضها عند جامعه الآتى ذكره، واختطّ الناس حوله، واقتطع كل أحد قطيعة ابتنى بها، فكان يقال : قطيعة هارون بن خُمَارويه ، وقطيعة السُّودان، وقطيعة الفَرّاشين، فعرف ذلك المكان بالقطائع، وتزايدت العمارة حتّى اتّصلت بالفُسْطَاط، وصار الكل بلدا واحدا، ونزل أحمد بن طولون بقصره المذكور، وكذلك بَنُوه بعده ، وأهملت دار الإمارة التى ابتناها علىّ بن صالح بالفُسْطَاط. واستقرّ الأمر على ذلك بعده أيام ابنه خُمَارَوَيْهِ وولديه جيش وهارون ؛ وزادت العمارة بالقطائع فى أيامهما ، وكثرت الناس فيها حتّى قتل هارون بن خُمَارَوَيْهِ بعد قتل أبيه وأخيه ، وسار محمد بن سليمان الكاتب بالعساكر من العراق من قِبَل المُسْتَكْفِى بالله، ووصل إلى مصر فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وقد ولّى الطُّولُونِيّةُ عليهم رَبيعةَ بن أحمد بن طولون، فتسلم البلد منه وخرّب القطائع وهَدَم القصر وقلع أساسه، وخرب موضعه حتّى لم يبق له أثر .

وكان بَدْرٌ الخفيفى غلام أحمد بن طولون قد بنى دارا عظيمة بالفُسْطَاط عند المُصَلّى القديمة، وقيل اشتراها له أحمد بن طُولُونَ، ثم تسخط عليه أحمد فنكبه، وسكنها بعده طاهر بن خُمَارَوَيْهِ، ثم سكنها بعده الحمامى غلام أحمد بن طولون . فلما هدم محمد بن سليمان الكاتبُ قصر بنى طولون بالقطائع ، سكن هذه الدارَ، ثم سكنها عيسى النُّوشَرِىّ أميرُ مصر بعده، واستقرّت منزلةً للأمراء إلى أن وَلِىَ الإخشيدُ مصر فزاد فيها وعَظَّمها، وعمل لها مَيْدانًا وجعل له بابا من حديد، وذلك فى سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة، ولم تزل منزلةً للأمراء إلى أن غلبت الخلفاءُ الفاطميون الإخشيديةَ على مصر وبنى القائد جوهرٌ القاهرةَ والقصرَ، فنقل باب هذه الدار إلى القاهرة، وصار القصر منزلة لهم على ماسيأتى ذكره فى الكلام على خطط القاهرة إن شاء الله تعالى .

وصار الفُسْطَاطُ فى كل وقت تتزايد عمارته حتى صار فى غاية العمارة ونهاية الحسن . به الآدُرُ الأنِيقة ، والمساجد القائمة ، والحمامات الباهية ، والقَيَاسِرُ الزاهية ، والمستنزهات الرائقة ؛ ورحل الناس إليه من سائر الأقطار ، وقصدوه من جميع الجهات ؛ وغصَّ بسُكَّانِهِ ، وضاق فَضَاؤه الرحيب عن قُطَّانِه . حتى حكىٰ صاحب "إيقاظ المُتَغَفِّل" عن بعض سُكَّان الفُسْطَاط أنه دخل حمّاما من بناء الرُّوم فى أيام خُمَارَوَيْهِ بن طولون فى سنة سبع عشرة وثلثمائة فلم يجد فيها صانعا يخدُمه ، وكان فيها سبعون صانعا قلَّ منهم من معه ثلاثة نَفَرٍ يغسلهم ، وأنه دخل بعدها حمّاما ثم حمّاما فلم يجد من يخدمه إلا فى الحمّام الرابعة ، وكان الذى خدمه معه ثان .

وحكىٰ فى موضع آخر عمن يثق به عن أبيه أنه شاهد من مسجد الوكرة[1] بالفُسْطَاط إلىٰ جامع ٱبن طولون قصبة سوق متصلة ، فعدّ ما بها من مقاعد الحِمِّص المصلوق فكانت ثلثمائة وتسعين مقعدا غير الحوانيت وما بها .

وحكىٰ أيضا عمن أخبره أنه عدّ الأسْطَال النُّحاس المؤبدة فى البَكَر لاستقاء الماء فى الطاقات المُطِلَّة علىٰ النيل ، فكانت ستة عشر ألف سطل . قال : وبلغ أجرة 58 مقعد يكرىٰ عند البيمارستان الطولونىّ بالفُسْطَاطِ فى كل يوم ٱثنى عشر درهما .

وذكر ٱبن حَوْقَلٍ أنه كان بالفُسْطَاطِ فى زمانه دار تعرف بدار ٱبن عبد العزيز بالموقف يُصَبّ لمن فيها من السكان فى كل يوم أربعمائة راوية ماء ، وفيها خمسة مساجد ، وحَمَّامَان ، وفُرْنان .

قلت : ولم يزل الفُسْطَاط زاهىَ البنيان ، باهى السُّكَّان ، إلىٰ أن كانت دَوْلَةُ الفاطميين بالديار المصرية ، وعمرت القاهرة علىٰ ماسيأتى ذكره ، فتقهقر حالُه وتناقص ، وأخذ الناس فى الانتقال عنه إلىٰ القاهرة وما حولها ، فخلا من أكثر سُكَّانه ، وتتابع الخراب

(١) الذى فى الخطط للمقريزى حين روىٰ هذه الحكاية عن "إيقاظ المتغفل" أيضا ، "مسجد عبدالله" فلعله يسمى بذلك أيضا .

فى بنيانه، إلىٰ أن غلب الفرنج علىٰ أطراف الديار المصرية فى أيام العاضد: آخر خلفاء الفاطميين، ووزيرهُ يومئذ شاور السعدىّ نخاف علىٰ الفُسْطَاطِ أن يملكه الفرنج ويتحصنوا به، فأضرم فى مساكنه النار فأحرقها فتزايد الخراب فيه وكثر الخلوّ.

ولم يزل الأمر علىٰ ذلك فى تقهقر أمره إلىٰ أن كانت دولة الظاهر بِيبَرْس: أحد ملوك التُّرك بالديار المصرية، فصرف الناسُ همتهم إلىٰ هدم ماخلا من أخطاطه والبناء بِنقْضه بساحل النيل بالفُسْطَاط والقاهرة، وتزايد الهدم فيه واستمرّ إلىٰ الآن، حتّٰى لم يبق من عمارته إلا مابساحل النيل، وما جاوره إلىٰ مايلى الجامع العتيق وما دانىٰ ذلك، ودثرت أكثر الخِطَط القديمة وعفا رسمها، واضمحلّ ما بقى منها وتغيرت معالمه.

وإذا نظرت إلىٰ خطط الكندىّ والقضاعىّ والشريف النَّسَّابة، عرفت ما كان
59 الفُسْطَاط عليه من العمارة وما صار إليه الآن، وإنما أجرينا ذكر بعض الخطط المتقدمة، حفظا لأسمائها وتنبيها علىٰ ما كانت عليه. إلا أن فى ساحله المُطِلّ علىٰ النيل الآن وما جاور ذلك المبانى الحسنة، والدور العظيمة، والقصور العالية، التى تبهج الناظر، وتسرّ الخاطر.

وكان أكثر بنيانه بالآجُرّ المحكوك والجبس والجير من أوثق بناء وأمكنه، وآثاره الباقية تشهد له بذلك، وقد صار ماخرب منه ودَثَر كيمانا كالجبال العظيمة، وهجر غالبها وترك، وسكن فى بعضها رَعَاعُ الناس ممن لايعبأُ به فى جوانب منها لا تعد فى العامر.

ومن كيمانه المشهورة التى ذكرها القضاعىّ كوم الجارح، وكوم دينار، وكوم السمكة وكوم الزينة، وكوم الترمس؛ وزاد صاحب "إيقاظ المتغفل" كوم بنى وائل، وكوم ابن غراب، وكوم الشقاف، وكوم المشانيق.

ويقابل الفُسْطاط من الجهة البحرية جزيرةُ الصِّناعة المعروفة الآن بالرَّوْضَة ، كانت صناعة العمائر أوّلا بها فنسبت إليها .

قال الكندىّ : وكان بناؤها فى سنة أربع وخمسين ثم غلب عليها آسم الروضة لحسنها ونَضَارتها و إطافة الماء بها ، ومابها من البساتين والقُصُور ، وهى جزيرة قديمة كانت موجودة فى زمن الروم . وكان بها حصن عليه سور وأبراج ، و بين الفُسْطَاط و بينها جسر ممتدّ من المراكب علىٰ وجه النيل كما فى جسر بغداد علىٰ الدجلة ولم يزل قائما إلىٰ أن قدم المأمون مصر فأحدث عليه جسرا من خشب تمرّ عليه المارّة وترجع ، وبعد خروج المأمون من مصر هبَّت ريح عاصفة فى الليل فقطعت الجسر القديم ، وصدمت بسفنه الجسر المحدَث فذهبا جميعا ، ثم أعيد الجسر المحدَث و بطل القديم .

وقدذكر القضاعىّ : أنه كان موجودا إلىٰ زمنه ، وكان فى الدولة الفاطمية ، ثم جدّد الحصن المذكور أحمد بن طولون أمير مصر فى خلافة المعتمد فى سنة ثلاث ومائتين ، 60
ثم آستهدم بعد ذلك بتأثير النيل فى أبراجه ومرور الزمان عليه ، ثم بنىٰ الصالح نجم الدين أيوب قلعةً مكانه فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، و بقيت حتّى هدمها المعز أيبك التركمانى أوّل ملوك الترك ، وعمر من نِقْضها مدرسته المُعِزِّية برحبة الحرّوب ، وآتخذ الناس مكانها أملاكا ، وهى علىٰ ذلك إلىٰ زماننا ، ولم يبق بها إلا بعض أبراج آتخذها الناس أملاكا وعمروا عليها بيوتا . فلما ملك الظاهر بيبرس ، هَمّ بإعادتها فلم يتفق له ذلك و بقيت علىٰ حالها .

قلت : وكانت أُرْفَة[1] النيل التى بين جزيرة الصناعة و بين الفُسْطَاط هى أقوىٰ الفرقتين والتى بين الجزيرة والجيزة هى الضعيفة ، ثم آنعكس الأمر إلىٰ أن صار مابين الجزيرة والفسطاط يجف ولا يعلوه الماء إلا فى زيادة النيل ، ويبدو بين آخر

(١) فى الأصل أزفة وهو تصحيف والأرفة بالراء المهملة الحد والمُسَنَّاة والمراد بها هنا الفرقة .

الفُسْطاط وهـذه الجزيرة على فُوَّهة خليج القاهرة حيث السدّ الذى يفتح عند وفاء النيل مكانٌ كالجزيرة، يعرف بمُنْشَأة المَهْرانى كان كوما يحرق فيه الآجُرّ يعرف بالكوم الأحمر، عدّه القضاعىّ فى جملة كيمان الفُسْطاط .

قال صاحب "إيقاظ المتغفل" : وأوّل من ابتدأ فيـه العمارة بلبان المهرانىّ فى الدولة الظاهرية بيبرس فنسبت المنشأة إليه .

ويلى الفُسْطَاطَ من غربيّه بركةٌ تعرف ببركة الحَبَش، وهى أرض مزدرعة .

قال القضاعىّ : كانت تعرف ببركة المَعَافِرِ وحِمْيَرَ، وكان فى شرقيها جنّات تعرف بالحبش فنسبت إليها .

وذكر ابن يونس فى تاريخه أن تلك الجنـات تعرف بقَتَادَة بن قيس بن حبشى الصدفىّ، وهو ممن شهد فتح مصر .

قلت : وهى الآن موقوفة على الأشراف من ولد علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وقفها عليهم الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز والعاضد من الخلفاء الفاطميين، ويليه من قبليّه حيث القرافة المكانُ المعروف بالخندق، كان قد احتفره عبد الرحمن بن عُيَيْنَةَ خندقا فى سنة خمس وستين من الهجرة عند مسير مَرْوان بن الحكم إلى مصر، فعرف بذلك .

وأما جوامعـه فسـتة :

الأوّل

(الجامع العتيق المعروف بجامع عمرو)

وذلك أن عمرا لما بنى داره الصغرى مكان فُسْطَاطِه على ما تقدّم ذكره، اختط الجامع المذكور فى خِطَّة أهل الراية المتقدّمة الذكر .

قال القضاعى : وكان جنانا فيما ذكر الليث بن سعد . قال : وكان الذى حاز موضعه قَيْسَبَة بن كُلْثوم التُّجِيبىّ أحد بنى سُوم، فنزله فى حصار الحصن المعروف بقصر الشَّمع، فلما رجع عمرو من الإسكندرية، سأل قَيْسَبَة فيه ليجعله مسجدا فسلمه إليه، وقال : تصدقتُ به علىٰ المسلمين، وٱختط له خِطَّة مع قومه فى بنى سوم فى تُجِيب ؛ فبُنِى فى سنة إحدىٰ وعشرين، وكان طوله خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين ذراعا، ويقال : إنه وَقَف علىٰ قبلته ثمانون رجلا من الصحابة رضوان الله عليهم : منهم الزُّبَيْر بن العَوَّام، والمِقْداد بن الأَسْوَد، وعُبَادَة بن الصَّامِت، وأبو الدَّرْدَاء، وأبو ذَرّ الغِفَارىّ، وأبو بَصْرَة الغِفَارىّ وغيرهم ؛ ولم يكن له يومئذ محراب مُجَوَّف بل عمد قائمة بصدر الجدار، وكان له بابان يقابلان دار عمرو ٱبن العاص، وبابان فى بَحْرِيِّه، وبابان فى غَرْبِيِّه، وطوله من قِبْلِيِّه إلىٰ بحريّه مثل طول دار عمرو، وبينه وبين دار عمرو سبعة أذرع . ولما فرغ من بنائه، ٱتخذ عمرو بن العاص له مِنْبَرًا يخطب عليه، فكتب إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزم عليه فى كسره، ويقول : أما يَكْفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك ؟ فكسره . ويقال إنه أعاده إليه بعد وفاة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

وقيل إن زكريا بن مرقيا (١) ملك النُّوبة أهدىٰ لعبد الله بن أبى سَرْح العامرىّ فى إمارته علىٰ مصر منبرا فجعله فى الجامع ؛ ثم زاد فيه مَسْلَمَة بن مُخَلَّد الأنصارىّ فى سنة ثلاث وخمسين من الهجرة، وهو يومئذ أمير مصر من قِبَل معاويةَ بن أبى سُفْيان زيادةً من بَحْرِيِّه، وزَخْرَفه، وهو أوّل من صلّى علىٰ الموتىٰ داخل الجامع، وتوالت فيه الزيادات والتجديدات إلىٰ زماننا . وأوّل من رتب فيه قراءة المصحف

(١) فى ٱبن دقاق المخطوط "ٱبن مرقى".

عبدُ العزيز بن مَرْوَانَ فى إمارته فى سنة ست وسبعين ، ورفع عبد الله بن عبد المَلِك سقفه فى سنة تسع وثمانين بعد أن كان مطأطأ ؛ ثم جعل فيه المحرابَ المجوفَ قُرَّةُ ابن شَرِيك العبسيّ اتّباعا لعمر بن عبد العزيز فى محراب مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى المدينة ، وأحدث فيه المقصورة تبعا لمعاوية حيث فعل ذلك بالشأم .

وفى سنة اثنتين وثلاثين ومائة أمر موسى بن نصر اللخميّ وهو أمير مصر باتخاذ المنابر فى جميع جوامع قُرَىٰ مصر . وأول من نصب اللوحَ الأخضر فيه عبدُ الله ابن طاهر ، وهو أمير مصر فى سنة اثنتى عشرة ومائتين ؛ ثم احترق الرّواق الذى فيه اللوح الأخضر فى ولاية خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون ، فعمره خُمَارَوَيْه فى سنة خمس وسبعين ومائتين . ثم جدّد اللوحَ "الظاهرُ بيبرس" فى سنة ست وستين وستمائة ثم جدّد اللوحَ الأخضر بُرْهَانُ الدين المَحَلّى التاجر فى سلطنة "الظاهر برقوق" فى أواخرها

وقد وصف صاحب " إيقاظ المتغفل " الجامع على ما كان فى زمانه فى حدود ثلاث عشرة وسبعمائة فقال : إن ذَرْعه ثمانية وعشرون ألفا بذراع العمل ، مقدّمه ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة ذراع وخمسون ذراعا ، ومؤخّره ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة وخمسون ذراعا ، وصحنه خمسة آلاف ذراع ، جانبه الشرقيّ ألفا ذراع وخمسمائة ذراع وخمسون ذراعا ، وجانبه الغربيّ كذلك ؛ وأبوابه ثلاثة عشر بابا لكل باب منها اسم يخصه ، فى جانبه القبلى باب واحد ؛ وبه أربعة وعشرون رواقا ، سبعة فى مقدّمه ، وسبعة فى مؤخّره ، وخمسة فى شرقيّه ، وخمسة فى غربيّه ؛ وفيه ثلثمائة عمود وثمانية وستون عمودا ، بعضها منفرد وبعضها مضاف مع غيره ؛ وبصدره ثلاثة محاريب : المحراب الكبير المجاور للمِنْبر ، والمحراب الأوسط ، ومحراب الخمس ؛ وفيه خمس صوامع : إحداها فى ركنه القبليّ مما يلى الغربى ، وهى الغرفة ؛ والثانية فى ركنه القبلى مما يلى الشرقيّ ، وهى المنارة الكبرىٰ ؛ والثالثة فى ركنه البحريّ

مما يلى الشرقىّ ، وتعرف بالحديدة ، والرابعة فيما بين هذه المنارة والمنارة الآتى ذكرها ، وتعرف بالسعيدة ، والخامسة فى الركن البحرىّ مما يلى الغربىّ مقابل باب السطح ، وتعرف بالمستجدّة .

وهو على هذه الصفة إلى الآن لكنه قد آستهدم رواق اللوح الأخضر والرواقات التى داخله ، فأمر السلطان الملكُ الظاهرُ ببنيانها ، فعلقت جُدُرُه على الخشب ، فاخترمته المنية قبل الشروع فى البناء ، وأخذ القاضى برهان الدين المَحَلّى تاجر الخاص فى عمارة ذلك ، فهدم رواق اللوح الأخضر وما داخله ، وجدّد اللوح الذى كان قد نصبه الظاهر بيبرس ، وعمر الرواقات المستهدمة أنْفَس عمارة وأحسنها .

قلت : ومما يجب التنبيه عليه أنه قد تقدّم أنه وقف على إقامة محراب هذا الجامع ثمانون رجلا من الصحابة ، وحينئذ فيلحق بمحاريب البصرة والكوفة على الوجه الصائر إليه بعض أصحابنا الشافعية فى أنه لا يجتهد فى التيامن والتياسر فى محاريبهما كما نبه عليه الشيخُ تقىّ الدين السبكى فى شرح منهاج النووىّ فى الفقه ، لكن قد ذكر القضاعىّ فى خططه عن الليث بن سعد وآبن لَهِيعة أنهما كانا يتيامنان فى صلاتهما فيه ، وأن محرابه كان مشرّقا جدا ، وأن قُرّة بن شريك حين هدمه وبناه ، تيامن به قليلا .

وقد حكى الشيخ تقىّ الدين السبكى فى شرح المنهاج أيضا عن بعض علماء الميقات : أنه أخبره أن فيه الآن آنحرافا قليلا . قال : ولعله من تغيير البناء ، وقد سألت بعض علماء هذا الشأن عن ذلك ، فأخبرنى عن الشيخ تقىّ الدين أبى الطاهر رأس علماء الميقات فى زماننا أنه كان يقول : من الدلالة على صحة عملنا فى آستخراج القبلة موافقته لمحراب الجامع العتيق .

الثانى
(الجامع الطُّولونى)

بناه أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين على الجبل المعروف بجبل يَشْكُر.

قال القضاعىّ : وينسب إلى يَشْكُر بن جزيلة من لخم، كان خِطَّة لهم .

قال ٱبن عبد الظاهر : وهو جبل مبارك معروف بإجابة الدعاء فيه .

قال : ويقال : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام عليه . ويقال : إن ٱبن طولون أنفق على هـذا الجامع مائة ألف دينار وعشرين ألفا من كنزٍ وجده . ويقال : إنه لمـا فرغ من بنـائه أمر بتسـمع ما يقوله الناس فيـه من العيوب، فسمع رجل يقول : محرابه صغير، وآخر يقول : ليس فيه عمود، وآخر يقول : ليس فيه ميضأة ، فقال : أما المحراب ، فإنى رأيت النبىّ صلى الله عليه وسلم، وقد خطّه لى، فأصبحت فرأيت النَّمْلَ قد أطافت بالمكان الذى خطه لى . وأما العُمُدُ، فإنى بنيته من مال حلال ، وهو الكنز الذى وجدته فما كنت لأشوبه بغيره ، والعمد لا تكون إلا من مسجد أو كنيسة فنزهته عن ذلك . وأما الميضأة، فأردت تطهيره من النجاسات، وها أنا أبنيها خلفه، ثم أمر ببنائها على القرب .

ويحكى أنه كان لا يعبث بشىء قط، وأنه أخذ يوما دَرْج ورق أبيض وأخرجه ومدّه كالحَلَزُونِ، ثم ٱستيقظ لنفسـه وظن أنه فُطِنَ له ، فأمر بعمارة المنارة على تلك الهيئة، وعلى نظير العشارى الذى على رأسها عُمِلَ العشارى الذى على رأس قبة الإمام الشافعىّ رضى الله عنه . ولمـا فرغ من بناء الجامع رأى فى منامه كأنّ نارا نزلت من السماء فأحرقت الجـامع دون ما حوله فعبر رؤياه على عابر فقال له[(١)] : بُشْرَاكَ قبوله، 64
فإن الأمم الخالية كانوا إذا قربوا قربانا فَتُقُبِّلَ، نزلت نار من السماء فأكلته، كما فى قصة هَابِيلَ وقَابِيلَ، ورأى مرةً أخرى كأنّ الحق سبحانه وتعالى تجلّى على ماحول الجامع

(١) لعله فقص كما فى المقريزى .

فعبّره له عابر بأنه يخرب ماحول الجامع ويبقى هو، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ وكان الأمر كذلك، فهدمت منازل بنى طولون فى نكبتهم ولم يبق منها إلا الجامع .

الثالث

(جامع راشدة)

بناه الحاكم بأمر الله الفاطمىّ جنوبىّ الْفُسْطَاط، على القرب من الرصد، وأدخله فى وقفه مع الجامع الأزهر وجامع المَقْسِ .

قال فى "إيقاظ المتغفل" : ليس هو بجامع راشدة حقيقة ، وإنما جامع راشدةَ كان بالقرب منه ، وهو جامع قديم بنته قبيلة يقال لها راشدة عند الفتح الإسلامى، فلما بنى الحاكم هذا سمى باسمه . قال : وقد أدركت بعضه ومحرابه، وكان فيه شجر كثير من شجر المُقْل .

الرابع

(جامع الرصد)

بناه الأمير عز الدين أَيْبَك الأفرم أمير جاندار الصالحىّ النجمىّ فى شهور سنة ثلاث وستين وستمائة، عمّر منظرته المعروفة به هناك، وعمّر رباطا بجانبه قرّر فيه عددا تنعقد به الجمعة مقيمين فيه ليلا ونهارا .

الخامس

(جامع الشُّعيبية بظاهر مصر أيضا)

بناه الأمير عز الدين الأفرم المذكور فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وسكنه الشيخ شمس الدين بن اللبان الفقيه الشافعىّ الصوفىّ فعرف به الآن .

السادس

(الجامع الجــديد)

بناه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من مَوْرِدة الحلفاء، وبدأ بعمارته فى التاسع من المحرّم فى سنة إحدى عشرة وسبعمائة، وٱنتهت عمارته فى ثامن صفرسنة ٱثنتى عشرة وسبعمائة، وخطب به قاضى القضاة بدْرالدين بن جماعة الشافعى، وصلّى فيه الجمعة فى التاسع من الشهر المذكور، ورتب فيه صوفية يحضُرونه بعد العصر كما فى الخوانق، وهو من أحسن الجوامع وأنزهها بقعة خصوصا فى أيام زيادة النيل.

✤

وأما مساجد الخمس، فكانت على العدد الذى لايحصى لكثرتها، وخِطَط القضاعى شاهدة بذلك .

وقد رأيت فى بعض التواريخ أن الفَنَاء وقع فى أيام كافور الاخشيدى حتى لم يجدوا من يقبل الزكاة ، فأتوا بها إلى كافور فلم يقبلها ، وقال : ٱبنوا بها المساجد وٱتخذوا لها الأوقاف، فكان ذلك سبب زيادة الكثرة فيها، ولكنها الآن قد خربت بخراب الفُسْطَاط ودَثَرت ولم يبق إلا آثار القليل منها .

✤

وأما المدارس، فكان المتقدّمون يجلسون للعلم بالجامع العتيق، وأوّل من أحدث المدارس بالفُسْطَاطِ بنوأيوب، فعَمَر السلطان صلاح الدين رحمه الله مدرستين .

إحداهما – مدرسة المالكية ، المعروفة بالقَمْحية فى المحرّم سنة ست وستين وخمسمائة، وسميت بالقمحية لأن معلومها يصرف للمدرّسين والطلبة قمحا .

قال العماد الكاتب : وكانت قبل ذلك سوقا يباع فيه الغزل .

والثانية – المدرسة المعروفة بابن زين التجار، وكانت سجنا يُسْجَن فيه فبناها السلطان صلاح الدين مدرسة ووقفها على الشافعية، ووقف عليها الصاغة المجاورة لها

ثم عَمَر الملك المظفر تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بالمكان المعروف بمنازل العز بالقرب من باب القنطرة قبلىّ الفُسْطَاط مدرسةً ووقف عليها أوقافا من جملتها جزيرة الصِّناعة المعروفة بالرَّوْضَة .

ثم بنى السلطان الملك المعزّ أيبك التُرُكمانى أوّل ملوك الترك مدرسته المعزية برحبة الحرُّوب فى شهور سنة أربع وخمسين وستمائة .

وعَمَر الصاحب شرف الدين بن الفائزىّ مدرسته الفائزية قبل وزارته فى شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة .

وعمر الصاحب بهاء الدين بن حنا المدرسة الصاحبية بزقاق القناديل بعد ذلك .

✣

وأما الخوانق والرُّبُطُ فلم تعهد بالفُسْطَاط ، غير أن الصاحب بهاء الدين بن حنا عَمَر رباط الآثار الشريفة النبوية بظاهر قبلىّ الفسطاط واشترى الآثار الشريفة وهى مِيلٌ من نُحَاس ، ومِلْقَطٌ من حديد ، وقطعة من العَنَزَة ، وقطعة من القَصْعة بجملة مال وأثبتها بالاستفاضة وجعلها بهذا الرباط للزيارة .

✣

وأما البيمارستان فأوّل من أنشأه بالفُسْطَاطِ أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين وأنفق عليه ستين ألف دينار .

قال القضاعىّ : ولم يكن قبله بيمارستان بمصر، وشرط أن لا يعالج فيه جُنْدِىٌّ ولا مملوك .

القاعدة الثانية

(القـاهرة)

(بألف ولام لازمين فى أولها وقاف مفتوحة بعدها ألف ثم هاء مكسورة وراء مهملة مفتوحة ثم هاء فى الآخر) ويقال فيها القاهرة المُعِزِّيَّة نسبة إلى المُعِزّ الفاطمىّ الذى بنيت له ، وربما قيل المعزية القاهرة ، سميت بذلك تفاؤلا ، وهى المدينة العظمىٰ التى ليس لها نظير فى الآفاق ، ولا يسمع بمثلها فى مصر من الأمصار .

بناها القائد جوهر المعزىّ لمولاه المعزّ لدين الله أبى تميم مَعَدّ ، بن المنصور أبى الطاهر إسماعيل ، بن القائم أبى القاسم محمد ، بن المهدىّ بالله أبى محمد عبيدالله الفاطمىّ فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، عند وصوله إلى الديار المصرية من المغرب ، واستيلائه عليها ، وموقعها شمالىّ الفُسْطاط المتقدّم ذكره على القرب منه .

قال فى "الروض المعطار" : وبينهما ثلاثة أميال . وكأنه يريد ما كان عليه الحال فى ٱبتداء عمارة القاهرة وهو ما بين سور الفُسْطَاط وسور القاهرة .

أما الآن فقد ٱنتشرت الأبنيـة وٱتصلت العمارة حتّى كادت المدينتان تتصـلان أو ٱتصلتا .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الله الظاهر فى خِطط القاهرة : والذى ٱستقرّ عليه الحال أن حدّ القاهرة من السبع سقايات إلى مشهد السيدة رُقَيّة عرضا ، وكان قبل ذلك من المجنونة .

قال ٱبن سعيد : وكان مكانها قبل العمارة بستانا لبنى طولون على القرب من منازلهم المعروفة بالقطائع . وكيفما كان ، فطولها وعرضها فى معنىٰ طول الفُسْطَاط وعرضه أو أكثر عرضا بقليل . وكان ٱبتداء عمارتها أنّ أمر إفريقيّة وغيرها من بلاد المغرب كان قد أفضى إلى المُعِزّ المذكور ، وقوىَ طمعه فى مصر بعد موت كافور الإخشيدى

وهى يومئذ والشأم والحجاز بيد أحمد بن على بن الاخشيد أستاذ كافور وهو صبىّ لم يبلغ الحلم، والمتكلم فى المملكة أهل دولته، والحسين بن عبدالله، فى الشأم كالنائب أو الشريك له يدعى له بعده على المنابر .

وكانت مصر قد ضَعُف عسكرها لما دَهَمها من الغلاء والوباء ، فجهز المُعِزّ قائده جوهرا المتقدم ذكره ، فبرز جوهر إلى مدينة رَقّادة من بلاد إفْرِيقِيَّة فى أكثر من مائة ألف وما يزيد على ألف صندوق من المال، وخرج المُعِزّ لتشييعه ، فقال للمشايخ الذين معه : "والله لو خرج جوهر هذا وحده، لفتح مصر، وليدخُلَنها بالأردية من غير حرب، ولينزلن فى خرابات آبن طُولون، ويبنى مدينة تسمّى القاهرة تَقْهَر الدنيا" وكان للمعز غلام ببَرْقة اسمه أفلح ، فكتب إليه المُعِزّ أن يترجل لجوهر إذا عبر عليه ويقبل يديه، فبذل مائة ألف دينار على أن يُعْفَى من ذلك، فأبى المُعِزّ 68
إلا ذلك ، فترجّل من مكانه وقبّل يديه، وسار جوهر حتّى دخل مصر وتسلمها لسبع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، ونزل فى مُنَاخه من سفره موضع القاهرة الآن ليلا ، وآختط القصر وأخذ فى بنائه وعمارة القاهرة، وآختط الناس حوله .

فأما القصر، فإنه آختطه فى الليلة التى أناخ فيها قبل أن يُصْبِح ، فلما أصبح رأى فيه آزورارات غيرمعتدلة فلم يعجبه، ثم قال: قد حفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله وتمادى فى بنيانه حتّى أكمله .

ومكانه الآن المدرسة الصالحية بين القصرين إلى رحبة الأيدمرى طولا، ومن السبع خُوَخ إلى رحبة باب العيد عَرْضا، والحد الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة الصالحية على يسارك وتمضى إلى السبع خُوَخ، ثم إلى مشهد الحسين، ثم إلى رحبة الأيدمرى، ثم إلى الركن المخلّق، ثم إلى بين القصرين حتّى تأتى إلى باب المدرسة

الصالحية من حيث ٱبتدأتَ ، فما كان علىٰ يسارك فى جميع دَوْرتك فهو موضع القصر .

وكان له تسعة أبواب بعضها أصلىٌّ و بعضها مستحدَث .

أحدها — باب الذهب، و يقال إنه كان مكانَ المدرسة الظاهرية الآن .

الثانى — باب البحر، و يقال إن مكانه باب قصر يشبك . قال ٱبن عبدالظاهر: وهو من بناء الحاكم .

الثالث — باب الزُّهومة، ومكانه قاعة شيخ الحنابلة بالمدرسة الصالحية، وكانت الصاغة مَطْبخا للقصر وكانوا يدخلون بالطعام إلىٰ القصر من ذلك الباب فسمِّى باب الزهومة لذلك، والزُّهومة الدَّفَر .

الرابع — باب التربة ، و يقال إن مكانه بين باب الزُّهومة المتقدّم الذكر ومشهد الحسين .

الخامس — باب الدَّيْلَم، وهو باب مشهد الحسين .

السادس — باب قَصْر الشوك ، ومكانه بالموضع المعروف بقصر الشوك علىٰ القرب من رحبة الأيدمرىّ .

السابع — باب العيد ، وهو باب البيمارستان العتيق ، سمى بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه لصلاة العيد، و إليه تنسب رحبة باب العيد .

الثامن — باب الزمُرُّد، وهو إلىٰ جانب باب العيد المتقدّم ذكره .

التاسع — باب الريح ، وقد ذكر ٱبن الطُّوَيْر أنه كان فى ركن القصر الذى يقابل سور دار سعيد السعداء التى هى الخانقاه الآن .

ثم ٱستجدّ المأمون بن البطائحى و زير الآمر تحت القوس الذى بين باب الذهب و باب البحر ثلاث مناظر، وسمى إحداها الزاهرة، والثانية الفاخرة، والثالثة الناضرة .

وكان "الآمر" يجلس فيها لعرض العساكر في عيد الغَدير، والوزير واقفٌ في قوس باب الذهب، وكان مكان السيوفيين الآن سلسلةٌ ممتدة إلىٰ ما يقابلها تعلق في كل يوم من وقت الظهر حتىٰ لا يجوز تحت القصر راكب، ولذلك يعرف هذا المكان بدرب السلسلة .

ومما هو داخل في حدود القصر مشهد الحُسَيْن .

وسبب بنائه أن رأس الإمام الحسين عليه السلام كانت بعَسْقَلان، فخشِيَ الصالح طلائعُ بن رزيك عليها من الفرنج فبنىٰ جامعه خارج باب زُوِيلة، وقصد نقل الرأس إليه فغلبه الفائز علىٰ ذلك، وأمر بابتناء هذا المشهد، ونقل الرأس إليه في سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

ومن غريب ما اتفق من بركة هذه[1] الرأس الشريفة ما حكاه القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر : أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حين استولىٰ علىٰ هذا القصر بعد موت العاضد : آخر خلفاء الفاطميين بمصر قبض علىٰ خادم من خُدَّام القصر وحلق رأسه وشدّ عليها طاسا داخله خنافس فلم يتأثر بها، فسأله السلطان صلاح الدين عن ذلك وما السر فيه، فأخبر أنه حين أحضرت الرأس الشريفة إلىٰ المشهد حملها علىٰ رأسه، فخلّىٰ عنه السلطان وأحسن إليه .

وكان بجوار القصر قصر صغير يعرف بالقصر النافعي من جهة السبع خُوَخ فيه عجائز الفاطميين .

قلت : ولم يزل هذا القصر منزلة الخلفاء الفاطميين من لدن المُعِزّ أول خلفائهم بمصر وإلىٰ آخر أيام العاضد آخر خلفائهم، وكانت الوزراء ينزلون بدار الوزارة التي ابتناها أمير الجيوش بدر الجماليّ داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية بيبرس

(١) أنث الرأس مجاراة للغة العامة واللغة العربية تذكيره .

الآن . فلما وَلِيَ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة عن العاضد بعد عمه أسد الدين شيركوه ، نزل بدار الوزارة المذكورة ، وبقي بها حتى مات العاضد فتحوّل إلى القصر وسكنه ، ثم سكنه بعده أخوه العادل أبو بكر . فلما ملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر انتقل منه إلى قلعة الجبل على ما سيأتي ذكره في الكلام على القلعة إن شاء الله تعالى . وصارت دار الوزارة المتقدّمة الذكر منزلا للرسل الواردين من الممالك إلى أن عمّر مكانها السلطانُ الملك المظفر بيبرس الجاشنكير الخانقاه المعروفة به ، وخلا القصر من حينئذ من ساكنيه ، وأهمل أمره فخرب .

قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر : قال لي بوّاب لباب الزُّهومة اسمه مرهف في سنة ثلاثين وستمائة : كان لي على هذا الباب المدّة الطويلة ما رأيته دخل فيه حَطَب ولا رمى منه تراب . قال : وهذا أحد أسباب خرابه لوقود أخشابه وتكويم ترابه ، ثم أخذ الناس بعد ذلك في تملكه واستحكاره ، وعمرت فيه المدارس
69 والأدُر . فبنى السلطان الملك الصالح "نجم الدين أيوب" فيه مدرسته الصالحية ، ثم بنى "الظاهر بيبرس" فيه مدرسته الظاهرية ، وبنى فيه بشتاك أحد أمراء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فيه قصره المعروف به ، وجعلت دار الضرب في وسطه ، ولم يبق من آثاره إلا البيمارستان العتيق ، فإنه كان قاعة بناها العزيز بالله بن المُعِزّ الفاطمي على ما سيأتي ذكره .

وكذلك القبة التي على رأس السالك من هذا البيمارستان إلى رحبة باب العيد ، وبعض جُدُر لا يعتدّ بها قد دخلت في جملة الأملاك .

✣

وأما (أبواب القاهرة وأسوارها) ، فإن القائد جوهرا حين اختطها جعل لها أربعة أبواب : بابين متقاربين ، وبابين متباعدين . فالمتقاربان (بابا زُوَيلة) نسبة إلى زُوَيْلَة

قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر من المغرب، ولذلك يقع فى عبارة الموثّقين وغيرهم بابا زُوَيلة، وأحد هذين البابين القَوْسُ الموجود الآن المجاور للمسجد المعروف بسام بن نوح عليه السلام، والثانى كان موضع الحوانيت التى يباع فيها الجبن علىٰ يَسْرَةِ القوس المتقدّم ذكره يدخل منه إلىٰ المحمودية . وكان سبب إبطاله وسدّه أن المُعِزَّ الذى بنيت له القاهرة لما دخلها عند وصوله من المغرب، دخل من القوس الموجود الآن هناك فآزدحم الناس فيه وتجنبوا الدخول من الباب الآخر، وآشتهر بين الناس أن مَنْ دخل منه لم تقض له حاجة ، فرُفِضَ وسُدَّ ، وجعل زقاق جنوبيّه يتوصل منه إلىٰ المحمودية، وزقاق شماليّه يتوصل منه إلىٰ الأنماطيين وما يليها .

والبابان المتباعدان هما القوس الذى داخل باب الفتوح خارج حارة بهاء الدين، وقوس آخر كان علىٰ حياله داخل باب النصر بالقرب من وكالة قيسون الآن، فهدم ثم آبتنىٰ أمير الجيوش بدر الجمالى المتقدّم ذكره فى سنة ثمانين وأربعمائة سورا من لَبِنٍ دائرا علىٰ القاهرة، وبعضه باق إلىٰ زماننا بخط سوق الغنم داخل الباب المحروق، ثم آبتنىٰ الأفضل بن أمير الجيوش باب زُوَيْلَةَ ، وباب النصر، وباب الفتوح الموجودين الآن فيما ذكره القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى خِطَطه ، إلا أنه ذكر فى مواضع أخر منها أن باب زويلة بناه العزيز بالله وأكمله بدر الجمالى ، وهو من أعظم الأبواب وأشمخها، وليس له باشورة علىٰ الأبواب، وفيه يقول علىّ بن محمد النيلى :

يا صاح لو أبصرتَ بابَ زُوَيلةٍ ، ٭ لعَلِمتَ قَدْرَ محلِّه بُنْيانَا
بابٌ تأزّر بالمَجَرّةِ وآرتدىٰ الشِّعرىٰ ولاثَ برأسِه كِيوانَا
لو أنّ فِرْعَوْنًا رآه لم يُرِد ٭ صرحا ولا أوصىٰ به هامانَا

قال ٱبن عبد الظاهر : (وباب سعادة) ربما ينسب إلىٰ سعادة بن حيان غلام المُعِزّ، وكان قد ورد من عنده فى جيش إلىٰ جوهر وولى الرملة بعد ذلك .

قال : (وباب القنطرة) منسوبٌ إلىٰ القنطرة التى أمامه، وهى من بناء القائد جوهر بناها عند خوفه من القَرَامطة ليجوز عليها إلىٰ المَقْس . والقوس الذى بالشارع الأعظم خارج باب زويلة علىٰ رأس المنجبية عند الطيوريين الآن كان بابا بناه الحاكم بأمر الله خارج القاهرة، وكان يعرف بالباب الجديد .

(وباب الخوخة) الذى علىٰ القرب من قنطرة الموسكى أظنه من بناء الفاطميين أيضا، ولما ملك السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" الديار المصرية ٱنتدب لعمارة أسوار القاهرة ومصر فى سنة تسع وستين وخمسمائة الطواشىَ بهاء الدين قراقوش الأسدىّ الرومىّ (١) علىٰ كثرة من أسرىٰ الفرنج عندهم يومئذ (١)، فبنىٰ سورا دائرا عليها وعلىٰ قلعة الجبل والفُسْطَاط، ولم يزل البناء به حتّى توفى السلطان صلاح الدين رحمه الله وهو الموجود الآن، وجعل فيها عدّة أبواب :

منها باب البحر، وباب الشعرية، وباب البرقية، والباب المحروق ؛ وٱبتنىٰ برجين عظيمين أحدهما بالمَقْس علىٰ القرب من جامع باب البحر، وهو الذى هدمه الصاحب شمس الدين المَقْسىّ وزير الأشرف شعبان بن حسين علىٰ رأس السبعين والسبعمائة، وأدخله فى حقوق الجامع المذكور حين جدّد بناءه ؛ والثانى بباب القنطرة جنوبىّ الفُسْطَاط .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : وقياس هذا السور من أوّله إلىٰ آخره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة وذراعان بالهاشمىّ ؛ من ذلك من باب البحر إلىٰ البرج بالكوم الأحمر يعنى رأس منشأة المهرانى المتقدّم ذكرها فى الكلام

(١) لم يذكر هذه الجملة فى خطط المقريزى .

على خِطَط الفُسْطَاط عند فُوَّهة خليج القاهرة عشرة آلاف ذراع ؛ ومن الكوم الأحمر المذكور إلى قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع ؛ ومن مسجد سعد الدولة المذكور إلى باب البحر ثمانية آلاف ذراع وثلثمائة وآثنان وتسعون ذراعا ، ودائر القلعة ثلاثة آلاف ذراع ومائة وعشرة أذرع .

وآقتصر السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه على ذَرْع السُّور من غير تفصيل ولم يتعرّض للذراعين الزائدين .

قلت : وهذا السور قد دَثَر أكثره، وتغيرت معالم غالبه : للصوق عمائر الأملاك به حتى إنه لا يتميز فى غالب الأماكن من الأملاك، وسقط ما بين باب البحر إلى الكوم الأحمر حتى لم يبق له أثر . على أن ما هو داخل سور القاهرة الأوّل من الأماكن أرضه سبخة وماؤه زُعَاق .

قال آبن عبد الظاهر : ولذلك عَتَب المُعِزُّ عند وصوله إلى الديار المصرية ودخوله القاهرة على جوهر لكونه لم يعمُرْها مكان المَقْس على القرب من باب البحر أو جنوبيّ الفُسْطَاط على القرب من الرصد لتكون قريبة من النيل، عَذْبة مياه الآبار .

وآعلم أن خطط القاهرة قد آتسعت وزادت العمارة حولها، وصار ما هو خارجَ سورها أضعاف ما هو داخله . ثم منها ماهو منسوب إلى دولة الفاطميين ، ومنها ماهو منسوب إلى من تقدّمهم من الملوك ، إما لدروس آسمه الأوّل وغلبة آسمه الثانى عليه ، و إما لآستحداثه بعد أن لم يكن ؛ ومنها ماهو مجهول لآنقطاع شهرته بطول الأيام ومرور الليالى . و إنما يقع التعرّض هنا للأماكن الظاهرة الشُّهْرَة ، الدائرة على الألسنة دون غيرها، وأنا أذكرها على ترتيب الأماكن لا على ترتيب القِدَم والحدوث .

أما خططها المشهورة داخل السور .

(فمنها) "حارة بهاء الدين" داخل باب الفتوح ، وتعرف بالطواشى بهاء الدين قراقوش بانى سور القاهرة المتقدّم ذكره، وكانت فى دولة الفاطميين تعرف ببين الحارتين ، ثم آختطها قوم فى الدولة الفاطمية يعرفون بالرّيحانية والعزيزية فعرفت بهم . فلما سكنها بهاء الدين قراقوش المذكور، آشتهرت به ونُسى ماقبل ذلك .

(ومنها) "حارة بَرْجَوَان" وتعرف ببَرْجَوَان الخادم، كان خادم القُصُور فى أيام العزيز بالله آبن المُعِزّ ثانى خلفاء الفاطميين بمصر، ووصّاه علىٰ آبنه الحاكم فعظُم شأنه ،ثم قتله الحاكم بعد ذلك . ويقال إنه خلف فى تركته ألف سراويل بألف تكة حرير .

وبهذه الحارة كانت دار المظفر بن أمير الجيوش بدر الجمالى .

(ومنها) "خط الكافورى" كان بستانا لكافور الاخشيدى، وبنيت القاهرة وهو بستان ، وبقى إلىٰ سنة إحدىٰ وخمسين وستمائة ، فاختطه طائفة البحرية والعزيزية إصطبلات، وأزيلت أشجاره وبقيت نسبته إلىٰ كافور علىٰ ما كانت عليه .

(ومنها) "خُط الخرنشف"(١) كان ميدانا للخلفاء الفاطميين، وكان لهم سِرداب تحت الأرض إليه من باب القصر يمرّون فيه إلىٰ الميدان المذكور راكبين،ثم جعل مصرفا للماء لما بنيت المدرسة الصالحية، ثم بنىٰ به الغُزّ بعد الستمائة إصطبلات بالخرنشف وسكنوها فسمى بذلك .

(ومنها) "درب شمس الدولة" علىٰ القرب من باب الزُّهومة ، وكان فى الدولة الفاطمية يعرف بحارة الأمراء، وبها كانت دار الوزير عباس وزير الظافر، وبها المدرسة المسرورية بناها مسرور الخادم ، وكان أحد خُدّام القصر فى الدولة الفاطمية وبقى إلىٰ الدولة الأيوبية، وآختص بالسلطان صلاح الدين وتقدّم عنده،

(١) فى المقريزى "الخرشتف" وفسره بأنه المتجمد من وقود الحمامات بعد إحراقها وهى تسمية عرفية .

ثم سكنها شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف ، وعمر بها دربا فعرف به ونسب إليه .

(ومنها) "حارة زُوَيْلة" وتنسب إلىٰ زُوَيلة قبيلة من البربر الواصلين صحبة القائد جوهر علىٰ ماتقدّم ذكره فى الكلام علىٰ باب زويلة ، وهى حارة عظيمة متشعبة .

(ومنها) "الجودرية" وتعرف بطائفة يقال لهم الجودريَّة من الدولة الفاطمية نسبة إلىٰ جودر خادم عبيد الله المهدىّ أبى الخلفاء الفاطميين ، آختطوها وسكنوها حين بنىٰ جوهرٌ القاهرة ، ثم سكنها اليهود بعـد ذلك إلىٰ أن بلغ الحاكم الفاطمىّ أنهم يَهْزءُون بالمسـلمين ويقَعُون فى حق الإسـلام ، فسدّ عليهم أبوابهم وأحرقهم ليلا ، وسكنوا بعد ذلك حارة زُوَيلة المتقدّمة الذكر .

(ومنها) "الوَزِيرية" وتعرف بالوزير أبى الفرج يعقوب بن كلس وزير المعز بالله الفاطمىّ ، وكان يهودىّ الأصـل يخدُم فى الدولة الاخشيدية ، ثم هرب إلىٰ المُعِزّ الفاطمىّ بالمغرب لمـال لزمه ، فلقى عسكر المعز مع جوهر فرجع معـه ، وعظُمت مكانته عند المُعِزّ حتّى آستوزره ، وكانت داره مكان مدرسة الصاحب صفىّ الدين ابن شكر : وزير العـادل أبى بكر بن أيوب المعروفة بالصاحبية بسويقة الصاحب ، وكانت قبل ذلك تعرف بدار الديباج .

(ومنها) "المحموديَّة" قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : ولعلها منسوبة إلىٰ الطائفة المعروفة بالمحمودية القادمة فى أيام العزيز بالله الفاطمىّ إلىٰ مصر .

(ومنها) "حارة الروم" داخل بابَىْ زُوَيلة ، آختطها الرُّوم الواصلون صحبةَ جوهر القائد حين بنائه القاهرة فعُرِفت بهم ونسبت إليهم إلىٰ الآن .

(ومنها) "الباطلية" قال آبن عبدالظاهر : تعرف بقوم أتوا المُعِزّ بانى القاهرة وقد قسم العطاء فى الناس فلم يعطهم شيئا ، فقالوا : نحن علىٰ باطل؟ فسميت الباطلية .

(ومنها) "حارة الدَّيْلم" وتعرف بالديلم الواصلين صحبـة افتكين المعزّى غلام المعز ابن بويه الديلمى، وكان قد تغلب على الشام أيام المُعِزّ الفاطمى وقاتل القائد جوهرا وآستنصر بالقرامطة، وخرج إليهم العزيز بالله فأسره فى الرملة وقَدِم به إلى القاهرة فأجزل له العطاء، وأنزله هو وأصحابه بهـذه الخِطّة . وبها كانت دار الصالح طلائع آبن رزيك بانى الجامع الصالحى خارج باب زويلة، وكان يسكنها قبـل الوزارة؛ وخوخته بها معروفة إلى الآن بخوخة الصالح .

(ومنها) "حارة كُتامة" على القرب من الجامع الأزهر بجِوار الباطلية، تعرف بقبيلة كُتامة من البربر الواصلين صحبة جوهر من الغرب .

(ومنها) "إصطبل الطارمة" بظاهر مشهد الحسين، كان إصطبلا للقصر، وبهذا الخط كانت دار الفِطرة التى يعمل فيها فطرة العيد، بناها المأمون بن البطائحى وزير الآمر، وكانت الفطرة قبل ذلك تعمل بأبواب القَصْر، وسيأتى الكلام على الفطرة مستوفًى فى الكلام على ترتيب المملكة فى الدولة الفاطمية فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

(ومنها) "حارة الصالحية" قبلى مشهد الحسين : كانت طائفة من غلمان الصالح طلائع بن رزيك قد سكنوها فعرفت بهم ونسبت إليه .

(ومنها) "البَرْقية" قال آبن عبدالظاهر : آختطها قوم من أهل بَرْقة قَدِمُوا صحبة جوهر فعرفت بهم . ورأيت بخَطّ بعض الفضلاء بحاشـية خِطَط ابن عبد الظاهر أن الصالح طلائع بن رزيك لمـا قتل عباسا وزير الظافر وتقلد الوزارة عن الآمر، أقام جماعة من الأمراء يقال لهم البرقية عَونًا له وأسكنهم هذه الخِطّة فنسبت إليهم .

(ومنها) "قَصْر الشوك" على القرب من رَحَبة الأَيْدُمُرِى، قال آبن عبدالظاهر : كان قبل عمارة القاهرة منزلة لبنى عُذْرة تعرف بقصر الشوك .

(ومنها) ... ... وكانت خزانة السلاح فى الدولة الفاطمية، ثم جعلت سجنا[(١)] فى الأيام المستنصرية، ثم آحتكرت بعد ذلك وجعلت آدرا.

(ومنها) "رَحَبة باب العيد" تنسب إلى باب العيد: أحد أبواب القصر المسمّى بباب العيد المقدّم ذكره.

(ومنها) "دَرْب مُلُوخيَة" ينسب لمُلُوخيَّة صاحب رِكَاب الحاكم، وبه مدرسة القاضى الفاضل وزير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وبه كانت داره.

(ومنها) "العُطُوف" وأصل آسمها العُطُوفية: نسبة إلى عطوف خادم الحاكم.

(ومنها) "الجَوّانية" قال آبن عبد الظاهر: وهى صفة لمحذوف، وأصلها حارة الرُّوم الجَوّانية، وذلك أن الرُّوم الواصلين صحبة جوهر آختطوا حارة الروم المتقدّمة الذكر وهذه الحارة، وكان الناس يقولون: حارة الروم البَرّانية وحارة الروم الجَوّانية فثقل ذلك عليهم، فأطلقوا على هـذه الجَوّانيةَ وقَصَروا آسم حارة الروم على تلك. قال: والورّاقون إلى هذا الوقت يقولون حارة الروم السفلى وحارة الروم العُلْيا المعروفة بالجَوّانية، ثم قال: ويقال إنها منسوبة إلى الأشراف الجَوّانيين الذين منهم الشريف الجوّانى النّسّابة.

وأما خططها المشهورة خارج السور:

(فمنها) "الحُسَينيَّة" كانت فى الأيام الفاطمية ثمانَ حارات خارج باب الفتوح أوّلها الحارة المعروفة بحارة بهاء الدين المتقدّم ذكرها، وهى حارة حامد، والمُنْشأة الكبرى، والحارة الكبيرة، والمُنْشأة الصغيرة، وحارة عَبِيد الشراء، والحارة الوسطى، وسوق الكبير بمصر، والوَزِيرية، وكان يسكنها الطائفة المعروفة بالوزيرية والريحانية من الأرمن والعُجْمان وعبيد الشراء.

(١) بياض بالأصل.

قال آبن عبد الظاهر : وكان بها من الأرمن قريب من سبعة آلاف نفس، ثم سكنها جماعة من الأشراف الحُسَيْنِين قَدِموا فى أيام الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب من الحجاز إلى مصر، فنزلوا بهذه الأمكنة وآستوطنوها فسميت بهم ، ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وبَنَوْا بها الأبنية العظيمة والآدُر الضخمة .

قال آبن عبد الظاهر : هى أعظم حارات الأجناد .

قلت : وذلك بحسب ما كان الحال عليه فى زمانه ، ولكنها قد خربت فى زماننا هذا ، وآنتقل الأجناد إلى الأماكن القريبة من القلعة بصليبة الجامع الطولونى ونحوها .

وبنى بهاء الدين قراقوش خانا للسبيل تنزلة المارّة وأبناء السبيل فعرف خطه به .

(ومنها) "الخندق" خارج الحسينية بالخندق ، كان عنده خندق آحتفره العزيز بالله الفاطمى وكان المُعِزّ قد أسكن المغاربة هناك فى سنة ثلاث وستين وثلثمائة حين تبسطوا فى القرافة والقاهرة وأخرجوا الناس من منازلهم ، وأمر مناديا ينادى لهم كل ليلة : من بات منهم فى المدينة آستحق العقوبة .

(ومنها) "أرض الطَّبَّالة" منسوبة لآمرأة مغنية آسمها نَسَب ، وقيل طَرَب ، كانت مغنية للمستنصر الفاطمى وآسمه مَعَدّ .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : ولما ورد الخبر عليه بأنه خُطِب له ببغداد فى نَوْبة البساسيرى قريب السنة غنته نَسَب هذه :

يا بنى العَبّاسِ صُدّوا * قد ولِىَ الأمرَ مَعَدُّ
مُلْكُكُمْ كانَ مُعارًا * والعَوارِى تُسْتَرَدُّ

فوهبها هذه الأرض فى سنة آثنتين وثلاثين وأربعمائة فحُكِرت وبنيت آدرا فعرفت بها . قال : وكانت من مُلَح القاهرة وبهجتها ، وفيها يقول آبن سعيد المغربى مجانسا بين القُرْط الذى ترعاه الدوابّ والقُرْط الذى يكون فى الأذن .

سقى الله أرضا كلما زرت روضها ، كساها وحلاها بزينته القرط
تجلت عروسا والمياه عقودها ، وفى كل قطر من جوانبها قرط

(ومنها) "خط باب القنطرة" قال ابن عبد الظاهر : ذكر لى علم الدين بن مماتى أنه فى كتب الأملاك القديمة يسمى بالمرتاحية .

(ومنها) "المقس" قال القضاعى فى "خططه" : كانت ضيعة تعرف بأم دنين ، وكان العاشر الذى يأخذ المكس يقعد بها لاستخراج المال ، فقيل المكس بالكاف ثم أبدلت الكاف فى الألسنة قافا .

قال ابن عبد الظاهر : ومن الناس من يقول فيه المقسم لأن قسمة الغنائم فى الفتوح كانت فيه . قال : ولم أر ذلك مسطورا ، وكانت الدكة من نواحيه بستانا إذا ركب الخليفة من الخليج يوم الكسر أتى إليه فى البر الغربى من الخليج فى مركبه ويدخله بمفرده فيسقى منه فرسه ، ثم يخرج إلى قصره على ما سيأتى ذكره فى الكلام على ترتيب المملكة فى الدولة الفاطمية . إن شاء الله تعالى .

قال ابن عبد الظاهر : والدكة الآن أدر وحارات شهرتها تغنى عن وصفها فسبحان من لا يتغير .

قلت : وقد خرب أكثر تلك الآدر والحارات حتى لم يبق منها إلا الرسوم ، وبعضها باق يسكنه آحاد الناس .

(ومنها) "ميدان القمح" كان قديما بستانا سلطانيا يسمى بالمقسى يدخل الماء إليه من الخليج المعروف بالخليج الذكر الذى بناه كافور الاخشيدى ، ثم أمر الظاهر الفاطمى بنقل أنشابه وحفره وجعله بركة قدام اللؤلؤة ، وأبقى الخليج المذكور مسلطا على البركة ليستنقع الماء فيها . فلما ضعف أمر الخلافة الفاطمية ، وهجرت رسومها القديمة فى التفرج فى اللؤلؤة وغيرها ، بنت السودان المعروفون بالطائفة

الفَرَحِيـة الساكنون بالمَقْس عند ضِيقه عليهم قُبالةَ اللؤلؤة حارة سميت حارة اللُّصوص بسبب تعدّيهم فيها مع غيرهم ، ثم تنقلت بها الحال حتى صار على ما هو عليه الآن . 76

(ومنها) "برّ ابن التبان" غربىّ خليج القاهرة، وينسب إلى ابن التبان رئيس حرَّاقة الخلافة الفاطمية، وكان الآمر الفاطمىّ قد أمر بالعمارة قُبالة الحرق غربىّ الخليج، فأوّل من عمر به ابن التَّبَّان المذكور، أنشأ به مسجدا وبستانا ودارا فعرفت الخِطّة به إلى الآن .

(ومنها) "خط اللوق" وهو خط قديم متسع ينتهى إلى الميدان المعدّ لركوب السلطان عند وفاء النيل ، قد عُمِر بالأبنية وسكنه رَعاع الناس وأوباشهم والمكان المعروف الآن بباب اللُّوق جزء منه .

(ومنها) "بِرْكة الفيل" وهى بركة عظيمة متّسعة جنوبىّ سور القاهرة عليها الأبنية العظيمة المستديرة بها .

قال ابن عبد الظاهر : وتنسب إلى رجل من أصحاب ابن طولون يعرف بالفيل وما أحسن قولَ ابن سعيد المغربىّ :

أُنْظُرْ إلى بِرْكَةِ الفِيلِ التى اكْتَنَفَتْ ◦ بها المَنَاظِرُ كالأَهْدَابِ لِلْبَصَرِ
كأَنَّمَا هِىَ والأَبْصَارُ تَرْمُقُهَا ◦ كَوَاكِبٌ قَدْ أَدَارُوها عَلَى القَمَرِ

(ومنها) "خط الجامع الطولونى" من الصليبة وماوالاها، وقد تقدّم فى الكلام على خِطَط الفُسْطاط أن هذه الأرض كانت منازل لأحمدَ بن طولون وعَسْكره، والجبل الذى فى جانبها البحرىّ يعرف بجبل يَشْكُرَ، وعليه بناء الجامع الطولونىّ المذكور، واستحدث الملكُ الصالح نجم الدين أيوب رحمه الله عليـه قصورا جاءت فى نهاية الحسـن والإتقان، وهى المعروفة بالكَبْش، ولم يزل يسكنها أكابر الأمراء إلى أن

خَرَّبها العوامّ فى وقعة الجلبان قبل السبعين والسبعمائة وهى علىٰ ذلك إلىٰ الآن ، وقد شرع الناس الآن فى آستحكار أماكنها للعمارة فيها فى حدود سنة ثمانمائة .

(ومنها) "خط حارة المَصامِدة" وتنسب لطائفة المَصامِدة من البربر الذين قَدِموا 77
مع المُعِزّ من المغرب ، وكان المقدم عليهم عبدَ الله المصمودىّ ، وكان المأمون بن البطائحىّ وزير الآمر قد قدّمه ونوه بذكره ، وسلم إليه أبوابه للمبيت عليها ، وأضاف إليه جماعة من أصحابه .

(ومنها) "الهِلَالية" قال آبن عبدالظاهر : أظنها الحارة التى بناها المأمونُ بن البطائحىّ خارج الباب الجديد الذى بناه الحاكم بالشارع علىٰ يَسْرة الخارج منه للمَصامدة لما قدّمهم ونوه بذكرهم ، وحذر أن يبنىٰ بينها و بين بركة الفيل حتّى صارت هذه الحارة مُشْرِفة علىٰ شاطئ بركة الفيل إلىٰ بعض أيام الحافظ .

(ومنها) "المُنْتَجِبية" قال آبن عبدالظاهر : بلغنى أنها منسوبة لشخص فى الدولة الفاطمية يعرف بمُنْتَجِب الدولة .

(ومنها) "اليانِسيَّة" قال آبن عبدالظاهر : أظنها منسوبة ليانس وزير الحافظ ، وكان يلقب بأمير الجيوش سيف الإسلام ، ويعرف بيانس الفاصد لأنه فَصَد حَسَن آبن الحافظ ، وتركه محلول الفِصَادة حتّى مات .

قال : وكان فى الدولة مَن آسمه يانس العزيزىّ ، واليانِسيَّة جماعة كانوا فى زمن العزيز بالله ، ومنهم يانس الصقلىّ ، ونسبة هذه الحارة محتملة لأن تكون لكل منهم ، وقد ذكر آبن عبدالظاهر عدّة حارات كانت للجند خارجَ باب زويلة غير ما لعله ذكره سردا ، منها ما هو مشهور معروف ، وهو حارة حلب والحبانية . ومنها ما ليس كذلك وهو الشوبك ، والمأمونية ، والحارة الكبيرة ، والمنصورة الصغيرة ، وحارة أبى بكر .

وأما جوامعها فأقدمها (الجامع الأزهر) بنـاه القائد جوهر بعـد دخول مولاه المُعِزّ إلى القاهرة وإقامته بها، وفرغ من بنائه وجُمِّعت فيه الجمعة فى شهر رمضان لسبع خلون من سنة إحدىٰ وستين وثلثمائة، ثم جدّد العزيز بن المعزّ فيه أشياء وعَمَر به أماكنَ، وهو أوّل جامع عُمِر بالقاهرة.

قال صاحب "نهاية الأرب": وجدّده العزيز بن المُعِزّ، ولما عَمَر الحاكم جامعه نقل الخُطْبة إليه وبقىَ الجامع الأزهر شاغرا، ثم أُعيـدت إليه الخطبة وصلى فيه الجمعـة فى ثامن شهر ربيع الآخر سـنة خمس وستين وستمـائة فى سلطنة الظاهر بيبرس، وتزايد أمره حتّى صار أرفع الجوامع بالقاهرة قَدْرا.

قال آبن عبدالظاهر: وسمعتُ جماعة يقولون إن به طلسما لا يسكُنه عُصْفُور.

الجـامع الثـانى
(الجـامع الحاكمىّ)

بناه الحاكم الفاطمىّ علىٰ القرب من باب الفتوح وباب النصر، وفُرِغ من بنائه فى سـنة ست وتسعين وثلثمائة، وكان حين بنائه خارج القاهرة إذ كان بناؤه قبل بناء باب الفتوح وباب النصر الموجودين الآن، وكان هو خارجَ القوسين اللذين هما باب الفتوح وباب النصر الأوّلان.

ثم قال: وفى سيرة العزيز أنه آختط أسـاسـه فى العاشر من رمضان سنة تسع وسبعين وثلثمائة، وفى سيرة الحاكم أنه آبتدأه بعض الوزراء وأتمه الحـاكم، وعلىٰ البَدَنة المجاورة لباب الفتوح أنها بنيت فى زمن المستنصر فى أيام أمير الجيوش سـنة ثمـانين وأربعمائة، ثم آستولىٰ عليها مَنْ ملكها والزيادة التى إلىٰ جانبـه بناها الظاهر آبن الحاكم ولم يكملها، ثم ثبت فى الدولة الصالحية نجم الدين أيوب أنها من الجامع

وأن بها محرابا، فانتُزِعت ممن هى معه وأُضِيفت للجامع، وبُنِىَ بها ما هو موجود الآن فى الأيام المعزية أيبك التُّرْكُمانىّ ولم تسقف .

الجامع الثالث

(الجامع الأقمر)

بناه الآمر الفاطمىّ بوَسَاطة وزيره المأمون بن البطائحى؛ وكمل بناؤه فى سنة تسع عشرة وخمسمائة، ويذكر أن آسم الآمر والمأمون عليه .

قلت : ولم يكن به خُطْبة إلىٰ أن جدّد الأمير يَلْبُغا السالمىّ : أحد أمراء الظاهر برقوق عمارتَهُ فى سنة إحدىٰ وثمانمائة ورتَّب فيه خُطْبة .

الجامع الرابع

79 (الجامع بالمَقْس بباب البحر، وهو المعروف بالجامع الأنور)

بناه الحاكم الفاطمىّ أيضا فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة .

الجامع الخامس

(الجامع الظافرىّ، وهو المعروف الآن بجامع الفَكَّاهين)(١)

بناه الظافر الفاطمىّ داخل بابَىْ زُويلة فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وكان زَرِيبة للكِبَاش، وسبب بنائه جامعا أن خادما كان فى مشترف علىٰ الزريبة فرأىٰ ذَبَّاحًا وقد أخذ رأسين من الغنم فذبح أحدهما ورمىٰ سِكِّينته وذهب لقضاء حاجة له، فأتىٰ رأس الغنم الآخر فأخذ السكين بفمه ورماها فى البالوعة، وجاء الذَّبَّاحُ فلم يجد السكِّين، فآستصرخ الخادمُ وخلصه منه، فرفعت القصة إلىٰ أهل القصر فأمروا بعمارته .

(١) فى خطط المقريزى "الفاكهيين".

الجامع السادس
(الجامع الصالحيّ)

بنـاه الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز والعاضد من الفاطميين خارج باب زُوَيلة، بقصد نقل رأس الحسين عليه السلام من عَسْقلانَ إليه، عند خوف هجوم الفرنج عليها، فلما فرغ منه لم يمكّنه الفائز من ذلك، وٱبتنىٰ له المشهد المعروف بمشهد الحُسَيْن بجوار القصر، ونقله إليه فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة ؛ وبنىٰ به صِهْريجا وجعل له ساقية تنقل المـاء إليه من الخليج أيام النيل علىٰ القرب من باب الخرق. ولم يكن به خُطبـة ، وأوّل ما أقيمت الجمعة فيـه فى الأيام المُعِزّيّة أيبك التُّرْكُمَانى فى سنة ٱثنتين وخمسين وسبعـمائة ، وخطب به أصيـل الدين أبو بكر الإسعِرْدى ؛ ثم كَثُرت عمـارة الجوامع بالقاهرة فى الدولة التركيـة خصوصا فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون وما بعدها ، فعمر بها من الجوامع ما لا يكاد يحصىٰ كثرة : كجامع المـاردينى وجامع قُوصون خارج باب زُوَيْلة وغيرهمـا من الجوامع ، وأقيمت 80 الجمعة فى كثير من المدارس والمساجد الصِّـغار المتفرّقة فى الأخطاط لكثرة الناس وضيق الجوامع عنهم .

✣

وأما مدارسها ، فكانت فى الدولة الفاطمية وما قبلها قليـلةَ الوجود بل تكاد أن تكونَ معدومة ، غير أنه كان بجوار القصر دارٌ تعرف "بدار العلم" خلف خان مسرور، كان داعى الشيعة يجلس فيها ، ويجتمع إليه من التلامذة مَنْ يتكلم فى العلوم المتعلقة بمذهبهم ، وجعل الحاكم لهـا جزءا من أوقافه التى وقفها علىٰ الجامع الأزهر وجامع المَقْس وجامع راشدةَ ؛ ثم أبطل الأفضل بن أمير الجيوش هذه الدار لٱجتماع الناس فيها والخوض فى المذاهب خوفا من الٱجتماع علىٰ المذهب النِّزَارىّ ؛ ثم أعادها الآمر

بواسطة خُدّام القصر بشرط أن يكون مُتَوَلّيها رجلا ديِّنا والداعى هو الناظر فيها ، ويقام فيها متصدّرون برسم قراءة القرءان .

وقد ذكر المسبحىّ فى تاريخه : أن الوزير أبا الفرج يعقوب بن كلس سأل العزيز بالله فى حمله رزق جماعة من العلماء ، وأطلق لكل منهم كفايته من الرزق ، وبنىٰ لهم دارا بجانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حلقوا بالجامع بعد الصلاة وتكلموا فى الفقه ، وأبو يعقوب قاضى الخندق رئيسُ الحَلْقةِ والملقِى عليهم إلىٰ وقت العصر ، وكانوا سبعة وثلاثين نفرا . ثم جاءت الدولة الأيوبية فكانت الفاتحة لباب الخير ، والغارسةَ لشجرة الفضل ، فٱبتنىٰ الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر (دار الحديث الكاملية) بين القصرين فى سنة آثنتين وعشرين وستمائة ، وقرّر بها مذاهب 81
الأئمة الأربعة وخطبةً ، وبقى إلىٰ جانبها خراب حتىٰ بُنِى آدُرا فى الأيام المُعِزِّيَّة أيبك التُّرْكُمَانِىّ فى سنى خمسين وستمائة ، ووُقِفَ علىٰ المدرسة المذكورة ، وبنىٰ من بنىٰ من أكابر دولتهم مدارس لم تبلغ شأو هذه ، وشتّان بين الملوك وغيرهم .

ثم جاءت الدولة التركية فأربت علىٰ ذلك وزادت عليه ، فٱبتنىٰ الظاهر بيبرس (المدرسة الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الصالحية ، ثم آبتنىٰ المنصور قلاوون (المدرسة المنصورية) من داخل بيمارستانه الآتى ذكره وجعل قبالتها تُرْبةً سنية .

ثم آبتنىٰ الناصر محمد بن قلاوون (المدرسة الناصرية) بجوار البيمارستان المذكور .

ثم آبتنىٰ الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون (مدرسته العظمىٰ) تحت القلعة ، وهى التى لم يُسْبَق إلىٰ مثلها ، ولا سمع فى مصرٍ من الأمصار بنظيرها ، يقال إن إيوانها يزيد فى القدر علىٰ إيوان كسرىٰ بأذرع .

ثم آبتنىٰ آبنُ أخيه الأشرف شعبان بن حسين (المدرسة الأشرفية) بالصُّوّة تحت

القلعة ومات ولم يكملها، ثم هدمها الناصر فرج بن الظاهر برقوق لتسلطها على القلعة في سنة أربع عشرة وثمانمائة، ونقل أحجارها إلى عمارة القاعات التي أنشأها بالحوش بقلعة الجبل، ولم تعهد مدرسة قُصِدت بالهدم قبلها .

ثم ابتنى الظاهر برقوق (مدرسته الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الكاملية فجاءت في نهاية الحسن والعَظَمة، وجعل فيها خطبة، وقرر فيها صوفية على عادة الخوانق ودروسا للأئمة، فتعانى[1] فيها ضخامة البناء، ونظم الشعراء فيها، فكان 82
مما أتى به بعضهم من أبيات :

وبَعْضُ خُدَّامِهِ طَوْعًا لِخِدْمَتِهِ ٭ يَدْعُو الصُّخُورَ فَتَأْتِيهِ عَلَى عَجَلِ

وتواردوا كلهم على هذا المعنى، فاقترح عليّ بعضُ الأكابر نظم شيء من هذا المعنى فنظمت أبياتا جاء منها :

وبالخليلي قد راجَتْ عِمارَتُهَا ٭ في سُرْعَةٍ بُنِيَتْ مِنْ غَيْرِ مَا مَهَلِ
كَمْ أظهرتْ عَجَبًا أسْوَاطُ حِكْمَتِهِ ٭ وَكَمْ غَدَتْ مَثَلًا نَاهِيكَ مِنْ مَثَلِ
وكم صخورٍ تَخَالُ الجنَّ تَنْقُلُهَا ٭ فإنَّها بالوَحَا تَأْتِي وبالْعَجَـلِ

وفي خلال ذلك ابتنى أكابرُ الأمراء وغيرهم من المدارس ماملأ الأخطاط وشحنها .

✣

وأما الخوانق والرُّبُطُ، فمما لم يعهد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبيـة، وكان المبتكر لهـا السلطانَ صلاح الدين يوسـف بن أيوب رحمه الله، فابتنى (الخانقاه الصلاحية) المعروفة بسعيد السعداء، وسعيد السعداء لقب لخادم للمستنصر الفاطمي اسمه قنبر كانت الدار له، ثم صارت آخر الأيام سكن الصالح طلائع بن رزيك، ولمـا ولي الوزارة فتح من دار الوزارة إليهـا سِرْدابا تحت الأرض، وسكنها شاور

(١) لعله وتغالى في ضخامة البناء .

السعدى وزير العاضد ثم ولده الكامل . فلما ملك السلطان صلاح الدين جعلها خانقاه ، ووقف عليها قَيْسارِيَّة الشُّرْب داخل القاهرة ، وبستان الحَبَّانية بزقاق البركة .

⁂

وأما مساجد الصلوات الخمس، فأكثر من أن تحصى وأعز من أن تستقصى ، بكل خط منها مسجد أو مساجد لكل منها إمام راتب ومصلُّون .

⁂

83 وأما البيمارستان، فقال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : بلغنى أن البيمارستان كان أوّلا بالقَشَّاشين يعنى المكان المعروف الآن بالخرّاطين على القرب من الجامع الأزهر، وهناك كانت دارُ الضرب بناها المأمون بن البطائحى وزير الآمر قبالة البيمارستان المذكور، وقرر دُورَ الضرب بالإسكندرية وقُوص وصُور وعَسْقلان، ثم لما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية واستولى على القصر ، كان فى القصر قاعةٌ بناها العزيز بن المُعز فى سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، فجعلها السلطان صلاح الدين بيمارستانا : وهو البيمارستان العتيق الذى داخل القصر، وهو باقٍ على هيئته إلى الآن ، ويقال إن فيها طلسما لا يدخلها نمل ، وإن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيمارستانا .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : ولقد سألت المباشرين بالبيمارستان المذكور عن ذلك فى سنة سبع وخمسين و ... ...[1] ... مائة فقالوا صحيح .

ثم ابتنى السلطان الملك "المنصور قلاوون" رحمه الله دارَ ستِّ الملك أخت الحاكم، المعروفة بالدار القُطْبية بيمارستانا فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة بمباشرة الأمير علَم الدين

(١) لعله وستمائة.

الشجاعى ، وجعل من داخله المدرسة المنصورية والتربة المتقدم ذكرهما فبقى معالم بعض الدار على ما هو عليـه ، وغير بعضها . وهو من المعروف العظيم الذى ليس له نظير فى الدنيا . ونظره رتبة سنية يتولاه الوزراء ومَنْ فى معناهم .

قال فى "مسالك الأبصار" : وهو الجليـل المقدار، الجليـل الآثار، الجميل الإيثار، لعظيم بنائه ، وكثرة أوقافه ، وسَـعَة إنفاقه ، وتنوع الأطبـاء والكحالين والجرائحية فيه .

قلت : ولم تزل القاهرة فى كل وقت تتزايد عمارتُها ، وتتجدد معالمها، خصوصا بعد خراب الفُسْطَاط وانتقال أهـله إليها على ما تقدم ذكره حتى صارت على ما هى عليه فى زماننا : من القصور العَلِيَّة، والدور الضخمة، والمنازل الرحيبة، والأسواق الممتدة، والمناظر النزهة، والجوامع البَهِجَة، والمدارس الرائقـة، والخوانق الفاخرة، ممـا لم يُسْمع بمثـله فى قُطْرٍ من الأقطار، ولا عُهِد نظيره فى مصر من الأمصار . وغالب مبانيها بالآجُرّ،وجوامعها ومدارسها و بيوت رؤسائها مبنيةٌ بالحجر المنحوت، مفروشة الأرض بالرخام ، مؤزَّرة الحيطان به ، وغالب أعاليها من أخشاب النخل والقصب المحكم الصنعة ؛ وكلها أو أكثرها مُبَيَّضَةُ الجُدُر بالكِلْس الناصع البياض ، ولأهلهـا القوة العظيمة فى تَعْلِيَة بعض المساكن على بعض حتى إن الدار تكون من طبقتين إلى أربع طبقات بعضها على بعض ، فى كل طبقـة مساكنُ كاملةٌ بمنافعها ومرافقها، وأسطحة مقطعة بأعلاها بهندسة محكمة، وصناعة عجيبة .

قال فى "مسالك الأبصار" : لا يرى مثـل صُنَّاعِ مِصْرَ فى هـذا البـاب ، وبظاهرها البسـاتين الحِسَانُ ، والمناظر النَّزِهَة، والآدُرُ المُطِلَّةُ على النيل ، والخُلْجَانُ الممتدة منـه ومن مده ؛ وبها المستنزهات المستطابة، خصوصا زمنَ الربيع لغُدْرانها الممتدة من مقطعات النيل وما حولها من الزروع المختلفة وأزهارها المـأنسة التى تسر الناظر وتبهج الخاطر .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وأجمع المسافرون برًّا وبحرا أنه لم يكن أحسن منها مَنْظَرًا ، ولا أكثر ناسا ، وإليها يُجلَب مافى سائر أقاليم الأرض من كل شىء غريب وزىٍّ عجيب ، وملكها مَلِكٌ عظيم ، كثير الجيوش ، حسن الزِّىّ لا يماثله فى زِيِّه ملك من ملوك الأرض ، وأهلها فى رَفَاهِيَة عَيْش وطيب مأْكَلٍ ومَشْرَب ، ونساؤها فى غاية الجمال والظَّرف .

قال فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى غير واحد ممن رأى المُدُنَ الكِبَارَ أنه لم ير مدينة آجتمع فيها من الخَلْق ما آجتمع فى القاهرة .

قال : وسألت الصدر مَجْدَ الدين إسماعيلَ عن بَغْدَادَ وتُورِيزَ هل يجمعان خلقا مثل مصر ؟ فقال : فى مصر خلق قدر مَنْ فى جميع البلاد .

قال فى "التعريف" : (والقاهرة اليوم أُمُّ الممالك ، وحاضرة البلاد ، وهى فى وقتنا دارُ الخلافة ، وكرسىّ الملك ، ومَنْبَع الحكماء ، ومَحَطُّ الرحال ، ويتبعها كل شرق وغرب خلا الهند فإنه نائى المكان ، بعيد المدى ، يقع لنا من أخباره ما نُنْكِره ، ونسمع من حديثه ما لا نألفه .

قال : وكان يحق لنا أن نجعل كل النُّطُق بالقاهرة دائرة ، وإنما نفردها بما آشتملت عليه حدود الديار المصرية ، ثم ندير بأُمّ كل مملكة نِطَاقها ، ثم إليها مرجع الكل وإلى بحرها مصب تلك الخُلُج) .

قال فى "مسالك الأبصار" : إلا أن أرضها سَبِخة ، ولذلك يَعْجَلُ الفساد إلى مبانيها .

وذكر القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر نحو ذلك وأن المُعِزَّ لام القائد جوهرا على بنائها فى هذا الموضع ، وتَرْك جانب النيل عند المَقْس أو جنوبىّ الفُسْطاط حيث الرصد الآن .

القـاعدة الثالثـــة

(القلعـــة)

بفتح القاف، و يعبر عنها بقلعة الجبل، وهى مَقَرُّ السلطان الآن ودار مملكته .

بناها الطواشى بهاء الدين قراقوش المتقـدّم ذكره للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه‌الله،وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المُقَطَّم والفُسْطَاط، وما يليه من القرافة المتصلة بعمارة القاهرة والقرافة،(١) وطولها وعرضها على ما تقدّم فى الفُسْطَاط أيضا،وهى على نَشَز مرتفع من تقاطيع الجبل المقطم، ترتفع فى موضع وتنخفض فى آخر .

وكان موضعها قبل أن تبنى،مساجدَ من بناء الفاطميين : منها مسجد ردينى الذى هو بين آدُرِ الحريم السلطانية .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : قال لى والدى رحمه الله : عرض علىّ الملك الكامل إمامته، فآمتنعت لكونه بين آدُرِ الحريم. ولم يسكنها السلطان صلاح الدين رحمه الله، و يقال : إن آبنه الملك العزيز سكنها مدة فى حياة أبيه، ثم آنتقل منها إلى دار الوزارة .

قال القاضى محيي الدين بن عبـد الظاهر : قال لى والدى رحمه الله : كنا نطّلع إليها قبل أن تُسْكن فى ليالى الجُمَع نبيت متفرّجين كما نبيت فى جواسق الجبل والقرافة.

وأوّل من سكنها الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب آنتقل إليها من قصر الفاطميين سنة أربع وستمائة، وآستقرّت بعده سكنا للسلاطين إلى الآن .

ومن غريب ما يحكى أن السلطان صـلاحَ الدين رحمه الله طلع إليها ومعه أخوه العادل أبو بكر، فقـال السلطان لأخيه العادل : هذه القلعة بُنِيت لأولادك، فثقُل ذلك على العادل وعرف السلطان صـلاح الدين ذلك منه ــ فقال : لم تفهم عنى

(١) لعله زائد أو سهو .

إنما أردت أنى أنا نَجيب فلا يكون لى أولاد نُجَباء، وأنت غير نجيب فتكون أولادُك نجباءَ فسُرِّى عنه، وكان الأمر كما قال السلطان صلاح الدين، وبقيت خالية حتى ملك العادل مصر والشام، فآستناب ولَدَه الملك الكامل محمدا فى الديار المصرية فسكنها .

وذكر فى "مسالك الأبصار" أن أوّل مَنْ سكنها العادل أبو بكر، ولما سكنها الكامل المذكور، آحتفل بأمرها وآهتمّ بعمارتها وعَمَر بها أبراجا، منها البرج الأحمر وغيره .

وفى أواخر سنة آثنتين وثمانين وستمائة عَمَر بها السلطان الملك المنصور قلاوون بُرْجًا عظيما على جانب باب السر الكبير، وبنى عليه مشترفاتٍ حسنةَ البنيان، بهجة الرخام، رائقة الزَّخْرفة . وسكنها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

ثم عَمَر بها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثلاثة أماكن، كملت بها معانيها، وآستحق بها القلعةَ على بانيها .

أحدها — القصر الأبلق الذى يجلس به السلطان فى عامة أيامه، ويدخل عليه فيه أمراؤه وخواصُّه، وقد آستجدّ به السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" رحمه الله فى جانبه مقعدا بإزاءِ الإصطبلات السلطانية جاء فى نهاية من الحسن والبهجة .

والثانى — الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان فى أيام المواكب للخدمة العامة وإقامة العدل فى الرعية .

والثالث — جامع الخُطْبة الذى يصلى فيه السلطان الجمعة، وستأتى صفة هذه الأماكن كلها .

وهذه القلعة ذاتُ سور وأبراج، فسيحة الأفنية، كثيرة العمائر، ولها ثلاثة أبواب يدخل منها إليها .

أحدها ــ من جهة القرافة والجبل المُقَطَّم ، وهو أقل أبوابها سالكا وأعزُّها آستطراقا .

والثانى ــ باب السر، ويختص الدخول والخروج منه بأكابر الأمراء وخواص الدولة : كالوزير وكاتب السر ونحوهما ، يتوصل إليه من الصوّة : وهى بقية النَّشَز الذى بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة، بتعريج يمشى فيه مع جانب جدارها البحرى حتّى ينتهى إليه بحيث يكون مدخله منه مقابل الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان أيام المواكب، وهذا الباب لا يزال مُغْلَقًا حتّى ينتهىَ إليه من يستحق الدخول أو الخروج منه فيفتح له ثم يغلق .

والثالث ــ وهو بابها الأعظم الذى يدخل منه باقى الأمراء وسائرُ الناس، يتوصل إليـه من أعلىٰ الصوة المتقدّم ذكرها، يرقىٰ إليه فى درج متناسبة حتّى يكون مدخله فى أوّل الجانب الشرقىّ من القلعة، ويتوصل منه إلىٰ ساحة مستطيلة ينتهى منها إلىٰ دُرْكاه جليلة يجلس بها الأمراء حتّى يؤذَن لهم بالدخول ؛ وفى قبلىّ هـذه الدركاه (دار النيابة) ، وهى التى يجلس بها النائب الكافل للحكم إذا كان ثَمَّ نائب، و (قاعة الصاحب) ، وهى التى يجلس بها الوزير وكُتَّاب الدولة، و (ديوان الإنشاء) ، وهو الذى يجلس فيـه كاتب السر وكُتَّاب ديوانه، وكذلك (ديوان الجيش) ، وسـائر الدواوين السلطانية .

وبصـدر هذه الدُّرْكاه باب يقال له باب القُلَّة يدخل منـه إلىٰ دهاليز فسيحة ، علىٰ يَسْرَةِ الداخل منها بابٌ يتوصل منـه إلىٰ جامع الخطبة المتقدّم ذكره، وهو من أعظم الجوامع ، وأحسنها وأبهجها نظرا، وأكثرها زَخْرَفة، متسع الأرجاء، مرتفع البناء، مفروش الأرض بالرخام الفائق، مُبَطَّن السُّقوف بالذهب، فى وسطه قبة يليها مقصورة يصلّي فيها السلطان الجمعة، مستورة هى والرواقات المشتملة عليها بشبابيك

من حديد محكمة الصنعة ، يَحُفّ بصحنه رواقات من جميع جهاته ، ويتوصل من ظاهر هذا الجامع إلى باب الستارة، ودور الحريم السلطانية .

وبصدر الدهاليز المتقدمة الذكر مَصْطَبَةٌ يجلس عليها مقدّم المماليك، وعندها مَدْخَل باب السر المتقدم ذكره، وفى مجنبة ذلك مَمَرٌّ يدخل منه إلى ساحة يواجه الداخل إليها باب الإيوان الكبير المتقدم ذكره، وهو إيوان عظيم عديم النظير، مرتفع الأبنية، واسع الأفنية، عظيم العُمُد، عليه شَبَابيكُ من حديد عظيمةُ الشأن محكمةُ الصنعة، وبصدره سرير الملك ، وهو مِنْـبَرٌ من رُخَام مرتفعٌ ، يجلس عليه السلطان فى أيام المواكب العِظام لقدوم رسل الملوك ونحو ذلك .

ويُتَيَامن عن هذا الإيوان إلى ساحة لطيفة بها باب القصر الأبلق المتقدم ذكره، وبنواحيها مصاطبُ يجلس عليها خواصّ الأمراء قبل دخولهم إلى الخدمة، ويُدْخَل من باب القصر إلى دهاليز عظيمة الشأن، نبيهة القدر، يتوصّل منها إلى القصر المذكور، وهو قصر عظيم البناء، شاهق فى الهواء، به إيوانان فى جهتى الشَّمال والجنوب، أعظمهما الشَّمالىّ، يُطَلُّ منهما على الإصطبلات السلطانية. ويمتدّ النظر منهما إلى سوق الخيل والقاهرة والفُسْطَاط وحواضرها ، إلى مجرى النيل ، وما يلى ذلك من بلاد الجيزة والجبل وما والى ذلك ، وبصدره مِنْبَر من رخام كالذى فى الإيوان الكبير يجلس عليه السلطان أحيانا فى وقت الخدمة على ما يأتى ذكره .

والإيوان الثانى وهو القبلى- خاص بخروج السلطان وخواصّه منه، من باب السر إلى الإيوان الكبير خارج القصر للجلوس فيه أيام المواكب العامّة، ويدخل من القصر المتقدّم ذكره إلى ثلاثة قصور جوّانية : واحد منها مسامت لأرض القصر الكبير، وآثنان مرفوعان، يُصْعَد إليهما بدَرَج ، فى جميعها شبابيكُ من حديد تُشْرِفُ على ما يُشرِف عليه القصر الكبير، ويدخل من القصور الجوّانية إلى دور الحريم وأبواب الستور

السلطانية ، وهذه القصور جميعها ظاهرها بالحجر الأسود والأصفر ، وداخلها مؤزّر بالرخام والفَصّ المُذْهَب المشجَّر بالصَّدَف وأنواع الملونات ، والسقوفُ المبطَّنة بالذهب واللّازوَرْد تُخرق لضوء في جُدْرانها[1] بطاقات من الزجاج القُبْرسيّ الملون كقِطَع الجوهر المؤلفة في العقود ، وجميع أرضها مفروشة بالرخام المنقول من أقطار الأرض مما لا يوجد مثله .

قال في "مسالك الأبصار" : فأما الآدُر السلطانية فعلىٰ ماصح عندى خبره أنها ذوات بساتين وأشجار ومُنَاخات للحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور الدّواجن .

وخارج هذه القصور طِباق واسعة للماليك السلطانية ، ودُورٌ عظامٌ لخواص الأمراء من مقدّمي الألوف ، ومَنْ عَظُمَ قدره من أمراء الطَّبْلَخاناه والعشرات ، ومن خرج عن حكم الخاصكية إلىٰ حكم البرانيين .

وبها بيوت ومساكنُ لكثير من الناس ، وسوق للمآكل ، ويباع بها النَّفيس من السلاح والقماش مع الدّلالين يطوفون به .

وبهذه القلعة مع ارتفاع أرضها وكونها مبنية علىٰ جبل بئرُ ماء مَعِين منقوبة في الحجر ، احتفرها بهاء الدين قراقوش المتقدّم ذكره حين بناء القلعة ، وهى من أعجب الآبار ، بأسفلها سَوَاقٍ تدور فيها الأبقار ، وتنقل الماء في وسطها ، وبوسطها سواق تدور فيها الأبقار أيضا وتنقل الماء إلىٰ أعلاها ، ولها طريق إلىٰ الماء ينزل البقر فيه إلىٰ معينها في مجاز ، وجميع ذلك نَحْتٌ في الحجر ليس فيه بناء .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : وسمعت من يحكى من المشايخ أنها لما نقرت ، جاء ماؤها عَذْبا فأراد قراقوش أو نوّابُه الزيادة في مائها فوسع نقرا في الجبل ، فخرجت منه عين مالحة غيرت عذوبتها . ويقال : إن أرضها تسامتُ أرض

---

(١) في المقريزى هكذا [وقد موّهت باللازورد والنور يخرق في جدرانها الخ] .

بركة الفيل ؛ وهـذه البئر ينتفع بهـا أهل القلعة فيما عدا الشرب من سائر أنواع الاستعمالات . أما شُرْبهم فمن الماء العذب المنقول إليها من النيل بالرَّوايا على ظهور الجمال والبغال مع ما ينساق إلى قصور السلطان ودور أكابر الأمراء المجاورين للسلطان من ماء النيل فى المجارى ، بالسواقى النَّقَّالات والدواليب التى تديرها الأبقار وتنقل المـاء من مقر إلى آخر حتى ينتهى إلى القلعة ، ويدخل إلى القصور والآدُر فى ارتفاع نحو خمسمائة ذراع .

وقد استجدّ السلطان الملك الظاهر برقوق بهذه القلعة صِهْريجا عظيما يُمْلأ فى كل سنة زمَنَ النيـل من المـاء المنقول إلى القلعة من السواقى النَّقَّالات ، ورتب عليه سبيلا بالدَّرْكاه التى بها دار النيابة يسقى فيه المـاء وحصل به للناس رفق عظيم .

وتحت مشترف هـذه القلعة ممـا يلى القصور السلطانية مَيْدَانٌ عظيم يحول بين الإصطبلات السلطانية وسوق الخيل ، ممرج بالنجيل الأخضر ، فسيح المدى ، يسافر النظر فى أرجائه ، به أنواع من الوحوش المستحسنة المَنْظَر ، وتُربَط به الخَوَاصّ من الخيول السلطانية للتفسح ، وفيه يصلى السـلطان العيدين على ماسيأتى ذكره ، وفيه تعرض الخيول السلطانية فى أوقات الإطلاقات ووصول التقادم والمشترى ، وربمـا أطعم فيه الجوارح السلطانية ، وإذا أراد السلطان النزول إليه خرج من باب إيوان القصر وركب من درج تليه إلى إصطبل الخيول الخاص ، ثم نزل إليه راكبا وخواصّ الأمراء فى خدمته مشاةً ، ثم يعود إلى القصر كذلك .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى "خططه" : وكان هذا المَيْدَان وما حوله يعرف قديمـا بالميـدان ، وبه قصر أحمد بن طولون وداره التى يسكنها ، والأماكن المعروفة بالقطائع حوله على ما تقدّم ذكره فى خطط الفُسْطَاطِ ، ولم يزل كذلك حتى بنى الملك الكامل بن العادل بن أيوب هـذا المَيْدَانَ تحت القلعة حين

سكنها ، وأجرىٰ السـواق النقّالات من النيل إليـه ، وعَمَر إلىٰ جانبه ثلاث بِرَك تملأ لسقيه ؛ ثم تعطل فى أيامه مدّة ، ثم آهتم به الملك العـادل ولده ، ثم آهتم به الصالح نجم الدين أيوب آهتماما عظيما، وجدّد له ساقية أخرىٰ ، وغرس فى جوانبه أشجارا فصار فى نهاية الحسن . فلما تُوفّى الصـالح تلاشىٰ حاله إلىٰ أن هُدِم فى سنة خمسين وستمائة، أو سنة إحدىٰ وخمسين فى الأيام المُعِزِّيَّة أيبك التركمانى ، وهُدمت السواقى والقنـاطر وعَفَت آثارها ، وبقى كذلك حتّى عَمَره السـلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله ، فأحسن عمـارته ورَصَّفه أبدع ترصيـف ، وهو علىٰ ذلك إلىٰ الآن .

أما المَيْدَانَ السلطانىّ الذى بخُطّ اللوق، وهو الذى يركب إليه السلطان عند وفاء النيل للَعِب الْكُرَة ، فبناه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وجعل به المناظر الحسنة ونصب الطَّوارق علىٰ بابه كما تُنْصَب علىٰ باب القـلاع وغيرها ، ولم تزل الطوارق منصوبة عليه إلىٰ مابعد السبعمائة ،وسيأتى الكلام علىٰ كيفية الركوب إليه فى المواكب فى الكلام علىٰ ترتيب المملكة فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

والقلعة التى بالرَّوْضَة تقدم الكلام عليها [فى الكلام] علىٰ خِطَط الفُسْطاط .

✣

ومما يتصل بهـذه القواعد الثلاث ويلتحق بها القرافةُ التى هى مَدْفَن أمواتها، وهى تربة عظيمة ممتدّة فى سفح المُقَطَّم ، موقعها بين المقطم والفُسْطاط وبعض القاهرة، تمتدّ من قلعة الجبل المتقدم ذكرها آخذةً فى جهة الجَنوب إلىٰ بِركة الحبش وماحولها . وكان سبب جعلها مَقْبُرَة ماروآه آبن عبد الحَكَم عن الليث بن سعد : أن المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبيعه سفحَ المقطم بسبعين ألف دينار، فتعجب عمرو من ذلك ، وكتب إلىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك،

فكتب إليه عمر : أنْ سَلْه لِمَ أعطاك به ما أعطاك وهى لا تُزْرع ولا يُسْتنبط بها ماء ولا ينتفَع بها ؛ فسأله ، فقال : إنا لنجد صِفَتها فى الكتب أن فيها غراس الجنة ، فكتب إلىٰ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك ، فكتب إليه عمر :
"إنِّى لا أرىٰ غَرْس الجنة إلا المؤمنين فاقْبُرْ بها مَنْ مات قِبَلَك من المسلمين 92
ولا تَبِعْها بشىء" فقال المقوقس لعمرو : ما علىٰ ذا عاهدتنا ، فقطع لهم قِطْعة تُدفَن فيها النصارىٰ ، وهى التى علىٰ القرب من بِركة الحبش ؛ وكان أوّلُ من قُبِر بسفح المقطم من المسلمين رجلا من المَعَافِر آسمه عامر ، فقيل عَمَرت .

ويروىٰ أن عيسىٰ عليه السلام مرّ علىٰ سفح المقطم فى سياحته ومعه أُمُّه ، فقال : "يا أمّاه ! هذه مَقْبُرة أمّة محمد صلى الله عليه وسلم". وفيها ضرائح الأنبياء عليهم السلام كإخوة يوسف وغيرهم . وبها قبر آسيَةَ آمرأة فرعون ، ومشاهدُ جماعة من أهل البيت والصحابة والتابعين والعلماء والزُّهّاد والأولياء .

وقد بنىٰ الناس بها الأبنية الرائقة ، والمناظر البَهِجَة ، والقصورَ البديعة ، يَسْرَحُ الناظر فى أرجائها ، ويبتهج الخاطر برؤيتها ؛ وبها الجوامع والمساجد والزوايا والرُّبُط والخوانق ، وهى فى الحقيقة مدينة عظيمة إلا أنها قليلة الساكن .

الفصل الثانى

من المقالة الثانيـــة

(فى ذكر كُوَر الديار المصرية ، وهى علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(فى ذكر كُوَرها القـــديمة)

وقد جعلها القُضَاعىّ فى "خططه" ثلاثة أحياز ، وتشتمل علىٰ خمس وخمسين كُورة ، إلا أنه ذكرها سَرْدا غير مبيّنـة ولا مُرَتَّبة ، وقد أوردتُها هنا مبيَّنة مرتبة ،

ونبهتُ علىٰ ما هو مستمرّ منها علىٰ حكمه، وما تغـيّر حكمه بإضافته إلىٰ غيره من الأعمال المستمرّة مع بقاء أسمائه، ومادرس آسمه ونُسِى، أو تغير ولم تعلم له حقيقة.

الحيز الأوّل

(أعلىٰ الأرض، وهو الصعيد)

والمراد ماهو من كُوَرِهَا جنوبىّ الفُسْطَاط إلىٰ نهايته فى الجنوب، وسمى صعيدا لأن أرضـه كلّمـا وغلت فى الجنوب، أخذت فى الصُّعود والآرتفـاع.

وقد ذكر القُضَاعىّ فيه عشرين كورة :

الأولىٰ — (كُورَةُ الفيوم) وهى كُورة باقية مسـتمرّة الحكم إلىٰ الآن، وسيأتى ذكرها فى الكلام علىٰ الأعمال المستقرّة فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ.

الثانية — (كُورَةُ مَنْف) ومَنْفُ هى مدينة مصر القديمة المتقدّمة الذكر، التى بناها مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السـلام. وقد تقدّم أنها علىٰ آثنى عشر ميـلا من الفُسْطَاط فى جَنُوبِيِّه علىٰ القرب من البلدة المعروفة الآن بالبَدْرَشِين.

الثـالثة — (كُورَة وَسِيمَ) ووَسِيمُ بفتح الواو وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وميم فى الآخر، بلدة من عمل الجيزة معروفة، والثابت فى الدواوين أَوْسِيمُ بزيادة ألف فى أولهـا وسكون الواو.

الرابعة — (كُورَةُ الشرقية) وكأن المراد بها عمل إطفيح الآن إذ هو شرقىّ النيل وليس بالوجه القبلىّ عمل مستقلّ شرقىّ النيل سواه.

الخامسة — (كُورَةُ دَلَاص وبُوصِير) أما دَلَاصُ فبدال مهملة مفتوحة ولام ألف ثم صاد مهملة قال فى "الروض المعطار" : كانت مدينة عظيمة بها عجائب الأبنية، وبها كان مجتمع سَحَرة مصر. وأما بوصير فالمراد هنا بُوصِير قُورِيدُس التى قتـل بها

مَرْوَانُ الحِمَار : آخر خلفاء بنى أُمَيَّة ، ودَلَاص وبُوصِير هذه كلاهما الآن من عمل البهنسى ، وسيأتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

قال فى "الروض المعطار" : قال الجاحظ : بها ولد عيسى بن مريم عليه السلام . وذكر أن نخلة مريم كانت قائمة بها إلىٰ زمانه .

قلت : والمعروف أن مولد عيسى عليه السلام كان بالقُدْس من أرض الشام علىٰ ماسيأتى ذكره فى الكلام علىٰ الأيمان فى أواخر الكتاب إن شاء الله تعالىٰ .

السادسة — (كُورَةُ أَهْنَاس) وأَهْنَاسُ بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح النون وألف وسين مهملة فى الآخر ، وتعرف بأَهْنَاس المدينة ، كانت مدينة فى القديم ، وهى الآن من جملة عمل البَهْنَسى الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

السابعة — (كُورَةُ القَيْس) والقَيْسُ بفتح القاف وسكون الياء المثناة تحتُ وسين مهملة فى الآخر ، كانت مدينةً فى القديم ، وهى الآن قرية معدودة من عمل البَهْنَسى أيضا .

الثامنة — (كُورَةُ البَهْنَسى) وهى ذات عمل مستقرّ ، وسيأتى ذكرها فى الكلام علىٰ الأعمال المستقرّة فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ .

التاسعة — (كُورَةُ طَحَا وحَيِّز شَنُودَة) . أما طحا فبفتح الطاء والحاء المهملتين وألف فى الآخر ، كانت فى القديم مدينةً ذات عمل ، ولذلك تعرف بطَحَا المدينة ، وهى الآن من عمل الأُشْمُونَيْنِ الآتى ذكرها فى الكلام علىٰ الأعمال المستقرّة ، وإليها ينسب أبو جعفر الطَّحَاوىّ إمام الحنفية ومحدّثهم .

وأما حيز شَنُودة ، فمن الأسماء التى دَرَست ولم تعلم حقيقتها .

العاشرة — (كُورَةُ بُوَيْطَ) قال ابن خِلّكَان : بُوَيْطُ بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة تحت وطاء مهملة فى الآخر . وقال فى "تقويم البُلْدان"[1]

(١) نص ياقوت علىٰ الضبطين وقال أ كثر ما يقال بغير همز .

بهمزة مفتوحة فى أوّله وباء ساكنة ، وهو آسم واقع على بلدتين بالديار المصرية : إحداهما بعمل البهنسى فى لِحف الجبل على طريق المارّة ، وإليها ينسب أبو يعقوب البُوَيْطى : أحد رواة الجديد عن الإمام الشافعىّ رضى الله عنه . والثانيـة من عمل سُيُوط وتعرف ببُوَيْط البتينة ، وإليها ينسب شرق بويط والظاهر أنها المرادة هنا .

الحادية عشرة — (كُورةُ الأُشْمُونَيْنِ وأَنصِنا وشُطْب) . أما مدينة الأُشْمُونَيْنِ ، فذات عمل مستقرّ ، وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما أَنْصِنَا ، فقال فى "تقويم البُلْدان" : هى بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الصاد المهملة وفتح النون وألف فى الآخر ، وهى مدينـة قديمة خرابٌ فى البر الشرقىّ من النيل قُبَالة الأُشْمُونَيْنِ .

وقد ذكر آبن هشام فى السيرة : أن مارِيَةَ القِبْطية التى أهداها المُقَوْقِسُ للنبىّ صلّى الله عليه وسلم من كُورتها من قرية يقال لها حَفْن ، وأنصنا الآن من جملة عمل الأُشْمونين .

وأما شُطْبُ ، فبضم الشين المعجمة وسكون الطاء المهملة وباء موحدة فى الآخر ، وهى مدينـة قديمة بنيت فى زمن شدّاد بن عديم أحد ملوك مصر بعد الطوفان قد خربت وعُمِر عليها قرية صغيرة سميت باسمها ، وهى الآن من جملة عمل سُيُوط الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

الثانيةَ عشرةَ — (كُورةُ سُيُوط) وهى مستقرّ الحكم ، وسيأتى ذكرها فى الأعمال المستقرّة .

الرابعةَ عشرةَ — (كُورةُ قَهْقُوهَ) وهى من الأسماء التى درست ونُسِيت ، ولم أعلم بالصعيد بلدةً تسمّى الآن بهذا الآسم .

الخامسةَ عشرةَ — (كورة إخميم والدَّيْر وأَبْشَاية) :-أما كورة إخميم، فمن الكُور المستمرّة الحكم، وسيأتى الكلام عليها فى الكُوَر المستقرّة .

وأما الدير، فيجوز أن يكون المراد به الدَّيْر والبَلَّاص ، وهى بلدة فى شرقىّ النيل شَمالىّ قِنَا، هى الآن من عمل قُوص الآتية الذكر .

وأما أَبْشَاية، فمن الأسماء التى جهلت .

السادسةَ عشرةَ — (كورة هُوْ ودَنْدَرَة وقِنَا) :أما هُوْ،فبضم الهاء وسكون الواو، وهى مدينــة صغيرة على ساحل البر الغربىّ الجنوبىّ من النيل ، ويضاف إليها فى الدواوين الكوم الأحمر، فيقال هُوْ والكومُ الأحمر .

وأما دَنْدَرَة،فبفتح الدال المهملة وسكون النون وفتح الدال الثانية والراء المهملة وهاء فى الآخر، وهى مدينــة قديمة خرابٌ على الساحل الغربىّ الجنوبىّ من النيل فى شرقىّ هُوْ، وبها كانت البِرْباة العظيمة المتقدّم ذكرها فى عجائب الديار المصرية .

وأما قِنَـا، فبكسر القاف وفتح النون وألف فى الآخر، وهى مدينة شرقىّ النيل وبها ضريح السـيد الجليـل عبد الرحيم القِنَـائى ، المعروف بالبَرَكة و إجابة الدعاء عنده . وهــذه البلاد الثلاث الآن من جملة عمل قوص الآتى ذكره فى الكلام على الأعمال المستقرّة .

السابعةَ عشرةَ — (كُورَة قِفْط والأُقْصُر).أما قفط ،فبكسر القاف وسكون الفاء وطاء مهملة فى الآخر،كانت مدينة قديمة بالبر الشرقىّ من النيل جنوبىَّ قِنَا المتقدّمة الذكر، بناها قِفْطُ[(١)] بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه الســلام أحد ملوك مصر بعد الطوفان، فخربت و بقيت آثارها وعمرت على القرب منهـا مدينة صغيرة سميت باسمها .

(١) فى ياقوت قفط بن مصر ... ثم قال وأصــله فى كلامهم قفطيم ومصريم ولكن الذى فى المقريزى نحو مافى الاصل .

وأما الأُقْصُرُ، فبضم الهمزة وسكون القاف وضم الصاد المهملة وراء مهملة فى الآخر، وتسمّى الأُقْصُرَيْنِ أيضا علىٰ التثنية، وهى مدينة خراب بالبر الشرقىّ من النيـل، قد عُمِر علىٰ القرب منها قرية سميت بآسمها، وبها ضريح السـيد الجليل أبو الحَجّاج الأُقْصُرِىّ، وكانت بها بِرْباة عظيمة فخربت، وآعلم أن بين قِفْط والأُقْصُر مدينة قوص، وقد ذكر القضاعىّ كورتها فى جملة الكُوَرِ، فكيف يستقيم أن تذكر قِفْطُ والأُقْصُر كورة واحدة؟ .

الثامنةَ عشرةَ – (كورة قُوص) وهى مستمرّة الحكم، وسـيأتى الكلام عليها فى جملة الأعمال المستقرّة إن شاء الله تعالىٰ .

التاسعةَ عشرةَ – (كورة أسْنَا وأرْمَنْتَ) . أمّا أسْـنَا، فبفتح[(١)] الهمزة وسكون السين المهملة وفتح النون وألف فى الآخر، وهى مدينة حسنة بالبر الغربىّ من النّيل، ويقـال: إنه لم يسلم من تخريب بُخْتَ نَصَّر من مدن الديار المصرية سواها،
96 وذلك أن أهلها هربوا منه إلىٰ الجبل بالقرب منها فتبعهم وقتلهم هناك وترك البـلد علىٰ حالهـا .

وأمّا أرْمَنْتُ، فبفتح الهمزة وسكون الراء المهـملة وفتح الميم وسكون النون وتاء مثناة فوقُ فى الآخر، وهى مدينة صغيرة بالبرّ الغربىّ الشّمالىّ من النيل بينهـا وبين أسْنَا مرحلة، وكلاهما الآن من عمل قُوص، وقد جرىٰ علىٰ الألسـنة الجمع بينهما فى اللفظ فيقال: أسْنَا وأرْمَنْت، وكأن ذلك لكثرة آجتماعهما فى إقطاع واحد .

العشرون – (كورة أسْوان): وسيأتى ذكرها فى الكلام علىٰ الأعمال المستقرّة مع الأعمال القُوصية إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١) ضبطه ياقوت بكسر الهمزة .

الحيز الثانى
(أسـفل الأرض)

وقد ذكر القضاعىّ : أنها ثلاث وثلاثون كورة فى أربع نواحٍ .

الناحية الأُولىٰ
(كُور الحَوْف الشرقىّ، وبها ثمانُ كُور)

الأولىٰ ـ (كورة عَيْنِ شَمْسٍ) وعين شمس مدينة قديمة خرابٌ علىٰ القرب من المَطَرِيَّة من ضواحى القاهرة الآتى ذكرها فى الأعمال المستقرّة .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : رأيت علىٰ حاشية بعض كتب التواريخ أن مَلِكها كان عظيمَ الشأن، وعاش إلىٰ زمن يوسف عليه السلام وتزوج آبنته .

الثانية ـ (كورة أَتْريب) وأتريب مدينة خرابٌ علىٰ القرب من بِنْها العَسَل من أعمال الشرقيـة الآتى ذكرها فى الأعمال المستقرّة، بناها أتريب بن قبطيم بن مصر آبن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام .

الثـالثة ـ (كورة بَنَا وتُمَىّ) أما بَنَا ، فلا يعرف بالحوف الآن بلدة آسمها بَنَا ، وإنمـا بَنَا بعمل الغربية، وسيأتى ذكرها مع بُوصير هناك .

وأمّا تُمَىّ ، فبضم التاء المثناة فوقُ وفتح الميم وياء مثناة تحتُ فى آخرها، وهى مدينة خرابٌ بعـمل المُرْتَاحِيَّـة ، بها آثارٌ عِظَامٌ ، رأيت فيها أبوابا من حجر صوّان قطعة واحدة، آرتفاعها نحو عشرة أذرع قائمة علىٰ قاعدة من صوّان أيضا .

الرابعة ـ (كُورَةُ بَسْطَة) وبَسْطَةُ بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملتين وهاء فى الآخر ، وهى مدينة خرابٌ تعرف الآن بتَلّ بَسْطَة من عمل الشرقية .

الخامسة ـ (كورة طَرَابِيَة) وهى من الأسماء التى دَرَست ولم تعرف .

السادسة ـ (كورة قُرْبَيْط) وهى من المجهول أيضا .

السابعـة ـ (كورة صَان وإبْليل) وهى من المجهول .

الثـامنة ـ (كورة الفَرَما والعَرِيش) . أمّا الفَرَما، فقال فى "تقويم البُلْدان" : هى بفـاء وراء مهـملة وميم مفتوحات ثم ألف، وهى بلدة خرابٌ علىٰ شاطئ بحر الروم، علىٰ بُعْدِ يومٍ من قَطْيَةَ . قال ابن حَوْقَل : وبها قَبْرُ جالينوس الحكيم .

وأمّا العَرِيشُ ، فبفتح العين المهملة وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحتُ وشين معجمة فى الآخر، قال فى "الروض المعطار" : كانت مدينة ذات جامعين مفترقى البناء، وثمـار وفوا كه .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى الآن مَنْزِلة علىٰ شَطّ بحر الرُّوم ، وبها آثار قديمة من الرُّخام وغيره .

قال فى "الروض المعطار" : وكان بينها وبين قَدَس طريق مسلوكة فى البر .

النـاحية الثـانية

(بطن الريف)

وأصل الرِّيف فى لغة العرب موضع الزَّرْع والشجر، إلا أنه غلب بالديار المصرية علىٰ أسفل الأرض منها، وفيها سَبْعُ كُوَر .

الأولىٰ ـ (كُورَةُ بَنَا وبُوصِيرَ) . أمّا بَنَا، فبفتح الباء الموحدة والنون وألف فى الآخر، وبُوصِيرُ تقدّم ضبطها فى الكلام علىٰ بوصير المعروفة بمصر يوسف بالجيزيّة عند ذكر قواعد مصر القديمة ، وبنا وبُوصِيرُ هذه كلاهمـا من عمل الغربيـة الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

الثانية — (كُورة سَمَنُّود)، وسَمَنُّودُ بفتح السين المهملة والميم وضم النون المشدّدة والواو ودال مهملة فى الآخر، وهى مدينة صغيرة من الأعمال الغربية، كان لها عمل مستقرّ فى أوّل الأمر ثم أضيفت إلى عمل الغربية .

الثالثة — (كُورة نَوَسَا)، ونَوَسَا[1] بفتح النون والواو والسين المهملة فى الآخر، وهى الآن قرية من قُرى المُرْتاحية .

الرابعة — (كورة الأَوْسِيَّة)، وهى من الأسماء التى دَرَست وجُهِلت .

الخامسة — (كورة البُجُوم)، بالباء الموحدة والجيم، وهى من الأسماء المندرسة أيضا، ولا يُعرف مكان بالديار المصرية آسمه البُجُوم إلا أرض بأسفل عمل البحيرة على القرب من الإسكندرية، صارت مستنقعا للمياه المتصرفة عن البحيرة .

السادسة — (كُورة دَقَهْلَة)، ودَقَهْلَةُ بفتح الدال المهملة والقاف وسكون الهاء وفتح اللام وهاء فى الآخر، وهى مدينة قديمة بالجزيرة بين فِرْقَةِ النيل المارّة إلى دمياط والفرقة التى تصب ببحيرة تِنِّيس، وإليها ينسب عمل الدقهلية، وهى الآن قرية من عمل أشموم الآتى ذكرها فى الأعمال المستقرة، وإن كان العمل فى الأصل منسوبا إليها .

السابعة — (كورة تِنِّيس ودِمْيَاط)، أمّا تنيس، فقال فى اللُّباب: هى بكسر المثناة فوقُ والنون المشدّدة وسكون الياء المثناة تحتُ وسين مهملة فى الآخر، والجارى على الألسنة فتح التاء، كانت مدينة عظيمة فطمى عليها الماء قبل الفتح الإسلامى بمائة سنة، فأغرق ما حولها وصارت بُحَيْرَةً، وسيأتى الكلام عليها فى الكلام على بُحَيرتها، وهى الآن قرية صغيرة بوسط البُحَيرة والماء محيط بها .

قال فى "الروض المعطار" : وكانت تُرْبتها من أطيب التُّرَب، وبها تُحاك الثيابُ النفيسة التى ليس لها نظير فى الدنيا، وقد قيل : إن الجنتين اللتين أخبر الله تعالى

(١) لعله وألف فى الآخر كما هو ظاهر

عنهما فى سورة الكهف بقوله : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ الآية ، كانتا بِتِنِّيس .

وأمّا دِمْياطُ ، فسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .

الناحية الثالثة

(الجزيرة بين فرقى النيل الشرقية والغربية ، وفيها خمس كور)

الأُولى ـ (كُورَةُ دَمْسِيسَ ومَنُوفَ) . أمّا دَمْسِيسُ ، فبفتح الدال المهملة وسكون الميم وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحتُ وسين مهملة فى الآخر ، وهى الآن بلدة من عمل الغربية .

وأمّا مَنُوف فمن الأسماء التى نُسِيت وجهلت .

الثانية ـ (كورةُ طُوَّة مَنُوفَ) ، وهى من الأسماء التى جهلت ولا يعلم بالديار المصرية الآن بلدة آسمها طُوَّة غير بلدين بالوجه القبلىّ إحداهما بالأُشْمونين ، والثانية بالبهنساوية .

الثالثة ـ (كورة سَخَا وتَيْدَةَ والفَرَّاجُونِ) . أمّا سَخَا ، فبفتح السين المهملة والخاء المعجمة وألف فى آخرها ، وهى بلدة حسنة كانت ذات عمل ، ثم آستقرّت من عمل الغربية الآن .

وأمّا تَيْدَةُ ، فبفتح التاء المثناة فوقُ وسكون الياء المثناة تحتُ وفتح الدال المهملة وهاء فى آخرها ، وهى الآن قرية من قرى الغربية .

وأمّا الفَرَّاجُونُ ، فبالألف واللام فى أوّلها ، ثم فاء مفتوحة وراء مهملة مشدّدة بعدها ألف وجيم مضمومة وواو ساكنة ونون فى الآخر ؛ وهى بلدة مضافة إلى تَيْدَةَ ، فيقال : تَيْدَةُ والفَرَّاجون .

الرابعـة ـ (كورة بقيرة وديصا)، وهما من الأسماء التى نُسِيت وجهلت .

الخامسة ـ (كُورة البَشرُود)، وهى من الأسماء التى جهلت .

النـاحية الرابعــة

(الحَوْف الغربىّ، وفيها إحدىٰ عشرة كورة)

الأُولىٰ ـ (كورة صَا)، وصَا بصاد مهملة مفتوحة وألف فى الآخر، وهى مدينة خرابٌ شرقىّ الفرقة الغربية من النيل، بناها صا بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام ابن نوح عليه السلام، أحد ملوك مصر بعد الطوفان، وبها الآن آثار عظيمة، وقد عمرت بالقرب منها قرية وسميت بآسمها، وكأن عملها كان من البرّ الغربىّ .

الثـانية ـ (كُورَة شَبَاس) وشَبَاسُ بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة وألف 99 ثم سين مهـملة آسم لثلاث بلاد من عمل الغربية الآن، وهى شَبَاسُ المِلْح، وشَبَاسُ أنبارة، وشَبَاسُ سنقر، وتعرف بشَبَاس الشهداء، وكأنّ المراد الثالثة فإنها أعظمها.

الثالثة ـ (كُورةُ البَدَقُون)، وهى من الأسماء التى درست وجهلت .

الرابعة ـ (كورة الخَيْس والشِّرَاك) . أما الخيس فلا تعرف بالبحيرة الآن بلدة تسمّى الخيس، و إنمـا الخَيْسُ بفتح الخـاء المعجمة وسكون الياء وسين مهملة فى الآخر، بلدة من عمل الشرقية .

وأما الشِّرَاكُ، فبكسر الشين المعجمة المشدّدة وفتح الراء المهملة وألف ثم كاف، وهى بلدة من عمل البحيرة .

الخامسة ـ (كورة خِرْبِتَا)، بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة وفتح التاء المثناة فوق، وهى قرية معروفة من عمل البحيرة، ومنها سار من سار من المصريين لقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه .

السادسة ـ (كورة قَرْطَسَا ومَصِيل) . أما قَرْطَسَا فبفتح القاف وسكون الراء المهملة وفتح الطاء والسين المهملتين وألف فى الآخر، وهى قرية من عمل البحيرة الآن .

وأما مَصِيل، فمن الأسماء التى جهلت .

السابعة ـ (كورة المليدس) وهى من الأسماء التى جهلت .

الثامنة ـ (كورة إخنا ورَشِيدَ والبُحَيْرَة) . أما إخنا، فمن الأسماء التى جهلت ولا يعرف بالبُحَيْرَة بلد آسمها إخنا ، وإنما أخنويه من عمل الغربية ، والعامة تقول إخنا .

وأما رَشِيدُ، بفتح الراء المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ودال مهملة فى الآخر، فبلدة عند مَصَبّ الفرقة الغربية التى يقع الأعتناء بحفظها.

وفى ذلك نظر لأعتباره الغربيةَ ورشيد من سواحل البحيرة، وبينهما بُعْدٌ يبعد معه أن يجتمعا فى كورة واحدة .

وأما البُحَيْرَةُ، فالظاهر أنه يريد بحيرة بُوقِير المتقدّم ذكرها فى الكلام على القواعد القديمة، ويأتى بقية الكلام عليها فى الأعمال المستقرّة إن شاء الله تعالى .

العاشرة[(١)] ـ (كورة مَرْيُوطَ) . ومَرْيُوطُ بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو وطاء مهملة فى الآخر، وهى ناحية غربىّ الإسكندرية داخلة الآن فى عملها، بها الأشجار والبساتين، وفواكهها تحمل للإسكندرية .

الحادية عشرة ـ (كورة لُوبِيَةُ ومَرَاقِيَة) . أما لوبية ، فبلام وواو وباء موحدة ثم ياء مثناة تحت وهاء فى الآخر . قال فى "الروض المعطار" : وهى كورة

(١) سقطت التاسعة من قلم الناسخ وهى "كورة البَشْنُون" وقد ذكرها ابن دقاق فى كتابه "الأنتصار" .

من كُوَر مصر الغربيـة ، متصـلة بالإسكندرية . قال : وقد قيل إن الإسْكَنْدَر كان منها .

وأما مَرَاقِيَةُ، فبميم وراء مهملة وألف وقاف وياء مثناة تحت وهاء فى الآخر .

وقد ذكر القضاعى فى تحديد الديار المصرية مايقتضى أنهما بجوار بَرْقة، فقال :
١٥٥ إن الذى يقع عليـه آسم مصر من العريش إلى لُوبِيَة ومَرَاقِيَة ، ثم قال : وفى آخر أرض مراقية تلقى أرض أنطابُلُس، وهى بَرْقة، والظاهر أن لوبية غربىّ مربوط، ومراقية غربىّ لوبية وهى آخر أرض الديار المصرية من جهة الغرب .

الحيز الثـالث

(كُوَر القِبْلة، وفيها خمس كور)

الأولى ـ (كورة الطُّور وفاران). أما الطُّور فضبطه معروف . قال فى المشترك : والطور فى اللغة العبرانية آسم لكل جبـل، ثم صار عَلَمـا لجبال بعينها، منها جبل طُورزَيْتَا بلفظ الزيت، وهو آسم لجبل برأس عين من بلاد الجزيرة وجبل بالقُدْس وجبل مُطِلّ على طَبَرِيَّة، وطُور هرون بالقُدْس، وطُورسينا، وهو المراد هنا، وهو جبل داخلٌ فى بحر القُلْزُم على رأسه دَيْرٌ عظيم، وفى واديه بساتينُ وأشجار، وهو على مَرْحلة من فُرْضَةِ الطور المتقـدمة الذكر فى تحديد بحر القُلْزُم، وكأنها سميت بآسمه لقربها منه . قال آبن الأنبارىّ فى "كتابه الزاهر" : وسمى الطُّور بطُور بن إسماعيل آبن إبراهيم عليهما السلام .

وأما فارانُ، فبفاء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة بعدها ألف ثانية ثم نون، قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة صغيرة من برالحجاز على جون على البحر . قال : ولجبال فارانَ ذكرٌ فى التوراة .

الثانية ـ (كورة رَايَة والقُلزم). أما راية فمن الأسماء التى جهلت، وقد ذكرها ابن سعيد مقرونة بالقلزم فقال : ورايَةُ والقُلْزم من كور مصر .

وأما القُلْزُمُ، فقال فى المشترك : هو بضم القاف وسكون اللام وضم الزاى المعجمة ثم ميم فى الآخر، وهى مدينة قديمة علىٰ ساحل بحر القُلزُم وإليها ينسب البحر المذكور.

قال فى "القانون" : وطولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها ثمانٌ وعشرون درجة وعشرون دقيقة، وعلىٰ القرب منها غَرِقَ فِرْعَوْنُ.

الثالثة ـ (كورة أيْلَةَ وحَيِّزِها، ومَدْيَنَ وحَيِّزِها، والعَوْنيدوحَيِّزِها، والحَوْرَاءِ وحَيِّزِها).

أما أيْلَةُ فقال فى "تقويم البُلْدان" : هى بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء فى الآخر. قال: وهى كانت مدينة صغيرة خرابا علىٰ ساحل بحر القُلْزُمِ.

قال فى "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وأربعون دقيقة .

١٥١ قال فى "تقويم البُلْدان" : وبها زرع يسير، وهى مدينة اليهود الذين جعل منهم القِرَدَةُ والخنازير، وعليها طريق حُجَّاج مصر . قال : وهى فى زماننا برج وبه وَالٍ من مصر وليس بها مزدرع، وكان بها قلعة فى البحر فبطلت ونُقِل الوالى إلىٰ البرج .

وأما مَدْيَنُ فضبطها معروف ؛ وهى فى الأصل آسم لقبيلة شُعَيْب عليه السلام وكانوا مقيمين بها فسميت البلد بهم، وهى مدينة خَرابٌ علىٰ بحر القُلْزُمِ محاذِيَةً لتَبُوكَ من بلاد الشام علىٰ نحو ست مراحل منها، وعدّها فى "الروض المعطار" من بلاد الشأم، وبها البئر التى آستقىٰ منها موسىٰ عليه السلام لبنات شُعَيْب وسقىٰ غنمهن .

قال آبن سعيد : وسعة البحر عندها نحو مجرى .

وأما العَوْنِيد؟ فبعين مهملة وواو وياء مثناة تحت ونون ودال . قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة قريبة من نصف الطريق بين جُدَّةَ والقُلْزُمِ . قال : وعلىٰ

القرب منها مرسى صنا، ينحدر الماء بها عن أثر قدم من أوسط الأقدام بينة الكعب والأخمص والأصابع لم يُعْفها الزمان، ولا تمحى بمرور الماء عليها .

وأما الحَوْرَاءُ ، فبحاء مهملة مفتوحة بعدها واو ساكنة وراء مهملة مفتوحة ثم ألف فى الآخر . قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة على ساحل وادى القُرىٰ بها مسجد جامع ، وبها ثمانية آبار عَذْبَة ، وبها ثِمار ونخل وأهلها عرب من جُهَيْنَة وبَلِيّ . قلت : والمعروف فى زماننا أن الحَوْرَاءَ منزلة بطريق حُجّاج مصر، ولعلها على القرب منها .

الرابعة ـ كورة بَدَا يعقوب وشُعَيْب، ولم أعلم حقيقة مكانهما .

قلت : ذكر القضاعى أيْلَة ومَدْيَن وما والاهما مما على ساحل بحر القُلْزُم من بر الحجاز فى أعمال مصر جريا على ما قدّمه من إدخال ذلك فى تحديد الديار المصرية ، على أنه قد أهمل من جملة الديار المصرية حَيِّزَيْنِ آخرين .

الحيز الأول

(بلاد ألواح) 102

إذ هى داخلة فى حدود الديار المصرية على ما حدّده هو وغيره .

قال فى "اللُّبَاب" : وهى بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الواو وفى آخره حاء مهملة، وقال فى "المشترك" : واح بغير ألف ولام ويجمع على واحات، وهى ناحية غربيّ بلاد الصعيد منقطعة عنه خلف الجبل الغربىّ من جبلى مصر المتقدّم ذكرهما .

قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بين مصر والإسكندرية والصعيد والنُّوبة والحبشة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والبَرَارى محيطة بها من جميع جهاتها ، وهى بينها كالجزيرة، بين رمال ومَفاوِز .

قال البكرى : وهو إقليم مستقلٌ غير مفتقر إلىٰ سواه . قال فى "الروض المعطار" : وهى آخر بلاد الإسلام، و بينها و بين بلاد النُّوبة ستُّ مراحل . قال : وفى هذه الأرض شَبِّية وزاجِيَّة وعيون حامضة الطعوم ولكل نوع منها منفعة وخاصة ، وبها العيون الجارية، والبساتين، والثمار، والتمر الكثير؛ وبها مدن كثيرة مسوَّرة وغير مسوّرة .

قال فى "المشترك" : وهى ثلاث كور : واح الأولىٰ ، وواح الوسطىٰ ، وواح القُصْوىٰ .

قلت : والأولىٰ منها ــ مقابل الأعمال البهنساوية، وهى أعمرها وأكثرها ثمرة، ومنها يجلب التمر والزبيب الكثير،وتعرف بواح البهنسى و بالواح الخاصّ .

والثانية ــ مقابل شمالىّ الأعمال الأُسْيوطية، وتعرف بالواح الداخلة ، وهى تلو الواح الأولىٰ فى العمارة ؛ بها مُدُن مشهورة ، منها السلمون والهنداو والقَلَمُون والقصير وغيرها .

والثالثة ــ مقابل جنوبىّ الْوَاح الثانيـة،وتعرف بالْوَاح الخارجة ؛ وبين ريف الصعيد وبين جميعها عرض جبل مصر الغربىّ، ومسيرته ثلاث مراحل فما دونها بحسب آختلاف الأماكن والطرق .

قال فى "التعريف" : وهى جارية فى اقطاع أمراء مصر، وهم يولّون عليها من قِبَلهم . قال : ومَغَلُّها كأنه مصالحة لعدم التمكن من آستغلاله أُسْوَةَ بقية ديار مصر، لوقوعه منقطعا فى البلاد النائية والقِفَار النازحة .

قال فى "مسالك الأبصار" : ولا تعـدّ فى الولايات ولا الأعمـال ، ولا يحكم عليها من قِبَل السلطان .

الحيز الثانى

(بَرْقَة)

بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وهاء فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من الإقليم الثالث . قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها آثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعَرْضها آثنتان وثلاثون درجة . وهى أرض مُتَّسِعَةُ الأرجاء ، مديدة الفضاء ، وهى من أزكى الأراضى دوابَّ، وأمراها مرعًى .

قال فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى بعض مَنْ رءاها أنها شبيهة بأطراف الشأم وجبال نابُلُس فى مَنَابت أشجارها وكيفية أرضها وما هى عليه، وأنها لو عمرت بالسكان وتأهلت بالزُّرّاع، كانت إقليما كبيرا يقارب نصف الشام، قال : وبها الماشية والسائمة الكثيرة : من الإبل والغنم والخيل، وخيلُها من أقوى الخيل وأصلبِها حوافر، وصُوَرُها بين العِرَاب والبراذين ، وقد جمعت بين حسن العِرَاب وكمال تخاطيطها، وصلابة البراذين وثباتها على الوُعُور، وهى إلى محاسن العِرَابِ أقرب، ولكنها لاتبلغ شأْوَ خيل البحرَيْن والحجاز، وفحولها أنجبُ من إناثها . قال : وكذلك بها المدن المبنيه ، والقصور العليه، والآثار الدالة على ما كانت عليه من الجلالة .

قال آبن سعيد : وهى سلطنة طويلة، وإن لم يكن لها آستقلال لآستيلاء العرب عليها، وهى إلى إفْرِيقيَّة أقرب منها إلى مصر . قال : وكان سريرها فى القديم بمدينة (طَبْرَقَة) . وذكر صاحب "الروض المعطار" : أن قاعدتها كانت مدينة (أنطابُلُس)، وقد تقدّم من كلام القضاعى فى تحديد الديار المصرية فى آخر الحدّ الشمالى ما يوافقه .

قال فى "مسالك الأبصار" : ومن مدنها طُلْمَيْثا . قلت : والتحقيق أن بَرْقَة قسمان : قسم محسوب من الديار المصرية، وهو مادون العَقَبة الكبرى إلى الشرق .

وقسم محسوب من إفْرِيقِيَّة، وهو مافوق العقبة المذكورة إلى الغَرْب، وهـذه المُدُن الثلاث مما يلى جهة المغرب، والقسمان كلاهما اليوم بيد العرب أصحابِ الماشية، قال فى "مسالك الأبصار" : وربما زرع بعضهم فى بعض أرضها فأنجب، ولكنهم أهـل بادية لا عناية لهم بعمارة ولا زرع . قال : وأمرها إلى صاحب مصر يُقْطِعها بالمناشير تارة لبعض الأمراء وتارة للعرب يأخذون عدادها ، وكأنه يريد القسم الذى 104
هو من مصر .

الضرب الثانى

(من كور الديار المصرية نواحيها وأعمالها المستقرة، ولها وجهان)

الوجـــــه الأوّل

(القبـلىّ)

وهو المعبر عنه بالصعيد ، وقد تقـدّم بيانه فى الكلام على الكُوَر القديمة ، وبه تسعة أعمـال :

العمل الأوّل ــ الجِيزيَّة . وهو أقربها إلى الفُسْطَاط والقاهرة ، ومقرّ ولايته مدينة الجِيزَة (بكسر الجيم وإسكان الياء المثناة تحت وفتح الزاى المعجمة وبعـدها هاء) وموقعها فى الإقليم موقع الفُسْطَاط ، وطولها وعرضهما واحد ، وإليها ينسب الربيع الجِيزِىّ راوى الأمّ عن الشافعىّ رضى الله عنه .

قال فى "الروض المعطار" : ويقال إن بها قبر كَعْبِ الأحْبار، وهى مدينة لطيفة على ضَفَّة النيل الغربية مقابل جزيرة المِقْياس المتقدّمة الذكر والنيل بينهما، وبعض هذا العمل يأخذ فى جهة الشَّمال إلى الوجه البحرىّ الآتى ذكره .

قال فى "الروض المعطار" : والجِيزَة اختطها عمرو بن العاص رضى الله عنه .

العمل الثانى — الإِطْفِيحِيَّةُ . وهو شرقىّ النيل فى جنوب الفُسْطَاط، مُصاقِبٌ بركة الحبش وبساتين الوزير. ومقرّ ولايته مدينة "إِطْفِيحَ" (بكسر الهمزة وإسكان الطاء المهملة وبالفاء والياء والحاء المهملة) وربما قلبت الطاء تاءً مثناةً فوقُ، وهى مدينة لطيفة فى البر الشرقىّ، وموقعها فى الإقليم الثالث، ولم يتحرر لى طولها وعَرْضها، وعملها ما بين المقطم والنيل آخذا عنها جنوبا وشَمَالا، وليس لعملها كبير ذكر .

العمل الثالث — البَهْنَسَاوِيَّة . وهو مما يلى عمل الجِيزَة من الجهة الجنوبية، ومقرّ ولايته مدينة البَهْنَسَىٰ . قال فى "المشترك": (بفتح الباء وسكون الهاء وفتح النون وسين مهملة مفتوحة وألف مقصورة) وهى مدينة لطيفة قديمة بالصعيد الأدنىٰ بالبر الغربىّ من النيل تحت الجبل بطوق المزدَرَع، مركبة علىٰ ضَفَّة بحر الفُيُّوم . وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال": طولها إحدىٰ وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها ثمان وعشرون درجة .

العمل الرابع — الفَيُّومِيَّةُ . وهو مُصَاقِبٌ لعمل البَهْنَسَىٰ من غربيه، وبينهما منقَطَع رمل . وهو من أعظم الأعمال وأحسنها عمارة، كثيرُ البساتين، غزيرُ ١٠٥
الفواكه، دارُ الأرزاق . يقال إنه كان منصل[1] مياه الديار المصرية فاستخرجه يوسف عليه السلام وجعله ثلثمائة وستين قرية لِتمير كلُّ قرية منها بلدَ مصرَ يوما من أيام السنة .

قلت : وأما الآن فقد نقصت عدّة قراه بسبب ما عراها من ركوب ماء البركة التى هى منصلُ[1] مياهه، المتقدّم ذكرها فى جملة بحيرات الديار المصرية وركوب مائها علىٰ أكثر القرىٰ المجاورة لها، ولولا ماهو شامل له من بركة الصدّيق عليه السلام،

(١) كذا فى الأصل بدون نقط ولعله مصحف عن مَقَصِّل أى مكان المصل والرشح وفى خطط المقريزى وقد كان مغيض ماء النيل . وفى تقويم البلدان كان فى وهدة وقد سيق إليه نهر من رشح ماء النيل . وفى المسعودى وكان مصفاة .

لكانت قد غطّتْ جميع بلاده . إذ المياه تنصبُّ إليها شتاءً وصيفا على ممرّ الدهور وتعاقب الأيام، وليس لها مَصْرِف تتصرف منه ضرورةَ إحاطة الجبال بها من الجهات التى هى بصَدَدِ أن تُصْرف منها ، ولقد ٱجتهد بعض حُكّام الزمان على أن يتحيل فى عمل مَصْرِف يُقْطَع فى الجبل لتتصرف منه مياهها فلم يجد إلى ذلك سبيلا . ولو كان ذلك فى حيز الإمكان، لفعله يوسف عليه السلام .

قال ٱبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ويقال إنه على جميع الفَيُّوم سورٌ دائر، ومقرّ ولايته (مدينة الفَيُّوم) وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "القانون" : وطُولها أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعَرْضها ثمان وعشرون درجة وعشرون دقيقة .

وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها ثلاث وخمسون درجة، وعرضها تسعٌ وعشرون درجة ،وهى مدينة حسنة على ضَفَّة البحر المَنْهَى حسنة الأبنية ، زاهية المعالم . وبها الجوامع والرُّبُط والمدارس ، وهى راكبة على الخليج المنهى من جانبيه، وهو مخترق وسطها . قال فى "العزيزى" : وبين الفَيُّومِ والفُسْطَاطِ ثمانية وأربعون ميلًا .

العمل الخامس ــ عمل الأُشْمُونَيْنِ والطَّحَاوِيَّة . وهو مصاقب لعمل البهنسى من جنوبيه، وهو عمل واسع كثير الزرع ، واسع الفضاء، متقارب القُرى . ومقرّ الولاية به (مدينة الأُشْمُونَيْنِ) بضم الألف وسكون الشين المعجمة وضم الميم وسكون الواو وفى الآخر نون . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على ما ذكره فى "تقويم البُلْدان" والإقليم الثانى على ما يقتضيه كلام المقرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" حيث جعل آخر الإقليم الثانى دَهْروط من البهنساوية .

قال فى " القانون " : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها ست وعشرون درجة ؛ وهى مدينة لطيفة بالبر الغربى من النيل ، كانت فى الأصل مدينة قديمة بناها أُشْمون بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ، ثم خربت ودَثَرت ، وبنيت هذه المدينة على القرب منها . وكان هذا العملُ فيما تقدّم عملين : أحدهما عمل الأُشْمُونَيْن هذا ، والثانى عمل طَحَا المدينة (بفتح الطاء والحاء المهملتين وألف فى الآخر) وقد تقدّم ذكرها فى الأعمال القديمة ، ثم أضيفا وجعلا عملًا واحدا . 106

العمل السادس ـ المَنْفَلُوطِيَّة . وهو مُصَاقِبٌ لعمل الأُشْمُونَيْنِ من جنوبيه ، وهو من أخصّ خاصّ السلطان الجارى فى ديوان وزارته ، ومنه يحمل أكثر الغلال إلى الأهراء السلطانية بالفُسْطَاط . ومقرّ ولايته (مدينة مَنْفَلُوط) . قال فى " تقويم البُلْدان " : (بفتح الميم وسكون النون وفتح الفاء وضم اللام ثم واو وطاء مهملة فى الآخر) . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة فيما ذكره فى " تقويم البُلْدان " : ومن أواخر الإقليم الثانى على ما يقتضيه كلام " مسالك الأبصار " .

قال فى " كتاب الأطوال " : وطولها آثنتان وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها سبع وعشرون درجة وأربعون دقيقة ؛ وهى مدينة لطيفة بالبرّ الغربى من النيل بالقُرب من شَطّه .

العمل السابع ـ الأُسْيُوطِيَّة . وهو مصاقب لعمل مَنْفَلُوط من جَنُوبيه ، وهو عمل جليل ، ومقرّ الولاية به (مدينة أُسْيُوط)(1) بضم الألف وسكون السين وضم المثناة تحت وفى آخرها طاء مهملة . هكذا ضبطه السمعانى فى " كتاب الأنساب " :

(١) ضبطها فى القاموس كذلك وضبطها ياقوت بالفتح .

وذكرها فى "الروض المعطار" فى حرف الهمزة ، ووقعت فى شعر ابن الساعاتى بغير ألف فى قوله :

لِلهِ يَوْمٌ فى سُيُوطَ وليلَةٌ ۞ عُمْرُ الزَّمَانِ بِمِثْلِهَا لا يَغْلَطُ
بِتْنَا بِها، والبَدْرُ فى غُلَوَائِه ۞ وله بِجُنْحِ الليلِ فَرْعٌ أَشْمَطُ
والطَّيْرُ تَقْرَأُ، والغَدِيرُ صَحِيفَةٌ، ۞ والرِّيحُ تَكْتُبُ، والغَمَامُ يَنْقُطُ

وإثبات الألف فيها هو الجارى على ألسنة العامة بالديار المصرية، والثابت فى الدواوين حذفها . وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . 107

قال فى "الأطوال" : وطولها إحدى وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وعشر دقائق . وهى مدينة حسنة فى البر الغربىّ من النيل على مرحلة من مَنْفَلُوطَ، وبها مساجدُ ومدارسُ وأسواقٌ وقياسرُ وحَمَّامات .

العمل الثامن ـ (الإخميمية) . وهو مُصَاقِبٌ لعمل أُسْيُوطَ من جنوبيّه، وهو عمل ليس بالكبير، وبلاده أكثرها بالبر الغربىّ عن النيل، وحاضرته (مدينة إِخْمِيمَ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : (بكسر الألف وسكون الخاء المعجمة والمثناة تحت بين الميمين، والأولى منهما مكسورة) وموقعها فى أواخر الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : وطولها إحدى وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها ست وعشرون درجة . وهى مدينة لطيفة بالبر الشرقىّ عن النيل على مَرْحلتين من أُسْيُوطَ ، وبها كانت البرابى العظامُ المتقدمة الذكر، ويقال إن ذَا النُّونِ المصرىَّ العابدَ الزاهد منها، وولايتها مضافة إلى قُوص .

العمل التاسع ـ القُوصِيَّة . وهو مُصَاقِبٌ لعمل أُسْيُوطَ من جَنُوبه، وهو عمل متسع الفضاء بعيدُ ما بين القرى، ينتهى آخره إلى أُسْوَان : آخر الديار المصرية

فى البر الشرقىّ والغربىّ، وهى بلاد التَّمْر، ومنها يجلب إلىٰ سائر البلاد المصرية ، ومقرّ ولايته (مدينة قُوص) . قال فى "المشترك" ــ بضم القاف وسكون الواو، وفى الآخر صاد مهملة ــ وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال ابن سعيد : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها ست وعشرون درجة؛ وهى مدينة جليلة فى البر الشرقىّ عن النيل، ذاتُ ديار فائقة، ورباع أنيقة، ومدارسَ ورُبُط وحمّامات، يسكنها العلماء والتُّجّار وذوو الأموال، وبها البساتين والحدائقُ المستحسَنَة إلا أنها شديدة الحرّ، كثيرة العقارب، حتّى إنه يُقَيَّض لها مَنْ يدور فى الليل فى شوارعها بالمَسَارج لقتلها، ويقاربها فى الكثرة أيضا سَامّ أَبْرَص .

قال المقر الشهابىّ بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى عز الدين حسن بن أبى المجد الصَّفَدِىّ أنه عدّ فى يوم صائف علىٰ حائط الجامع بها سبعين سَامّ أَبْرَص علىٰ صفٍّ واحد . ومما يدخل فى عملها مما له ولاية مستقلة، مدينة أُسْوَانَ . قال السمعانىّ: ــ بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الواو وبعدها ألف ونون ــ وخالف ابن خِلّكان فى "تاريخه" فضبطه بضم الهمزة ، وغلّطَ 108
السمعانىَّ فى فتحها . وهى مدينة فى أوائل الحدّ الجنوبىّ من الديار المصرية، وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : طولها آثنان وخمسون درجة ، وعرضها آثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة .

قال فى "القانون" : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها آثنان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . وهى فى البر الشرقىّ من النيل، ذاتُ نخيل وحدائقَ، وهى من قُوص علىٰ نحو خمس مراحل .

قال فى "التعريف": وواليها وإن كان من قِبَل السلطان فإنه نائب لوالى قُوص .

قلت : أما الآن ، فقد صار لها وَالٍ مستقلٌّ بنفسه لا حكم لوالى قُوص عليه ، وسيأتى الكلام عليها فى مراكز البريد، ويأتى الكلام على ولايتها فى جملة الولايات بالديار المصرية إن شاء الله تعالى .

الوجـــه الثانى

(البحـــرىّ)

وهو كل ما سَفَل عن القاهرة إلى البحر الرومىّ حيث مَصَبُّ النيل . وإنما سمى بَحْرِياً لأن منتهاه البحرُ الرومىّ، ولا يلزم من ذلك تسمية الجانب الشرقىّ من الديار المصرية بَحْرِياً لأن نهايته إلى بحر القُلْزُم ، لأن آنتهاءه إليـه ليس حقيقيا لانقطاع بحر القُلْزُم عن بلاد الديار المصرية بالجبال والبرارى المُقْفِرَة، بخلاف بحر الروم فإنه متصل بالبلاد مجاور لهـا فناسب النسبة إليه .

قلت : وقد وقع للمقرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "التعريف" فى بلاده وأعماله من الوَهْم مالا يليق بمصرىّ على ما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وهذا الوجه هو أَرْطَبُ الوجهين وأقلُّهماحرا،وأكثرهمافاكهة،وأحسنهمامُدُنًا. ويشتمل على ثلاث شُعَب تحوى سبعة أعمال .

الشعبة الأُولى

(شرقىّ الفرقة الشرقية من النيل)

وفيها أربعة أعمـال .

العمل الأوّل ــ الضواحى : جمع ضاحية، وهى فى أصل اللغة البارزة للشمس، وكأنهـا سميت بذلك لبروز قُرَاهَا للشمس ، بخلاف المدينة لغَلَبـة الكِنّ بها ؛ وهو ما يجاور القاهرة من جهـة الشّمال من القرى، وولايتها مضافة إلى ولاية القاهرة وداخلة فى حكمها، وليست منفردة بمقرّ ولاية غيرها .

العمل الثانى — القَلْيُوبِيَّة . وهو مُصَاقِبٌ للضواحى من شمالها مما يلى جهة النيل ، وهو عمل جليل ، حسن القُرىٰ ، كثير البساتين ، غزير الفواكه . ومقرّ الولاية به (مدينة قَلْيُوبَ) — بفتح القاف وإسكان اللام وضم المثناة تحت وسكون الواو وباء موحدة فى آخرها . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، ولم يتحرّر لى طُولها وعَرْضها ، غير أنها من القاهرة فى جهة الشَّمال علىٰ نحو فرسخ ونصف من القاهرة .

قلت : ومن بلادها بَلْدتنا (قَلْقَشَنْدَة) وهى بلدة حسنة المَنْظَر ، غزيرة الفواكه ، وإليها ينسب الليثُ بنُ سعد الإمام الكبير ، وقد ذكر آبن يونس فى "تاريخه" : أنه وُلِد بها . قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس ، وليس لما يقولونه ثَبَات عندنا .

قال آبن خِلِّكَان : — بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة — ، وهكذا هى مكتوبة فى دواوين الديار المصرية ، وأبدل ياقوتُ فى "مُعْجَم البُلْدان" اللامَ راءً ، وهو الجارى علىٰ ألسنة العامة ، وعليه جرىٰ القُضَاعىّ فيما رأيته مكتوبا فى "خِطَطه" : قال آبن خِلِّكَان : وهى علىٰ ثلاثة فراسخ من القاهرة [وهى بلدة حسنة المَنْظَر ، كثيرة البساتين ، غزيرة الفواكه وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير . قال آبن يونس فى "تاريخه" : ولد بها ، ثم قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس وليس لما يقولونه ثبات عندنا] (١) وذكر .

وقال القضاعىّ فى "خططه" : فى الكلام علىٰ دار الليث بالفُسْطاط : وكان له دار بقَرْقَشَنْدَة بالرِّيف ، بناها فهدمها آبن رفاعة أميرُ مصر عنادا له ، وكان آبن عمه ،

(١) مابين النجمتين تقدم بلفظه قريبا فهو مكرر .

فبناها الليثُ ثانيا فهدمها ، فلما كانت الثالثة، أتاه آتٍ فى منامه فقال له ياليثُ : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ فأصبح وقد أُفْلِجَ ابنُ رِفاعة فأوصى إليه ومات بعد ثلاث. وبقى اللَّيْثُ حتى توفى فى منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة؛ وصلّى عليه موسى بن عيسى الهاشمىّ أميرُ مصر للرشيد .

وترجم له ابن خلكان بالأصبهانىّ، ثم قال فى آخر ترجمته : ويقال إنه من قَلْقَشَنْدَة .

قلت : وما قاله ابن يونس أثبت ، ويجب الرجوع إليه لأمرين : أحدهما أنه مصرىّ وأهل البلد أخبر بحال أهل بلدهم من غيرهم ، الثانى أنه قريب من زمن الليث فهو به أدرى ، إذ يجوز أن يكون أصله من أصبهان ، ثم نزل آباؤه قَلْقَشَنْدَة المذكورة وولد بها وسكنها، فنسب إليها كما وقع فى كثير من النَّسَب ؛ و إعادة داره بها بعد هدمها ثلاث مرات على ما تقدّم ذكره فى كلام القضاعىّ دليل اعتنائه بشأنها وميله إليها، وحينئذ فلا منافاة بين النسبتين .

وذكر فى "الروض المعطار" أنه كان له ضَيْعة على القرب من رشيد من بلاد الديار المصرية، يدخل عليه منها فى كل سنة خمسون ألف دينار لم تجب عليه فيها زكاة .

العمل الثالث — الشرقية . وهو مصاقب للضواحى من شَمَاليها مما يلى جهة المُقَطَّم ، والقليوبية من جهة الشمال أيضا ، وهو من أعظم الأعمال وأوسعها . إلا أن البساتين فيه قليلة بل تكاد أن تكون معدومة : لاتصاله بالسِّباخ وبَدَاوة غالب أهله ، وآخر العمران فيها من جهة الشَّمال الصَّالحيَّة، وماوراء ذلك منقطَع رمال على ما تقدّم ذكره فى المنقطع عنها من جهة الشرق ؛ ومَقَرُّ ولايته مدينة بِلْبِيس . قال فى "تقويم البُلْدان"[1] : — بكسر الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الباء الموحدة

(١) قال فى القاموس "بلبيس كغرنيق وقد يفتح أوّله بلد بمصر" وضبطه ياقوت بكسر الباءين وسكون اللام .

وسكون المثناة تحت ثم سين مهملة . كذا ذكره ، والجارى على الألسنة ضم الباء في أولها ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن يكون طولها أربعا وخمسين درجة وثلاثين دقيقة ، وعَرْضها ثلاثين درجةً وعشر دقائق . وهى مدينة متوسطة بها المساجد والمدارس والأسواق ، وهى مَحَطُّ رحال الدرب الشامىّ . وفى الركن الشمالىّ الجنوبىّ من هذا العمل (بِنْها) . قال النووىّ فى شرح مسلم : بكسر الباء والمعروف فتحها ، وهى البلدة التى أهدى المُقَوْقِسُ إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلم من عَسَلِهَا ؛ وفى آخره من جهة الشرق (قَطْيَا) بفتح القاف وسكون الطاء المهملة وفتح الياء المثناة تحت وألف فى الآخر . كذا وقع فى "التعريف" و"مسالك الأبصار" : وفى "تقويم البُلْدان" : إبدال الألف فى آخره بهاء ، وهى قرية بالرمل المعروف بالجفَار على طريق الشام على القُرب من ساحل البحر الرومىّ .

قال فى "التعريف" : وقد جعلت لأخذ المُوجَبات ، وحفظ الطُّرُقات ، وأمرها مهمّ ، ومنها يطالع بكل صادر ووارد .

العمل الرابع — (الدَّقَهْلِيَّةُ والمُرْتاحية) . وهو مُصَاقِبٌ لعمل الشرقية من جهة الشَّمال ، وأواخره تنتهى إلى السِّباخ وإلى بحيرة تِنِّيس المتصلة بالطينة من طريق الشام ، ومقرّ الولاية به (مدينة أُشْمُومَ) بضم الهمزة وإسكان الشين المعجمة وبعدها ميم ثم واو وميم ثانية — كما ضبطه فى "تقويم البُلْدان" ونقله عن خط ياقوت فى "المشترك" والذى فى "اللُّبَاب" إبدال الميم فى آخرها بنون ، وعزاه فى "تقويم البلدان" للعامّة .

قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها أربع وخمسون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وأربع وخمسون دقيقة . وهى مدينة صغيرة على ضَفَّةِ الفرقة

التى تذهب إلى بُحَيرة تِنِّيس من فرقة النيل الشرقيـة من الجهة[(١)] ، و بآخر هذا العمل (مدينة دِمْياط) بكسر الدال المهملة وسكون الميم و ياء مثناة من تحت وألف وطاء — قال فى "الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة .

وقال آبن سعيد : طولها أربع وخمسون درجة ، وعَرْضها إحدى وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . وهى واقعة فى الإقليم الثالث ، وهى مدينة حَسَنة عند مَصَبِّ الفرقة الشرقية من النيل فى بحر الروم ، ذات أسواق وحَمَّامات ، وكان عليها أسوار من عمارة المتوكل : أحد خلفاء بنى العبّاس ، فلما تسلطت عليها الفرنج وملكتها مرّة بعد مرّة ، خَرَّبت المسلمون أسوارَها فى سنة ثمان وأربعين وستمائة خوفا من آستيلائهم عليها ، وهى على ذلك إلى الآن ، ولها ولاية خاصّة بها .

الشُّعبة الثانية

(غربىّ فرقة النيل الغربية ، وفيها عملان)

العمل الأول — عمل البُحَيرة . وهو مما يلى عمل الجيزة المقدّم ذكره من الجهة البحرية ، وهو عمل واسع ، كثير القرى ، فسيح الأَرَضين . ومقرّ ولايته (مدينة دَمَنْهُور) — بفتح الدال المهملة والميم وسكون النون وضم الهاء وسكون الواو وفى آخرها راء مهملة — وتعرف بدَمَنْهُور الوَحْش . وهى مدينة متوسطة ذات مساجدَ ومدارسَ وأسواق وحمامات . وموقعها فى الإقليم الثالث ، ولم يتحرّر لى طُولها وعَرضها ، غير أنها على نحو مرحلة من الإسكندرية بين الشرق والجنوب فليعتبر طولها وعرضها منها بالتقريب .

قلت : ويدخل فى هذا العمل حَوْف رمسيس والكُفُور الشاسعة .

(١) لعله من الجهة الشرقية .

العمل الثانى – عمل المزاحمتين . وهو ماجاور خليج الإسكندرية من جهة الشمال إلى البحر الرومى، وبعضه بالبر الشرقى من النيل، وحاضرته (مدينة فُوَّة) . قال فى "تقويم البلدان": بضم الفاء وتشديد الواو، وهى مدينة متوسطة بالبر الشرقى من فرقة النيل الغربية يقابلها جزيرة لها تعرف بجزيرة الذهب ذاتُ بساتين وأشجار ومَنْظَرٍ رائق، وليس بها ولاية . وإنما يكون بها شَادٌّ للخاص، يتحدث فى كثير من أمور الولاية، وهى فى الحقيقة كالحميم مع قُوص .

ويلى هذين العملين غربا بشمال (مدينةُ الإسكندرية) – بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وسكون النون وفتح الدال وكسر الراء المهملتين وتشديد الياء المثناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر – وموقعها فى الإقليم الثالث .

قال فى كتاب "الأطوال" : طولها إحدى وخمسون درجة وأربع وخمسون دقيقة، وعرضها ثلاثون درجة وثمانٍ وخمسون دقيقة، وقد تقدم القول على أصل عِمارتها فى الكلام على قواعد الديار المصرية قبل الإسلام .

وهى الآن بالنسبة إلى ماتشهد به التواريخ من بنائها القديم جزءٌ من كلٍّ، وهى مع ذلك مدينة رائقة المَنْظَر، حسنة الترصيف، مبنية بالحجر والكلس، مُبيَّضَةُ البيوت ظاهرا وباطنا كأنها حَمَامةٌ بيضاء، ذات شوارع مُشْرعة، كلُّ خط قائم بذاته كأنها رُقْعة الشِّطْرَنج، يستدير بها سُورانِ منيعان، يدور عليهما من خارجهما خَنْدَقٌ فى جوانب البلد المتصلة بالبر، ويتصل البحر بظاهرها من الجانب الغربى مما يلى الشَّمال إلى المشرق حيث دارُ النيابة، وبهما أبراج حصينة عليها الستائر المسترة والمجانيق المنصوبة .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ويقال إن منَارها كان فى وسط البلد وإن المدينة كانت سبع محجَّات، وإنما أكلها البحرُ، ولم يبق إلا محجَّة واحدة،

وهى المدينة الباقية الآن وصار مكانُ المنار منها على مسيرة ميل . قال : ويقال إن مساجدها أحصيتُ فى وقت من الأوقات فكانت عشرين ألف مسجد ، وبها الجوامع والمساجد، والمدارس ، والخوانق ، والرُّبُط ، والزوايا ، والحمّامات ، والدّيار الجليلة ، والأسواق الممتدة . وفيها يُنْسج القماش الفائق الذى ليس له نظير فى الدنيا ، وإليها تهوى ركائب التجار فى البر والبحر ، وتَمير من قُماشها جميع أقطار الأرض ، وهى فُرْضَةُ بلاد المغرب ، والأَنْدَلُس ، وجزائر الفرنج ، وبلاد الروم ، والشأم .

وشُرْب أهلها من ماء النيل : من صهاريج تملأ من الخليج الواصل إلى داخل دُورها ، 113
وآستعمال الماء لعامّة الأمر من آبارها ، ويجتنبات تلك الآبار والصهاريج بالوعاتٌ تصرف منها مياه الأمطار ونحوها ؛ وبها البساتين الأنيقة ، والمستنزهات الفائقة ، ولهم بها القصور والجواسق الدقيقة البناء ، المحكمة الجُدُر والأبواب ؛ وبها من الفواكه والثمار مايفوق فواكه غيرها من الديار المصرية حُسنا مع رخص الثمن ؛ وليس بها مزارعُ ولا لها عملٌ واسع ، وإن كان متحصِّلها يعدل أعمالا : من واصل البحر وغيره ؛ وهى أجلُّ ثغور الديار المصرية ، لايزال أهلها على يقظة من أمور البحر والآحتراز من العدو الطارق ؛ وبها عسكر مستخدم لحفظها .

قال فى "مسالك الأبصار" : وليس بالديار المصرية مدينة حاكمها موسوم بنيابة السلطنة سواها .

قلت : وهذا فيما تقدّم حين كانت النيابة بها صغيرة فى معنى ولاية . أما من حين طرقها العدو المخذول من الفرنج فى سنة سبع وستين وسبعمائة وآجتاحَ أهلها وقتل وسبى ، فإنها آستقرت من حينئذ نيابةً كبرى تضاهى نيابة طرابُلُس وحماة وما فى معناهما ، وهى على ذلك إلى الآن ؛ وسيأتى الكلام على نيابتها فى الكلام على ترتيب المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الشُّـــعْبة الثـالثة

(مابين فِرْقتى النيل الشرقية والغربية، وهو جزيرتان)

الجزيرة الأولىٰ ــ جانبها الشرقىّ يمتدّ فى طول فرقة النيل الشرقيـة إلىٰ مَصَبّه فى البحر المِلْح حيث دِمْياط بالقرب منها، وجانبها الغربىّ يمتدّ فى طول فرقة النيل الغربيـة إلىٰ تُجاه أبى نُشّابة من عمل الجيزة فينشأ بحرُ أبيـار المتقـدّمُ ذكره ويمتدّ فى طولها إلىٰ قرية الفَرَسْتَق خارجَ الجزيرة من الغرب فيتصلُ بفرقة النيل التى تفرّع منها علىٰ ماتقدّم، ويمتدّ فى طولها إلىٰ مصبه فى البحر الملح حيث رشيد .

وتشتمل هذه الجزيرة علىٰ عملين :

العمل الأوّل ــ المُنُوفيـة . وأوّله من الجنوب من القرية المعروفة بشَطَّنُوف علىٰ أوّل الفرقة الغربية من النيل، ومقرّ ولايته (مدينة مُنُوف)[1] ــ بضم الميم والنون وسكون الواو وفاء فى الآخر)، وهى مدينة إسلامية بنيت بدلا من مدينة قديمة كانت هناك قد خربت الآن وبقيت آثارها كيمانا، وولايتها من أنفس الولايات، وقد اضيف إليها عمل أبيار، وهو جزيرة بنى نصر الآتى ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ، وهى مدينة حسنة ذات أسواق، ومساجد، ومسجد جليل للخطبة، وحَمّام، وخانات .

قلت : وربما غلط فيها بعض الناس فظنّ أنها مَنْف المتقدّمة الذكر فى الكلام علىٰ قواعد مصر القديمة، وبينهما بُعْد كثير إذ مَنْفُ المتقدّمة الذكر جنوبىّ الفُسْطاط علىٰ اثنى عشر ميلا منه كما تقدّم ذكره، وهذه شَمالىّ الفُسْطَاط والقاهرة فى أسفل الأرض .

العمل الثـانى ــ الغَرْبيّة . وهو مُصَاقِبٌ للمنوفية من جهة الشمال، ويمتدّ إلىٰ البحر المِلْح بين مصبّى النيل إلا ماهو من عمل المزاحمتين علىٰ فرقة النيل الغربية من

(١) ضبطها ياقوت والقاموس بالفتح وتبعناهما فى كثير من المواضع .

الشرق، وهو عمل جليل القدر، عظيم الخَطَر، به البلاد الحسنة، والقرى الزاهية، والبساتين المتراكبة وغير ذلك، وفى آخره مما يلى بحر الروم موقع ثَغر البَرَلُّس .

ويندرج فيه ثلاثة أعمال أخر كانت قديمة، وهى القُوَيْسِنِيَّة، والسَّمَنُّودية، والدِّنجاوية، ومقر ولايته (مدينة المَحلَّة) . قال فى "المشترك" : ـ بفتح الميم والحاء المهملة وتشديد اللام ثم هاء فى الآخر ـ وتعرف بالمَحلَّة الكُبْرى، وقد غلب عليها اسم المحلة حتّى صار لا يفهم عند الإطلاق إلا هى .

قلت : ووقع فى "التعريف" : التعبير عنها بمَحلَّة المرحوم وهو وَهَمٌ، وإنما هى قرية من قراها .

قال فى "المشترك" : ويقال لها محلة الدَّقَلا (بفتح الدّال المهملة والقاف) وهى مدينة عظيمة الشأن، جليلة المقدار، رائقة المَنْظَر، حسنة البناء، كثيرة الساكن، ذات جوامع، ومدارس، وأسواق، وحَمَّامات، وهى تعادل قُوص من الوجه القبلى فى جلالة قدرها، ورياسة أهلها، ويفرق بينهما بما يفرق به بين الوجه القبلى والوجه البحرى من الرطوبة واليبوسة .

الجزيرة الثانية ـ مابين بحر أَبْيار المتقدّم ذكره وبين الفرقة الغربية من النيل، وتعرف بجزيرة بنى نَصْر، وهى عمل واحد، وحاضرته (مدينة أَبْيار) ـ بفتح الهمزة كما قاله فى "الروض المعطار" وإسكان الباء الموحدة وفتح المثناة تحت وبعدها ألف ثم راء مهملة ـ وهى مدينة لطيفة حسنة المَنْظَر يُعمل فيها القُماش الفائق من المحرّرات وغيرها، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، ولم يتحرّر لى طولها ولا عرضها، وهى مضافة إلى ولاية مُنُوف، وليس بها الآن ولاية مستقلة .

الفصل الثالث

(فيمن ملك الديار المصرية ، جاهلية وإسلاما)

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تاريخه" : وكانت أهل مصر أهل مُلْك عظيم فى الدهور الخالية والأزمان السالفة ، ما بين قبطىّ ويونانىّ وعمليقىّ ، وأكثرهم القِبْط . قال : وأكثر من تملك مصر الغُرَباء .

وهم على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى

(من ملكها قبل الطُّوفان، وقلّ من تعرّض له من المؤرّخين)

قد تقدّم فى الكلام على ابتداء عمارة مصر أن أوّل من عَمَرها قبل الطوفان نقراووس بن مصريم بن براجيل بن رزائيل بن غرباب بن آدم عليه السلام، ومعنى نقراووس بالسريانية مَلِكُ قومه ، وهو الذى عَمَر مدينة أمسوس أوّل قواعد مصر المتقدم ذكرها ؛ ثم ملكها بعده ابنه نقراووس الثانى مائة وسبع سنين ؛ ثم ملكها بعده أخوه مصرام بن نقراووس الأوّل ؛ ثم ملكها بعده عنقام الكاهن ولم تطل مدّة ملكه ؛ ويقال إن إدريس عليه السلام رُفع فى زمانه ؛ ثم ملكها بعده ابنه غرناق ؛ ثم ملك بعده رجل من بنى نقراووس اسمه لوجيم ؛ ثم ملك بعده رجل اسمه خصليم ، وهو أوّل من عمل المِقياس للنيل على ما تقدّم ذكره ؛ ثم ملك بعده ابنه هرصال ، ومعناه بالسريانية خادم الزُّهَرة ، وهى مدينة شرق النيل ، وعمل سَرَبًا تحت النيل إليها ، وهو أوّل من عمل ذلك وأقام فى الملك مائة وأربعا وثلاثين سنة ، ويقال إن نوحا عليه السلام ولد فى زمانه ؛ ثم ملك بعده ابنه بُدْرسان ؛ ثم ملك بعده أخوه شمرود ، وكان طوله فيما يقال عشرين ذراعا ؛ ثم ملك بعده فرسيدون بن بُدْرسان المتقدّم ذكره مائة وستين سنة ؛ ثم ملك بعده ابنه شرناق مائة وثلاث سنين ؛

ثم ملك بعده آبنه سهلوق مائة وتسع سنين ؛ ثم ملك بعده آبنه سُوريدين ،وهو الذى بنىٰ الأهرام العظام بمصر علىٰ ماتقدّم ذكره فى الكلام علىٰ عجائب مصر وخواصّها ؛ ثم ملك بعـده آبنه هرجيب نَيِّفًا وسبعين سـنة ، وهو الذى بنىٰ الهرم الأوّل من أهرام دهشور؛ ثم ملك بعده آبنه مناوش ثلاثا وسبعين سـنة ؛ ثم ملك بعده آبنه أقروس أربعا وستين سـنة ؛ وفى أيامه حصل القحط العظيم ، وساطت الوحوش والتماسيح علىٰ الناس ، وأُعْقِمَتِ الأرحام حتّى يقـال إن الملك تزوج ثلثمائة آمرأة يبغى الولد فلم يُولد له ، وذلك مقدّمة الطوفان ؛ ثم ملك بعده رجل من أهل بيت الملك آسمه أرماليتوس ؛ ثم ملك بعده آبن عمه فرعان ، وهو أوّل من لقب بلقب الفراعنة ،وكان قد كتب إلىٰ ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام ،وفى زمنه كان الطوفان وهلك فيمن هلك .

المرتبـــة الثانية

(من ملكها بعد الطوفان إلىٰ حين الفتح الإسلامىّ)

وللمؤرّخين فى ذلك خُلْف كثير ، وقد جمعت بين كلام التواريخ التى وقفتُ عليها فى ذلك ، وهم علىٰ طبقات .

الطبقة الأولىٰ

(ملوكها من القِبْط)

قد تقدّم فى الكلام علىٰ آبتداء عمارتها أن أوّل من عمرها بعد الطوفان بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ، وكان بيصر قد كَبِر سنه وضعُف ، فأقام يسيرا ثم مات ، 119
فدفن فى موضع دير أبى هرميس غربىّ الأهرام . قال القضاعىّ ، ويقال إنها أوّل مقبُرة دفن فيهـا بأرض مصر ؛ وملك بعـده آبنه مصر فعمر وطالت مدّة ملكه ،

وعَمَرت البلاد فى أيامه وكَثُر خيرها، ثم مات؛ وملك بعده ابنه (قِبْطِيم)، وإليه يُنْسب القِبْطُ، ويقال إنه أدرك بَلْبَلَة الألسُن التى كانت بعد نوح عليه السلام، وهى ريح خرجت عليهم ففرّقت بينهم وصار كل منهم يتكلم بلغة غير لغة الآخر، وخرج منها باللغة القِبْطيّة؛ ثم ملك بعده ابنه (قفط)، وهو الذى بنى مدينة قِفْط بالصعيد الأعلى وسماها باسمه، وآثارها باقية إلى الآن؛ ثم ملك بعده أخوه (أُشْمُن)، وهو الذى بنى مدينة الأُشْمُونَيْن المتقدّم ذكرها بالوجه القبلىّ، وطالت مدّته حتّى نُقِل أنه بقى ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين؛ ثم ملك بعده أخوه (أَتْرِيبُ)، وهو الذى بنى مدينة أَتْرِيبَ المتقدّمة الذكر بالوجه البحرىّ من الديار المصرية؛ ثم ملك بعده أخوه (صا)، وهو الذى بنى مدينة صَا المتقدّم ذكرها بالوجه البحرىّ أيضا؛ ثم ملك بعده (قفطريم) بن قِفْط، ويقال إنه الذى وضع أساس الأهرام الدهشورية غير الهرم الأوّل الذى بناه هرجيب المتقدّم ذكره قبل الطُّوفان، وهو الذى بنى مدينة دَنْدَرى بالصعيد الأعلى، وآثارها باقية إلى الآن؛ ثم ملك بعده ابنه (بودشير)، وهو الذى أصلح جَنَبتى النيل بهندسته؛ ثم ملك بعده ابنه (عديم)؛ ثم ملك بعده ابنه (شدات)، وهو الذى تمم الأهرام الدهشورية التى وضع أساسها قفطريم المتقدّم ذكره . ويقال : إن مدينة شُطْب التى بالقرب من مدينة أَسْيُوطَ بنيت فى أيامه، وآثارها باقية إلى الآن، وهو أوّل من ولع بالصيد واتخذ الجوارح والكلاب السلُوقيه، وعمل البيطرة من ملوك مصر، ومات عن أربعمائة وأربعين سنة؛ ثم ملك بعده ابنه (منقاوش)، ويقال إنه أوّل من عُمِل له الحَمّام بمصر؛ ثم ملك بعده ابنه (مناوش) وطالت مدّته 120
فى الملك حتّى بقى فيما يقال ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده (منقاوش) بن أُشْمُن نيفا وأربعين سنة، وقيل ستين سنة، وهو أوّل من عمل له المَيْدَانُ بمصر، وأوّل من بنى البيمارستان لعلاج المرضى، وفى أيامه بنيت مدينة سنتريه

بالْوَاحَاتِ، ثم ملك بعده آبنه (مرقوره) نيّفا وثلاثين سنة، وفى كتب القِبْط أنه أوّل من ذلل السباع وركبها؛ ثم ملك بعده (بلاطس) خمسا وعشرين سنة؛ ثم ملكت بعده بنت من بنات أَتْرِيبَ خمسا وثلاثين سـنة، وهى أول من ملك مصر من النساء؛ ثم ملك بعدها أخوها (قليمون) تسعين سنة، وفى أيامه بنيت مدينةُ دِمْيَاطَ على آسم غلام له كانت أمه ساحرة له، وفى أيامه بنيت أيضا مدينة تِنِّيسَ؛ ثم ملك بعده آبنه (فرسون) مائتين وستين سنة؛ ثم ملك بعده ثلاثة ملوك أو أربعةٌ لم يعين آسمهم؛ ثم ملك بعدهم (مرقونس) الكاهن ثلاثا وسبعين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه (ايساد) خمسا وسبعين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه (صا) وأكثر القبط تزعم أنه أخوه، نيفا وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه (تدراس)، وهو الذى حفر خليج سخا المتقدّم ذكره فى خُلْجَانِ مصر القـديمة؛ ثم ملك بعده آبنه (ماليق)، ويقال إنه خالف دينَ آبائه فى عبادة الأصـنام، ودان بدين التوحيد. ولمـا أحس بالموت، صنعَ له ناوُوسا وكنز معه كنوزا عظيمة، وكتب عليها أنه لا يستخرجها إلا أمة النبىّ الذى يبعث فى آخر الزمان؛ ثم ملك بعده آبنه (حربا)، وفى بعض التواريخ حرايا خمسا وسبعين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه (كلكن)، وفى بعض التواريخ كلكى نحوا من مائة سنة، وهو أوّل من أظهر علمَ الكيمياء بمصر، وكان قبل ذلك مكتوما، وفى زمنه كان النُّمْرُودُ بأرض بابل من العراق؛ ثم ملك بعده أخوه (ماليا)؛ ثم ملك بعده (حربيا) بن ماليق؛ ثم ملك بعده (طوطيس) بن ماليا، وفى بعض التواريخ طوليس سبعين سنة، وفى بعض التواريخ أنه ملك بعد أبيه ماليا، والقبط تزعم أن الفراعنة سبعة هو أوّلهم، وهو الذى أهدىٰ هَاجَرَ لإبراهيم عليه السلام؛ ثم ملكت بعده أخته (حوريا)، وهى التى بنىٰ لهـا جيرون المؤتفكىّ صاحبُ الشام مدينـة الإسْكَنْدَرِيَّةِ حين خطبها على أحد الأقوال فى عمارتها ليجعلها مهرا لها، ثم آحتالت عليه فسمّته هو وجميع عسكره

فى خلع فماتوا؛ ثم ملكت بعدها بنت عمها (زلفى) ويقال دلفه بنت مأموم؛ ثم ملك بعدها (أيمين) الأتريبىّ، وهو آخر ملوك القِبط من هذه الطبقة . والذى ذكره القضاعىّ وغيره أنه ملكها بعد وفاة بيصر آبنهُ مصر، ثم قِفْط بن مصر ، ثم أخوه أشْمن ، ثم أخوه أتْرِيبُ ، ثم أخوه صا ، ثم آبنه تدراس ، ثم آبنه ماليق ، ثم آبنه حربا ، ثم آبنه كلكن ، ثم أخوه ماليا، ثم حربيا، ثم طوطيس بن ماليا، ثم آبنته حوريا، وهى أوّل من ملكها من النساء ، ثم آبنة عمها زلفى ، ومنها آنتزعتها العمالقة الآتى ذكرهم .

الطبقة الثانية

(ملوكها من العماليق ملوك الشام)

أوّل من ملكها منهم (الوليد) بن دومع العِمْليق ، وقال السهيلىّ : الوليد بن عمرو ابن أراشة . اقتلعها من أيمين : آخرِ ملوك القِبْط المتقدّم ذكره ، وهو الفرعون الثانى عند القِبط ، وقيل هو أوّل من سمى بفرعون ، وقام فى الملك مائة وعشرين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه (الرَّيَّان) مائة وعشرين سنة ، والقِبْطُ تسميه نهراوس ، وهو الفرعون الثالث عند القِبْط ، ونزل مدينة عَيْنِ شَمْس ، وكانت الملوك قبله تنزل مدينة مَنْف ، وفى أيامه وصل يوسف عليه السلام إلى مصر ، وكان من أمره ما قصه الله تعالى فى كتابه . ويقال : إنه آمن بيوسفَ عليه السلام ؛ ثم ملك بعده آبنه (دارم) ويقال دريوس ، وهو الفرعون الرابع عند القِبط ، وفى أيامه توفّى يوسفُ عليه السلام ، وفى أيامه ظهر بمصر معْدِن فضة على ثلاثة أيام فى النيل ؛ ثم ملك بعده آبنه (معدان) ويقال معاديوس ، وهو الفرعون الخامس عند القِبط ، إحدى وثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه (أقسامس) وهو الفرعون السادس عند القِبْط ، وبعضهم يزعم أن منارة الإسْكَنْدرِيَّة بنيت فى زمنه ، وأهل الأثر يسمونه كاسم ، وربما قالوا كامس ؛

ثم ملك بعده آبنه (لاطس) ؛ ثم ملك بعده رجل آسمه (ظلما) كان من عُمّاله فخرج عليه فقتله وملك مكانه، وهو الفرعون السابع عند القِبْط، وهو فرعون موسىٰ .

قال المسعوديّ : وهو الوليد بن مصعب الموجود فى كتب الأثر، والوليد بن مصعب هو فرعون موسىٰ وهو الوليد بن مصعب بن عمرو بن معاوية بن أراشة، يجتمع مع الوليد بن دومع فى أراشة، وهو آخر مَنْ ملك مصر من العمالقة، و بعضهم يقول ظلما بن قومس من ولد أُشمون أحد ملوك القِبْط المتقدّم ذكرهم ؛ وعلىٰ هذا فيكون فرعون موسىٰ من القِبْط، وهو أحد الأقوال فيه، وهو الذى يعوّل عليه القِبْط، و يوردونه فى كتبهم، وآخَرُون يجعلونه من لَخْم من الشام،والظاهر الأوّل، وهو أوّل من عَرَّف العرفاء علىٰ الناس،وفى زمنه حفر خليج سَرْدوس المتقدّم ذكره فى خُلْجان النيل، و يقال : إنه عاش دهرا طويلا لم يمرض ولم يشكُ وجعا إلىٰ أن أهلكه الله تعالىٰ بالغَرَق . (١)

الطبقة الثالثة

(ملوكها من القِبْط بعد العمالقة)

أوّل من ملكها منهم بعد فرعون دَلُوكة،وطالت مدّتها فى الملك حتّى عرفت بالعَجُوز، وإليها ينسب حائط العجوز المبنيّ بالطوب اللَّبِن المستدير علىٰ بلاد مصر فى لِحْف الجبلين : الشرقيّ والغربيّ ،وأثره باق بالوجه القبليّ إلىٰ الآن، ويقال إنها التى بنت البرابِيَ بمصر ؛ ثم ملك بعدها رجل من أبناء أكابر القِبْط آسمه (دركون) بن بطلوس ، ويقال دركوس بن ملوطس ؛ ثم ملك بعده رجل آسمه (تودس) ثم ملك بعده آبنه (لقاش) نحوا من خمسين سنة ؛ ثم ملك بعده (مرينا) بن لقاش نحوا من عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه (بلطوس) و يقال بلوطس بن ميا كيل أربعين سنة ؛ ثم ملك

(١) تنبيه وقع اختلاف فيما بأيدينا من الكتب فى أسماء الملوك وترتيبهم فى هذا والذى بعده فعوّلنا على الاصل

بعده (مالوس) ويقال فالوس بن توطيس عشر سنين ، ثم ملك بعده ميا كيل .
قال المسعوديّ : وهو فرعون الأعرج الذى غزا بنى إسرائيل وخرّب بيت المقدس ، ثم ملك بعده (نوله) وهو الذى غزا رُحُبْعُم بن سليمان عليه السلام بالشام ، وقيل إن الذى غزا رحبعم كان آسمه شيشاق . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وهو الأصح . قال : ثم لم يشتهر بعد شيشاق المذكور غير فرعون الأعرج ، وهو الذى غزاه بُخْتَنَصَّر وصلبه ، والذى ذكره المسعوديّ أنه ملك بعد ميا كيل المتقدّم ذكره (مرنيوس) ، ثم ملك بعده آبنه (بغاش) ثمانين سنة ، ثم ملك بعده آبنه (قومس) عشرين سنة ، ثم ملك بعده آبنه كابيل .

قال المسعوديّ : وهو الذى غزاه بختنصر وصلبه وخرب مصر ، وبقيت مصر أربعين سنة خرابا .

الطبقة الرابعــة

(ملوكها من الفُــرْس)

أوّل من ملكها فى جملة مملكة الفرس (بهراسف) بواسطة أن بُخْتَنَصَّر كان نائبا له ومن حين آستولى عليها بُخْتَنَصَّر ، توالت عليها الولاة من جهته ، وهو ببابل سبعا وخمسين سنة وشهرا كما ذكر صاحب حماة إلى أن مات ، فولى بعده آبنه (أولات) سنةً واحدةً ، ثم أوليها بعده خوه (بلطشاش) بن بُخْتَنَصَّر ، ثم آستقرت مصر والشام بأيدى نوّاب الفُرْس عن ملوكهم .

فلما مات بهراسف ، ملك بعده كيبستاسف ، ثم ملك بعده آبنه أرْدَشِير بَهْمَن آبن آسفيديار بن كيبستاسف ، وآنبسطت يده حتّى ملك الأقاليم السبعة ، ثم ملك بعده آبنه (دارا) ، وفى زمنه ملك الإسْكَنْدَرُ بن فيلبس على اليونان فقصده ، فلما قرب

منه قتله جماعة من قومه، ولحقوا بالإسكندر، وهو آخر مَنْ ملك مصر من الفُرْس،
ولم أقف علىٰ تفصيل نوّاب الفُرْس بمصر إلا أنه كان منهم كسرجوس الفارسي، وهو 124
الذى بنىٰ قصر الشَّمع بالفُسْطَاطِ علىٰ ماتقدّم ذكره، وبعده (طحارست) الطويل،
وفى أيامه كان بقراط الحكيم.

الطبقة الخامسة
(ملوكها من اليونان)

أوّل من ملكها منهم (الإسْكَنْدَرُ بن فيلبس) حين غلب دارا مَلِكَ الفُرْس علىٰ مُلْكه واستولىٰ علىٰ ما كان بيده، وكان مقرّ ملكه مَقْدُونِيَة من بلاد الروم القديمة، وانحاز له ملك العراق، والشام، ومصر، وبلاد العرب. فلما مات تفرّقت ممالكه بين الملوك، فملك مصر ونواحي الغرب البَطَالِسَةُ من ملوك اليونان، كان كلُّ منهم يلقب بَطْلَيْمُوسُ.

فأول من ملكها منهم (بَطْلَيْمُوسُ المنطيق) عشرين سنة، ويقال: إنه أول من لعب بالبُزاة وضرّاها، ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ مُحِبُّ أخيه) أربعين سنة، وقيل ثمانا وثلاثين سنة، وهو الذى نقل التَّوْرَاةَ من العِبْرَانِيَّة إلىٰ اليونانية، وفى أيامه ظهرت عبادة التماثيل والأصنام، ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ الصَّائِغُ) خمسا، وقيل ستا وعشرين سنة، ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ مُحِبُّ أبيه) سبع عشرة سنة، ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ صاحب علم الفلك) أربعا وعشرين سنة، وهو الذى ألَّف كتاب المجسطى، ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ مُحِبُّ أمه) سبعا وعشرين سنة، ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ الصائغ الثانى) ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ المُخَلِّصُ) ست عشرة سنة، وقيل سبع عشرة، ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ الإسْكَنْدَرانِيّ) تسع سنين، وقيل اثنتى عشرة سنة،

ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ اسكندروس) ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ مُحِبُّ أخيه) الثانى ثمان سنين ؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ دوتيسوس) ؛ ثم ملكت بعده ٱبنته قلوبطرا ٱثنتين وعشرين سنة ، و بزوالها ٱنقرض ملك اليونان عن مصر وزال .

الطبقة السادسة

(ملوكها من الروم)

أوّل من ملكها منهم (أغشطش) . يقال بشينين معجمتين ومهملتين ولَقَبُهُ 125
قَيْصَرُ ، وهو أوّل من تلقب به ، ثم صار عَلَماً على ملوك الروم .

قصد قلوبطرا المتقدّم ذكرها ، فلما أَحَسَّتْ بقربه منها ، عمدت إلى مجلسها فجعلت فيه الرياحين والمشموم ، وأعملت الفكر فى تحصيل حية إذا نهشت الإنسان مات لحينه ولم يتغير حاله ، فقربت يدها منها حتّى ألقت سمها فى يدها ، وٱنسابت الحية فى الرياحين ، وجاء أغشطش فوضع يده فى الرياحين فنهشته الحية ، فبقى يوما ومات بعد أن ملك الروم ثلاثا وأربعين سنة . وفى أيامه ولد المسيح عليه السلام ، ثم ملك بعده الرومَ ومصر طيباريوس ، ويقال طبريوس ، ويقال طبريس ٱثنتين وعشرين سنة . قال المسعودىّ : وفى زمنه رفع المسيح عليه السلام . قال : ولما مات أغشطش ، ٱختلف الروم وتحزبوا وتنازعوا فى الملك مائتين وثمانيا وتسعين سنة ، لانظام لهم ، ولا ملك يجمعهم ؛ ثم ملكهم عانيوس . قال صاحب حماة : وكان رفع المسيح فى زمنه ، وهو مخالفٌ لما تقدّم من كلام المسعودىّ ؛ ثم ملك بعده قلديوس[1] أربع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده نارون ثلاث عشرة سنة ، وهو الذى قتل بطرس و بولص الحواريِّين برومية وصلبهما ؛ ثم ملك بعده

(١) فى المسعودىّ قلوريوس . و بالجملة فبين ما بأيدينا من الكتب ٱختلاف فى هذه الأسماء ، فعوّلنا على المخطوط والله أعلم .

ساسانوس عشر سنين ، ثم ملك بعده طيطوس سبع عشرة سنة ، ثم ملك بعده دومطيتوش ، ويقال اديطانش خمس عشرة سنة ، وكان على عبادة الأصنام فتتبع اليهود والنصارىٰ وقتلهم ، ثم ملك بعده ادريانوس ستا وثلاثين سنة فأصابته علة الجذام فسار إلىٰ مصر يطلب طِبًّا لذلك فلم يظفر به ومات بعِلَّتِه ، ثم ملك بعده ايطيثيوس ، ويقال ابطاوليس ثلاثا وعشرين سنة ، وهو الذى بنىٰ بيت المَقْدِس بعد تخريبه الثانيةَ وسماه إيليا ، ومعناه بيت الرب ، وهو أول من سماه بذلك ، ثم ملك بعده مرقوس ، ويقال قومودوس سبع عشرة سنة ، ثم ملك بعده قومودوس ثلاث عشرة سنة ، وكان دين النصارىٰ قد ظهر فى أيامه ، وفى زمنه كان جالينوس الحكيم ، ثم ملك بعده قوطنجوس ستة أشهر ، ثم ملك بعده سيوارس ثمانى عشرة سنة ، ثم ملك بعده ايطيثيوس الثانى أربع سنين ، ثم ملك بعده اسكندروس ثلاث عشرة سنة ، ثم ملك بعده بكسمينوس ثلاث سنين ، ثم ملك بعده خورديانوس ست سنين ، ثم ملك بعده دقيانوس ، وقيل دقيوس سنة واحدة ، فقتل النصارىٰ وأعاد عبادة الأصنام ، ومنه هرب الفِتْيَةُ أصحابُ الكَهْف ، وكان من أمرهم ماقص الله تعالىٰ فى كتابه العزيز ، ثم ملك بعده ثاليوس ثلاث سنين ، ثم ملك بعده علينوس وولديانوس آشتركا فى الملك ، وقيل إن ولديانوس آنفرد بالملك بعد ذلك ، وأقام فيه خمس عشرة سنة ، ثم ملك بعده قلوديوس سنة واحدة ، ثم ملك بعده ارديباس ، ويقال اردليانوس ست سنين ، ثم ملك بعده قروقوس سبع سنين ، ثم ملك بعده ياروس وشركته سنتين ، ثم ملك بعده دقلطيانوس إحدىٰ وعشرين سنة ، وهو آخر عَبَدَة الأصنام من ملوك الروم ، وبمهلكه تؤرّخ النصارىٰ إلىٰ اليوم ، وعصىٰ عليه أهل مصر ، فسار إليهم من رومية ، وقتل منهم خلقا عظيما ، وهم الذين يعبر عنهم النصارىٰ الآن بالشهداء .

ثم ملك بعده قسطنطين المظفر إحدى وثلاثين سنة فسار من رُومِيَةَ إلى قُسْطَنْطِينِيَّةَ وبنى سورها وآستقرّت دار ملكهم ، وأظهر دين النصرانية وحمل الناس عليه ؛ ثم ملك بعده آبنُـه قُسْطَنْطِينُ فشيَّد دينَ النصرانية وبنى الكنائس الكثيرة ؛ ثم ملك بعده إليانوس ، ويقال إليانس سنة واحدة ، وهو آبن أخى قُسْطَنْطِينَ المتقدّم ذكره ، فرفض دين النصرانيـة ورجع إلى عبادة الأصنام ، وبموته خرج المُلْك عن بنى قُسْطَنْطِينَ ؛ ثم ملك بعـده بِطْرِيق من بَطارقة الروم آسمه يوشيانوس ، ويقـال سيوتيانوس سـنة واحدة فأعاد دين النصرانية ، ومنع عبادة الأصنام ؛ ثم ملك بعده قالنطيانوس أربع عشرة سـنة ؛ ثم ملك بعـده خرطيانوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده بارذوسيوس الكبير تسعا وأربعين سـنة ؛ ثم ملك بعده ادقاديوس بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ وشريكه أويوريوس بِرُومِيَةَ ثلاث عشرة سنة ؛ ثم ملك بعدهمـا مرقيانوس سبع سنين ، وهو الذى بنى دير مارون بِحِمْصَ ؛ ثم ملك بعده واليطيس سـنة واحدة ؛ ثم ملك بعده لاون الكبير سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده زيتون ثمـان عشرة سنة ؛ ثم ملك بعـده اسطيسوس سبعا وعشرين سنة ، وهو الذى عَمَر أسوار مدينة حَماة ؛ ثم ملك بعـده يوسيطينوس تسع سـنين ؛ ثم ملك بعده يوسيطينوس الثانى ثمـانيا وثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده طبريوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده طبريوس الثانى أربع سنين ؛ ثم ملك بعده ماريقوس ثمان سنين ؛ ثم ملك بعده ماريقوس الثانى ، ويقال مرقوس آثنتى عشرة سـنة ؛ ثم ملك بعـده قوقاس ثمـان سنين ؛ ثم ملك بعده هرقل وآسمه بالرومية أوقليس ، وهو الذى كتب إليه النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، يدعوه إلى الإسلام ، وكانت الهجرة النبوية فى السنة الثانية عشرة من ملكه .

قال المسعودىّ : وفى تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، هاجر وملك الروم قيصر بن قوق (١) ؛ (ثم ملك الروم بعده) قَيْصَرُ بن قَيْصَرَ ،

(١) وإليه تنسب الدنانير القوقية (قاموس مادة ق و ق) .

وذلك فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه، وهو الذى حاربه أمراء الإسلام بالشام وآقتلعوا الشام منه .

والذى ذكره فى "التعريف" فى مكاتبة الاذفونش صاحب طُلَيْطلة من ملوك الفرنج بالأَنْدَلُس أن هِرَقْل الذى هاجر النبىُّ صلّى الله عليه وسلم فى زمنه وكتب إليه لم يكن الملكَ نفسه، وإنما كان متسلم الشام لقيصر، وقَيْصَرُ بالقُسْطَنْطِينِيَّة لم يَرِمْ، وأن النبىَّ صلّى الله عليه وسلم إنما كتب لهِرَقْل لأنه كان مجاورا لجزيرة العرب من الشام . وعظيمُ بُصْرىٰ كان عاملا له، ويظهر أن قَيْصَرَ الأخيرَ الذى ذكره هو الذى كان المُقَوْقِسُ عاملا له علىٰ مصر . ويقال : إن المُقَوْقِسَ تَقَبَّلَ مصر من هِرَقْل بتسعة عشر ألف ألف دينار .

وآعلم أنه كان الحال يقتضى أن نذكر نوّاب من تقدم من ملوك الروم واليونان والفُرْس علىٰ مصر، ولكن أصحاب التواريخ لم تعتنِ بأمر ذلك، فتعذر العلم به . وإذا ذكر الأصل، آستُغْنِى به عن الفرع .

وذكر القضاعى : أنه بعد عمارة مصر من خراب بُخْتَنَصَّر ظهرت الروم وفارس علىٰ سائر الملوك التى وسط الأرض فقاتلت الرومُ أهلَ مصر ثلاث سنين إلىٰ أن صالحوهم علىٰ شىء فى كل عام، علىٰ أن يكونوا فى ذمتهم ويمنعوهم من ملوك فارس، ثم ظهرت فارس علىٰ الروم وغلبوهم علىٰ الشام وألَحُّوا علىٰ مصر بالقتال، ثم آستقر الحال علىٰ خراج مصر أن يكون بين فارس والروم فى كل عام، وأقاموا علىٰ ذلك تسع سنين، ثم غلبت الرومُ فارسَ وأخرجوهم من الشام وصار ماصولحت عليه أهل مصر كله خالصا للروم، وجاء الإسلام والأمر علىٰ ذلك .

المرتبـــة الثـالثة

(من وليها فى الإسلام : من بداية الأمر إلىٰ زمانـنا، وهم علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(فيمن وليها نيابةً، وهو الصدر الأوّل، وهم علىٰ ثلاث طبقات)

الطبقـــة الأُولىٰ

(عُمَّال الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

قد تقدّم أنها لم تزل بيد الروم والمُقَوْقِسُ عامل عليهـا إلىٰ خلافة عمر رضى الله عنه ، ولم تزل كذلك إلىٰ أن فتحها عمرو بنُ العاص وعبدُ الله بن الزُّبَيْر[1] فى سنة عشرين من الهجرة ، وقيـل سنة تسع عشرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه؛ ووليها (عمرو بن العاص) من قِبَل عمر، وهو أوّل من وَلِيَها فى الإسلام، وبقى عليها إلىٰ سنة خمس وعشرين ، وبنىٰ الجامعَ العتيقَ بالفُسْطَاطِ؛ ثم وليها عن عثمان آبنِ عفان رضى الله عنه (أبو يحيىٰ العامرىّ) فمكث فيها إحدىٰ عشرةَ سنة، وتوفى سنة ست وثلاثين؛ ثم وليها عن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه (قَيْسُ بن سعد الخزرجىّ) فى أوّل سنة سبع وثلاثين؛ ثم وليها عنه (مالك بن الحرث النخعىّ) المعروف بالأشتر فى وسط سنة سبع وثلاثين، وكتب له عنه عهدا يأتى ذكره فى الكلام علىٰ العهود إن شاء الله تعالىٰ، فسُمَّ ومات قبل دخوله إلىٰ مصر؛ ثم وليها عنه (محمد بن أبى بكر الصدّيق) رضى الله عنه فى آخر سنة سبع وثلاثين فمكث دون السنة؛ ثم وليها عن معاويةَ بن أبى سُفْيَانَ رضى الله عنه (عَمرُو بن العاص ثانيا) سنة ثمان وثلاثين خمس سنين ، وتوفى بها سنة ثلاث وأربعين؛ ثم وليها عنه (عقبةُ بن عامر الجُهَنِىّ) فى سنة أربع وأربعين فمكث فيها ثلاث سنين وكَسْرًا؛ ثم وليها عنه (مَسْلَمَةُ بن مُخَلَّد) الخزرجىّ سنة سبع وأربعين فمكث فيها خمسَ عشرةَ سنة .

---

(١) لعل الصواب والزبير بن العوّام كما فى تاريخ أبى الفداء.

الطبقــة الثـانية

(عُمَّال خلفاء بنى أُمَيَّــة بالشام)

لما أفضت الخلافة بعد معاوية إلى ٱبنه يَزِيدَ، وليها عنه (سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدىّ) فى سنة ٱثنتين وستين، فمكث فيها سنتين وكسرًا؛ ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفِهْرىّ) فى سنة أربع وستين، وأقره على الولاية بعــد يزيد ٱبنُهُ معاويةُ، ثم مَرْوَانُ ٱبنُ الحَكَم، فمكث فيها ٱثنتين وعشرين ســنة؛ ثم وليها عن عبد الملك بن مَرْوَانَ (عبدُ الله بن عبد الملك بن مروان) فى أوّل سنة ست وثمانين، فمكث فيها خمس سنين؛ ثم وليها عنه (قُرَّةُ بن شَرِيك) فى سنة تسعين، وأقره عليها الوليدُ بن عبد المَلِك بعده، فمكث فيها سبع سنين؛ ثم وليها عن سليمان بن عبد الملك (عبدُ الملك بنُ رِفاعة) فى سنة سبع وتسعين، فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا؛ ثم وليها عن عمر بن عبد العزيز (أيوبُ بن شُرَحْبِيلَ الأَصْبَحِىّ) آخر سنة تسع وتسعين، فمكث فيها سنتين وستة أشهر؛ ثم كانت خلافة يَزِيدَ بن عبد المَلِكِ، فوليها عنه (صفوان الكَلْبىّ)[1] سنة إحدى ومائة، فمكث فيها سنتين وســتة أشهر أيضا؛ ثم وليها عن هشام بن عبــد الملك (محمد بن عبــد الملك) أخو هشام فى ســنة خمس ومائة، فمكث فيها أشهرا؛ ثم وليهــا عنه (عبد الله بن يوسف الثقفى) فى ذى الحجة سنة خمس ومائة، فمكث فيها أربع سنين وستة أشهر؛ ثم وليها عنــه (عبد الملك)[2] فى ســنة تسع ومائة وعزل فيها؛ ثم وليها عنه (الوليد) أخو عبد الملك[2] فى سنة تسع المذكورة، فمكث فيها عشر سنين وكسرا، وتُوفِّى ســنة تسع عشرة ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفِهْرىّ) ثانيا فى آخر سنة تسع عشرة ومائة، فأقام بها ســبعة أشهر؛ ثم وليها عنه (حنظلة) بن صفوان

(١) الذى فى المقريزىّ "بشر بن صفوان الكلبى".

(٢) أى ٱبن رفاعة ثانيا كما فى المقريزىّ.

ثانياً (١) فى سنة عشرين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا وعزل ؛ ثم وليها عن مَرْوَانَ بن محمد الجعدىّ ؛ فوليها عنه (عتابة التجيبى) (٢) سنة سبع وعشرين ومائة ، فمكث فيها خمس سنين أو دونها ؛ ثم وليها عنه (حفص بن الوليد) سنة ثمان وعشرين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين وستة أشهر ؛ ثم وليها عنه (الفزارىّ) سنة إحدىٰ وثلاثين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ؛ ثم وليها عنه (عبد الملك بن مَرْوَانَ) مولىٰ لَخْمٍ سنة إحدىٰ وثلاثين ومائة ، وهو آخر مَنْ وليها عن بنى أمية .

الطبقة الثالثــــة

(عُمَّـال خلفاء بنى العَبَّاس بالعراق)

أوّل من وليها فى الدولة العباسية عن أبى العَبَّاس السفَّاح : أوّلِ خلفائهم ، (صالحُ آبنُ علىّ) بن عبدالله بن عباس سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فمكث فيها أشهرا قلائل ؛ ثم وليها عنه (عبد الملك) مولىٰ بنى أسد آخِرَ سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين ؛ ثم وليها عنه (صالح بن علىّ) ثانيا فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . ثم وليها عن أبى جعفر المنصور (عبدُ الملك) سنة تسع وثلاثين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين ؛ ثم وليها عنه (النَّقِيب التميمىّ) سنة إحدىٰ وأربعين ومائة ، فمكث فيها سنتين ؛ ثم وليها عنه (حُمَيد الطائىّ) سنة ثلاث وأربعين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ؛ ثم وليها عنه (يزيد المهلَّبىُّ) سنة أربع وأربعين ومائة ، فمكث فيها تسعَ سنين ؛ ثم وليها عنه (عبدُالله بن عبدالرحمن بن معاوية) سنة آثنتين وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنتين وستة أشهر ؛ ثم وليها عنه (محمد بن عبدالرحمن بن معاوية) سنة أربع وخمسين

---

(١) لم يذكر أن حنظلة كان أميرا علىٰ مصر فيما سبق [ولكن فى المقريزىّ أن بشر بن صفوان آستخلف أخاه حنظلة علىٰ مصر حينما ولاه يزيد علىٰ أفريقية فى سنة آثنتين ومائة فتكون ولايته هذه المرة ثانية] .

(٢) صوابه : ثم وليها عنه [أى عن مروان] حسان بن عتاهية التجيبى كما ذكره المقريزىّ والمقام فيه أوضح .

ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ، ثم وليها عنه (موسى بن على اللخمى) فى سنة خمس وخمسين ومائة ، فمكث فيها ستين وستة أشهر .

ثم وليها عن المهدى (عيسى اللخمى[(١)]) سنة إحدى وستين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ، ثم وليها عنه (أصبح[(٢)]) مولى المنصور فى سنة اثنتين وستين ومائة ، ثم وليها عنه (زيد بن منصور) الحميرى فى وسط سنة اثنتين وستين ومائة ، ثم وليها عنه (يحيى أبو صالح) فى ذى الحجة من السنة المذكورة ، ثم وليها عنه (سالم بن سوادة التميمى) سنة أربع وستين ومائة ، ثم وليها عنه (إبراهيم العباسى) فى سنة خمس وستين ومائة ، ثم وليها عنه (معين الدين ختهم) فى سنة ست وستين ومائة .

ثم وليها عن الهادى (أسامة بن عمرو العامرى) فى سنة ثمان وستين ومائة ، ثم وليها عنه (الفضل بن صالح العباسى) فى سنة تسع وستين ومائة ، ثم وليها عنه (على بن سليمان العباسى) آخر السنة المذكورة .

ثم وليها عن الرشيد (موسى العباسى) فى سنة اثنتين وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه (محمد بن زهير) الأزدى سنة ثلاث وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه داود بن يزيد المهلبى سنة أربع وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه (موسى بن عيسى العباسى) سنة خمس وسبعين ومائة ومات بها ، ثم وليها عنه (عبدالله بن المسيب الضبى) فى أول سنة سبع وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه (هرثمة بن أعين) سنة ثمان وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه (عبدالملك العباسى) فى سلخ ذى الحجة من السنة المذكورة ، ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهدى العباسى) فى سنة تسع وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه (موسى بن عيسى) التنوخى فى آخر سنة ثمانين ومائة ، ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهدى) ثانيا سنة إحدى وثمانين ومائة ، ثم وليها عنه (إسماعيل بن صالح) فى آخر السنة المذكورة ، ثم وليها عنه (سمية[(٣)] بن عيسى ابن إسماعيل) سنة اثنتين وثمانين ومائة ، ثم وليها عنه (الليث البيوردى) فى آخر السنة

(١) فى المقريزى "الجمحى" . (٢) فى المقريزى "واضح" . (٣) فى المقريزى "اسماعيل"

المذكورة، ثم وليها عنه (أحمد بن إسماعيل) فى آخر سنة تسع وثمانين ومائة، ثم وليها عنه (عبد الله بن محمد العباسىّ) المعروف بٱبن زَيْنَبَ فى سنة تسعين ومائة، ثم وليها 131 عنه (مالك بن دَلْهَم الكلبىّ) سنة ٱثنتين وتسعين ومائة، ثم وليها عنه أو عن الأمين (الحسينُ بنُ الجحاج) سنة ثلاث وتسعين ومائة .

ثم وليها عن الأمين (حاتم بن هَرْثَمة بن أَعْيَن) سنة خمس وتسعين ومائة، ثم وليها عنه (عباد أبو نصر) مولىٰ كِنْدَةَ سنة ست وتسعين ومائة، ثم وليها عنه أو عن المأمون (المطَّلِبُ بنُ عبد الله الخزاعىّ) سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم وليها عن المأمون (العباسُ بنُ موسى) سنة ثمان وتسعين ومائة، ثم وليها عنه (المطلب بن عبدالله) ثانيا فى سنة تسع وتسعين ومائة، ثم وليها عنه (السرىّ بن الحَكَم) فى سنة مائتين، ثم وليها عنه (سليمان بن غالب) فى سنة إحدىٰ ومائتين، ثم وليها عنه (أبو نصر محمد بن السرىّ) فى سنة خمس ومائتين، ثم وليها عنه (عبيد الله) فى سنة ست ومائتين، ثم وليها عنه (عبدالله بن طاهر) مولىٰ خُزَاعة فى سنة عشر ومائتين (وهو أوّل من جَلَب البِطِّيخ الخُراسانِىَّ المعروفَ بالعَبْدَلىِّ من خُرَاسان إلىٰ مصر فنُسِب إليه)، ثم وليها عنه (عيسىٰ الجَلُودىّ) فى سنة ثلاثَ عشرةَ ومائتين، ثم وليها عنه (عمرو بن الوليد التميمىّ) فى سنة أربعَ عشرةَ ومائتين، ثم وليها عنه (عيسىٰ الجَلُودىُّ) ثانيا فى آخر السنة المذكورة، ثم وليها عنه (عبدويه بن جَبَلَةَ) فى سنة خمسَ عشرةَ ومائتين، ثم وليها عنه (عيسىٰ بن منصور) مولىٰ بنى نصر فى سنة ستَّ عشرةَ ومائتين .

(وفى هذه السنة دخل المأمون مصرَ وفتح الهَرَم) .

ثم وليها عن المعتصم بالله (١) المسعودىّ فى أوّل سنة تسعَ عشرةَ ومائتين،

---

(١) بياض فى الأصل، والذى فى المسعودىّ أن خلافة المعتصم كانت فى سنة تسع عشرة ومائتين، وفى المقريزىّ أنه ولى علىٰ مصر فى هذا التاريخ (كيدر) ومات كيدر فى ربيع الآخر من السنة المذكورة، فولى ٱبنه (المظفر) بٱستخلاف أبيه .

ثم وليها عنه (المظفَّر بن كيدر) فى وسط السنة المذكورة أشهرا قلائل ، ثم وليها عنه (أبو العباس الحمق) فى آخر السـنة المذكورة ، ثم وليها عنه (مبارَكُ بن كيدر) فى سنة أربع وعشرين ومائتين ، ثم وليها عنه (علىّ بن يحيىٰ) فى سنة ست وعشرين ومائتين .

ثم وليهـا عن الواثق بالله (عيسىٰ بن منصور الجُلُودى) ثالث مرة فى سـنة تسع وعشرين ومائتين ، ثم وليها عنه (علىٍّ[1] بن يحيىٰ) ثانيا فى سنة أربع وثلاثين ومائتين ، ثم وليها عنه (إسحاق الجبلى) فى سنة خمس وثلاثين ومائتين ، ثم وليها عنه (خُزَاعة) فى سنة ست وثلاثين ومائتين ، ثم وليها عنه (عقبة الضَّبىّ) فى سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، ثم وليها عنه (يزيد بن عبد الله) فى سنة آثنتين وأربعين ومائتين ، وأقرّه عليها بعده المنتصر بالله ، ثم المستعين بالله .

ثم وليها عن المستعين بالله (مُزاحِم بن خاقان) فى سـنة ثلاث وخمسين ومائتين ، ثم وليها عنه (أحمد بن مُزَاحِم) فى سنة أربع وخمسين ومائتين وأقره عليها المهتدى بالله .

الضرب الثانى

(من وليها مُلْكا ، وهم علىٰ أربع طبقات)

الطبقـــة الأُولىٰ

(من وليها عن بنى العبَّاس قبْل دولة الفاطميين)

وأولهم (أحمدُ بن طولون) وليها عن المعتمد فى سنة ست وستين ومائتين وعَمر بها جامعَه المتقدّم ذكرُه فى خِطَط الفُسْطاط ، وفى أيامه عظُمت نيابةُ مصر وشَمَخَتْ إلىٰ المُلْك (وهو أوّل من جلَب المماليك الترك إلىٰ الديار المصرية وآستخدمهم فى عسكرها) .

(١) مقتضاه أن المذكور ولى عن الواثق فى هذا التاريخ مع أن خلافة الواثق كانت سنة سبع وعشرين ومائتين ووفاته كانت فى سنة آثنتين وثلاثين ومائتين ، فالمذكور كان عن المتوكل فلعل الصواب ثم وليها عن المتوكل فتأمل .

وأقرّه المعتضد بالله بعد المعتمد، وبقى بها حتى مات فوليها عن المعتضد (خُمارويْه بن أحمد بن طولون) فى أوّل سنة آثنتين وثمانين ومائتين، وقتله جُنْدُه فى السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (جَيْش بن خُمارويه) فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتله جندُه فى السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (هرون بن خمارويه) فى آخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتل فى سنة آثنتين وتسعين .

ثم وليها عن المكتفى بالله (شَيْبانُ بن أحمد بن طولون) فى سنة آثنتين وتسعين ومائتين فبقِىَ آثنَىْ عشر يوما وعُزِل ؛ ثم وليها عنه (محمد بن سليمان الواثقِىّ) فى آخر سنة آثنتين وتسعين ومائتين ؛ ثم وليها عنه أو عن المقتدر بالله (عيسى النوشرى) فى سنة خمس وتسعين ومائتين .

ثم وليها عن المقتدر بالله (أبو منصور تِكين) فى سنة سبع وتسعين ومائتين وعُزِل ؛ ثم وليها عنه (أبو الحسن) فى سنة ثلاث وثلثمائة وعزل ؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تكين) ثانيا سنة سبع وثلثمائة وعزل ؛ ثم وليها عنه (هلالٌ) سنة تسع وثلثمائة ؛ ثم وليها عنه (أحمدُ بن كِيغَلَغ) فى سنة إحدى عشرة وثلثمائة ؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تكين) ثالث مرة فى السنة المذكورة .

ثم وليها عن القاهر بالله (محمدُ بنُ طُغج) فى سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ؛ ثم وليها عنه (أحمد بن كِيغَلَغ) ثانيا فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة . وأقره عليها المكتفِى ثم المستكفى بالله بعده .

ثم وليها عن المُطِيع لله (أبو القاسم الاخشيد) فى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ؛ ثم وليها عنه (علىّ بن الأخشيد) سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ؛ ثم وليها عنه (كافور الأخشيدى) الخادم فى سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وكان يحب العلماء والفقهاء ، ويكرمهم ، ويتعاهدهم بالنَّفَقات ، ويكثر الصدقات حتى آستغنى الناس فى أيامه ، ولم يجد أربابُ

الأموال من يقبـل منهم الزكاةَ فرفعوا أمر ذلك إليه فأمرهم أن يبْتَنُوا بها المساجدَ ويتخذوا لهـا الأوقافَ ففعلوا ؛ ثم وليها عنه (أحمدُ بن علىّ الأخشيد) فى سنة سبع وخمسين وثلثمائة، وهو آخر من وليها من العُمَّال عن خلفاء بنى العباس بالعراق .

الطبقة الثـانيـــة

(من وليها من الخلفاء الفاطميين المعروفين بالعُبَيديين)

أوّل من وليها منهم (المُعِزُّ لدين الله أبو تميم مَعَدُّ بن تميم بن إسمـاعيل بن محمد بن عبيدالله المهدىّ) وإليه ينسبون، جهز إليها قائده : جَوْهَرا من بلاد المغرب إلى الديار المصرية ففتحها فى شـعبان سنة ثمـان وخمسين وثلثمائة على ما تقدّم فى الكلام على قواعد الديار المصرية وآنقطعت الخُطْبة العباسية منها؛ ورحل المعزُّ من المغرب إلى مصر فوصل إليها ودخل قصرَه بالقاهرة فى سابع رمضان سنة آثنتين وستين وثلثمائة وصارت مصر والمغرب مملكةً واحدة وبلاد المغرب نيـابة من مصر، وتُوفّى ثالث ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة .

ثم ولى بعده آبنه (العزيزُ بالله أبو المنصور) يوم وفاة أبيه، وإليه ينسب الجامع العزيزىّ بمدينة بِلْبِيس، وتُوفّى بالحَمَّام فى بِلْبِيس ثامنَ رمضان المعظَّم قدرُه سنة ست وثمـانين وثلثمائة .

ثم ولى بعده آبنه (الحاكمُ بأمر الله أبو علىّ المنصور) ليلةَ وفاة أبيه، وبنى الجامع الحاكمىّ فى سنة تسع وثمانين وثلثمائة، وهو يومئذ خارجَ سو رِ القاهرة، وفارق مصر وخرج إلى الجبـل المقطم فوُجدتْ ثيابُه مُزَرَّرة الأطواق وفيها آثار السكاكين ولا جُثَّة فيها، وذلك فى سلخ شوّال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ولم يُشَكّ فى قتله . والدُّرْزِيَّة من المبتدعة يعتقدون أنه حىّ وأنه سيرجع ويعود على ما سيأتى فى الكلام على أيمـانهم وتحليفهم إن شاء الله تعالى .

ثم ولى بعده آبنه (الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علىّ) وبقى حتّى توفى 134
فى شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

ثم ولى بعده آبنه (المستنصر بالله أبو تميم معَدٌّ) بعد وفاة أبيه . وفى أيامه جُدّد سُور القاهرة الكبير فى سنة ثمانين وأربعمائة . وتوفى فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة . وفى أيامه كان الغلاء الذى لم يعهد مثله ، مكث سبع سنين حتّى خَرِبتْ مصرُ، ولم يبق بها إلا صُبَابَة من الناس على ماتقدّم فى سياقة الكلام على زيادة النيل .

ثم ولى بعده آبنه (المستعلى بالله) أبوالقاسم أحمدُ يوم وفاة أبيه . وتوفّى لسبعَ عشرةَ ليلةً خلت من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

ثم ولى بعده (الآمر بأحكام الله أبو علىّ المنصور) فى يوم وفاة المستعلى ، وقتل بجزيرة مصر فى الثالث من ذى القَعدة سنةَ خمس وعشرين وخمسمائة .

ثم ولى بعده آبنُ عمه (الحافظُ لدين الله أبو الميمونِ عبدُالحميد بنُ الآمر أبى القاسم محمدٍ) يوم وفاة الآمر . وتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

ثم ولى بعده (الظافر بأمرالله إسماعيل) رابعَ جمادى الآخرة سنةَ أربعين وخمسمائة .

ثم ولى بعده آبنه (الفائزبنصر الله أبو القاسم عيسىٰ) صبيحةَ وفاة أبيه . وتوفى فى سابع عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

ثم ولى بعده (آبنه العاضدُ لدين الله أبومحمد عبدُالله بن يوسف) يوم وفاة الفائز . وتوفّى يومَ عاشوراء سنة أربع وستين وخمسمائة بعد أن قطع السلطانُ صلاح الدين خُطْبته بالديار المصرية وخطب للخلفاء العبّاسيين ببغداد قبل موته ، وهو آخر من ولى منهم .

الطبقـــة الثـالثة
(ملوك بنى أيُّوبَ)

وهم وإن كانوا يدينون بطاعة خلفاء بنى العبَّاس فهم ملوكٌ مستقلُّون، وفى دولتهم زاد آرتفاع قدرِ مصرَ ومُلْكِها .

أوّل من ملك مصر منهم الملك الناصرُ (صلاحُ الدين يوسفُ بنُ أيوبَ) كان الملك العـادلُ نورُ الدين محمودُ بن زنكى صاحبُ الشام رحمه الله قد جهَّزه صحبـةَ عمه : أسدِ الدين شيركوه إلى الديار المصرية حين آستغاث به أهـلُ مصر فى زمن العاضد الفاطمىّ المتقدّم ذكره لغلبة الفرنج عليهم ثلاثَ مرّات آنتهى الحـالُ فى آخرها إلى أنّ السلطان صـلاح الدين وثب على شاور وزير العاضد المذكور فقتـله وتقلد عمُّه أسدُ الدين شيركوه الوزارة مكانَهُ عن العاضد،وكُتبَ له بذلك عهدٌ من إنشاء القاضى الفاضل ،فأقام فيها مدّة قريبة ومات،ففوّض العاضد الوزارة مكانَهُ للسلطان صلاح الدين،وكتب له عهدٌ من إنشاء القاضى الفاضل أيضا،وبقى فى الوزارة حتى ضعُف العاضد وطال ضعفُه فقطع السلطان صلاح الدين الخطبةَ للعاضد، وخطب للخليفة العباسىّ ببغداد بأمر الملك العادل صاحب الشام . ثم مات العاضد عن قريب فاستقلَّ الســلطان صلاح الدين بالسلطنة بمصر وقَوِى جأشُـه ، وثبتت فى الدولة قدمه . وتوفى بدِمَشْقَ فى ســنة تسع وثمـانين وخمسمائة ؛ وكانت مدّة ملكه بالديار المصرية أربعا وعشرين سنة وملكه الشام تسعَ عشرةَ سنة؛ ثم ملك بعده مصر آبنُه (الملكُ العزيز) وملك معها دمشقَ وسلَّمها إلى عمه العادل أبى بكر فى سنة آثنتين وتسعين وخمسمائة، وتفرّقت بقية الممالك الشامية بيد بنى عمه من بنى أيوب .

ملكَ مصرَ والشامَ جميعا فى ربيع الأوّل سنة ست وتسـعين وخمسمائة ؛ وتوفى بدمشق سنة خمس عشرة وستمائة .

ثم ملك بعده آبنُه (الملكُ الكامل) عقيبَ وفاة أبيه المذكور، وهو أوّل من سكن قَلْعَةَ الجبل بعد قصر الفاطميين بالقاهرة علىٰ ماتقدّم ذكره فى الكلام علىٰ القلعة، وآستمرّ فى ذلك عشرين سنة، وفتح حَرَّان وديارَ بكرٍ، وكان الفرنج قد آستعادوا بعض ما فتحه السلطان صلاحُ الدين من ساحل الشام، وكتب الهُدْنَةَ بينه وبين الفرنج فى سنة ست وعشرين وستمائة علىٰ أن يكون بأيدى الفِرنج القلاعُ والنواحى التى ملكوها بعد فتح السلطان صلاح الدين، وهى جبلة، وبيروت، وصِيدا، وقلعة الشقيف، وقلعة تِبنين، وقلعة هونين، وإسكندرونة، وقلعة صَفَد، وقلعة الطور والجون، وقلعة كَوْكَب، ومجدل يافا[1] ولُدّ، والرملة، وعسقلان، وبيت جِبْريل، والقُدْس وأعمال ذلك ومضافاته. وبنىٰ مدرسته الكاملِيَّةَ بين القصرين المعروفة بدار الحديث، وتوفى بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمائة. 136

ثم ملك بعده آبنه (الملك العادل أبو بكر) وقبض عليه فى العشر الأوسط من ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ثم ملك بعده أخوه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل فى أوائل سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

ثم ملك بعده آبنُه الملكُ المعظم (تُوران شاه) وهو الذى كسر الفرنج علىٰ المنصورة فى المحرّم سنة ثمان وأربعين وستمائة، وقتل فى الثامن والعشرين من المحرّم المذكور.

ثم ملك بعده أمُّ خليل (شجرةُ الدُّرّ) فى صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة، فأقامت ثمانية أشهر، ولم يملك مصر فى الإسلام آمرأةٌ غيرها.

ثم ملك بعدها الملكُ الأشرف (موسىٰ بن الناصر يوسف بن المسعود بن الكامل آبن العادل أبى بكر بن أيوب) فى شوّال سنة ثمان وأربعين وستمائة وخلع نفسه وهو آخر الملوك الأيوبية بالديار المصرية.

(١) سيأتى له فى الجزء الرابع هكذا ‘‘مجداليا با’’

الطبقة الرابعـــة

(ملوك التُّرك خلّد الله تعالىٰ دولتهم)

أوّل من ملكها منهم (الملكُ المُعِزُّ أيبك التركمانى) بعد خلع الأشرف موسىٰ : آخر ملوك الأيوبية فى شوّال سنة ثمان وأربعين وستمائة، وجُمِع له بين مصر والشام، وآستمرّ الجمع بينهما إلىٰ الآن، وبنىٰ المدرسة المُعِزِّية برحبة الحَرُوب بالفُسْطاط، وتزوج بأم خليل المقدم ذكرها، وقتل بحمّام القلعة فى سنة أربع وخمسين وستمائة .

ثم ملك بعده آبنُه (الملك المنصور علىّ) عقيبَ وفاة والده المذكور. وقُتِلتْ أمّ خليل المذكورة، ورميت من سُور القلعة، وقُبِض علىٰ المظَفَّر(١) سنة سبع وخمسين وستمائة .

ثم ملك بعده الملك (المظفر قُطُز) وكان المَصافُّ بينه وبين التتار علىٰ عَيْن جالوتَ بعد أن آستوْلَوْا علىٰ جميع الشام فى رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة، وكسرهم أشدّ كسرة وآستقلع الشام منهم، وبقى حتّىٰ قتل فى مُنصرَفه بطريق الشام وهو عائد منه بالقرب من قصير الصالحية علىٰ أثر ذلك فى السنة المذكورة .

ثم ملك بعده الملك (الظاهر بيبرس) البُنْدقدارىّ فى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وأخذ فى جهاد الفرنج وآستعادة ما آرتجعوه من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وغير ذلك ففتح البِيرةَ فى سنة تسع وخمسين وستمائة والكَرَك فى سنة إحدىٰ وستين، وحِمْص فى آخر سنة آثنتين وستين وستمائة، وقَيْسارِيّةَ وأرْسُوف فى سنة ثلاث وستين، وصَـفَد فى سنة أربع وستين، ويافا والشَّقِيف، وأنطاكِيَةَ فى سنة ست وستين، وحِصْن الأكراد وعَكَّا وصافِيتا فى سنة تسع وستين، وكَسَر التَّتارَ علىٰ البِيرة بعد أن عدّى الفُرات خوضا بعساكره فى سنة إحدىٰ وسبعين، وفتح قلاعا من بلاد سيس فى سنة ثلاث وسبعين، ودخل بلاد الروم، وجلس علىٰ

(١) لعل مراده الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر شريك المعز فى السلطنة . وآنظر المقام فى خطط المقريزى (ج ٢ ص ٢٣٧) .

كرسى بنى سَلْجُوق بقَيْسارِيَّة الروم، ورجع إلى دمشق فى آخر سنة خمس وسبعين. وتُوُفِّىَ بدمشق فى المحرّم سنة ست وسبعين وستمائة، وبنى مدرسته الظاهرية بين القَصْرين.

وملك بعده آبنُه (الملك السعيد بَرَكَةُ) فى صفر سنة ست وسبعين وستمائة، وخُلِع وسُيِّر إلى الكرك.

وملك بعده أخوه (الملك العادل سلامش) فى ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وستمائة، وبقى أربعة أشهر ثم خلع.

وملك بعده (الملك المنصور قلاوون الصالحىّ) الشهير بالألفىّ فى رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة، وسمى الألفىّ لأن آقْسُنْقُر الكاملىّ كان قد آشتراه بألف دينار، وفتح حصن المَرْقَب بالشام فى تاسع عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وستمائة، وفتح طَرَابُلُس فى ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وستمائة، وهو الذى بنى البيمارستان المنصورىَّ والمدرسةَ المنصوريةَ والقبةَ اللتين داخل البيمارستان بين القَصْرين. وتُوُفِّىَ بظاهر القاهرة المحروسة، وهو قاصد الغزو فى ذى القَعدة سنة تسع وثمانين وستمائة ودفن بتربته بالقبة المنصورية داخل البيمارستان المتقدّم ذكره.

وملك بعده آبنُه (الملك الأشرفُ خليلٌ) صبيحةَ وفاة أبيه وأخذ فى الغزو ففتح عَكَّا وصُور، وصَيْدا، وبَيْروت، وعَثْلِيث، والساحل جميعه، وآقتلعه من الفرنج فى رجب سنة تسعين وستمائة. وقتل فى متصيَّده بالبحيرة فى العشر الأوسط من المحرّم سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وهو الذى عَمَّر المدرسة الأشرفية بالقرب من المشهد النفيسىّ.

ثم ملك بعده (الملك المعظم بيدرا) وخلع من يومه.

وملك بعده (الملك الناصر محمدُ بن قلاوون) فى صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وهى سلطنته الأولى. وخُلع بعد ذلك وبعث به إلى الكرك فحُبِس بها.

وملك بعده (الملك العادل كتبغا) عقب خلعه، ووقع فى أيامه غلاء شديد وفناء عظيم؛ ثم خلع فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة، وتولى بعد ذلك نيابة صَرْخَد ثم حَمَاة، وبقى حتى توفى بعد ذلك؛ وهو الذى ابتدأ عمارة المدرسة المعروفة بالناصرية بين القصرين وأكمل بناءها الناصرُ محمد بن قلاوون فنسبت إليه.

وملك بعده (الملك المنصور حسام الدين لاجين) فى الخامس والعشرين من صفر المذكور (١) فجدّد الجامع الطُّولونىّ وعمل الروك الحُسَامىّ فى رجب الفرد سنة سبع وتسعين وستمائة، وقتل فى الحادى عشر من شوّال (٢) من السنة المذكورة، وبقى الأمر شُورىٰ مدّة يسيرة، ثم حضر الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وأعيد إلى السلطنة فى حادى عشر شوّال من السنة المذكورة.

وملك بعده (الملك المظفر بيبَرْسُ الجاشنكير) فى الثالث والعشرين من شوّال المذكور وخلع فى التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة، وهو الذى عمر الخانقاه الرُّكْنِيَّة بيبرس داخل باب النصر مكان دار الوزارة بالدولة الفاطمية، وجدّد الجامع الحاكمى.

وملك بعده (الملك الناصر محمدُ بن قلاوون) فى مستهل شوّال من السنة المذكورة، وهى سلطنته الثالثة. وفيها طالت مدّته وقوى ملكه، وعمل الروك الناصرىّ فى سنة ست عشرة وسبعمائة، وبنى مدرسته الناصرية بين القصرين، وبقى حتى توفى فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدىٰ وأربعين وسبعمائة، ودفن بتربة والده.

ثم ملك بعده ابنه الملك المنصورُ أبو بكر عقب وفاة والده، وخلع تاسع عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة.

---

(١) أى سنة ست وتسعين وستمائة.

(٢) فى المقريزى "من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة" وان تولية ابن قلاوون المرة الثانية فى السادس من جمادىٰ الأولىٰ من السنة المذكورة وبقى إلىٰ الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان وسبعمائة ثم ولى المظفر فى التاريخ المذكور. [وبملاحظة ذلك يستقيم الكلام ويعلم ما فى الأصل].

ثم ملك بعده أخوه (الملكُ الأشرفُ كُجُك) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع أخيه المنصور المذكور، وخلع فى التاسع والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة .

ثم ملك بعده أخوه (الملكُ الناصرُ أحمدُ) بن الناصر محمد بن قلاوون بعد أن أُحْضِر من الكرك، وآستمرّ فى السلطنة حتّى خلع نفسَه فى أوائل المحرّم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالحُ إسماعيلُ) بن الناصر محمد بن قلاوون فى العشرين من المحرّم المذكور، وبقى حتّى توفى فى رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة.

وملك بعده(١) أخوه (الملكُ المُظَفَّرُ حاجّى) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع أخيه الكامل شعبان، وبقى حتّى خلع فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وقتل من يومه .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حَسَنُ) بن الناصر محمد بن قلاوون فى رابع عشر شهر رمضان المذكور، وخلع فى التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة آثنتين وخمسين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالحُ صالحُ) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع أخيه الناصر حسن، وبقى حتّى خلع فى ثانى شوّال سنة خمس وخمسين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حسن) المتقدّم ذكره مرة ثانية يوم خلع أخيه الصالح صالح، وبقى حتّى خلع وقُتِل فى عاشر جمادى الأولى سنة آثنتين وستين وسبعمائة، وبنى مدرستَه المعظمةَ تحت القلعة التى ليس لها نظير فى الدنيا، وفى أيامه ضربت الفلوس الجُدُد على ماسيأتى ذكره، وهو آخر من ملك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون لصُلْبه .

---

(١) سقط من قلم الناسخ الكامل شعبان فانه تولّى بعد أخيه الصالح إسماعيل ومكث سنة واحدة وثمانية وخمسين يوما ثم خلع كما تشير اليه بقية العبارة .

وملك بعده آبن أخيه (الملكُ المنصورُ محمدُ) بن المظفر حاجّى بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع عمه النـاصر حسن، وبقى حتّى خلع فى خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة .

وملك بعده آبن عمه (الملك الأشرف شعبان) بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع المنصور المتقدّم ذكره وهو طفل، وبقى حتّى كمل سلطانه وبنى مدرسته بأعلى الصوّة تحت القلعة ولم يتمها، وحج فخرج عليه مماليكه فى عَقَبة أَيْلَةَ ففرّ منهم وعاد إلى القاهرة فقُبِض عليه وقتل فى ثالث ذى القعدة الحرام سنة ثمـان وسبعين وسبعمائة، وفى أيامه فتحت مدينة سِيس وآقتُلعت من الأرمن على ما سيأتى ذكره فى الكلام على أعمال حَلَب .

وملك بعده آبنه (الملك المنصور علىّ) يوم خلع أبيه وهو طفل، فبقى حتّى توفى فى الثالث والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة .

وملك بعده أخوه (الملك الصالح حاجّى) بن شعبان بن حسين يوم وفاة أخيه، وبقى حتّى خُلِـعَ فى العشر الأوسط من رمضان سنة أربع وثمـانين وسبعمائة .

وملك بعده (الملك الظاهر برقوق) فعظُم أمره، وآرتفع صِيتُه، وشاع ذكره فى الممالك وهابَتْه الملوك وهادَتْه، وساس المُلْكَ أحسن سياسة، وبقى حتّى خلع وبُعِثَ به إلى السجن بالكرك فى شهر رجب أو جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وملك بعده (الملك المنصور حاجّى) بن شعبان، وهو الملقب أوّلا بالصالح حاجّى وهى سـلطنته الثانية، وبقى حتّى عاد الملك الظاهر برقوق المتقدّم ذكره فى سـنة [آثنتين] (١) وتسـعين وسبعمائة، فزاد فى التيه وضخامة الملك، وبلغ شأْوا لم يبلغه غيره من غالب متقدّمى الملوك، وبقى حتّى توفى فى منتصف شوّال المبارك سـنة إحدى وثمـانمـائة .

(١) الزيادة عن المقريزى .

وملك بعده آبنه (الناصر فرج) وسِنُّهُ إحدىٰ عشرة سنة بعَهْدٍ من أبيه، وقام بتدبير أمره أمراءُ دولته، فبقي حتّٰى تغير عليه بعضُ مماليكه وبعضُ أمرائه، وحضر المماليك بالقلعة، فنزل منها مختفيا علىٰ حين غفلة فى السادس والعشرين من ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة، ولم يعلم لآبتداء أمره أين توجه .

ثم ملك بعده أخوه (الملك المنصور عبد العزيز) فى التاريخ المذكور .

ثم ظهر أن السلطان الملك الناصر فرجا كان مختفيا فى بعض أماكن القاهرة، فركب فى ليلة السادس من شهر جمادىٰ الآخرة سنة ثمان وثمانمائة، ومعه جماعة من الأمراء ومماليكه، وخرج الأمراء للقيام بنُصْرة أخيه عبد العزيز فطلع عليهم السلطان فرجٌ، ومَنْ معه فولَّوْا هاربين، وطلع السلطان الملك الناصر القلعةَ فى صبيحة النهار المذكور وآستقر علىٰ عادته، وبقى فى السلطنة حتّٰى توجه إلىٰ الشام لقتال الأمير شيخ والأمير نوروز نائبى دِمَشْقَ وحَلَبَ، ومعه الإمام (المستعينُ بالله أبو الفضل العباسُ) بنُ المتوكل محمد خليفة العصر، ودخل دِمَشْق وحُصِرَ بقلعتها حتّٰى قبض عليه فى ثانى عشر ربيع الأول سنة خمس عشرة وثمانمائة، وآستبدّ الإمام المستعينُ بالله بالأمر من غير سلطان، ورجع إليه ما كان يتعاطاه السلطان من العَلَامة علىٰ المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمناشير وغيرها، وأفرد آسمه فى السكة علىٰ الدنانير والدراهم، وأفرد بالدعاء فى الخطبة علىٰ المنابر، ثم عاد إلىٰ الديار المصرية فى أوائل ربيع الآخر من السنة المذكورة، وسكن الآدُرَ السلطانيةَ بالقلعة، وقام بتدبير دولته الأميرُ شيخ المقدّم ذكره وسكن الإصطبلات السلطانية بالقلعة وفوّض إليه الإمام المستعين بالله ماوراء سرير الخلافة، وكتب له تفويض بذلك فى قِطْع كبير، عرضُه ذراع ونصف بزيادة نصف ذراع عما يُكْتب به للسلاطين . إلا أنه لم يصرح له فيه بسلطنة ولا إمارة، بل كتب له بدل الأميرى الآمرى بإسقاط الياء علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ عهود الملوك إن شاء الله تعالىٰ .

الفصل الرابع

من الباب الثالث من المقالة الثانية

(فى ذكر ترتيب أحوال الديار المصرية، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأوّل

(فى ذكر معاملاتها ، وفيه ثلاثة أركان)

الركن الأوّل

(الأثمان، وهى على ثلاثة أنواع)

النوع الأوّل

(الدنانير المسكوكة مما يضرب بالديار المصرية، أو يأتى إليها من المسكوك فى غيرها من الممالك ، وهى ضربان)

الضرب الأوّل

(مايتعامل به وزنا كالذهب المصرى ومافى معناه)

والعبرة فى وزنها بالمثاقيل ، وضابطها أن كلَّ سبعة مثاقيلَ زنتُها عشرة دراهمَ من الدراهم الآتى ذكرها، والمثقال معتبر بأربعة وعشرين قيراطا، وقدر بثنتين وسبعين حبةَ شعير من الشعير الوَسَط باتفاق العلماء، خلافا لابن حزم فإنه قدره بأربع وثمانين حبةً، على أن المثقال لم يتغير وزنه فى جاهلية ولا إسلام . 143

قلت : وقد كان الأمير صلاح الدين بن عرام فى الدولة الأشرفيـة شعبان بن حسين بعد السبعين والسبعمائة ضرب بالإسْكَنْدَرِيَّة، وهو نائب السلطنة بها يومئذ، دنانيرَ زِنَةُ كل دينار منها مثقالٌ، على أحد الوجهين منه "محمد رسول الله" وعلى الوجه الآخر "ضرب بالإسْكَنْدَرِيَّة فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عز نَصْرُه"، ثم أمسك

عن ذلك فلم تكثر هـذه الدنانير ولم تشتهر، ثم ضرب الأمير يلبغا السالمىّ أستادار العالية فى الدولة الناصرية فرج بن برقوق دنانيرَ زنة كل واحد منها مثقال، فى وسط سكته دائرةٌ فيها مكتوب "فرج" وربما كان منها مازنته مثقال ونصف أو مثقالان، وربما كان نصف مثقال أو ربع مثقال . إلا أن الغالب فيها نقص أوزانها، وكأنهم جعلوا نقصها فى نظير كُلْفة ضَرْبها .

الضرب الثانى
(ما يتعامـل به مُعَادَّةً)

وهى دنانير يؤتىٰ بها من بلاد الإفرنجة والروم ، معلومةُ الأوزان، كلُّ دينار منها معتبر بتسـعةَ عشرَ قيراطا ونصفِ قيراط من المصرى، واعتباره بِصَنْجِ الفِضَّة المصرية كل دينار زنة درهم وحبتى خُرُّوبٍ يَرْجَحُ قليلا ،وهذه الدنانير مُشَخَّصة علىٰ أحد وجهيها صورةُ الملك الذى تُضْرَب فى زمنه ، وعلىٰ الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس الحوارِيَّيْنِ اللذين بعث بهما المسيح عليـه السلام إلىٰ رُومِيَةَ ، ويعبر عنها بالإفْرنْتِيَّةِ جمع إفْرِنْتىٍّ ، وأصـله إفرنسىّ بسين مهملة بدل التاء المثناة فوق نسبة إلىٰ إفرنسة : مدينة من مُدُنهم ، وربمـا قيل فيها إفرنجة ، وإليها تنسب طائفة الفِرنْج، 144
وهى مقرّة الفرنسيس مَلِكهم ، ويعبر عنه(١) أيضا بالدوكات . وهذا الاسم فى الحقيقة لايطلق عليه إلا إذا كان ضرب البُنْدُقِيَّة من الفرنجة ، وذلك أن الملك اسمه عندهم دوك ، وكأن الألفَ والتاء فى الآخر قائمان مقام ياء النسب .

قلت : ثم ضرب النـاصر فرج بن بَرْقوق دنانيرَ علىٰ زنة الدنانير الإفرنتيـة المتقدّمة الذكر ، فى أحد الوجهين "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وفى الآخر اسم السلطان ،وفى وسطه سَفَطٌ مستطيل بين خطين ،وعرفت بالناصرية وكثر وُجْدانُها،

---

(١) أى عن الدينار من تلك الدنانير .

وصار بها أكثر المعاملات . إلا أنهم يَنْقُصُونها فى الأثمان عن الدنانير الإفرنتية عشرةَ دراهم .

ثم ضَرب على نظيرها "الإمام المستعينُ بالله أبو الفضل(١) العباس" حين آستبدّ بالأمر بعد الناصر فرج، ولم يتغير فيها غير السِّكّة، باعتبار آنتقالها من آسم السلطان إلى آسم أمير المؤمنين .

ثم صَرْفُ الذهب بالديار المِصرية لا يثبت على حالة بل يعلو تارة ويَهبِط أخرى بحسب ماتقتضيه الحال، وغالب ما كان عليه صرف الدينار المصرىّ فيما أدركناه فى التسعين والسبعمائة وماحولها عشرون درهما، والإفرنتىّ سبعةَ عشرَ درهما وماقارب ذلك أما الآن فقد زاد وخرج عن الحدّ خصوصا فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، وإن كان فى الدولة الظاهرية بيبرس قد بلغ المصرىُّ ثمانية وعشرين درهما ونصفا فيما رأيته فى بعض التواريخ .

أما الدينار الجَيْشىّ، فمسمًّى لاحقيقة، وإنما يستعمله أهل ديوان الجَيْش فى عبرة الإقطاعات بأن يجعلوا لكل إقطاع عبرةَ دنانير معينة من قليل أوكثير، وربما أخليت بعض الإقطاعات من العِبْرة . على أنه لا طائل تحتها ولا فائدة فى تعيينها، فربما كان متحصَّل مائة دينار فى إقطاع أكثرَ من متحصَّل مائتى دينار فأكثر فى إقطاع آخر . على أن صاحب "قوانين الدواوين" قد ذكر الدينار الجيشىّ فى الإقطاعات على طبقات مختلفة فى عبرة الإقطاعات، فالأجناد من التُّرك والأكراد والتركمان دينارهم دينارٌ كامل، والكنانية والعَسَاقلة ومن يجرى مجراهم دينارُهم نصف دينار، والعُرْبان فى الغالب دينارهم ثُمُنُ دينار، وفى عُرْف الناس ثلاثة عشر درهما وثلث، وكأنه على ما كان عليه الحال من قيمة الذهب عند ترتيب الجيش فى الزمن

(١) كذا فى "حياة الحيوان" أيضا وفى "مروج الذهب" أبو العباس كما سبق للمؤلف فى الخلفاء العباسيين .

القديم، فإن صرفَ الذهب فى الزمن الأوّل كان قريبا من هذا المعنىٰ، ولذلك جعلت الدية عند مَنْ قدرها بالنَّقد من الفقهاء ألفَ دينار وآثنى عشر ألف درهم ، فيكون عن كل دينار آثنا عشر درهما، وهو صرفه يومئذ .

النوع الثـانى
(الدراهـم النُّقْـرة)

وأصل موضوعها أن يكون ثُلُثاها من فضة وثلثها من نحاس، وتُطْبع بدور الضرب بالسِّكة السلطانية علىٰ نحو ما تقدّم فى الدنانير، ويكون منها دراهمُ صحاحٌ وقُراضات مكسرة علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ دار الضرب فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

والعبرة فى وزنها بالدرهم، وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطا، وقُدِّر بستَّ عشرةَ حبةً من حب الخرّوب، فتكون كل خَرُّوبَتَيْنِ ثُمُنَ درهم، وهى أربع حبات من حب البُرّ المعتدل، والدرهم من الدينار نصفه وخمسه، وإن شئت قلت سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم .

أما الدراهم السَّوْداء، فأسماءٌ علىٰ غير مسمَّيات كالدنانير الجَيْشية، وكل درهم منها معتـبر فى العرف بثلث درهم نُقْرة ، وبالإسكندرية دراهم سوداء يأتى الكلام عليها فى معاملة الإسْكَنْدَريَّة إن شاء الله تعالىٰ .

النوع الثـالث
(الفُلُوس، وهى صنفان : مطبوع بالسكة، وغير مطبوع)

فأما المطبوع فكان فى الزمن الأوّل إلىٰ أواخر الدولة النـاصرية حسن بن محمد آبن قلاوون فلوس لِطَاف، يعتبر كل ثمانية وأربعين فَلْسًا منها بدرهم من النُّقْرة علىٰ آختلاف السكة فيها، ثم أُحدِث فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة فى سلطنة حسن أيضا

فلوس شهرت بالجُدُد جمع جَدِيد، زِنَةُ كل فَلْسٍ منها مثقالٌ، وكل فلس منها قيراطٌ من الدرهم، مطبوعةٌ بالسكة السلطانية علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ دار الضرب إن شاء الله تعالىٰ، فجاءت فى نهاية الحُسْن، وبطل ما عداها من الفُلُوس، وهى أكثر ما يتعامل به أهلُ زماننا. إلا أنها فسد قانونها فى تنقيصها فى الوزن عن المثقال حتّٰى صار فيها ما هو دون الدرهم، وصار تكوينها غير مستدير، وكانت توزن بالقَبَّان كلُّ مائة وثمانية عشر رطلا بالمصرىّ بمبلغ خَمْسِمائة درهم، ثم أَخذت فى التناقص لصغر الفلوس ونقص أوزانها حتّٰى صار كل مائة وأحد عشر رطلا بمبلغ خمسمائة. قلت: ثم آستقرّ الحال فيها(١) علىٰ أنه لو جعل كل أوقية فما دونها بدرهم، لكان حسنا بآعتبار غلوّ النُّحاس وقلة الواصل منه إلىٰ الديار المصرية، وحَمَل التجار الفلوسَ المضروبةَ من الديار المصرية إلىٰ الحجاز واليمن وغيرهما من الأقاليم متجرا، ويوشك إن دام هذا أن تَنْفَد الفلوسُ من الديار المصرية، ولا يوجد ما يتعامل به الناس.

وأما غير المطبوعة فنُحَاسٌ مكسر من الأحمر والأصفر، ويعبر عنها بالعتق، وكانت فى الزمن الأوّل كل زِنَة رطل منها بالمصرىّ بدرهمين من النُّقْرة، فلما عُمِلت الفلوس الجُدُد المتقدّمة الذكر، آستقرّ كل رِطل منها بدرهم ونصف، وهى علىٰ ذلك إلىٰ الآن.

قلت: ثم نَفِدت هذه الفلوس من الديار المصرية لغلوّ النحاس، وصار مهما وجد من النحاس المكسور خلط بالفلوس الجُدُد وراج معها علىٰ مثل وزنها.

---

(١) لعل الأوضح ثم آستقر الحال فيها علىٰ ذلك علىٰ أنه الخ تأمل.

الركن الثانى

(فى المُثَمَّنات ، وهى على ثلاثة أنواع)

النــوع الأوّل

(المــوزونات)

ورطلها الذى يعتبر بوزنه فى حاضرتها من القاهرة والفُسْطاط وما قاربهما الرطلُ المصرىّ ، وهو مائة وأربعة وأربعون درهما ، وأُوقيته آثنا عشر درهما ، وعنه يتفرّع القِنْطَارُ المصرىّ ، وهو مائة رطل ؛ وتعتـبر أوزان الطيب بها بالمنّ ، وهو مائتان وستون درهما ، وأواقيه ست وعشرون أوقيّة ، فتكون أوقيته عشرةَ دراهم .

النــوع الثانى

(المَكِيلات من الحبوب ونحوها)

وآعلم أن بمصر أقداحا مختلفةَ المقادير أيضا كالأرطال بحسبه (١) ، ولكل ناحية منها قَدَحٌ مخصوص بحسب إرْدَبّها ، والمستعمل منها بالحاضرة القَدَحُ المصرىُّ ، وهو قَدَحٌ صغير تقديره بالوزن من الحَبِّ المعتدل مائتان وآثنان وثلاثون درهما ، وقدّره الشيخ تقىّ الدين بن رزين فى الكلام على صاع الفِطْرَة بآثنين وثلاثين ألفَ حبة وسبعمائة وآثنتين وستين حبة ، وكل ستةَ عشرَ قدحا تسمَّى وَيْبة ، وكل ستة وتسعين قدحا تسمَّى إردباً ، وبنواحيها بالوجهين القبلىّ والبحرىّ أرادبُّ متفاوتة يبلغ مقدار الإردبّ فى بعضها إحدىٰ عشرةَ ويبة بالمصرىّ فأكثر .

(١) لعله بحسب اردبّها . أو هى زائدة من قلم الناسخ .

النوع الثالث

(المَقِيسات ، وهى الأراضى والأقمشة)

فأما الأراضى فصنفان :

الصنف الأوّل

(أرض الزراعة)

وقد آصطلح أهلُها على قياسها بقَصَبة تعرف بالحاكمية ، كأنها حُرِّرت فى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمىّ فنسبتْ إليه ، وطولها ستة أذرع بالهاشمىّ كما ذكره أبو القاسم الزجاجىّ فى "شرح مقدّمة أدب الكاتب" وخمسة أذرع بالنجارى كما ذكره آبن مماتى فى "قوانين الدواوين" وثمانية أذرع بذراع اليد كما ذكره غيرهما ؛ وذراع اليد ست قَبَضات بقبضة إنسان معتدل ، كلُّ قبضة أربعة أصابع بالخِنصر والبِنْصر والوُسطى والسَّبَّابة ، كل إصبع ست شعيرات معترضات ظهراً لبطن على ما تقدّم فى الكلام على الأميال . وقد تقدّر القصبة بباعين من رجل معتدل ؛ وربما وقع القياس فى بعض بلاد الوجه البحرىّ منها بقصبة تعرف بالسَّنْدَفاويّة أطول من الحاكمية بقليل ، نسبة إلى بلد تسمّى سَنْدَفَا بالقرب من مدينة المَحَلة ، ثم كل أربعمائة قصبة فى التكسير يعبر عنها بفَدّان ، وهو أربعة وعشرون قيراطا كل قيراط ستَّ عشرةَ قصبة فى التكسير .

الصنف الثانى

(أرض البُنْيان من الدُّور وغيرها)

وقد آصطلحوا على قياسها بذراع يعرف بذراع العمل طوله ثلاثةُ أشبار بشبر رجل معتدل ، ولعله الذراع الذى كان يقاس به أرض السَّواد بالعراق ، فقد ذكر الزجاجىّ

أنه ذراع وثلث بذراع اليد، وكان آبتداء وضع الذراع لقياس الأرَضِين أن زياد آبن أبيه حين ولَّاه معاويةُ العراقَ وأراد قياس السَّواد، جمع ثلاثة رجال : رَجُلا من طوال القوم ورجلا من قصارهم ورجلا متوسطا بين ذلك ، وأخذ طُول ذراع كل منهم ، فجمع ذلك وأخذ ثلثه ، فجعله ذراعا لقياس الأرضين ، وهو المعروف بالذراع الزِّيَادىّ لوقوع تقديره بأمر زِيَاد، ولم يزل ذلك حتّٰى صارت الخلافة لبنى العباس فآتخذوا ذراعا مخالفا لذلك كأنه أطول منه، فسمّى بالهاشمىّ لوقوعه فى خلافة بنى العباس، ضرورةَ كونهم من بنى هاشم .

وأما الأقمشة ، فإنها تقاس بالقاهرة بذراع طوله ذراع بذراع اليد وأربع أصابع مطبوقة، ويزيد عليه ذراع القماش بالفُسْطَاطِ بعضَ الشىء ، وربما زاد فى بعض نواحى الديار المصرية أيضا نحو ذلك . ولغير القماش من الأصناف أيضا كالحصر وغيرها ذراع يخصه .

الركن الثالث
(فى الأسعار)

وقد ذكر المَقَرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" جملة من الأسعار فى زمانه فقال : وأوسط أسعارها فى غالب الأوقات أن يكون الإردبُّ القمح بخمسة عشر درهما ، والشعير بسعره[1]، وبقية الحبوب على هذا الأنموذج ، والأرز يبلغ فوق ذلك، واللحم أقل سعره الرِّطْلُ بنصف درهم، وفى الغالب أكثر من ذلك ، والدَّجاج يختلف سعره بحسب حاله ، فجيِّدُه الطائر منه بدرهمين إلى ثلاثة، والدُّونُ منه بدرهم واحد، والسُّكَّر الرطل بدرهم ونصف ، وربما زاد، والمكرَّر منه بدرهمين ونصف .

(١) لعله بعشرة .

قلت : وهذه الأسعار التى ذكرها قد أدركنا غالبها ، وبقيت إلىٰ ما بعد الثمانين والسبعمائة فغلت الأسعار وتزايدت فى كل صنف من ذلك وغيره ، وصار المثل إلىٰ ثلاثة أمثاله وأربعة أمثاله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ذى المنن الجسيمة القادر علىٰ إعادة ذلك علىٰ ما كان عليه أو دونه ﴿وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ .

الطرف الثانى

(فى ذكر جسورها الحابسة لمياه النيل علىٰ أرض بلادها إلىٰ حين آستحقاق الزّراعة ، وأصناف أرضها ، وما يختص بكل صنف من أرضها من الأسماء الدائرة بين كُتّابها ، ومزارعها ، وبيان أصناف مزدرعاتها وأحوال زَرْعها)

فأما جسورها ، فعلىٰ صنفين :

الصنف الأول

(الجسور السلطانية)

وهى الجسور العامّة الجامعة للبلاد الكثيرة التى تُعْمَر فى كل سنة من الديوان السلطانى بالوجهين : القبلىّ والبحرىّ ، ولها جراريف ومحاريثُ وأبقار مرتّبة علىٰ غالب البُلْدان بكل عمل من أعمالها . وقد جرت العادة أن يجهّز لكل عمل فى كل سنة أمير بسبب عمارة جسوره ، ويعبر عنه بكاشف الجسور بالعمل الفلانىّ ، ويعرّف بذلك فى تعريف مكاتبته عن الأبواب الشريفة ، وربما أضيف كَشْفُ جسور عَملٍ من الأعمال إلىٰ مُتولّى حربه ، ويقال فى تعريفه : وَالى فلانة وكاشف الجسور بها ، إذا كانت المكاتبة بسبب شىء يتعلق بالجسور ؛ ولهذه الجسور كاتبٌ منفرد بها مقرّر فى ديوانه ما علىٰ كل بلد من الجراريف والأبقار ، وتكتب التذاكير

السلطانية لكاشف كل عمل فى الورق الشامىّ المربّع ، ويشملها العلامة الشريفة السلطانية بالاسم الشريف ، وللجسور خَوَلَةٌ ومهندسون لكل عمل يقومون فى خدمة الكاشف فى عمارة الجسور إلى أن تنتهىَ عمارتُها .

الصنف الثانى

(الجسور البلدية)

وهى الخاصة ببلد دون بلد ، ويتولّى عمارتها المُقْطَعون بالبلاد : من الأمراء والأجناد وغيرهم ، من أموال البلاد الجارية فى إقطاعهم ، ولها ضرائب مقرّرة فى كل سنة .

قال ابن مماتى فى "قوانين الدواوين" : والفرق بين السلطانية والبلدية أن السلطانية جارية مجرى سُور المدينة الذى يجب على السلطان الاهتمامُ بعمارته والنظرُ فى مصلحته وكفايةُ العامة أمر الفكرة فيه ، والبلدية جارية مجرى الآدُر والمساكن التى داخلَ السور، كلٌّ صاحب دار منها ينظر فى مصلحتها ويلتزم تدبير أمره فيها . قال : وقد جرتْ عادة الديوان أن المُقْطَع المنفصل إذا أنفق شيئا من إقطاعه فى إقامة جسر لعمارة السنة التى انتقل الخير عنه لها، استعيد له نظير مُنْفَقه من المُقْطَع الثانى؛ وكذلك كل ما أنفقه من مال سنته فى عمارة سنة غيره كان له استعادة نظيره .

قلت : وقد أهمل الاهتمام بأمر الجسور فى زماننا، وتُرِك عمارة أكثر الجسور البلدية، واقتصر فى عمارة الجسور السلطانية على الشيء اليسير الذى لايحصل به كبير نفع ، ولولا ما منّ الله تعالى به على العباد من كثير الزيادة فى النيل من حيث إنه صار يجاوز تسعة عشر ذراعا فما فوقها إلى ما جاوز العشرين ، لفات رىّ أكثر

البلاد وتعطلت زراعتها ﴿فَضْلًا مِنَ اللهِ ونِعْمَةً﴾ وإلا فقد كان النيل فى الغالب يقف على سبع عشرة ذراعا فما حولها، بل قد تقدم من كلام المسعودى أنه إذا جاء النيل ثمانى عشرة ذراعا، آستبحر من أراضيها الثلثُ .

✣

وأما أنواع أرضها وما يختص بكل نوع من الأسماء، فإنها تختلف بآختلاف الزراعة وعدمها، وبسبب ذلك تتفاوت الرَّغْبة فيها وتختلف قيمتها بآختلاف قيمة ما يُزْرَع فيها، وقد عدّ منها آبن مماتى ثلاثة عشر نوعا :

النوع الأوّل — الباق : قال آبن مماتى : وهو أثر القُرْط والقَطَانِى والمقاثئ . قال : وهو خير الأَرَضين وأغلاها قيمة وأوفاها سعرا وقطيعة، لأنها تصلح لزراعة القمح والكَتَّان .

قلت : والمعروف فى زماننا أن الباق أثر القُرْط والفُول خاصة . أما المقاثئ فإن أثرها يسمّى البَرْش، وسيأتى ذكره فيما بعد .

النوع الثانى — رىّ الشَّراقى : قال آبن مماتى : وهو يتبع الباقَ فى الجَوْدَة، ويُلْحَقُ به فى القطيعة : لأن الأرض قد ظَمِئت فى السنة الماضية وآشتدت حاجتها إلى الماء . فلما رَوِيت حصل لها من الرىّ بمقدار ما حصل لها من الظمإ، وكانت أيضا مستريحة فزرعها يُنْجِبُ .

النوع الثالث — البروبية، وأهل زماننا يقولون البرايب : قال آبن مماتى : وهو أثر القمح والشعير، قال : وهو دون الباق لأن الأرض تضعُف بزراعة هذين الصِّنفين . فمتى زرع أحدهما على الآخر لم تنجب كنجابة الباقِ وسعرُها دون سعره، ويجب أن تزرع قُرْطًا وقطَانِىَ ومقاثئَ لتستريح الأرض وتصير باقا فى السنة الآتية .

النوع الرابع - البُقْماهة ، بضم الباء الموحدة وسكون القاف - وهو أثر الكتّان . قال آبن مماتى : ومتىٰ زُرِع فيه القمح لم يُنْجِبْ، وجاء رقيق الحب أسود اللون.

النوع الخامس - الشتونية، وأهل زماننا يقولون الشتانى : وهو أثر ما رَوِى وبار فى السنة الماضية . قال آبن مماتى : وقطيعته دون قطيعة الشراقى .

النوع السادس - شق شمس ، قال آبن مماتى : وهو عبارة عما رَوِى وبار فحُرِث وعُطِّل ، وهو يجرى مجرىٰ الباق ورى الشراقى ، ويجيء ناجب الزرع .

النوع السابع - البرش النقاء، قال : وهو عبارة عن كل أرض خلَتْ من أثر ما زرع فيها للسنة الماضية،لا شاغل لها عن قبول ما نوعُه من أصناف المزدرعات .

النوع الثامن - الوسخ المزدرع ، قال : وهو عبارة عن كل أرض لم يستحكم وسخها ، ولم يَقْدِرِ المزارعون علىٰ آستكمال إزالته منها فحرثوها وزرعوها وطلع زرعها مختلطا بوَسَخها .

النوع التاسع - الوسخ الغالب : وهو عبارة عن كل أرض حصل فيها من النبات الذى شَغَلها عن قبول الزراعة ما غلب المزارعين عليها ، ومنعهم بكثرته عن الزراعة فيها، وهى تباع مراعِىَ للبهائم .

النوع العاشر - الخرس : وهو عبارة عن فساد الأرض بما آستحكم فيها من موانع قبول الزرع، وهو أشدّ من الوسخ الغالب فى التنقية والإصلاح، وهى مرعىٰ الدوابّ .

النوع الحادى عشر - الشراقى : وهو عبارة عما لم يصل إليه الماء لقُصُور النيل وعلو الأرض ، أو سدّ طريق الماء عنه .

النوع الثانى عشر ـ المستبْحِر : وهو عبارة عن أرض واطئة إذا حصل الماء فيها لا يجد مصرفا له عنها فيمضى زمن المزارعة قبل زواله بالنُّضُوب . قال آبن مماتى : وربما آنتفع به من آزدرع الأرض بالاستقاء منه بالسواقى لما زرعه فى العُلُوّ .

النوع الثالث عشر ـ السباخ : وهو أرض غاب عليها المِلح فَمَلَحَت حتّى لم يُنْتَفع بها فى زراعة الحبوب ، وهى أردَئُ الأرضِين . قال آبن مماتى : وربما زرع فيها لم يستحكم منها الهِلْيَوْنُ والباذِنْجانُ ، وربما قطع منها ما يسبخ به الكَتَّانُ ، ويزرع فيها القصب الفارسىُّ فَيَنْجُبُ .

الطرف الثالث

(فى وجوه أموالها الدِّيوانية ، وهى على ضربين : شرعىّ وغير شرعىّ)

الضرب الأوّل الشرعىّ ،

(وهو على سبعة أنواع)

النـــــوع الأوّل

(المال الخَرَاجىُّ : وهو ما يؤخذ عن أجرة الأرضين ، وله حالان)

الحال الأوّل ـ ما كان عليه الأمر فى الزمن المتقدّم ، وقد أورد آبن مماتى فى "قوانين الدواوين" ما يقتضى أنه كان على كلِّ صِنْفٍ من أصناف المزدرعات قطيعة مقرّرة فى الديوان السلطانىّ لا يختلف أمرها : فذكر أن قطيعة القمح كانت إلى آخر سنة سبع وستين وخمسمائة عن كل فَدَّانٍ ثلاثةُ أرادبَّ ، ثم إنه تقرّر عند المساحة فى سنة آثنتين وسبعين وخمسمائة إردبان ونصف إردب . ثم قال : ومن

ذلك ما يباع بعين، ومنه ما يُزْرَع مُشَاطرة . قال : وقطيعة الشَّعير كذلك، وقطيعة الفُول عن كل فدّان من ثلاثة أرادبَّ إلىٰ إردبين ونصف، وقطيعة الجُلْبَان والحِمِّص والعَدَس عن كل فدّان إردبان ونصف، وقطيعة الكتّان تختلف باختلاف البلاد. ثم قال : وهى علىٰ آخر ما تقرّر فى الديوان عن كل فدّان ثلاثةُ دنانير إلىٰ مادونها؛ وقطيعة القُرْط بالديوان عن كل فدّان دينار واحد. وفيما بين الناس مختلف، وقطيعة الثُّوم والبَصَل عن كل فدّان ديناران ، وقطيعة التُّرْمُس عن كل فدّان دينار واحد وربع، وقطيعة الكَمُّون والكراويا والسَّلْجَم الصينيّ عن كل فدّان دينارٌ واحد . قال : وكان قبل ذلك دينارين، وقطيعة البِطِّيخ الأخضر والأصفر ، واللوبياء عن كل فدّان ثلاثة دنانير، وقطيعة السِّمْسِم عن كل فدّان دينار واحد، وقطيعة القُطْن كذلك، وقطيعة قَصَب السُّكَّر عن كل فدّان إن كان رأسا خمسةُ دنانير، وإن كان خِلْفَةً ديناران وخمسة قراريطَ، وقطيعة القُلْقَاس عن كل فدّان ثلاثة دنانير، وقطيعة النِّيلة عن كل فدّان ثلاثة دنانير، وقطيعة الفُجْل عن كل فدّان دينار واحد، وقطيعة اللِّفت كذلك، وقطيعة الخَسّ عن كل فدّان ديناران، وقطيعة الكُرُنْب كذلك . قال : والقطيعة المستقرّة عن خراج الشَّجَر والكَرْم تختلف باختلاف سنينه . ثم قال : وهو يدرك فى السنة الرابعة ويترتب علىٰ كل فدّان ثلاثة دنانير، وقطيعة القَصَب الفارسيّ عن كل فدّان ثلاثة دنانير .

الحال الثانى — ما الأمر عليه فى زماننا، والحال فيه مختلف باختلاف البلاد .

فالوجه القبليّ الذى هو الصعيد أكثر خراجه غلالٌ من قمح وشعير وحِمِّص وفول وعَدَس وبسلة وجُلْبَان، ويعبَّر فى عرف الدواوين عما عدا القمح والشعير والحِمِّص بالحبوب ، ثم الغالب أن يؤخذ عن خراج كل فدّان من الأصناف المذكورة ما بين إردبين إلىٰ ثلاثة بكيل تلك الناحية ، وربما زاد أو نقص عن ذلك ، وفى الغالب

يؤخذ مع كل إردب درهم أو درهمان أو ثلاثة، ونحو ذلك بحسب قطائع البلاد وضرائبها فى الزيادة والنقص فى الأرادب والدراهم ؛ وربما كان الخراج فى بعض هذه البلاد دراهم ؛ وما بار من أرض كل بلد يباع ما نبت فيه من المرعى مناجزة، وربما أخذ فيه العِدادُ[1] علىٰ حسب عرف البلاد .

والوجه البحرى غالب خراج بلاده دراهمُ ، وليس فيه ماخراج بلاده غلةٌ إلا القليل علىٰ العكس من الوجه القبلى .

ثم الذى كان عليه الحال إلىٰ نحو التسعين والسبعمائة فى غالب البلاد أن يؤجر أثر الباقِ كلُّ فدان بأربعين درهما فما حولها، والبَرَايب كلُّ فدان بثلاثين درهما فما حولها، ثم غلا السعرُ بعد ذلك حتّى جاوز الباقُ المائةَ والبرايبُ الثمانين، وبلغ البَرْش نحو المائتين، وذلك عند غلو الغلال وآرتفاع سعرها .

قلت : ثم تزايد الحال فى ذلك بعد الثمانمائة إلىٰ ما بعد العشر والثمانمائة حتّى صار يؤخَذُ فى الباق عن كل فدان نحو الأربعمائة درهم، وربما زادت الأرض الطيبة حتّى بلغت ستمائة درهم، وفى البرايب ونحوه دون ذلك بالنسبة، ثم إنه[2] إذا كان المقرّر فى خراج بلد من بلاد الديار المصرية غلالا وأعوز صنفٌ من الأصناف أن يؤخذ البدل عنها من صنف آخر من الغَلّة .

وقد ذكر فى "قوانين الدواوين" أن قاعدة البدل أن يؤخذ عن القمح بدل كل إردب، من الشعير إردبان، ومن الفول إردب واحد ونصف، ومن الحِمَّص إردب، ومن الجُلُبَّان إردبٌ ونصف، والشعير يؤخذ عن كل إردب منه نصف إردب من

---

(١) مراده بالعداد المواشى الراعية : من الابل والبقر والغنم .

(٢) فى التركيب ركاكة والمعنىٰ مفهوم .

القمح أو ثلثا إردب من الفول أو نصف إردب من الحِمَّص أو ثلثا إردب من الجُلُبّان ؛ وفي الفول يؤخذ عن كل إردب منه ثلث إردب من القمح أو نصف[1] إردب من الشعير أو ثلث إردب من الحِمَّص أو إردب من الجُلُبّان ؛ وفي الحِمَّص يؤخذ عن كل إردب منه إردب من القمح أو إردبان من الشعير أو إردب ونصف من الفول أو إردب ونصف من الجُلُبّان ؛ وفي الجُلُبّان يؤخذ عن كل إردب منه ثلث إردب من القمح أو إردب ونصف من الشعير أو إردب من الفول أو ثلث إردب من الحِمَّص . ثم قال : والسِّمْسِمُ والسَّلْجَمُ والكَتّانُ ما رأيت لها بدلا ، والاحتياط في جميع ذلك الرجوع إلى سعره الحاضر، فإنه أسلم طريقةً وأحسن عاقبةً .

واعلم أن بلاد الديار المصرية بالوجهين : القبلي والبحري بجملتها جارية في الدواوين السلطانية وإقطاعات الأمراء وغيرهم من سائر الجند إلا النزرَ اليسيرَ مما يجرى في وقف مَنْ سلف من ملوك الديار المصرية ونحوهم على الجوامع والمدارس والخوانق ونحوها مما لا يُعتدّ به لقلته .

والجارى في الدواوين على ضربين .

الضرب الأوّل

(ما هو داخل في الدواوين السلطانية، وهو الآن على أربعة أصناف)

الصنف الأوّل

(ما هو جار في ديوان الوزارة ، وأعظمُه خَطَرا وأرفعُه قدرا جهتان)

إحداهما ــ عمل الجيزية المتقدّمُ ذكره في أعمال الديار المصرية، ولها مباشرون بمفردها من ديوان الوزارة ما بين ناظر ومُسْتَوْفٍ وشهود وصَيْرَفِيّ وغيرهم، وغالبُ

(١) صوابه أو إردب ونصف .

خراجه مبلغ دراهم تحمل إلىٰ بيت المال فتثبت فيه وتصرف منه فى جملة مصارف بيت المـال ، وربمـا حمل من بعضها الغَلّة اليسيرة من القمح وغيره للأمراء السلطانية بالفُسْطَاط ، ومن أرضها تفرد الإطلاقات ؛ ويبـذر فيها البرسيم لربيع الخيول بالإصطبلات السلطانية والأمراء والمماليك السلطانية .

الثـانية ـ عمل مَنْفَلُوطَ ، وله مباشرون كما تقدّم فى الجيزيّة بل هى أرفع قدرا وأكثر متحصَّلا ، وغالب خراجه غلال : من قمح وفُول وشعير ، وغلالهـا تحمل إلىٰ الأمراء السلطانية بالفُسْطاط ، ويصرف منها فى جملة مصارف الأمراء علىٰ الطواحين السـلطانية والمُنَاخات وغير ذلك ، وربمـا حمل منها المبلغ اليسـير إلىٰ بيت المـال فيثبت فيه ويصرف منه علىٰ ما تقدّم فى الأعمـال الجيزية ، وما عدا هاتين الجهتين من البلاد الجارية فى ديوان الوزارة مفرّقة فى الأعمـال بالوجهين القبلىّ والبحرىّ ، وهى فى الوجه القبـلىّ أكثر ، ولكنها قد تناقصت فى هـذا الزمن حتّى لم يَبْقَ فيها إلا بعضُ بلاد بالوجه القبلىّ .

الصنف الثـانى

(ما هو جار فى ديوان الخاص)

وهو الديوان الذى أحدثه السلطان "الملك الناصر محمد بن قلاوون" حين أبطل الوزارة علىٰ ما سـيأتى ذكره ؛ وأعظم بلاده وأرفعها قدرا مدينة الإِسْكَنْدَرِيَّة فإنها فى الغالب مضافة إليـه ؛ وبها مباشرون من ناظر ومستوف وشادّين وغيرهم . وربما أُخِّرت عنه فى جهات أخرىٰ جارية فيه ، ويليها تَرُوجَةُ وفُوَّة ونَسْتَرُوه ، ومالُ جميعها يحمل إلىٰ خزانة الخاص الآتى ذكرها تحت نظر ناظر الخاصّ الآتى ذكره .

الصنف الثالث

(ما هو جار فى الديوان المُفْرَد)

وهو ديوان أحدثه "الظاهر برقوق" فى سلطنته ، وأفرد له بلادا ، وأقام له مباشرين وجعل الحديث فيه لأستاذ داره الكبير ، و رتَّب عليه نفقة مماليكه من جامكيات وعليق وكُسْوَة وغير ذلك .

قلت : وليس هو المخترعَ لهذا الاسم بل رأيت فى ولايات الدولة الفاطمية بالديار المصرية ما يدل علىٰ أنه كان للخليفة ديوان يسمى الديوان المفرد .

الصنف الرابع

(ما هو جار فى ديوان الأملاك)

وهو ديوان أحدثه "الظاهر برقوق" المتقدم ذكره ، وأفرد له بلادا سماها أملاكا ، وأقام لها أستاذ دار ومباشرين بمفردها ، وهذا الديوان خاص بالسلطان ليس عليه مرتب نفقة ولا كُلْفة .

الضرب الثانى

(ما هو جار فى الإقطاعات)

وهو جُلّ البلاد بالوجهين القبلى والبحرى ؛ والبلاد النفيسة الكثيرة المُتَحَصَّل فى الغالب تقطع للأمراء علىٰ قدر درجاتهم ، فمنهم من يجتمع له نحو العشر بلاد إلىٰ البلد الواحدة ؛ وما دون ذلك من البُلْدان يقطعُ للماليك السلطانية ، يشترك الاثنان فما فوقهما فى البلدة الواحدة فى الغالب ، و ربما انفرد الواحدُ منهم بالبلد الواحد .

وما دون ذلك يكون لأجناد الحَلْقة تجتمع الجماعة منهم فى البلد الواحد بحسب مقــداره وحال مُقْطَعِيه ، وفى معنىٰ أجناد الحَلْقــة المُقْطَعون من العُرْبان بالبحيرة والشرقية من أرباب الأدراك وملتزمى خيل البريد وغيرهم .

ثم آعلم أن لبلاد الديار المصرية حالين .

الحال الأول ـ أن تحجَّز إجارةُ طين البلد بقدر معين لا يزيد ولا ينقص، وطلبُ الخراج علىٰ حكمها .

الحال الثانى ـ أن تكون البلاد ممـا جرت العادة بمساحة أرضها لسَــعَةِ طينها
وآختلاف الرىّ فيه بالكثرة والقِلة فى السنين؛ وقد جرت العادة فى ذلك أنّ كاتب 169
خراج الناحية يطلب خَوَلَة القانون بذلك البلد وتوريخ الأحواض علىٰ المزارعين بفدن مقدّرة، ويُكتَب بها أوراق تسمّٰى أوراق المسجل، وتحمل نسختها إلىٰ ديوان صاحب الإقطاع فتخلد فيه؛ فإذا طلع الزرع خرج من باب صاحب الإقطاع مباشرون ، فيمســحون أرض تلك البلد فى كل قبالة بأسمـاء المزارعين ، ويكتب أصل ذلك فى أوراق تسمّٰى الفُنْداق، ثم تجمع القبائل بأوراق تسمّٰى تاريخ القبائل، ثم تجمع أسماء المزارعين بأوراق تسمّٰى تاريخ الأسمـاء، ويقابل بين ما آشتملت عليه أوراق المسجل وما آشتملت عليه مساحته ، وفى الغالب يزيد عن أوراق المسجل، ويُجْمَعُ ذلك وتنظم به أوراق تسمّٰى المكلفة، ويكتب عليها الشهود وحاكم العمل، وتحمل لديوان المُقْطَع نسخا .

النـــوع الثـانى

(ما يَتحصَّل ممـا يُستخرَج من المعادن)

وقد تقـدّم فى الكلام على خواص الديار المصرية أن الموجود الآن بهـا ثلاثة معادن .

الأوّل ــ معدن الزُّمُرُّدِ على القرب من مدينة قُوصَ ،ولم يزل مستمرّ الاستخراج إلى أواخر الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون"، ثم أُهمِلَ لقلّة ما يَتحصَّل منه مع كثرة الكُلَفِ وبقى مهملا إلى الآن . وقد ذكر فى "مسالك الأبصـار" : أنه كان له مباشرون وأُمَناءُ من جهة السلطان يتولّون استخراجه وتحصيله ، ولهم جوامكُ على ذلك . ومهما تحصل منه حُمِل إلى الخزائن السلطانية فيباع مايباع، ويبقى مايصلح 160 للخزائن الملوكية .

الثانى ــ معدن الشَّبِّ (بالباء الموحدة فى آخره) . قال فى "قوانين الدواوين": ويُحتاج إليه فى أشـياء كثيرة ، أهمُّها صَبْغ الأحمر ، وللرُّوم فيه من الرغبة بمقـدار مايجدون من الفائدة، وهو عندهم ممـا لابُدَّ منه ولا مندوحة عنه، ومعادنه بأماكنَ من بلاد الصعيد والواحات على ما تقدّم فى الكلام على خواصّ الديار المِصْرية .

قال : وعادة الديوان أن يُنفَق فى تحصيل كل قِنطَارٍ منه باللَّيْثى ثلاثين درهما، وربما كان دون ذلك. وتَهبِط به العرب إلى ساحل قُوصَ،وساحل إخميم ،وساحل أسْيوط ، وإلى البَهْنَسى إن كان الإتيان به من الواحات، ثم يحمل من هذه السواحل إلى الإسْكَنْدرِيَّة ، ولا يعتدّ للباشرين فيه إلا بما يصح فيها عند الاعتبار . قال ابن مماتى : وأكثر مايباع منه فى المَتْجر بالإسكندرية خمسة آلاف قِنطَارٍ بالجَروى، وبيع منه فى بعض السنين ثلاثةَ عشرَ ألف قنطار،وسعره من خمسة دنانير إلى خمسة

دنانير وربع وسدس كلُّ قنطار . قال : أما القاهرة، فأكثر ما يباع فيها منه فى كل سنة ثمانون قنطارا كل قنطار بسبعة دنانير ونصف؛ ثم قال : وليس لأحد أن يبيعه، ولا يشتريه سوى الديوان السلطانى، ومتى وجد مع أحد شىء من صنفه آستهلك . قلت : وقد تغير غالب حكم ذلك .

الثالث — معدن النَّطْرُون، وقد تقدّم فى الكلام على خواص الديار المصرية أن النَّطرون يوجد فى معدنين : أحدهما بعمل البحيرة مقابلَ بلدة تسمَّى الطرّانة على مسيرة يوم منها، وتقدّم فى كلام صاحب "التعريف" أنه لا يعلم فى الدنيا بقعة صغيرة يستغلُّ منها أكثر مما يستغلُّ منها، فإنها نحو مائة فدان تُغل نحو مائة ألف دينار فى كل سنة . والمعدن الثانى بالفاقوسية على القرب من الخطارة، ويعرف بالخطارى"، وهو غير لاحق فى الجَوْدة بالأوّل :

قال فى "نهاية الأرب" : وأوّل من آحتجر النَّطرون أحمدُ بن محمد بن مدبر نائب مصر قبل أحمد بن طولون، وكان قبل ذلك مباحا . قال فى "قوانين الدواوين" : وهو فى طور محدود لا يتصرف فيه غير المستخدمين من جهة الديوان، والنفقة على كل قنطار منه درهمان، وثمن كل قنطار منه بمصر والإسكندرية لضيق الحاجة إليه سبعون درهما . قال : والعادة المستقرة أنه متى أُنفق من الديوان فى العربان عن أجرة حمولة عشرة آلاف قِنطار، ألزموا بحمل خمسة عشر ألف قنطار، حسابا عن كل قنطار قنطارٌ ونصفٌ؛ ثم قال : وأكثره مصروف فى نفقة الغُزاة .

قلت : أما فى زماننا فقد تضاعفت قيمة النَّطْرون وغلا سعره لآحتجار السلطان له، وأفرط حتّى خرج عن الحدّ، حتّى إنه ربما بلغ القِنْطار منه مبلغَ ثلثمائة درهم أو نحوها . وقد كان على النَّطرون مرتَّبُون من كُتَّاب دَست وكُتَّاب دَرْج وأطباءَ وكحّالين وغيرهم وجماعةٌ من أرباب الصدقات يستأدون ذلك، وينفقون على حمولته إلى ساحل النيل

بالبلدة المعروفة بالطَّرّانة المتقدمة الذكر، ويبيعونه على مَنْ يرغب فيه ليتوجه به في المراكب إلى الوجه القبلي، ولم يكن لأحد أن يبيع شيئا بالوجه البحري جملةً، ثم بطل ذلك في أواخر الدولة الظاهرية برقوق، وصار النطرون بجملته خالصا للسلطان جاريا في الديوان المفرد تحت نظر أستاذ دار، يحمل إلى الإسكندرية والقاهرة فيُخْزَن في شُوَن ثم يباع منها، وعليه مباشرون يحضُرون الواصل والمبيع، ويعملون الحسبانات بذلك، وتَمَيَّز بذلك متحصّله للغاية القصوى.

النوع الثالث

(الزكاة)

قد تقرّر في كتب الفقه أن مَنْ وجبت عليه زكاة كان مخيرا بين ان يدفعها إلى الإمام أو نائبه، وبين أن يفرّقها بنفسه. والذي عليه العمل في زماننا بالديار المصرية أن أرباب الزكوات المؤدّين لها يفرّقونها بأنفسهم، ولم يبق بها ما يُؤخَذ على صورة الزكاة إلا شيئين:

أحدهما ما يؤخذ من التجار وغيرهم على ما يدخلون به إلى البلد من ذهب أو فضة، فإنهم يأخذون على كل مائتي درهم خمسةَ دراهم، ثم إذا اشترى بها شيئا وخرج به وعاد بنظير المبلغ الأوّل لا يؤخذ منه شيء عليه حتى يجاوز سنة. إلا أنهم انتقصوا سنة ذلك فجعلوها عشرة أشهر، وخَصُّوه بما إذا لم يزد في المدّة المذكورة على أربع مرار. فإن زاد عليها استأنفوا له المدّة، ثم إنه إذا كان بالبلد مَتْجَر لأحد من تجار الكارم من بَهَار ونحوه وحال عليه الحول بالبلد، أخذوا عليه الزكاة أيضا. ومجرى ذلك جميعه مجرى سائر متحصّل الإسكندرية في المباشرة وغيرها.

الثانى ما يؤخذ من العِدَاد من مواشى أهل بَرْقَة من الغنم والإبل عند وصولهم إلىٰ عمل البحيرة بسبب المرعىٰ، وفى الغالب يُقْطَع لبعض الأمراء، و يخرج قُصَّادُهم لأخذه .

النــــوع الرابع
(الجــوَالى)

وهى مايؤخذ من أهل الذِّمّة عن الجزية المقرَّرة علىٰ رقابهم فى كل سـنة ، وهى علىٰ قسمين : ما فى حاضرة الديار المصرية من الفُسْطَاط والقاهرة ، وما هو خارج عن ذلك . فأما ما بحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة بها ناظرا يولّىٰ من جهة السـلطان بتوقيع شريف ، و يتبعه مباشرون من شادّ وعامل وشُهُود ، وتحت يده حاشِرٌ لليهود وحاشر للنصارىٰ يعرف أربابَ الأسمـاء الواردةِ فى الديوان ومن ينضم إليهم ممن يبلغ فى كل عام من الصّبيان، و يعبَّر عنهم بالنَّشْو، ومن يَقْدَم إلىٰ الحاضرة من البلاد الخارجة عنها، و يعبر عنهم بالطارئ ، ومن يهتدى أو يموت ممن آسمه وارد الديوان . و يُملِى علىٰ كُتّاب الديوان ما يتجدّد من ذلك .

قال فى "قوانين الدواوين" : إن الجزية كانت فى زمانه علىٰ ثلاث طبقات : عُلْيًا، وهى أربعة دنانير وسدسٌ عن كل رأس فى كل سنة، ووُسْطىٰ وهى ديناران وقيراطان، وسُـفْلىٰ وهى دينار واحد وثلث و ربع دينار وحبتان من دينـار ، و إنه أضيف إلىٰ جزية كل شخص درهمان وربع عن رسم الشادّ والمباشرين . ثم قال : وقد كانت العادة جارية بآستخراجها فى أول المحرّم من كل سنة، ثم صارت تُسْتخرَج فى أيام من ذى الحجة . قلت : أما الآن ، فقد نقصت حتّى صـار أعلاها خمسـةً وعشرين درهمـا ، وأدناها عشرة دراهم ، ولكنها صارت تُستأْدىٰ معجَّلة فى شهر رمضان، ثم ما يَتحصّل منها يحمل منه قدر معين فى كل سنة لبيت المال، و باقى ذلك عليه مرتبون من القُضاة وأهل العلم والديانة يوزَّع عليهم علىٰ قدر المتحصِّل .

وأما ماهو خارج عن حاضرة الديار المصرية من سائر بُلدانها فإن جزية أهل الذمة فى كل بلد تكون لُمقْطَع تلك البلد من أمير أو غيره تجرى مجرىٰ مال ذلك الإقطاع ، وإن كانت تلك البلد جارية فى بعض الدواوين السلطانية، كان مايتحصَّل من الجزية من أهل الذمة بها جاريا فى ذلك الديوان .

النـــوع الخامس

(ما يؤخذ من تُجّار الكفّار الواصلين فى البحر إلىٰ الديار المصرية)

وٱعلم أن المقرّر فى الشرع أخذ العشر من بضائعهم التى يَقْدَمون بها من دار الحرب إلىٰ بلاد الإسلام إذا شُرِط ذلك عليهم . والمُفْتَىٰ به فى مذهب الشافعىّ رضى الله عنه أن للإمام أن يزيد فى المأخوذ عن العشر وأن ينقُص عنه إلىٰ نصف العشر للحاجة إلىٰ الأزدياد من جلب البضاعة إلىٰ بلاد المسلمين، وأن يرفع ذلك عنهم رأسا إذا رأىٰ فيه المصلحةَ . وكيفما كان الأخذ فلا يزيد فيه علىٰ مَرّة من كل قادم بالتجارة فى كل سنة، حتّىٰ لو رجع إلىٰ بلاد الكفر ثم عاد بالتجارة فى سنته لا يؤخذ منه شىء إلا أن يقع التراضى علىٰ ذلك، ثم الذى ترد إليه تُجّار الكفار من بلاد الديار المصرية ثَغْرُ الإسكندرية ، وثغر دِمْياط المحروستين، تأتى إليهمـا مراكب الفرنج والرُّوم بالبضائع فتبيع فيهما أو تمتار منهما ما تحتاج إليه من البضائع ، وقد تقرّر الحال علىٰ أن يُؤخَذ منهم الخمس وهو ضِعْف العُشْر عن كل مايصل لهم فى كل مرة ، وربما زاد مايُؤخَذ منهم علىٰ الخمس أيضا .

قال ٱبن مماتى فى "قوانين الدواوين" : وربمـا بلغ قيمة مايُستخرَج عما قيمته مائة دينار مايناهز خمسة وثلاثين دينارا ، وربما ٱنحط عن العشرين دينارا . قال : ويطلق علىٰ كليهما خُمس، قال : ومن الروم مَنْ يُستَأدىٰ منـه العشر، إلا أنه لما

كان الخمس أكثر، كانت النسبة إليه أشهر . ولذلك ضرائب مستقرّة فى الدواوين وأوضاع معروفة .

النـوع السادس
(المواريث الحشرية)

وهى مال من يموت وليس له وارث خاص : بقرابة أو نكاح أو وَلَاء، أو الباقى بعد الفرض من مال مَنْ يموتُ وله وارثٌ ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصِبَ له .

وهذه الجهة أيضا علىٰ قسمين : مافى حاضرة الديار المصرية، وماهو خارج عنها .

فأمّا ما بحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة ناظرا يولّى من قِبَل السلطان بتوقيع شريف ومعه مباشرون من شادّ وكاتب ومُشَارِف وشُهُود، وهى مضافة إلىٰ ماتحت نظر الوزارة من سائر المباشرات، ومُتَحَصَّلُها يحمل إلىٰ بيت المال، وربما كان عليها مرتَّبون من أرباب جوامك وغيرهم . وقد جرت عادة هـذا الديوان أنّ كاتبـه فى كل يوم يكتب تعريفـا بمَنْ يموت بمصر والقاهرة من حَشْرىّ أو أهلىّ وتفصيله من رجال ونساء وصغار ويهود ونصارىٰ، وتكتب منه نسخ لديوان الوزارة، ولنظر الدواوين ومستوفِى الدولة، ويُسَدّ من وقت العصر . فمن أطلق بعد العصر، أضيف إلىٰ النهار القابل .

وأمّا ماهو خارج عن حاضرة الديار المصرية ، فلها مباشرون يُحَصِّلونها ويحملون مايتحصّل منها إلىٰ الديوان السلطانىّ .

النـــوع السابع
(ما يتحصَّل من دار الضرب بالقاهرة)

والذى يضرب فيها ثلاثة أصناف .

الصنف الأوّل
(الذهب)

وأصله مما يُجْلَب إلى الديار المصرية من التِّبْر من بلاد التَّكْرُور وغيرها مع ما يجتمع إليه من الذهب. قال فى "قوانين الدواوين": وطريق العمل فيها أن يُسْبَك ما يجتمع من أصناف الذهب المختلفة حتّى يصير ماء واحدا، ثم يقلب قُضْبانا ويقطع من أطرافها قطع بمباشرة النائب فى الحكم، ويحرر بالوزن ويسبك سبيكة واحدة، ثم يؤخذ من بعضها أربعة مثاقيل ويضاف إليها من الذهب الخائف المسبوك بدار الضرب أربعة مثاقيل، ويعمل كل منها أربع ورقات وتجمع الثمان ورقات فى قدح فخار بعد تحرير وزنها، ويوقد عليها فى الأَتُون ليلة، ثم تخرج الورقات وتمسح ويعبر القدح على الأصل (؟) فإن تساوى الوزن وأجازه النائب فى الحكم، ضُرِب دنانير. وإن نقص أعيد إلى أن يتساوى ويصح التعليق فيضرب حينئذ دنانير.

قال ابن الطوير فى الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية بالديار المصرية فى سياقة الكلام على وظيفة قضاء القضاة: وسبب خلوص الذهب بالديار المصرية ما حكى أن أحمد بن طولون صاحب مصر كان له إلمام بمدينة عين شمس الخراب على القرب من المَطَرِيَّة من ضواحى القاهرة، حيث ينبُت البَلَسَانُ، وأن يد فرسه ساخت بها يوما فى أرض صَلْدة، فأمر بحفر ذلك المكان فوجد فيه خمسةَ نَواوِيسَ فكشفها فوجد فى الأوسط منها ميتا مُصَبَّرًا فى عسل، وعلى صدره لوحٌ لطيف من ذهب فيه كتابة لاتعرف، والنواويس الأربعة مملوءة بسبائك الذهب، فنقل ذلك الذهب

ولم يجد من يقرأ ما فى اللوح ، فَدُلَّ على راهب شيخ بدير العَرَبة بالصـعيد له معرفة بخط الأوائل ، فأمر بإحضاره فأُخْبِر بضعفه عن الحركة ، فوجّه باللوح إليـه ، فلمـا وقف عليه قال : إن هذا يقول : أنا أكبر الملوك، وذَهَبِي أخلصُ الذهب .
فلمـا بلغ ذلك أحمد بن طولون ، قال : قبح الله من يكون هـذا الكافر أكبَرَ منه 167
أو ذهبه أخلَصَ من ذهبـه ، فشدّد فى العيار فى دُور الضرب ، وكان يحضُر ما يعلّق من الذهب ويختم بنفســه فبقى الأمر على ما قرّره فى ذلك من التشديد فى العيـار .
وكانت دار الضرب فى الدولة الفاطميـة لا يتولاها إلا قاضى القضاة تعظيما لشأنها، وتُكتَب فى عهده فى جملة ما يضاف إلى وظيفة القضاء ، ويقيم لمباشرة ذلك مَنْ يختاره من نوّاب الحُكْم ، وبقى الأمر على ذلك زمنا بعـد الدولة الفاطمية أيضا . أما فى زماننا ، فنظرها موكول لناظر الخاصّ الذى آستحدثه "الملك الناصر محمد بن قلاوون" عند تعطيله الوزارة على ماسيأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

والسِّكّة السلطانية بالديار المصرية فيما هو مشاهد من الدنانير أن يكتب على أحد الوجهين ـ لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(١) ـ وعلى الوجه الآخر آسم السلطان الذى ضرب فى زمنه وتاريخ سنة ضربه .

الصـــنف الثانى
(الفِضّة النُّقرة)

وقد ذكر آبن مماتى فى "قوانين الدواوين" فى عيـارها أنه يؤخذ ثلثمائة درهم فضة فتضاف إلى سبعمائة درهم من النحاس الأحمر، ويسبك ذلك حتى يصير ماء واحدا فيقلب قُضْبانا ويقطع من أطرافها خمسة عشر درهما، ثم تسبك، فإن خلص 168

(١) ليس نظم آية كما قد يتوهم .

منها أربعة دراهم فضة ونصف حسابا عن كل عشرة دراهم ثلاثة دراهم ، وإلا أعيدت إلى أن تصح . وكأن هذا ما كان الأمر عليه فى زمانه ؛ والذى ذكره المقرّ الشهابىّ ابن فضل الله فى "مسالك الأبصار" : أن عيارها الثلثان من فِضّة والثلث من نُحاس ، وهذا هو الذى عليه قاعدة العيار الصحيح كما كان فى أيام الظاهر بيبرس وما والاها ، وربما زاد عيار النحاس فى زماننا على الثلث شيئا يسيرا بحيث يظهره النَّقْد ، ولكنه يروج فى جملة الفضة ، وربما حصل التوقف فيه إذا كان بمفرده .

قلت : أما بعد الثمانمائة فقد قَلَّتِ الفضة ، وبطل ضربُ الدراهم بالديار المصرية إلا فى القليل النادر لاستهلاكها فى السروج والآنية ونحوها ، وانقطاع وصولها إلى الديار المصرية من بلاد الفرنج وغيرها . ومن ثَمّ عزّ وجود الدراهم فى المعاملة بل لم تكد توجد . ثم حدث بالشأم ضربُ دراهم رديئة فيها الثلث فما دونه فضة والباقى نحاس أحمر ، وطريقة ضربها أن تقطع القضبان قطعا صغارا كما تقدّم فى الدنانير، ثم تُرْصَع إلا أن الدنانير لا تكون إلا صحاحا مستديرة ، والفضة ربما كان فيها القراضات الصغار المتفاوتة المقادير فيما دون الدرهم إلى ربع درهم وما حوله ؛ وصورةُ السكة على الفضة كما فى الذهب من غير فرق .

الصنف الثالث

(الفلوس المتخذة من النحاس الاحمر)

وقد تقدّم أنه كان فى الزمن الأوّل فلوس صغار كل ثمانية وأربعين فَلْسًا منها معتبرة بدرهم من النُّقْرة إلى سنة تسع وخمسين وسبعمائة فى سلطنة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الثانية ، فأُحْدِثت فلوسٌ عبر عنها بالجُدُد زِنَة كل فَلْس منها مثقال ، وهو قيراط من أربعة وعشرين قيراطا من الدرهم ، ثم تناقص مقدارها حتى كادت

تفسد وهى على ذلك . وطريق عملها : أن يُسبك النُّحاسُ الأحمر حتّى يصير كالماء، ثم يخرج فيضرب قضبانا، ثم يُقَطَّع قطعا صغارا، ثم تُرْصَع وتسك بالسكة السلطانية وسكتها أن يكتب على أحد الوجهين آسم السلطان ولقبه ونسبه ، وعلى الآخر آسم بلد ضربه وتاريخ السنة التى ضرب فيها .

الضرب الثانى

(من الأموال الديوانية بالديار المصرية غير الشرعى، وهو المكوس، وهى على نوعين)

النوع الأوّل

(مايختص بالديوان السلطانى وهو صنفان)

الصنف الأوّل

(مايؤخذ على الواصل المجلوب، وأكثره مُتَحَصَّلًا جهتان)

الجهة الأولى

(مايؤخذ على واصل التجار الكارمية من البضائع فى بحر القُلْزُم من جهة الحجاز واليَمَن وماوالاهما، وذلك بأربعة سواحل بالبحر المذكور)

الساحل الأوّل — عَيْذَابُ . وقد كان أكثرَ السواحل واصلا لرغبة رؤساء المراكب فى التعدية من جُدَّةَ إليه ، وإن كانت باحتهُ متسعةً لغزارة الماء وأَمْنِ اللَّحَاقِ بالشعب الذى ينبت فى قعر هذا البحر، ومن هذا الساحل يتوصل إلى قُوصَ بالبضائع ومن قُوصَ إلى فُنْدُقِ الكارم بالفُسْطَاطِ فى بحر النيل .

الساحل الثانى ــ القُصَيْرُ . وهو فى جهة الشمال عن عَيْذابَ ، وكان يصل إليه بعضُ المراكب لقربه من قُوص وبُعْدِ عَيْذابَ منها ، وتُحمل البضائع منه إلىٰ قُوص ، ثم من قُوص إلىٰ فُنْدقِ الكارم بالفُسْطاط علىٰ ماتقدّم ، وإن لم يبلغ فى كثرة الواصل حدّ عَيْذابَ .

الساحل الثالث ــ الطُّورُ . وهو ساحل فى جانب الرأس الداخل فى بحر القُلْزُم بين عَقبة أَيْلَةَ وبين برالديار المصرية ، وقد كان هذا الساحل كثير الواصل فى الزمن المتقدّم : لرغبة بعض رؤساء المراكب فى السير إليه ، لقرب المراكب فيه من برّ الحجاز حتّى لايغيب البرعن المسافر فيه وكثرة المراسى فى برّه ، متىٰ تغير البحر علىٰ صاحب المركب وجد مَرْساة يدخل إليها ، ثم تُرِك قَصْدُ هذا الساحل والسفرُ منه بعد آنقراض بنى بدير العباسية التجار ، ورغب المسافرون عن السفر فيه لما فيه من الشعب الذى يُخشىٰ علىٰ المراكب بسببه ، ولذلك لا يُسافَر فيه إلا نهارا ، وبقى علىٰ ذلك إلىٰ حدود سنة ثمانين وسبعمائة ، فعَمَر فيه الأمير صلاح الدين بن عرام رحمه الله ، وهو يومئذ حاجب الحُجّاب بالديار المصرية مَرْكبا وسَفَّرها ، ثم أتبعها بمركب آخر فجَسَر الناس علىٰ السفر فيه وعَمَروا المراكب فيه ، ووصلت إليه مراكبُ اليَمَن بالبضائع ، ورُفِضت عَيْذابُ والقُصَيْرُ ، وحصل بواسطة ذلك حمل الغلال إلىٰ الحجاز ، وغَزُرت فوائد التجار فى حمل الحنطة إليه .

الساحل الرابع ــ السُّوَيْسُ علىٰ القرب من مدينة القُلْزُم الخراب بساحل الديار المصرية . وهو أقرب السواحل إلىٰ القاهرة والفُسْطَاطِ إلا أن الدخول إليه نادر ، والعمدة علىٰ ساحل الطُّور كما تقدّم .

قلت : وهذه السواحل علىٰ حدّ واحد فى أخذ المرتب السلطانى ، وقد ذكر فى "قوانين الدواوين" : أن واصل عَيْذابَ كان آستقرّ فيه الزكاة . أما الذى عليه

الحال فى زماننا، فإنه يؤخذ من بضائع التجار العُشْر مع لواحِقَ أخرىٰ تكاد أن تكون نحو المرتب السلطانى أيضا .

وآعلم أنه قد تَصِلُ البضائع للتجار المسلمين إلىٰ ساحل الإسكندرية ودمياط المتقدّم ذكرهما، فيؤخذ منها المرتَّب السلطانى علىٰ ماتوجبه الضرائب .

الجهـــة الثانية

(مايؤخذ علىٰ واصل التجار بقَطْيا فى طريق الشأم إلىٰ الديار المصرية)

وعليها يردُ سائرُ التجار الواصلين فى البر من الشأم والعراق وما والاهما ، وهى أكثر الجهات متحصَّلا وأشدّها علىٰ التجار تضييقا وعندهم ضرائب مقرّرة لكل نوع يؤخذ عن نظيرها .

الصـــنف الثانى

(مايؤخذ بحاضرة الديار المصرية : بالفُسْطَاط والقاهرة)

وهو جهات كثيرة، يقال إنها تبلغ آثنتين وسبعين جهة، منها مايكثُر متحصَّله ومنها مايقلّ، ثم بعضها بحسب ما يتحصَّل من قليل وكثير، و بعضها له ضَمَان(١) بمقدار معين لكل جهة، يطلب بذلك المقدار إن زادت الجهة فله و إن نقصت فعليه .

قلت : وقد عمت البلوىٰ بهذه المُكُوس، وخرجت فى التزيُّد عن الحدّ، ودخلت الشبهة فى أموال الكثير من الناس بسببها . وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله فى سلطنته قد رفع هذه المكوس ومَحَا آثارها، وعوّضه الله عنها بما حازه من الغنائم وفتحه من البلاد والأقاليم، وربما وقع الإلهام من الله تعالىٰ لبعض ملوك المملكة برفع المظلمة الحاصلة منها. ومن أعظم ذلك خَطَرا

(١) لعله ضامن .

وأرفعه أجرًا ما فعله السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تغمده الله تعالى برحمته من بُطْلان مكوس المَلَاهى والقراريط على الأملاك المبيعة .

النـــوع الثـانى

(ما لا آختصاص له بالديوان السلطانى)

وهى المُكُوس المتفرّقة ببلاد الديار المصرية فتكون تابعة للإقطاع إن كانت تلك البلد جارية فى ديوان من الدواوين السلطانية فمتحصِّلها لذلك الديوان، أو جارية فى إقطاع بعض الأمراء ونحوهم فمتحصَّلها لصاحب الإقطاع ، ويعبر عنها فى الدواوين بالهلالى كما يعبر عما يؤخذ من أجرة الأرضين بالخراجى .

المقصـــد الثـالث(1)

(فى ترتيب المملكة، ولها ثلاث حالات)

الحـالة الأولى ـ ما كانت عليه فى زمن عُمَّال الخلفاء من حين الفتح إلى آخر الدولة الأخشيدية ـ ولم يتحرر لى ترتيبها ، والظاهر أنه لم يزل نوابها وأمراؤها حينئذ على هيئة العرب إلى أن وليها أحمد بن طولون وبَنُوه وأحدثوا فيها ترتيب الملك . على أنه كان أكثر عسكره من السودان، حتّى يقال إنه كان فى عسكره آثنا عشر ألف أسود، وتبعتهم الدولة الأخشيدية على ذلك إلى آخر دولتهم .

---

(١) لم يسبق له التعبير بالمقصد الأول والثانى ولم يجمل كعادته فلعل هذا من بعض النساخ . وقد وقع فى هذا الجزء شىء من هذا القبيل فآقتضى التنبيه .

الحالة الثـانية – من أحوال الديار المصرية ما كانت عليه فى زمن الخلفاء الفاطميين، ويحصر المقصود من ترتيب مملكتهم فى ثلاث(١) جمل

الجمـــــلة الأولىٰ

(فى الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العِظَام)

وهى علىٰ أصناف متعدّدة :

منها (التاج) . وكان يُنْعَت عندهم بالتاج الشريف، ويعرف بشدّة الوَقَار . وهو تاج يركب به الخليفـة فى المواكب العِظَام، وفيـه جوهرة عظيمة تُعْرف باليتيمة زنتها سـبعة دراهم ولا يقوّم عليها لنَفَاستها ؛ وحولهـا جواهر أخرىٰ دونها، يلبس الخليفة هذا التاج فى المواكب العظام مكان العِمامة .

ومنها (قضيب الملك) . وهو عُود طول شـبر ونصف، ملَبَّس بالذهب المرصَّع بالدُّرّ والجوهر، يكون بيد الخليفة فى المواكب العظام .

ومنها (السيف الخاص) الذى يحمل مع الخليفة فى المواكب . يقـال إنه كان من صاعقةٍ وقعت وحصل الظَّفَر بها فعمل منها هذا السيف، وحليته من ذهب مرصعة بالجواهر، وهو فى خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه ، وله أمير من أعظم الأمراء يحمله عند ركوب الخليفة فى الموكب .

ومنها (الدواة) . وهى دواة متخذة من الذهب وحليتها مصنوعة من المَرْجَانِ علىٰ صلابته ومناعته، تلف فى منديل شرب(٢) أبيض ، ويحملها شخص من الأستاذين فى الموكب أمام الخليفة تكون بينه وبين السرج، ثم جعل حَمْلُها لعَدْلٍ من العدول المعتبرين .

(١) وصلت فى العدّ الى سبع جمل . (٢) كذا فى الأصل وسياق ولعله نوع مخصوص من الحرير.

ومنها (الرمح) . وهو رمح لطيف فى غلاف منظوم باللؤلؤ، وله سِنَان مختصر بحلية الذهب، وله شخص مختص بحمله .

ومنها (الدَّرَقَةُ) . وهى دَرَقَةٌ كبيرة بكوابج من ذهب، يقولون إنها دَرَقَةُ حمزة عم النبيّ صلى الله عليه وسلم، وعليها غِشَاء من حرير، ويحملها فى الموكب أمير من أكابر الأمراء، له عندهم جلالة .

ومنها (الحافر) . وهى قطعة ياقوت أحمر فى شكل الهلال، زنتها أحد عشر مثقالا، ليس لها نظير فى الدنيا، تخاط خياطة حسنة على خرقة من حرير، وبدائرها قضب زمرد ذبابىّ عظيم الشأن، تجعل فى وجه فرس الخليفة عند ركوبه فى المواكب .

ومنها (المِظَلَّة) التى تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه . وهى قُبَّةٌ على هيئة خيمة على رأس عمود كالمِظَلَّة التى يركب بها السلطان الآن، وكانت آثنى عشر شوزكا عرض سُفْل كل شوزك شبر، وطوله ثلاثة أذرع وثلث، وآخره من أعلاه دقيق للغاية بحيث يجتمع الآثنا عشر شوزكا فى رأس عمود بدائرة، وعمودُها قنطارية من الزّان مَلَبَّسة بأنابيب الذهب، وفى آخر أنبوبة تلى رأس العمود ملكة[1] بارزة مقدار عرض إبهام تشدّ آخر الشوازك فى حَلْقَةٍ من ذهب، وتنزل فى رأس الرمح . ولها عندهم مكانة جليلة لعلوّها رأس الخليفة، وحاملها من أكبر الأمراء .

قال آبن الطوير : وكان من شرطها عندهم أن تكون على لون الثياب التى يلبسها الخليفة فى ذلك الموكب، لا تخالف ذلك .

ومنها (الأعلام) . وأعلاها اللواءان المعروفان بلواءى الحمد، وهما رمحان طويلان مَلَبَّسان بأنابيبَ من ذهب إلى حد أسنَّتهما، وبأعلاهما رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب، ملفوفتان على الرمحين غيرمنشورتين، يُخْرَجان لخروج المِظَلَّة إلى أميرين معدّين لحملهما، ودونهما رمحان برءوسهما أَهِلَّةٌ من ذهب صامت، فى كل واحد

(١) لعله فلكة بالفاء .

منهما سبع من ديباج أحمر وأصفر، وفى فمه طارة مستديرة يدخل فيها الرمح فيفتحان فيظهر شكلهما، يحملهما فارسان من صبيان الخاصّ، ووراءهما رايات لِطَاف ملوّنة من الحرير المرقوم ومكتوب عليها ﴿ نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ طولُ كلّ راية منها ذراعان فى عرض ذراع ونصف، فى كل واحدة ثلاثة طرازات على رماح من القَنَا، عدّتها أبدا إحدى وعشرون راية، يحملها أحد وعشرون فارسا من صبيان الخليفة، وحاملها أبدا راكب بغلة .

ومنها (المِذَبَّتَانِ) وهما مِذَبَّتَانِ عظيمتان كالنخلتين ملويتان محمولتان عند رأس فرس الخليفة فى الركوب .

ومنها (السلاح) الذى يحمله الركابية حول الخليفة . وهو صَمَاصِمُ مصقولة، ودبابيسُ مَلَبَّسة بالكَيْمَخْتِ الأحمر والأسود، ورءُوسها مدوّرة، ولُتُوت حديد كذلك ورءُوسها مستطيلة، وهى عمد حديد طول ذراعين، مربعات الأشكال بمقابض مدوّرة بعدّة معلومة من كل صنف، وستّمائة حربة بأسنّة مصقولة، تحتها جُلَب الفضة، وثلثمائة دَرَقَة بكوابج فضة، يحمل ذلك فى الموكب ثلثمائة عبد أسود كل عبد حربتان ودَرَقَةٌ واحدة، وستون رمحا طول كل واحد منها سبع أذرع، برأسها طلعة وعقبها من حديد، يحملها قوم يقال لهم السريرية يفتلونها بأيديهم اليمنى فَتْلًا متدارك الدوران، ومائة درقة لطيفة، ومائة سيف بيد مائة رجل، كل رجل دَرَقَةٌ وسيف يسيرون رَجَّالة فى الموكب، وعشرة سيوف فى خرائط ديباج أحمر وأصفر بشراريب يقال لها سيوف الدم، تكون فى أعقاب الموكب برسم ضرب الأعناق إذا أراد الخليفة قتلَ أحد . وذلك كله خارج عما يخرج من خزانة التجمل برسم الوزير وأكابر الأمراء وأرباب الرتب وأزمّة العساكر لتجملهم فى الموكب، وهى نحو أربعمائة راية مرقومة الأطراف، وبأعلاها رَمَامِينُ الفضة المذهبة، وعدّة من العماريات : وهى

شبه الكنجاوات ملبَّسة بالحرير الأحمر والأصفر والقرمزىّ وغير ذلك ، وعليها كوابج الفضة المذهبة ، لكل أمير من أصحاب القضب منها عمارية ، ويختص لواءان على رمحين منقوشين بالذهب غير منشورين يكونان أمامه فى الموكب إلى غير ذلك من الآلات التى يطول ذكرها ، ويعسر آستيعابها .

ومنها (النَّقَّارات) . وكانت على عشرين بغلا على كل بغل ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات ، تسير فى الموكب آثنتين آثنتين ولها حِسٌّ حسن .

ومنها (الخيام والفساطيط) وكان من أعظم خيمهم خَيْمَةٌ تعرف بالقاتول ، طول عمودها سبعون ذراعا ، بأعلاه سفرة فضة تسع راوية ماء ، وسعتها مايزيد على فدانين فى التدوير . وسميت بالقاتول لأن فَرَّاشًا سقط من أعلاها فمات .

قلت : ولعمرى إن هذه لأثرة عظيمة تدل على عظيم مملكة وقوة قدرة ، وأنّى يتأتى مثل هذه الخيمة لملك من الملوك وإن جلّ قدره وعظم شأنه .

الجملة الثانية

(فى حواصل الخليفة ، وهى على خمسة أنواع)

النوع الأوّل

(الخزائن ، وهى ثمان خزائن)

الأولى — (خزانة الكتب) . وكانت من أجل الخزائن وأعظمها شأنا عندهم ، وكان فيها من المصاحف الشريفة المكتوبةِ بالخطوط المنسوبة الفائقة عدّةٌ كثيرة ، ومن الكتب النفيسة ما يزيد على مائة ألف مجلد ، مشتملة على أنواع العلوم مما يُدْهِشُ الناظر ويحيره ، وربما آجتمع من المصنَّف الواحد فيها عشرُ نسخ

فما دونها، وكان فيها من الدُّرُوج[1] المكتتبة بالخطوط المنسوبة كخط ٱبن مقلة وٱبن البوّاب، ومن جرى مجراهما[1] .

الثانية ـ (خِزَانة الكُسْوة) وهى فى الحقيقة خزانتان . إحداهما ـ الخزانة الظاهرة، وهى المعبر عنها فى زماننا بالخزانة الكبرىٰ علىٰ ما كانت عليه أوّلا،والمعبر عنها بخزانة الخاصّ علىٰ ما ٱستقرّ عليه الحال آخِرا ، وكان فيها من الحواصل من الديباج الملوّن علىٰ ٱختلاف ضروبها، والشرب الخاص الدبيق والسقلاطون، وغير ذلك من أنواع القماش الفاخرة مايدل علىٰ عِظَم المملكة ، وإليها يحمل ما يُعْمَل بدار
176 الطِّراز بتِنِّيس ودِمْيَاط والإسْكَنْدَرِيَّة من مستعملات الخاص ، وفيها يفصَّل مايؤمر به من لباس الخليفة، وما يحتاج إليه من الخِلَع والتشاريف وغير ذلك . الثانية ـ مُعدّة للباس الخليفة خاصة ، وهى المعبر عنها فى زماننا بالطشت خاناه، وإليها ينقل القماش المفصَّل بالخزانة الأولىٰ من قماش الخليفة وغيره .

الثالثة ـ (خزانة الشراب). وهى المعبر عنها فى زماننا بالشراب خاناه، وكان فيها من أنواع الأشربة والمَعَاجين النفيسة والمربَّيات الفاخرة وأصناف الأدوية والعِطْريّات الفائقة التى لا توجد إلا فيها، وفيها من الآلات النفيسة والآنية الصِّينىّ من الزبادى والصُّحُون والبَرَانِىّ والأزيار ما لا يقدر عليه غير الملوك .

الرابعة ـ خزانة الطُّعْم . وهى المعبر عنها فى زماننا بالحوائج خاناه، وكانت تحتوى علىٰ عدّة أصناف من جميع أصناف القَلَوِيَّات من الفستق وغيره والسُّكَّر والقَنْد والأعسال علىٰ أصنافها والزيت والشَّمع وغير ذلك، ومنها يخرج راتب المطابخ خاصًّا وعامًّا، وينفق لأرباب الخدم وأصحاب التوقيعات فى كل شهر، ولا يحتاج إلىٰ غيرها إلا فى اللحم والخضر .

(١) لعل الأنسب فما فوقها (٢) لعل تمامه [مايدل علىٰ عظم المملكة] كما سيأتى فى نظيره .

الخامسة ــ (خِزَانة السُّروج) . وهى المعبَّر عنها فى زماننا بالرِّكاب خاناه، وكانت قاعة كبيرة بالقصر، بها السروج واللُّجُم من الذهب والفِضَّة ، وسائر آلات الخيل مما يختص بالخليفة ؛ ثم منها ما هو قريب من الخاص ، ومنها ما هو وسط برسم مَنْ هو من أرباب الرُّتَب العالية، ومنها ماهو دُونٌ، برسم من هو برسم العوارى أيام المواكب لأرباب الخدم .

السادسة ــ (خزانة الفَرْش) . وهى المعبر عنها فى زماننا بالفَرّاش خاناه، وكان موضعها بالقصر بالقرب من دار الملك، وكان الخليفة يحضُر إليها من غير جلوس ويطوف فيها، ويسأل عن أحوالها، ويأمر بإدامة عمل الاحتياجات وحملها إليها.

السابعة ــ (خزانة السلاح) . وهى المعبر عنها فى زماننا بالسلاح خاناه، فيها من أنواع السلاح المختلفة مالا نظير له : من الزَّرديَّاتِ المُغشَّاة بالديباج المحكمةِ الصَّنْعة المحلَّاة بالفضة ، والجواشن المُذْهبة ، والخُوَذ المحلَّاة بالذهب والفضة، والسيوف ١٦٦
العربيات والقلجوريَّة ، والرِّماح القنا والقنطاريات المدهونة والمذهبة ، والأَسِنَّة العظيمة والقِسِىّ المخبورة المنسوبة إلى أفاضل الصُّنَّاع ، وقسىّ الرجل والركاب ، وقِسِىّ اللولب التى تبلغ زِنَةُ نصله خمسة أرطال بالمصرى ، والنَّبْل الذى يرمى به عن القسىّ العربية فى المجارى المصنوعة لذلك .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : كان يصرف فيها فى كل سنة سبعون ألف دينار إلى ثمانين ألف دينار .

الثامنة ــ (خزانة التجمُّل) . وهى خزانة فيها أنواع من السلاح يُخْرَج منها للوزير والأمراء فى المواكب الألويةُ والقُضُب الفضة والعماريات وغيرها . قال ابن الطوير : هى من حقوق خزائن السلاح .

وأمّا (خزائن المـال) فكان فيها من الأموال والجواهر النفيسة، والذخائر العظيمة، والأقمشة الفاخرة مالا تحصره الأقلام .

وناهيك أن المستنصر لمـا وقع الغلاء العظيم بمصر، أخرج من خِزَانتـه فى سـنة آثنتين وستين وأربعمائة ذخائِرَ تَسَعُهَا للإعانة على قيام أمر المملكة والجند، فكان مما أخرجه ثمانون ألف قطعة بِلَّوْرٍ كبار، وسبعون ألف قطعة من الدِّيباج، وعشرون ألف سيف مُحَلًّى . ولمـا آستولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوبَ على القصر بعد وفاة العاضد: آخر خلفائهم، وجد فيه من الأعلاق الثمينة والتُّحف ما يخرج عن حدّ الإحصاء، من جملته الحافر الياقوت المقدّم ذكره. ويقال إنه وجد فيه قضيب زُمُرُّدٍ يزيد على قامة الرجل على ما تقـدّم ذكره فى الكلام على الأحجار الملوكيـة فى أثناء المقالة الأولى، ووجد فيه أيضـا الهَرَم العَنْبَرَ الذى عمله الأمين زِنَتُه ألف رطل بالمصرى .

النـــوع الثـانى

(حواصل المواشى المعبر عنها عند كُتَّاب زماننا بالكُرَاع ، وهى حاصلان)

الأوّل — الإصطبلات . وهى حواصل الخيول والبِغَال وما فى معناها، قال آبن الطوير: وكان لهم إصـطبلان . قال: وكان للخليفة برسم[(١)] الخـاصّ[(١)] فى كل إصطبل مايقْرُب من الألف رأس، النصف من ذلك برسم الخاصّ، والنصف برسم العوارى فى المواكب لأرباب الرُّتَب والمستخدمين، وكان لكل ثلاثة أرؤُس منهـا سائس واحد، لكل واحد منها شدّاد برسم تسييرها، وبكل من الإصطبلين رائض كأمير اخور. ومن غريب ما يحكى أن أحدا من خلفاء الفاطميين لم يركب حِصَانًا أدهَم قَطُّ، ولا يَرَوْنَ إضافته إلى دوابّهم بالإصطبلات .

(١) لعلهما زائدتان من قلم الناسخ .

الثانى – المُنَاخات . وهى حواصل الجمال . وكان لهم من الجمال الكثيرة بالمُنَاخات وعُدَدها الفائقة ما يقصر عنه الحدّ .

النوع الثالث

(حواصل الغلال وشُوَنُ الأَتْبان)

أمّا الغلال ، فكانت لهم الأهراءُ فى عدّة أماكنَ : بالقاهرة و بالفُسْطَاط ، والمَقْسِم ، ومنها تصرف الإطلاقات لأرباب الرواتب والخدم والصدقات وأرباب الجوامع والمساجد والجرايات والطواحين السلطانية ، وجرايات رجال الأسطول وغير ذلك ، وربما طال زمن الغلال فيها حتّى تقطع بالمساحى .

وأمّا شون الأتبان ، فكان بطريق الفُسْطَاط شونتان عظيمتان مملوءتان بالتبن معبأتان تعبئة المراكب كالجبلين الشاهقين ، وينفق منها للإصطبلات والمواشى الديوانية وعَوامل بساتين الملك ، وكانت ضريبة كل شليف عندهم ثلثمائة وستين رطلا .

النوع الرابع

(حواصل البِضَاعة)

قال ٱبن الطوير : وكان فيها ما لا يحصره إلا القلم من الأخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشيمة ، وآلات الأساطيل من القِنَّب والكَتَّان ، والمنجنيقات والصُّنَّاع الكثيرة من الفرنج وغيرهم من أهل كل صنعة ، وكانت الصناعة أوّلا بالجزيرة المعروفة الآن بالرَّوْضَة ، ولذلك كانت تعرف بينهم بجزيرة الصّناعة قاله القضاعى .

النوع الخـامس

(مافى معنىٰ الحواصل : لوقوع الصرف والتفرقة منه ،
وهو الطواحين والمَطْبَخ ودار الفطرة)

فأمّا الطواحين ، فإنها كانت معلقة ، مداراتها أسفلُ وطواحينها فوقُ كما فى السواقى حتى لا يقارب الدقيقَ زِبْلُ الدوابّ الدائرة لاختصاصـه بالخليفة . وأمّا المَطْبَخ ، فقد تقـدّم فى الكلام علىٰ خطط القاهرة ، وكان يدخل بالطعام منـه إلى القصر من باب الزُّهومة مكانَ قاعة الحنـابلة من المدرسة الصالحيـة الآن علىٰ ما تقـدّم فى خِطَط القاهرة . قال ابن الطوير : ولم يكن لهم أسمطة عامّة فى سوىٰ العيدين وشهر رمضان .

الجمـــــلة الثـالثة

(فى ذكر جيوش الدولة الفاطمية ، وبيان مراتب أرباب السيوف)

وهم علىٰ ثلاثة أصناف :

الصـــنف الأوّل الأُمراء ،

(وهم علىٰ ثلاث مراتب)

المرتبة الأولىٰ — مرتبة الأمراء المطوَّقين . وهم الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب فى أعناقهم ، وكأنهم بمثابة الأمراء مقدّمى الأُلوف فى زماننا .

المرتبة الثانية — مرتبة أرباب القُضُب ، وهم الذين يركبون فى المواكب بالقُضُب الفِضّة التى يخرجها لهم الخليفة من خِزانة التجمُّل تكون بأيديهم ، وهم بمثابة الطبلخاناه فى زمانـنا .

المرتبة الثالثة — أدوان الأمراء ممن لم يؤهَّل لحمل القُضُب . وهم بمثابة أمراء العشرات والخمسات فى زماننا .

الصـــنف الثانى

(خواص الخليفة ، وهم على ثلاثة أنواع)

النـــوع الأوّل

(الأستـاذون)

وهم المعروفون الآن بالخدّام و بالطواشيَّة ، وكان لهم فى دولتهم المكانة الجليلة ، ومنهم كان أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة ، وأجلهم المُحَنَّكُونَ ، وهم الذين يُدَوِّرون 180 عمائمهم على أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة الآن ، وهم أقربهم إليه وأخصهم به ، وكانت عدّتهم تزيد على ألف . قال ابن الطوير : وكان من طريقتهم أنه متى ترشح أستاذ منهم للحنك وحنك ، حَمَلَ إليه كل أستاذ من المحنكين بَدْلَةً كاملة من ثيابه وسيفا وفرسا فيصبح لاحقا بهم ، وفى يده مثل ما فى أيديهم .

النـــوع الثانى

(صِبْيان الخاص)

وهم جماعة من أخصاء الخليفة نحو خمسمائة نفر منهم أمراء وغيرهم ، ومقامهم مقام المعروفين بالخاصكية فى زماننا .

النـــوع الثالث

(صِبْيان الحُجَر)

وهم جماعة من الشَّبَاب يناهزون خمسة آلاف نفر مقيمون فى حُجَر منفردة لكل حُجْرة منها اسم يخصها ، يضاهون مماليك الطباق السلطانية الآن المعبر عنهم بالكتابية إلا أن عدّتهم كاملة وعللهم مزاحة ، ومتى طُلِبوا لِمُهِمٍّ لم يجدوا عائقا ، وللصِّبيان منهم حجرة منفردة يتسلمها بعض الأستاذين ، وكانت حُجَرتهم بمعزل عن القصر داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية بيبرس الآن .

الصنف الثالث

(طوائف الأجناد)

وكانوا عدّة كثيرة، تنسب كلُّ طائفة منهم إلىٰ مَنْ بقى من بقايا خليفة من الخلفاء الماضين منهم ، كالحافظية والآمرية من بقايا الحافظ والآمر ، أو إلىٰ مَنْ بقى من بقايا وزير من الوزراء الماضين كالجُيُوشية والأفضلية من بقايا أمير الجيوش بدر الجمالى وولده الأفضل ، أو إلىٰ مَنْ هى منتسبةٌ إليه فى الوقت الحاضر كالوزيرية أو غير ذلك من القبائل والأجناس كالأتراك والأكراد والغز والدَّيْلم والمَصَامدة ، أو من المستصنعين كالروم والفرنج والصَّقالبة ، أو من السُّودان من عبيد الشراء ، أو العُتَقَاء وغيرهم من الطوائف ، ولكل طائفة منهم قُوّاد ومقدّمون يحكمون عليهم . 181

الجملة الرابعة

(فى ذكر أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ، وهم علىٰ قسمين)

القسم الأوّل

(ما بحضرة الخليفة ، وهم أربعة أصناف)

الصنف الأوّل

(أرباب الوظائف من أرباب السيوف ، وهم نوعان)

النوع الأوّل

(وظائف عامّة الجند ، وهى تسع وظائف)

الوظيفة الأولىٰ — (الوزارة) وهى أرفع وظائفهم وأعلاها رتبةً . وآعلم أن الوزارة فى الدولة الفاطمية كانت تارة تكون فى أرباب السُّيوف ، وتارة فى أرباب الأقلام ، وفى كلا الجانبين تارة تعلو فتكون وزارةَ تَفْويض تضاهى السلطنة الآن

أو قريبا منها، ويعبر عنها حينئذ بالوزارة، وتارة تنحطّ فتكون دون ذلك، ويعبر عنها حينئذ بالوَساطة .

قال فى "نهاية الأرب" : وأوّل مَنْ خُوطب منهم بالوزارة يعقوبُ بن كلس وزير العزيز، وأوّل وزارتهم من عظماء أرباب السيوف بدر الجمالى وزير المستنصر، وآخرهم صلاح الدين يوسف بن أيوب، ومنها ٱستقل بالسلطنة علىٰ ما تقدّم .

الوظيفة الثانية — (وظيفة صاحب الباب) وهى ثانى رتبة الوزارة . قال ٱبن الطوير : وكان يقال لها الوزارة الصغرىٰ، وصاحبها فى المعنىٰ يقرب من النائب الكافل فى زماننا، وهو الذى ينظر فى المظالم إذا لم يكن وزيرٌ صاحبُ سيف، فإن كان ثمّ وزيرٌ صاحب سيف، كان هو الذى يجلس للظالم بنفسه، وصاحبُ الباب من جملة مَنْ يقف فى خِدْمته .

الوظيفة الثالثة — (الاسفهلارية) . قال ٱبن الطوير : وصاحبها زِمَام كلّ زمَام، وإليه أمر الأجناد والتحدّث فيهم، وفى خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحُجّاب 182
علىٰ ٱختلاف طبقاتهم .

الوظيفة الرابعة — (حمل المِظَلّة) فى المواسم العِظام : كركوب رأس العام ونحوه . وهى من الوظائف العِظام، وصاحبها يسمّى حاملَ المظلة، وهو أمير جليل، وله عندهم التقدّم والرفعة : لحمل مايعلو رأس الخليفة .

الوظيفة الخامسة — (حمل سيف الخليفة) فى المواكب التى تحمل فيها المظلة، ويعبر عن صاحبها بحامل السيف .

الوظيفة السادسة — (حمل رُمْح الخليفة) فى المواكب التى تحمل فيها المظلة . وهو رمح صغير يحمل مع الخليفة فى المواكب، وصاحبها يعبر عنه بحامل الرمح .

الوظيفة السابعة – (حمل السِّلاح) حول الخليفة فى المواكب . وأصحاب هذه الوظيفة يعبر عنهم لزيهم بالركابية وبِصِبْيان الركاب الخاص أيضا، وهم الذين يعبر عنهم فى زماننا بالسِّلاحدارية والطَّبَرْدارية، وكانت عدّتهم تزيد على ألفَىْ رجل، ولهم اثنا عَشَر مقدَّما، وهم أصحاب ركاب الخليفـة، ولهم نُقَبَاءُ موكَّلون بمعرفتهـم، والأكابر من هؤلاء الرَّكابيَّة تندب فى الأشغال السلطانية، وإذا دخلوا عملا كان لهم فيه الصِّيتُ المرتفع .

الوظيفة الثامنة – (وِلَاية القاهرة). وكان لصاحبها عندهم الرتبة الجليلة والحُرْمة الوافرة، وله مكان فى الموكب يسير فيه .

الوظيفة التاسـعة – (ولاية مصر) . وهى دون ولاية القاهرة فى الرتبة كما هى الآن، إلا أن مصر كانت إذ ذاك عامرةً آهلةً، فكان مقـدارها أرفع مما هى عليه فى زمانـا .

النـــوع الثـانى

(وظائف خواصّ الخليفة من الأستاذين، وهى عدّة وظائف، وهى على ضربين)

الضرب الأوّل

(ما يختص بالأستاذين المحنَّكين، وهى تسع وظائف)

183 الأولى – (شـدّ التاج) . وموضوعها أن صاحبها يتولّى شدّ تاج الخليفة الذى يلبَسه فى المواكب العظيمة بمثابة اللَّفَّاف فى زماننا، وله مِيزَةٌ على غيره بلمسه التاجَ الذى يعلو رأس الخليفة، وكان لشدّه عندهم ترتيب خاص لا يعرفه كل أحد، يأتى به فى هيئة مستطيلة، ويكون شدّه بمنديل من لون لِبْس الخليفة، ويعبر عن هذه الشدّة بشدّة الوَقَار كما تقدّم .

الثانية ـ وظيفة (صاحب المجلس). وهو الذى يتولّى أمر المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوسَ العامَّ فى المواكب، ويخرج إلى الوزير والأمراء بعد جلوس الخليفة على سرير الملك يُعْلمهم بذلك ، وينعت (بأمين الملك) ، وهو بمثابة أمير خازندار فى زماننا .

الثالثة ـ وظيفة (صاحب) الرسالة . وهو الذى يخرج برسالة الخليفة إلى الوزير وغيره .

الرابعة ـ وظيفة (زِمَام القُصور) . وهو بمثابة زِمَام الدُّور فى زماننا .

الخامسة ـ وظيفة (صاحب بيت المال) . وهو بمثابة الخازندار فى زماننا .

السادسة ـ وظيفة (صاحب الدفتر) المعروف بدفتر المجلس . وهو المتحدّث على الدواوين الجامعة لأمور الخلافة .

السابعة ـ وظيفة (حامل الدواة) . وهى دواة الخليفة المتقدّم ذكرها، وصاحب هذه الوظيفة يحمل الدواة المذكورة قدامه على السَّرْج ويسير بها فى المواكب .

الثامنة ـ وظيفة (زم الأقارب) . وصاحبها يحكم على طائفة الأشراف الذين هم أقارب الخليفة وكلمته نافذة فيهم .

التاسعة ـ (زمّ الرجال). وهو الذى يتولّى أمر طعام الخليفة كأستادار الصحبة.

الضرب الثانى

(ما يكون من غير المحنّكين، ومن مشهوره وظيفتان)

الأولى ـ نِقَابة الطالبيِّين . وهى بمثابة نِقَابة الأشراف الآن، ولا يكون إلا من 184
شيوخ هـذه الطائفة وأجلّهم قَدْرًا ، وله النظر فى أمورهم، ومنع من يدخل فيهم من

الأدعياء، وإذا آرتاب بأحد أخذه بإثبات نَسَبه . وعليه أن يعود مَرْضاهم، ويمشى فى جنائزهم، ويسعىٰ فى حوائجهم، ويأخذ علىٰ يد المتعدّى منهم، ويمنعه من الاعتداء، ولا يَقْطَع أمرا من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم ونحو ذلك .

الوظيفة الثانية — (زم الرجال) . وصاحبها يتحدّث علىٰ طوائف الرجال والأجناد كزم صِبْيان الحُجَر، وزم الطائفة الآمرية والطائفة الحافظية، وزم السُّودان وغير ذلك، وهو بمثابة مقدّم المماليك فى زماننا .

الصــنف الثانى

(من أرباب الوظائف بحضرة الخليفة أربابُ الأقلام، وهم علىٰ ثلاثة أنواع)

النــوع الأول

(أرباب الوظائف الدينية، والمشهور منهم ستة)

الأول — (قاضى القُضَاة) . وهو عندهم من أجلّ أرباب الوظائف وأعلاهم شأنا وأرفعهم قدرا . قال آبن الطوير : ولا يتقدّم عليه أحد أو يحتمى عليه، وله النظر فى الأحكام الشرعية ودُور الضَّرْب وضبط عيارها، وربما جُمِعَ قضاءُ الديار المصرية وأجنادُ الشأم وبلاد المغرب لقاض واحد وكتب له به عهدٌ واحد كما سيأتى فى الكلام علىٰ الولايات إن شاء الله تعالىٰ .

ثم إن كان الوزير صاحبَ سيف، كان تقليدُه من قِبَلِه نيابة عنه، وإن لم يكن، كان تقليده من الخليفة،

ويقدّم له من إصطبلات الخليفة بغلةٌ شهباء يركبها دائما، وهو مختص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة، ويخرج له من خِزانة السروج مركب ثقيل وسرج برادفتين من الفضة، وفى المواسم الأطواقُ، وتُخلَع عليه الخلع المُذَهَّبة، وكان من

185 مصطلحهم أنه لا يعدّل شاهدا إلا بأمر الخليفة، ولا يحضُر إملاكا ولا جنازةً إلا بإذن، وإذا كان ثَمَّ وزيرٌ لا يخاطب بقاضى القضاة لأن ذلك من نعوت الوزير؛ ويجلس يوم الاثنين والخميس بالقصر أول النهار للسلام على الخليفة، ويوم السبت والثلاثاء يجلس بزيادة الجامع العتيق بمصر، وله طَرْحة ومسند للجلوس وكُرسىّ توضع عليه دواتُه . وإذا جلس بالمجلس، جلس الشهود حوالَيْه يَمْنَةً ويَسْرَةً على مراتبهم فى تقدّم تعديلهم . قال ابن الطوير : حتّى يجلس الشابُّ المتقدّمُ التعديلِ أعلى من الشيخ المتأخرِ التعديلِ، وبين يديه أربعة موقعون: آثنان مقابل آثنين، وببابه خمسة حُجّاب : آثنان بين يديه وآثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم . ولا يقوم لأحد وهو فى مجلس الحكم البتةَ .

الثانى ــ (داعى الدُّعاة) . وكان عندهم يلى قاضىَ القضاة فى الرتبة ويتزيا بزيه فى اللباس وغيره . وموضوعه عندهم أنه يقرأ عليه مذاهب أهل البيت بدار تعرف بدار العلم، ويأخذ العهد على من ينتقل إلى مذهبهم .

الثالث ــ (المحتسب) .وكان عندهم من وجوه العُدُول وأعيانهم،وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه قرئ سجلُّه بمصر والقاهرة على المنبر؛ ويده مُطْلَقَةٌ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحِسْبة؛ ولا يُحَال بينه وبين مصلحة أرادها؛ ويتقدّم إلى الوُلاة بالشدّ منه ، ويقيم النُّوّاب عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال كنوّاب الحُكْم؛ ويجلس بجامعى القاهرة ومصر يوما بيوم،وباقى أمره على ما الحال عليه الآن .

186 قلت : ورأيت فى بعض سجلّاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحب الشُّرْطة بهما أحيانا .

الرابع ــ (وكالة بيت المال) . وكانت هذه الوكالة لا تُسند إلا لذوى الهيبة من شيوخ العدول، ويفوض إليه عن الخليفة بيعُ ما يرى بيعه من كل صنف يملك

ويجوز التصرف فيه شرعا، وعتقُ المماليك، وتزويجُ الإماء، وتضمين مايقتضى الضمان، وآبتياعُ ما يرىٰ آبتياعه، وإنشاء ما يرىٰ إنشاءه من البناء والمراكب وغير ذلك مما يحتاج إليه فى التصرف عن الخليفة .

الخامس — (النائب). والمراد نائب صاحب الباب المتقدّم ذكره المعبرَّ عنه فى زماننا بالمهمندار . قال آبن الطوير : ويعبرَّ عن هذه النيابة بالنيابة الشريفة . قال : وهى رتبة جليلة، يتولاها أعيان العدول وأرباب الأقلام ؛ وصاحبها ينوب عن صاحب الباب فى تلقّى الرُّسُل الواردين علىٰ الخليفة علىٰ مسافة وقفة نُوّاب الباب فى خدمته ، ويُنْزِل كُلًّا منهم فى المكان اللائق به، ويرتّب لهم ما يحتاجون إليه ، ولا يمكّن أحدا من الآجتماع بهم، ويتولّىٰ آفتقادهم ، ويُذَكِّر صاحب الباب بهم ، ويسعىٰ فى نَجَاز أمرهم ، وهو الذى يسلّم بهم علىٰ الخليفة أو الوزير ويتقدّمهم ويستأذن عليهم، ويدخل الرسول وصاحبُ الباب قابضٌ علىٰ يده اليمنىٰ، والنائبُ قابض علىٰ يده اليسرىٰ فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم، ويجتهد فى آنفصالهم علىٰ أحسن الوجوه، وإذا غاب أقام عنه نائبا إلىٰ أن يعود. ومن شريطته أنه لا يتناول من أحد من الرسل تقدمةً ولا طُرْفة إلا بإذن .

قال آبن الطوير : وهو المسمّى الآن بالمهمندار، وسيأتى فى الكلام علىٰ ترتيب المملكة المستقرّ أن المِهْمِنْدَارَ الآن من أصحاب السيوف ، وكأنَّ ذلك لموافقة الدولة فى اللسان والهيئة .

السادس — (القُرّاء) . وكان لهم قرّاء يقرءون بحضرة الخليفة فى مجالسه وركوبه فى المواكب وغير ذلك، وكان يقال لهم "قرّاء الحضرة" يزيدون فى العدّة علىٰ عشرة نَفَر، وكانوا يأتون فى قراءتهم فى المجالس ومواكب الركوب بآيات مناسبة للحال بأدنىٰ ملابسة، قد أَلِفُوا ذلك وصار سهلَ الآستحضار عليهم، وكان ذلك يقع منهم موقعَ

الاستحسان عند الخليفة والحاضرين، حتى إنه يحكى أن بعض الخلفاء غضب على أمير فأمر باعتقاله ، فقرأ قارئ الحضرة : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فاستحسن ذلك وأطلقه إلا أنهم كانوا ربما أتوا بآيات إذا روعى قصدُهم فيها، أخرجت القرءان عن معناه : كما يحكى أنه لما استوزر المستنصرُ بدر الجمالى قرأ قارئهم : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ ولما استوزر الحافظ رضوان قرأ قارئهم : ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ إلى غير ذلك من الوقائع .

النــــوع الثانى

(من أرباب الأقلام أصحاب الوظائف الديوانية، وهى على ثلاثة[1] أضرب)

الضرب الأول

(الوزارة إذا كان الوزير صاحبَ قلم)

اعلم أن أكثر وزرائهم فى ابتداء دولتهم إلى أثناء خلافة المستنصر كانوا من أرباب الأقلام : تارةً وزارة تامة وتارة وَساطة، وهى رتبة دون الوِزارة، وممن اشتهر من وزرائهم أربابِ الأقلام فيما ذكره ابن الطوير يعقوبُ بن كلس وزير العزيز، والحسنُ بن عبد الله اليازُورىّ وزير المستنصر، وأبو سعيد التُّسترىّ، والجرجانى، وابن أبى كدينة، وأبوالطاهر أحمد بن بابْشاذ صاحب المقدمة فى النحو، ووزير الوزراء علىّ بن فلاح، والمَغْربىّ وزير المستنصر، وهو آخر من وُزِّر لهم من أصحاب الأقلام ، وعليه قدم أمير الجيوش بدرٌ الجمالىّ فوُزِّر للمستنصر على ما تقدم ذكره ؛ وربما تخلل تلك المدة الأولى فى الوَساطة أربابُ السيوف ، كبَرْجَوان الخادم ، وقائد القوّاد الحسين بن جوهر ، وثِقةُ ثقات السيف والقلم علىٌّ بن صالح

(١) المعدود أربعة كما يعلم مما سيأتى .

كلهم فى أيام الحاكم . وربما وَلِىَ الوساطةَ بعضُ النصارى، كعيسىٰ بن نسطورس فى أيام العزيز، ومنصور بن عَبْدُون الملقب بالكافى، وزرعة بن نسطورس الملقب بالشافى كلاهما فى أيام الحاكم . وربما كان الأمر شُورىٰ فى أهل المروادنى(١)، وكان من زِىِّ وزرائهم أصحابِ الأقلام أنهم يَلْبَسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم كالعُدُول، وينفردون بلُبْس الدراريع مشقوقةً من النحر إلىٰ أسفل الصدر بأزرار وعُرًى، وهـذه علامة الوزارة، ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك، ومنهم من تكون أزراره من لؤلؤ، وعادته أن تحمل له الدواة المحلاة بالذهب من خزانة الخليفة ويقف بين يديه الحُجّاب، وأمره نافذ فى أرباب السيوف من الأجناد، وفى أرباب الأقلام .

الضرب الثانى

(ديوان الإنشاء ، وكان يتعلق به عندهم ثلاث وظائف)

الأولىٰ ـ صحَابة ديوان الإنشاء والمكاتَبات، وكان لا يتولّاه إلا أجلُّ كُتّاب البلاغة ، ويخاطب بالأجلّ، وكان يقال له عندهم كاتب الدَّسْت الشريف، وإليه تسلَّم المكاتبات الواردة مختومةً فيَعْرِضها علىٰ الخليفة من يده، وهو الذى يأمر بتنزيلها والإجابة عنها ، ويستشيره الخليفة فى أكثر أموره ، ولا يُحْجب عنه متىٰ قصد المثولَ بين يديه، وربما بات عنده الليالىَ ، ولا سبيل إلىٰ أن يدخل إلىٰ ديوانه ولا يجتمع بكُتّابه أحدٌ إلا خواصّ الخليفة . وله حاجب من الأمراء الشُّيوخ ، وله مرتبة عظيمة للجلوس عليها بالمَخادّ والمسند، ودواته من أخصّ الدُّوِىّ وأحسنها إلا أنه ليس لها كرسىّ توضع عليه كدواة قاضى القُضاة ، ويحملها له أستاذ من الأستاذين المختصين بالخليفة إذا أتىٰ إلىٰ حضرته .

(١) كذا فى الأصل مضببا عليه إشارة للتوقف ولعله المروءات .

الثانية ـ (التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم) وهى رُتْبة جليلة تلى رتبةَ صاحب ديوان الإنشاء والمكاتَبات، يكون صاحبها جليسا للخليفة فى أكثر أيام الأُسْبوع فى خلوته، يذاكره ما يحتاج إليه من كتاب الله تعالىٰ أو أخبار الأنبياء والخلفاء الماضين، ويقرأ عليه مُلَح السِّيَر، ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق، ويقوى يده فى تجويد الخط وغير ذلك . وصحبَته للجلوس دواة مُحلَّاة، فإذا فرغ من المجالسة ألقىٰ فى الدواة كاغَدَة فيها عشرة دنانير، وقِرْطاسٌ فيه ثلاثة مثاقيل ند مثلَّث خاصّ ليتبخر به عند دخوله علىٰ الخليفة ثانى دَفْعة . وإذا جلس الوزير صاحب السيف للمظالم، كان إلىٰ جانبه يوقِّع بما يأمر به فى المظالم . وله موضعٌ من حقوق ديوان المكاتَبات لا يدخل إليه أحد إلا بإذن، وفرّاش لتقديم القصص، ويرفع إليه هناك قصص المظالم فيوقِّع عليها بما يقتضيه الحال كما يفعل كاتب السر الآن .

الثالثة ـ (التوقيع بالقلم الجليل). وكان يسمَّى عندهم الخدمةَ الصغيرة لجلالتها، ولصاحبها الطَّرَّاحة والمسند فى مجلسه بغير حاجب. وموضوعها الكتابة بتنفيذ ما يوقِّع به صاحب القلم الدقيق، وبسطه . وصاحب القلم الدقيق فى المعنىٰ ككاتب السر أو كاتب الدَّسْت فى زماننا، وصاحب القلم الجليل ككاتب الدَّرْج . فإذا رفعت قِصَص المظالم، حملت إلىٰ صاحب القلم الدقيق فيوقِّع عليها بما يقتضيه الحال بأمر الخليفة أو أمر الوزير أو من نفسه، ثم تحمل إلىٰ الموقِّع بالقلم الجليل لبسط ما أشار إليه صاحب القلم الدقيق، ثم تحمل فى خريطة إلىٰ الخليفة فيوقِّع عليها، ثم تُخْرَج فى خريطتها إلىٰ الحاجب فيقف علىٰ باب القصر، ويسلِّم كلَّ توقيع لصاحبه .

أمّا توقيع الخليفة بيده علىٰ القِصَص، فإنه إن كان ثَمَّ وزيرٌ صاحبُ سيف وقَّع الخليفة علىٰ القصة بخطه: "وزيرنا السيد الأجل (ونعته بالمعروف به) أمتعنا الله تعالىٰ ببقائه يتقدّم بكذا وكذا إن شاء الله تعالىٰ" ويحمل إلىٰ الوزير فإن كان يحسن الكتابة،

كتب تحت خط الخليفة : "أمتثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليـه" وإن كان لايحسن الكتابة، كتب أمتثل فقط؛ وإن لم يكن وزيرٌ صاحبُ سيف : فإن أراد الخليفة نجاز الأمر لوقته، وقّع فى الجانب الأيمن من القصة "يوقّع بذلك" فتخرج إلىٰ صاحب ديوان المجلس فيوقّع عليها بالقلم الجليل ويخلى موضع العلامة، ثم تعاد إلىٰ الخليفة فيكتب فى موضع العلامة (يُعتَمد) وتُثبَت فى الدواوين بعد ذلك. وإن كان يوقع فى مساحة أو تسويغ أو تحبيس، كتب لرافعها بذلك "وقد أمضينا ذلك" وإن أراد علم حقيقة القصـة ، وقّع علىٰ جانب القصـة "ليخرج الحـال فى ذلك" وتحمل إلىٰ الكاتب فيكتب الحـال وتعاد إلىٰ الخليفة فيفعل فيها ما أراد من توقيع ومنع، والله أعلم .

الضرب الثـالث

(ديوان الجيش والرواتب، وهو علىٰ ثلاثة أقسام)

الاول ـ (ديوان الجيش) . ولا يكون صاحبه إلا مُسْلِمـا، وله الرتبة الجليلة والمكانة الرفيعة؛ وبين يديه حاجبٌ، وإليه عرض الأجناد وخيولهم، وذكر حِلَاهم وشِيَات خيولهم . وكان من شرط هذا الديوان عندهم أن لايثبت لأحد من الأجناد إلا الفرس الجيد من ذكور الخيل وإناثها دون البغال والبراذين، وليس له تغيير أحد من الأجناد ولا شيء من اقطاعهم إلا بمرسوم . وبين يدى صاحب هذا الديوان نُقَباء الأمراء ، يُعَرِّفونه أحوال الأجناد من الحيـاة والموت والغَيْبة والحضور وغير ذلك، علىٰ ماالحال عليه الآن . وكان قد فسح للأجناد فى المقايضة بالإقطاعات لمـا لهم فى ذلك من المصالح كما هو اليوم، بتوقيعات من صاحب ديوان المجلس من غير علامة؛ ولم يكن لأمير من أمرائهم بلد كاملة، وإن علا قدرُه إلا فى النادر . ومن هذا الديوان كان يعمل أوراق أرباب الجرايات، وله خازنان برسم رفع الشواهد .

الثانى – (ديوان الرواتب) . وكان يشتمل على آسم كل مرتزق فى الدولة وجار وجراية ؛ وفيه كاتب أصيل بطّراحة ونحو عشرة مُعِينين ، والتعريفات واردة عليه من كل عملٍ بآستمرار مَنْ هو مستمرّ ومباشرة مَن آستجدّ وموت مَنْ مات ، وفيه عدّة عروض يأتى ذكرها فى الكلام على إجراء الأرزاق والعطاء .

الثالث – (ديوان الإقطاع). وكان مختصا عندهم بما هو مُقْطَع للأجناد، وليس للباشرين فيه تنزيل حلْية جُنْدىّ ولا شِيَة دابته، وكان يقال لإقطاعات العُرْبان فى أطراف البلاد وغيرها الاعتداد، وهى دون عبرة الأجناد .

الضرب الرابع
(نظر الدواوين)

وصاحب هذه الوظيفة هو رأس الكل ، وله الولاية والعزل ، وإليه عرض الأرزاق فى أوقات معروفة على الخليفة والوزير، وله الجلوس بالمرتبة والمسند، وبين يديه حاجب من أمراء الدولة ؛ وتُخْرج له الدواة من خزانة الخليفة بغير كرسىّ ، وإليه طلب الأموال وآستخراجُها والمحاسبةُ عليها، ولا يعترض فيما يقصده من أحد من الدولة . قال آبن الطوير : ولم يُرقَ هذه الوظيفة نصرانىّ إلا الأخرم .

الثانية[1] – ديوان التحقيق . وموضوعه المقابلة على الدواوين ، وكان لا يتولاه إلا كاتب خبير، وله الخِلَع ومَرْتبة يجلس عليها وحاجب بين يديه، ويُفْتَقر إليه فى كثير من الأوقات، ويُلْحق برأس الدواوين المتقدم ذكره .

الثالثة – ديوان المجلس . قال آبن الطوير : وهو أصل الدواوين قديما، وفيه معالم الدولة بأجمعها، وفيه عدّة كُتّاب، وعنده مُعِين أو معينان، وصاحب هذا الديوان

(١) لم يتقدم له تقسيم ولم يذكر أولى لتكون هذه ثانيتها والذى يفهم من المقام أنها وظائف وأن وظيفة نظر الدواوين أولى ونظر ديوان التحقيق ثانية وهكذا تأمل .

هو المتحدث فى الإقطاعات، ويُخْلَع عليه و ينشأ له سجلٌ بذلك لاحق بديوان النظر، وله دواة تُخْرَج له من خزانة الخليفة وحاجب يقف بين يديه، وكان يتولاه عندهم أحد كُتّاب الدولة ممن يكون مترشحا لأن يكون رأس الدواوين ، ويسمى آستيماره دفتر المجلس ، وهو متضمن للعطاء والظاهر من الرسوم التى تقرر فى غُرّة السنة والضحايا، وما ينفق فى دار الفِطْرَة فى عيد الفطر، وفى فتح الخليج والأسمطة المستعملة فى رمضان وغيره، وسائر المآكل والمشارب والتشريفات، وما يطلَق من الأهراء من الغَلّات، وما لأولاد الخليفة وأقاربه وأرباب الرواتب على آختلاف الطبقات من المُرتَّب، وما يَرِد من الملوك من الهدايا والتحف، وما يُبْعَث به إليهم من الملاطفات، ومقاديرُ صلات الرسل الواردين بالمكاتبات، وما يخرج من الأكفان لمن يموت من الحريم، وضبط ما يُنْفَق فى الدولة من المهمّات ليُعْلَم ما بين السنة والأخرى من التفاوت وغير ذلك من الأمور المهمة . وهـذا الديوان فى زماننا قد تفرّق إلى عدّة دواوين كالوزارة ونظر الخاص والجيش وغيرها .

الرابعة — (ديوان خزائن الكُسْوة) . وكان لها عندهم رتبة عظيمة فى المباشرات، وقد تقدّم ذكر حواصلها فى جملة الخزائن فيما سبق . 193

الخامسة — (الطِّراز) . وكان يتولاه الأعيان من المستخدمين من أرباب الأقلام، وله آختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين، ومُقامه بدِمْيَاط وتِنّيس وغيرهما من مواضع الآستعمالات، ومن عنده تحمل المستعملات إلى خزانة الكسوة المقدّمة الذكر .

السادسة — (الخدمة فى ديوان الأحباس) . قال آبن الطوير: وهى أوكد الدواوين مباشرة ولا يخدُم فيها إلا أعيان كُتّاب المسلمين من الشهود المعدّلين، وفيها عدّة مُدراء[(١)]

(١) تقدم له مثل هذا الجمع فى الجزء الأوّل ونبهنا عليه .

بسبب أرباب الرواتب ، وكان فيه كاتبان ومُعِينان لنظم الاستيمارات ، ويُورِد فى استيماره كل ما فى الرقاع والرواتب، وما يُجْبى له من جهات كل من الوجهين القبلىّ والبحرىّ .

السابعة — (الخدمة بديوان الرواتب). وفيه مرتَّبات الوزير فمن دُونَه إلى الضوى . قال ابن الطوير : بلغ فى بعض السنين مايزيد على مائة ألف دينار ونحوا من مائتى ألف، ومن القمح والشعير عشرة آلاف إردب ، وكان استيمار الرواتب يعرض فى كل سنة على الخليفة فيزيد من يزيد، وينقص مَنْ ينقص، وإنه عُرِض سنةً على المستنصر بالله فلم يعترض أحدا من المرتَّبين بنقص، ووقَّع على ظاهر الاستيمار بخطه "الفقر مُرُّ المَذَاق، والحَاجَةُ تُذِلُّ الأعْنَاق، وحِرَاسَةُ النِّعَم بإدْرَارِ الأرزاق، فَلْيُجْرَوْا على رسومهم فى الإطلاق، مَاعِنْدَكُمْ يَنْفَدُ، وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ" وأمر ولىّ الدولة ابن خيران كاتب الإنشاء بإمضاء ذلك . 194

الثامنة — (الخدمة فى ديوان الصعيد) من الصعيد الأعلى والصعيد الأدنى. وكان فيه عدّة كُتَّاب فروع، والاستيفاء مقسومٌ بينهم، وعليهم عمل التذاكر بطلب ماتأخر من الحساب . وصاحب هذا الديوان يترجمها بخطه، ويحملها إلى صاحب الديوان الكبير فيوقِّع عليها بالاسترفاع، ويندُب لها من الحُجّاب أو غيرهم من يراه، وله مياومة يأخذها من المستخدمين مدّة بقائه عندهم ويُحْضِرُها نُسَخاً للدواوين الأصول .

التاسعة — (الخدمة فى ديوان أسفل الأرض). وهو الوجه البحرىّ خلا الثُّغُورَ، وحكمه فيا تقدّم من الكُتَّاب وما يلزم كلا منهم حكم ديوان الصعيد المتقدم الذكر من غير فرق .

العاشرة — (الخدمة فى ديوان الثُّغُور). وهى الإسكندرية ودِمْياط وتَنّيس وتَرُوه والبَرَلُّس والفَرَما، وحكمه حكم ماتقدّم من ديوان الصعيد وأسفل الأرض .

الحادية عشرة ـ (الخدمة فى الجوالى والمواريث الحشرية). قال آبن الطوير: كان لايتولاه إلا عدل، وفيه جماعة من الحُجَّاب على ماتقدّم فى غيره من الدواوين أيضا .

الثانية عشرة ـ (الخدمة فى ديوانى الخراجى والهلالى) وتجرى فيه الرباع والمكوس وعليه حوالات أكثر المرتزقين .

الثالثة عشرة ـ (الخدمة فى ديوان الكُرَاع). وفيه معاملة الإصطبلات، وما فيها من الدوابّ الخاص وغيرها والبغال والجمال ودوابّ المَرَمَّة المُرصَدة للعمائر ورباع الديوان، وعُدَد ذلك وآلاته، وعلوفات ذلك مع ماينضم إليه من علوفة الفِيَلَة والزَّرارِيف (١) والوحوش وراتب مَنْ يخدمها. وكان فى هذا الديوان كاتبًا أصل ومستوفى ومُعِينان .

الرابعة عشرة ـ (الخدمة فى ديوان الجهاد). ويقال له ديوان العمائر، وكان محله بالصّناعة بمصر، وفيه إنشاء المراكب للأسطول وحمل الغلال السلطانية والأحطاب وغيرها، ومنه يُنْفَق على رؤساء المراكب ورجالها، وإذا لم يف آرتفاقه بما يحتاج إليه آستُدْعِى له من بيت المال بما يكفيه .

الصنف الثالث من أرباب الوظائف

(أصحاب الوظائف الصناعية)

وأعظمها وظائف الأطباء، وكان للخليفة طبيب يُعْرَف بطبيب الخاصّ يجلس على باب دار الخليفة كلَّ يوم، ويجلس على الدكك التى بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر دونَهُ أربعـةُ أطباء أو ثلاثة فيخرج الأستاذون فيستدعون منهم من يحدونه للدخول على المرضى بالقصر لجهات الأقارب والخواص فيكتُب لهم رقاعا على خزانة الشراب فيأخذون ما فيها، وتبقى الرقاع عند مباشريها شاهدا لهم . ولكل منهم الجارى والراتب على قدره .

(١) لم نعثر على هذا الجمع فى كتب اللغة ولعله جارى العامة فى تعبيراتهم .

الصنف الرابع

(الشعراء)

وكانوا جماعة كثيرة من أهل ديوان الإنشاء وغيره، وكان منهم أهل سُنَّة لا يَغْلُون في المديح، وشِيعَةٌ يَغْلُون فيه. فمِنْ أحْسَنِ مدح فيهم لِسُنِّيٍّ قول عمارة التميمي رحمه الله:

أَفَاعِيلُهُمْ في الجُودِ أَفْعَالُ سُنَّةٍ ⁂ وإن خَالَفُونِي في ٱعْتِقَادِ التَّشَيُّعِ

ومن الذى وقعت فيه المغالاة قول بعضهم:

هَـذَا أميرُ المؤمنين بمجلس ⁂ أَبْصَرْتُ فيـه الوَحْىَ والتَّنْزِيلَا

وإذا تَمَثَّلَ رَاكِباً في مَوْكِبٍ، ⁂ عَايَنْتَ تحْتَ رِكَابِهِ جِبْرِيلَا

قلت: وهذه المغالاة من المغالاة الفاحشة التى لا يجوز الإقدام عليها لسنىّ ولا متشيع، وإنما هى من ٱقتحام الشعراء البوائق.

القسم الثانى

(من أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ما هو خارج عن حضرة الخلافة، وهو صنفان)

الصنف الأول

(النُّوَّاب والوُلاة)

وٱعلم أن مملكتهم كانت قد [1] فى ثلاث ممالك فيها نوابهم ووُلَاتهم.

المملكة الأولىٰ الديار المصرية، وهى التى كانت قد ٱستقرّت قاعدةَ ملكهم، ومحطَّ رحالهم، وكان بها أربع ولايات.

الأولىٰ — ولاية قُوص. وكانت هى أعظم ولايات الديار المصرية، وواليها يحكم علىٰ جميع بلاد الصعيد، وربما وُلِّىَ بالأُشْمُونَيْنِ ونحوها من يكون دونه.

---

(١) بياض بالأصل ولعله "ٱنحصرت" كما يفهم من سياق كلامه.

الثانية ــ ولاية الشَّرْقية . وكانت دون ولاية قُوصَ فى الرتبة، وكان متوليها يحكم علىٰ عمل بُلْبَيْس وعمل قَلْيُوبَ وعمل أُشْمُوم .

الثالثة ــ ولاية الغربية . وكانت دون ولاية الشرقية فى المرتبة ، وكان متوليها يحكم علىٰ عمل المَحَلَّة ، وعمل مَنُوفَ ، وعمل أبيار .

الرابعة ــ ولاية الإسْكَنْدَرِيَّة . وهى دون الغربية فى الرتبة ، وكان متوليها يحكم علىٰ أعمال البحيرة بأجمعها .

قال ٱبن الطوير : وهؤلاء الأربعة كان يُخْلَع عليهم من خزانة الكُسْوَة بالبدنة ، وهو النوع الذى يلبسه الخليفة فى يوم فتح الخليج .

قلت : لعـل هـذه الولايات الأربع ولايات الوُلاة التى تدخل تحت حكمها الولايات الصِّغار ، أو تكون هى التى ٱستقر عليه الحال فى آخر دولتهم ، وإلا فقد رأيت فى تذكرة أبى الفضل الصورى : أحدِ كُتَّاب الإنشاء فى أيام القاضى الفاضل سجلاتٍ كثيرةً لولاة الوجهين القبلى والبحرى[(١)] .

الجمـــلة الخامسة

(من ترتيب مملكتهم ، فى هيئة الخليفة فى مواكبه وقصوره ، وهى علىٰ ثلاثة أضرب)

الضرب الأوّل

(جلوسه فى المواكب ، وله ثلاثة جلوسات)

الجلوس الأوّل

(جلوسه فى المجلس العامّ أيام المواكب)

وٱعلم أن جلوس الخليفــة أوّلا كان بالإيوان الكبير الذى كان بالقصر علىٰ سرير المُلْك الذى كان بصدره إلىٰ آخر أيام المستعلى . فلما ولى ٱبنه الآمر الخلافة بعده ،

(١) لم يذكر بقية الممالك الثلاث ٱقتصارا علىٰ المقصود وسيأتى ذكر البقية فى الجزء الرابع .

نقل الجُلوسَ من الإيوان الكبير إلىٰ القاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر أيضا ،
وصار يجلس من مجالسها علىٰ سرير المُلْك به ، وجعل الإيوان الكبير خِزَانةً للسلاح ،
ولم يتعرّض لإزالة سرير المُلْك منه حتّى جاءت الدولة الأيوبيــة ، وهو باق ،
وكان جلوس الخليفة فى هــذه الحالة لا يتعدّى يومى الاثنين والخميس ، وليس ذلك
علىٰ الدوام بل علىٰ التقرير بحسب ما تقتضيه الحال . فإذا أراد الجلوس فإن كان
فى الشتاء عُلِّق المجلس الذى يجلس فيه بستور الديباج ، وفرش بالبُسُط الحرير ، وإن كان
فى الصيف ، علق بالستور الدبيقية وفرش بطبرىّ طَبَرِسْتَانَ المُذْهَبِ الفائق ، وهيئت
المرتبة المعدّة لجلوسه علىٰ سرير الملك بصدر المجلس ، وغُشّى السرير بالقُرْقُوبِىّ ،
ثم يستدعىٰ الوزير من داره بصاحب الرسالة علىٰ حصان رهوان فى أسرع حركة علىٰ
خلاف الحركة المعتادة ، فيركب الوزير فى هيئته وجماعته وبين يديه الأمراء ،
فإذا وصل إلىٰ باب القصر ترجّل الأمراء ، وهو راكب إلىٰ أول باب من الدّهاليز
الطّوال عند دِهْليز يعرف بدِهْليز العمود ، ويمشى وبين يديه أكابر الأمراء إلىٰ مَقْطَع
الوزارة بقاعة الذهب ، فإذا تهيأ جلوس الخليفة ، استدعى الوزير من مَقْطَع الوزارة إلىٰ ١٩٤
باب المجلس الذى فيه الخليفة وهو مُغْلَق ، وعلىٰ بابه سِتْرٌ مُعَلَّق ، فيقف زِمَام القصر
عن يمين باب المجلس وزمَام بيت المال عن يساره ، والوزير واقف أمام باب المجلس
وحواليه الأمراء المطوّقون وأرباب الخِدَمِ الجليلة ، وفى خلال القوم قُرَّاءُ الحضرة ،
ويضع صاحبُ المجلس الدواة مكانها من المرتبة أمام الخليفة ، ثم يخرج كم من أكمامه
يعرف بفرد الكم ويشير إلىٰ زِمَام القصر وزِمَام بيت المال الواقفَيْنِ بباب المجلس ،
فيرفع كل منهما جانب الستر فيظهر الخليفة جالسا علىٰ سرير الملك مستقبل القوم
بوجهه ، ويستفتح القرّاء بالقرءان ، ويدخل الوزير المجلس ويسلم بعد دخوله ،
ثم يُقَبِّلُ يدى الخليفة ورجليه ، ويتأخر مقدار ثلاثة أذرع ويقف ساعة زمانية ،

ثم تُخْرَج له مِخَدّة عن الجانب الأيمن من الخليفـة ويؤمر بالجلوس إليها ، ويقف الأمراء فى أماكنهم المقررة لهم فصاحب البـاب وآسفهسلار من جانبى الباب يمينا ويسارا ، ويليهم من خارجه ملاصقا للعتبة زِمَام الآمرية والحافظية وباقى الأمراء على مراتبهم إلى آخر الرواق ، وهو إفريزٌ عالٍ عن أرض القاعة ، ثم أرباب القصب والعماريات يَمْنَةً ويَسْرَةً كذلك ، ثم الأماثل والأعيان من الأجناد المترشحين للتقدمة ، ويقف مستندا بالقدر الذى يقابل باب المجلس نوّابُ الباب والحجّابُ ، فإذا آنتظم الأمر على ذلك ، فأوّل ماثل للخـدمة بالسلام قاضى القُضاة والشهودُ المعروفون بالآستخدام فيجيز صاحبُ البـاب القاضىَ دون من معـه فيسلم على الخليفة بأدب الخلافة ، بأن يرفع يده اليمنى ويشير بالمسبحة ، ويقول بصوت مسموع : "السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته" يتخصص بهـذا الكلام دون غيره من أهـل السلام ، ثم يسلم بالأشراف الأقارب زمامُهُمْ ، وبالأشراف الطالبيين نقيبهم ، فتمضى عليهم كذلك ساعتان زمانيتان أو ثلاثٌ ، ثم يسلم عليه من خُلِعَ عليه بقُوص أو الشرقية أو الغربيـة أو الإسكندرية ، ويشرّفون بتقبيل العتبة ، وإذا دعت حاجة الوزير إلى مخاطبة الخليفة فى أمر ، قام من مكانه وقرّب منه مُنْحَنِياً على سيفه ، ويخاطبه ١٩٩
مرة أو مرتين أو ثلاثا ، ثم يؤمر الحاضرون بالآنصراف فينصرفون ، ويكون آخرهم خروجا الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله . فإذا خرج إلى الدهليز الذى ترجل فيه ، ركب منه إلى داره ، وفى خدمته من حضر فى خدمته إلى القصر ، ويدخل الخليفةُ إلى سَكَنه مع خواصّ الأستاذين ، ثم يُغْلَق باب المجلس ويرخى الستر إلى أن يحتاج إلى حضور موكب آخر فيكون الأمر كذلك .

الجلوس الثانى

(جلوسه للقاضى والشهود فى ليالى الوقود الأربع من كل سنة)

وهى : ليلة أوّل رجب، وليلة نصفه، وليلة أوّل شعبان، وليلة نصفه .

إذا مضى النصف من جمادىٰ الآخرة حمل إلىٰ القاضى من حواصل الخليفة ستون شمعة، زنةُ كل شمعة منها سُدْس قِنْطَار بالمصرى ليركب بها فى أوّل ليلة من شهر رجب؛ فإذا كان أوّلُ ليلة منه جلس الخليفة فى مَنْظَرة عالية كانت عند باب الزُمُرُّدِ من أبواب القصر المتقدّم ذكره، وبين يديه شَمع يوقد فى العلوّ يَتَبيَّن شخصُه علىٰ آرتفاعه . ويركب القاضى من داره بعد صلاة المغرب وبين يديه الشَمَعُ المحمول إليه من خِزَانة الخليفة موقودا، من كل جانب ثلاثون شمعة، وبين الصَّفَّين مؤذنو الجوامع، يعلنون بذكر الله تعالىٰ، ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقرّر محفوظ، ويحجُبه ثلاثة من نوّاب الباب، وعشرة من حُجّاب الخليفة، خارجا عن حُجّاب الحكم المستقرّين وهم خمسة فى زىّ الأمراء؛ وفى ركابه القُرّاء يقرءُون القرءان، والشهودُ وراءه علىٰ ترتيب جلوسهم بمجلس الحكم الأقدمُ فالأقدمُ؛ وحول كل منهم ثلاث شَمَعات أو شمعتان أو شمعة واحدة إلىٰ بين القصرين فى جمع عظيم حتى يأتىَ باب الزُمُرُّد من أبواب القصر، فيجلسون فى رَحَبة تحت المَنْظَرة التى فيها الخليفة، ويحضر بين يديه بسَمْتٍ ووقار وتشوّف لآنتظار ظهور الخليفة، فيفتح الخليفة إحدىٰ طاقات المنظرة فيظهر منها رأسه ووجهه، وعلىٰ رأسه عِدّة من خواصّ الأستاذين من المحنَّكين وغيرهم، فيفتح بعض الأستاذين طاقةً أخرىٰ فيُخْرِجُ منها رأسه ويدَه اليمنىٰ، ويشير بكمه قائلا : "أمير المؤمنين يردّ عليكم السلام" فيسلم بقاضى القضاة أوّلا بنعوته، وبصاحب الباب بعده كذلك، وبالجماعة الباقية جملة من غير تعيين أحد؛ ويستفتح قرّاء الحضرة بالقراءة وهم قيام فى الصَّدْر، ظهورهم

إلىٰ حائط المَنْظَرة ووجوههم للحاضرين. ثم يتقدم خطيب الجامع الأنور (وهو الذى بباب البحر) فيخطُب كما يخطب فوق المِنْبَر، وينبه علىٰ فضيلة ذلك الشهر، وأن ذلك الركوبَ علامتُـه ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة؛ ثم يتقـدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك؛ ثم يتقدم خطيب جامع الحاكم فيخطب كذلك، والقرّاء فى خلال تلك الخطب يقرءون، فإذا آنتهت خَطَابة الخطباء، أخرج الأستاذ الأوّل يده من تلك الطاقة فيردّ علىٰ الجماعة السلام، ثم تغلق الطاقتان وينفضّ الناس، ثم يركب القاضى والشهود إلىٰ دار الوزير فيجلس لهم ليسلموا عليـه، ويخطب الخطباء الثلاثة عنده بأخفّ من مقام الخليفة ويدعون له، ثم ينصرفون ويذهب القاضى والشهود صحبتُه إلىٰ مصر، ووالى القاهرة فى خدمته، ويمرّ بجامع آبن طولون فيصلّى فيـه ويخرج منه فيجد والىَ مصر فى تَلَقِّيه فيمضى فى خِدْمته، ويمرّ علىٰ المَشَاهد فيتبرك بها، ويمضى إلىٰ الجامع العتيق ويدخل من باب الزيادة التى يحكم فيها فيصلى فى الجامع ركعتين، ويُوقَد له التنور الفضـة الذى بالجامع، وهو تَنُّور عظيم حَسَن التكوين فيه نحو ألف وخمسمائة برّاقة، وبسفله نحو مائة قنديل؛ ثم يخرج من الجامع فإن كان ساكنا بمصر آستقرّ بها، وإن كان ساكنا بالقاهرة آنتظره والى القاهرة
201 فى مكانه حتّى يعودَ من مصر فيذهب فى خدمته إلىٰ داره.

وكذلك يركب فى ليلة الخامس عشر من رجب إلا أنه بعد صلاته فى جامع مصر يتوجه إلىٰ القـرافة فيصلّى فى جامعها؛ ثم يركـب فى أوّل شـعبان كذلك؛ ثم فى نصفه كذلك.

الجـلـوس الثـالث

(جلوسه فى مولد النبىّ صلّى الله عليه وسلم فى الثانى عشر من شهر ربيع الأوّل)

وكان عادتهم فيه أن يعمل فى دار الفِطْرة عشرون قنطارا من السُّكَّر الفائق حَلْوَى من طرائف الأصناف، وتُعبَّى فى ثلثمائة صينية نُحَاس. فإذا كان ليلةُ ذلك المولد،

تفرّق فى أرباب الرسوم : كقاضى القضاة، وداعى الدعاة، وقرّاء الحضرة، والخطباء، والمتصدّرين بالجوامع بالقاهرة ومصر، وقَوَمَة المشاهد وغيرهم ممن له آسم ثابت بالديوان، ويجلس الخليفة فى مَنْظرة قريبة من الأرض مقابلَ الدار القُطْبيّة المتقدّمة الذكر (وهى البيمارستان المنصورىّ الآن) ثم يركب القاضى بعد العصر ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصوانى المتقدّمة الذكر، فيجلسون فى الجامع مقدارَ قراءة الختمة الكريمة، وتُسدّ الطريق تحت القصر من جهة السُّيُوفيين وسُوَيقة أمير الجيوش ، ويكنس ما بين ذلك ويُرَشّ بالماء رَشًّا ، ويرش تحت المَنْظَرة بالرمل الأصفر ، ويقف صاحب الباب ووالى القاهرة على رأس الطُّرُق لمنع المارّة ، ثم يستدعى القاضى ومَنْ معه فيحضرون ويترجّلون على القرب من المنظرة ويجتمعون تحتها وهم متشوّفون لآنتظار ظهور الخليفة، فيفتح إحدى طاقات المنظرة فيظهر منها وجهُه، ثم يُخْرِجُ إحدى الأستاذين المحنَّكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يردّ عليكم السلام، ويقرأ القرّاء ويخطب الخطباء كما تقدّم فى ليالى الوُقُود فإذا آنتهت خَطَابة الخطباء، أخرج الأستاذ يده مشيرا بردّ السلام كما تقدّم، ثم تغلق ٢٥٢
الطاقتان وينصرف الناس إلى بيوتهم؛ وكذلك شأنهم فى مولد علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه الخاص فى أوقات معلومة عندهم من السنة .

الضرب الثانى

(ركوبه فى المواكب، وهو على نوعين)

النوع الأوّل

(ركوبه فى المواكب العظام، وهى ستة مواكب)

الموكب الاوّل

(ركوب أوّل العام)

وكان من شأنهم فيه أنه إذا كان العشر الآخر من ذى الحجة من السنة ، وقع

الاهتمام باخراج مايُحتاج إليه فى المواكب من حواصل الخليفة : فيُخْرَج من خزائن السلاح ما يحمله الرِّكَابيـة وغيرهم حولَ الخليفة كالصَّماصم ، والدَّبابيس ، واللُّتوت ، وعمد الحديد ، والسيوف ، والدَّرَق ، والرماح ، والألوية ، والأعلام . ومن خزانة التجمل برسم الوزير والأمراء وأرباب الخِـدَمِ الألويةُ والقُضُبُ ، والعماريات ، وغير ذلك مما تقدّم ذكره . ومن الإصطبلات مائةُ فرس مسوَّمة برسم ركوب الخليفة وما يجنبه . ويُخْرَج من خزانة السروج مائةُ سرج بالذهب والفضة مرصَّع بعضها بالجواهر بمراكب من ذهب ، وفى أعناق الخيـل أطواق الذهب وقلائد العَنْبَرِ ، وفى أرجل أكثرها خلاخل الذهب والفضة مسطحة ، قيمة كل فرس وما عليها من العدّة ألف دينار ، يُدْفَع للوزير منها عشرة بعدّتهـا برسم ركوبه وركوب أخصّائه ، وتسلَّم إلىٰ المُنَاخات أغشية العماريات لتحمل علىٰ الجمال ، إلىٰ غير ذلك من الآلات المستعملة فى المواكب ممـا تقدم ذكره فى الكلام علىٰ الخزائن ، ويُبْعَث إلىٰ أرباب الخِدَم من الإصطبلات بخيول عادية ليركبوها فى الموكب . فإذا كان يوم التـاسع والعشرين من ذى الحجة ، آستدعىٰ الخليفة الوزيرمن داره علىٰ الرسم المعتـاد فى الإسراع ، فإذا عاد صاحبُ الرسالة من آستدعاء الوزير ، خرج الخليفة من مكانه راكبا فى القصر ، فينزل فى السدِلّى ، بدهليز باب الملك الذى فيه الشباك ، وعليه ستر من ظاهره ، فيقف من جانبه الأيمن زِمَامُ القصر ، ومن جانبـه الأيسر صاحبُ بيت المـال ، ويركب الوزير من داره وبين يديه الأمراءُ ، فإذا وصـل إلىٰ باب القصر 203
تَرَجَّلَ الأمراء وهو راكب ، ويدخل من باب العيد ، ولا يزال راكبا إلىٰ أوّل باب من الدهاليز الطِّوال ، فينزل ويمشى فيها وحواليه حاشيتُـه ومَنْ يُرابُّه من أولاده وأقاربه . فإذا وصل إلىٰ الشُّبَّاك ، وجد تحته كرسيا كبيرا من حديد فيجلس عليـه ورجلاه تطأ الأرض ، فإذا جلس ، رفع كلٌّ من زمامِ القصر وصاحب بيت المـال

الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسا على مرتبة عظيمة ، فيقف ويسلم ويخدم بيده في الأرض ثلاث مرّات ، ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس . ويستفتح القُرّاء بقراءة آيات لائقة بذلك المكان مقدارَ نصف ساعة ، ثم يسلم الأمراء ، ويُشْرَع في عرض خيول الخاص المقدّم ذكرها واحدةً واحدةً إلى آخرها . فإذا تكمل عرضها ، قرأ القرّاء مايناسب ختم ذلك المجلس . فإذا فرغوا أُرْخِى الستر وقام الوزير فدخل عليه فقبل يديه ورجليه ، ثم ينصرف عنه فيركب من مكان نزوله ويخرج الأمراء معه إلى خارج فيَمْضُون معه إلى داره رُكْبانا ومُشاة على حسب مراتبهم .

فإذا صلّى الخليفة الظهر ، جلس لعرض خزانة الكسوة الخاص وتعيين مايُلْبَس في ذلك الموكب ولباسِه فيه ، فيعين مِنْديلًا لشدّ التاج ، وبَدْلَةً من هذا النوع ، والجوهرةَ الثمينةَ ومامعها من الجواهر المتقدّمة الذكر لشدّ التاج وتشدّ مِظَلّة تشبه تلك البدلة ، وتلف في مِنْديل دَبِيقِيّ فلا يكشفها إلا حاملُها عند ركوب الخليفة ، ثم يشدّ لواءى الحمد المتقدّمى الذكر . فإذا كان أوّلُ يوم من العام ، بكّرَ أربابُ الرُّتَبِ من ذوى السيوف والأقلام فلا يُصْبِح الصبح إلا وهم بين القصرين منتظرين ركوب 204
الخليفة (وهو يومئذ فضاء واسع خال من البناء) ويبكر الأمراء إلى دار الوزير ليركبوا معه ، فيخرج من داره ويركب إلى القصر من غير آستدعاء وأمامه ماشرّفه به الخليفة من الألوية والأعلام ، والأمراء بين يديه ركبانا ومشاة ، وأولاده وإخوته قدامه ، وكل منهم مرخى الذؤابة بلا حنك ، وهو في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل والحَنَك متقلدا بالسيف الذهب . فإذا وصل إلى باب القصر ، ترجّل الأمراء ودخل هو راكبا إلى محل نزوله بدِهْليز القصر المعروف بدهليز العمود فيترجّل هناك ويمشى في بقية الدهاليز حتّى يصلَ إلى مَقْطَع الوزارة بقاعة الذهب هو وأولاده وإخوته وخواصّ حاشيته ، ويجلس الأمراء بالقاعة على دِكَك معدّة لهم ،

ويُدْخَل فرسُ الخليفة إلىٰ باب المجلس الذى هو فيه ، وعلىٰ باب المجلس كرسىٌّ يركب من عليه . فإذا آستوت الدابة إلىٰ ذلك الكرسىّ ، أُخرجت المظلة إلىٰ حاملها فيكشفها مما هى ملفوفة فيه ويتسلمها بإعانة أربعة معدّين لخدمتها فيركُزها فى آلة من حديد تشبه القرن المصطحب مشدودة فى ركاب حاملها الأيمن بقوّة ، ويمسك العمود بحاجز فوق يده ، ثم يخرج السيف فيتسلمه حامله . فإذا تسلمه أرخى ذُؤَابَتَه فلا تزال مرخاة ما دام حاملا له ، ثم تُخْرَج الدواة فيتسلمها حاملها ويجعلها قدّامه بينه وبين السرج ، ثم يخرج الوزير عن المَقْطَع وينضم إليه الأمراء ويقفون إلىٰ جانب فرس الخليفة ، ويرفع صاحب المجلس السترَ فيخرج مَنْ كان عند الخليفة لخدمة من الأستاذين ، ويخرج الخليفة فى أثرهم فى ثيابه المختصة بذلك اليوم وعلىٰ رأسه التاج الشريف والدرّة اليتيمة علىٰ جبهته ، وهو مُحَنَّكٌ مرخىّ الذؤابة مما يلى جانبه الأيسر متقلد بالسيف العربىّ وقضيبُ المُلْك بيده ، ويسلم علىٰ الوزير قوم مرتَّبون
لذلك ، ثم علىٰ القاضى وعلىٰ الأمراء بعدهما ، ثم يخرج الأمراء وبعدهم الوزير فيركب ٢٠٥
ويقف قُبالة باب القصر ، ويخرج الخليفة راكبا وفرسه ماشيةٌ علىٰ بُسُط خَشْيَةَ أن تَزْلَق علىٰ الرخام والأستاذون حوله . فإذا قارب الباب وظهر وجهُه ، ضرب رجلٌ ببُوقٍ لطيف مُعْوَجّ الرأس مُتَّخَذٍ من الذهب يقال له الغريبة مخالف لصوت الأبواق ، فتضرب البوقات فى الموكب ، وتُنْشَر المظلة ، ويخرج الخليفة من باب القصر فيقف وقفةً يسيرة بمقدار ركوب الأستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا فى الخدمة بالقاعة ، ثم يسير الخليفة فى الموكب وصاحبُ المظلة علىٰ يساره ، وهو يَحْرِص أن لا يزول ظلها عن الخليفة ، ثم يكتنف الخليفةَ مقدّمو صِبْيان الركاب ، آثنان منهم فى شكيمتى لجام فرسه ، وآثنان فى عنق الفرس من الجانبين ، وآثنان فى ركابه من الجانبين أيضا ، والأيمن منهما هو صاحب المِقْرَعة

الذى يناولها للخليفة و يتناولها منه، وهو الذى يؤدّى عن الخليفة مدّة ركوبه الأوامرَ
والنواهىَ، واللواءان المعروفان بلواءى الحمد عن جانبيـه، والمِذَبَّتَانِ عند رأس فرس
الخليفة، والركابية يمينه وشمـاله نحو ألف رجل مقلدو السيوف مشدودو الأوساط
بالمناديل والسلاح، وهم من جانبى الخليفة كالجناحين المـادّين، بينهما فرجة لوجه
الفرس ليس فيهـا أحد، وبالقرب من رأسها الصقلبيان الحاملان لِلْمِذَبَّتَيْنِ، وهمـا
مرفوعتان كالنخلتين. (ويترتب الموكب): أجناد الأمراء وأولادهم وأخلاط العسكر أمام
الموكب وأدوان الأمراء يلونهـم، وبعدهم أرباب القُضُبِ الفضـة من الأمراء، 206
ثم أرباب الأطواق منهم، ثم الأستاذون المحنكون، ثم أهل الوزير المتقدّم ذكرهم،
ثم الحاملان للواءى الحمد من الجانبين، ثم حامل الدواة وحامل السيف بعده، وهما
من الجانب الأيسر، وكل واحد ممن تقدّم ذكره بين عشرة إلىٰ عشرين من أصحابه،
ثم الخليفة بين الركابيـة، وهو سائر علىٰ تُؤَدَةٍ ورِفْقٍ، وفى أوائل العسكر ومتقدميه
والِى القاهرة ذاهبـا وعائدا لفسح الطرقات وتسـيير مَنْ يقف، وفى وسط العسكر
آسفهسلار يَحُثّ الأجناد علىٰ الحركة ويزجُر المتراحين والمعترضـين فى العسكر ذاهبا
وعائدا، وفى زمرة الخليفـة صاحب الباب لترتيب العسكر وحراسة طرقات الخليفة
ذاهبا وعائدا، يلقى صاحبُ البـاب آسفهسلارُ، واسفهسلارُ يلقىٰ والى القاهرة،
وفى يد كل منهم دبُّوس، وخلف الخليفة جماعةٌ من الركابية لحفظ أعقابه، ثم عشرة
يحملون عشرةَ سيوفٍ فى خرائط ديباج أحمرَ وأصفرَ يقال لها سيوف الدم برسم ضرب
الأعناق، وبعدهم الحاملون للسـلاح الصغير المتقدّم الذكر، ووراءه الوزير فى هيئة
عظيمة، وفى ركابه نحو خمسمائة رجل ممن يختاره لنفسه من أصحابه، وقوم يقال لهم
صبيان الزَّرَدِ من أقوياء الأجناد من جانبيـه بفُرْجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة
مجتهدا أن لا يغيب الخليفة عن نظره، وخلفه الطُّبول والصُّنوج والصفافير فى عدّة

كثيرة تَدْوِى من أصواتها الدنيا، ووراءَ ذلك حاملُ الرمح المقدّم ذكره والدرَقةِ المنسوبة إلىٰ حمزة، ثم رجال الأساطيل مشاةً ومعهم القِسِىّ العربية، وتسمّى قسىّ الرِّجْلِ والركاب، مايزيد علىٰ خمسمائة رجل؛ ثم طوائف الرجال من المصامدة، ثم الريحانية
207 والجُيُوشية، ثم الفرنجية، ثم الوزيرية: زُمْرةٌ بعد زُمْرةٍ فى عِدّة وافرة تزيد علىٰ أربعة آلاف؛ ثم أصحاب الرايات والسبعين، ثم طوائف العساكر: من الآمرية والحافظية والحجرية الكبار والحجرية الصِّغار والأفضلية والجيوشية، ثم الأتراك المصطنعون، ثم الديلم، ثم الأكراد، ثم الغُزُّ المصطنعة وغيرهم ما يزيد علىٰ ثلاثة آلاف فارس .

قال ابن الطوير: وهذا كله بعضٌ مِنْ كلٍّ . وإذا ترتب الموكب علىٰ ذلك، سار من باب القصر الذى خرج منه بين القصرين، يسير بموكبه حتّى يخرج من باب النصر ويصلَ إلىٰ حوض كان هناك يعرف بعز الملك على القرب من باب النصر، ثم ينعطف علىٰ يساره طالبا بابَ الفتوح، وربما عطف عند خروجه من باب النصر علىٰ يساره، وسار بجانب السُّور حتّى يأتى بابَ الفتوح فيدخل منه . وكيفما كان فإنه يدخل منه، ويسير الموكب حتّى ينتهىَ بين القصرين فيقف العسكرُ هناك علىٰ ما كان عليه عند الركوب ويترجّل الأمراء . فإذا انتهىٰ الخليفةُ إلىٰ الجامع الأقمر، وقف هناك فى جماعته وينفرج الموكب للوزير فيتحرّك مسرعا ليصير أمام الخليفة . فإذا مرّ بالخليفة، سَكَع له سَكْعة ظاهرة، فيشير الخليفة بالسلام عليه إشارة خفيفة، وهذه أعظم كرامة تصدُر من الخليفة، ولا تكون إلا للوزير صاحبِ السيف . فإذا جاوز الوزيرُ الخليفةَ، سبقه إلىٰ باب القصر ودخل راكبا علىٰ عادته والأمراءُ أمامه مشاةٌ إلىٰ الموضع الذى ركب منه بدهليز العمود المقدّم ذكره، فيترجل هناك ويقف هو والأمراءُ لانتظار الخليفة . فإذا انتهىٰ الخليفةُ إلىٰ باب القصر، ترجل الأستاذون المحنَّكون ودخل الخليفة القصر وهو راكب والأستاذون مُحْدِقون به .

فإذا انتهى إلى الوزير، مشى الوزير أمام وجه فرسه إلى الكرسى الذى ركب من عليه فيخدمُه الوزيرُ والأمراء، وينصرفون ويدخل الخليفة إلى دُوره . فإذا خرج الوزير إلى مكانِ تَرَجُّلِهِ ركب، والأمراء بين يديه، وأقاربُه حواليه إلى خارج باب القصر، فيركب منهم مَنْ يستحق الركوب، ويمشى من يستحق المشى، ويسيرون فى خدمته 208
إلى داره، فيدخل راكبا وينزل على كرسى فيخدمُه الجماعة وينصرفون ، وقد رأى الناس من حسن الموكب ما أبهجهم وراق خواطِرَهم، ويتفرّق الناسُ إلى أماكنهم فيجدون الخليفة قد أرسل إليهم الغرّة : وهى دنانير رُبَاعية ودراهم خِفَاف مدوّرة، ويكون الخليفة قد أمر بضربها فى العشر الأخير من ذى الحجة برسم التفرقة فى هذا اليوم، لكل واحد من الوزير والأمراء وأرباب المراتب من حملة السيوف والأقلام قدرٌ مخصوص من ذلك، فيقبلونها على سبيل التبرك من الخليفة، ويكتب إلى البلاد والأعمال مخلَّقات بالبشائر بركوب أوّل العام كما يكتب بوفاء النيل وركوب المَيْدان الآن .

الموكب الثانى

(ركوب أوّل شهر رمضان)

وهو قائم عند الشيعة مَقَام رؤية الهلال ، والأمر فى العَرْض واللباس والآلات والركوب والموكب وترتيبه والطرق المسلوكة على ماتقدم فى أوّل العام من غير فرق، ويكتب فيه المخلّقات بالبشائر كما يكتب فى أوّل العام .

الموكب الثالث

(ركوبه فى أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان)

وهى الجمعة الثانية [والثالثة[1]] والرابعة ، وذلك أنه إذا ركب إلى الجامع الأنور بباب البحر، بكّر صاحب بيت المال إلى الجامع بالفَرْش المختص بالخليفة محمولا

(١) الزيادة ليست بالأصل ، ولكن سياق كلامه يدل عليها .

علىٰ أيدى أكابر الفرّاشين ملفوفا فى العَرَاضى الدبيقية ، فيُفْرَش فى المحراب ثلاث طرّاحات إمّا شاميات ، وإمّا دَبيق أبيض، منقوشة بالحمرة ، وتُفْرَش واحدة فوق واحدة، ويعلّق ستران يَمْنَةً ويَسْرَةً ، فى الستر الأيمن مكتوب برقم حرير أحمر سُورةُ الفاتحة وسُورةُ الجمعة ، وفى الستر الأيسر سورةُ الفاتحة وسورةُ المنافقين كتابةً واضحة مضبوطة، ويصعد قاضى القضاة المنبرَ، وفى يده مِدْخنة لطيفة خَيْزُران يُحْضرها إليه صاحبُ بيت المال وفيها نَدٌّ مثلَّث لايشم مثله إلاهناك، فيبخر ذِرْوة المِنْبر التى عليها القَنَا كالقبة لجلوس الخليفة للخطابة ثلاث دَفَعات، ويركب الخليفة فى هيئة ما تقدّم فى أوّل العام وأوّل رمضان : من المِظَلَّة والآلات ، ولباسُه فيه الثياب البياض غير المُذَهَبَة توقيرا للصلاة،والمِنْديل والطيلسان المقوّر . وحولَ ركابه خارج الركابية قرّاء الحضرة من الجانبين يرفعون أصواتهم بالقراءة نَوْبةً بعد نَوْبةٍ من حين ركوبه من القصر إلىٰ حين دخوله قاعة الخَطَابة ، فيدخل من باب الخطابة فيجلس فيها ، وإن آحتاج إلى تجديد وضوء فعل، وتحفظ المقصورة من خارجها بترتيب أصحاب الباب وآسفهسلار وصِبيان الخاصّ، وغيرهم ممن يجرى مجراهم من أولها إلىٰ آخرها، وكذلك من داخلها من باب خروجه إلىٰ المنبر . فإذا أُذِّنَ للجمعة دخل إليه قاضى القضاة، فقال : "السلام علىٰ أمير المؤمنين الشريف القاضى الخطيب ورحمة الله وبركاته، الصلاةَ يرحمك الله" فيخرج ماشيا وحواليه الأستاذون المحنَّكون والوزير وراءه، ومن يليهم من الأمراء من صِبْيان الخاص ، وبأيديهم الأسلحة حتّىٰ ينتهى إلىٰ المِنبَر فيصعد حتّىٰ يصلَ إلىٰ الذّروة تحت القبة المُبخَّرة،والوزير علىٰ باب المنبر ووجهه إليه . فإذا آستوىٰ جالسا أشار إلىٰ الوزير بالصعود فيصعد إلىٰ أن يصلَ إليه، فيُقبّلُ يديه ورجليه بحيث يراه الناس ، ثم يزرّ عليه تلك القبة وتصير كالهودج، ثم ينزل مستقبلا للخليفة ويقف ضابطا للمنبر . فإن لم يكن وزيرٌ صاحب

سيف ، كان الذى يَزُرّ عليه قاضى القضاة ، ويقف صاحب الباب ضابطا للمنبر، فيخطب خطبة قصيرة من سَفَط يأتى إليه من ديوان الإنشاء، ويقرأ فيها آيةً من القرآن الكريم، ثم يصلى فيها على أبيه وجدّه يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم، وعلىّ ابن أبى طالب كرم الله وجهه، ويعظ الناسَ وَعْظًا بليغا قليلَ اللفظ، ويذكر مَنْ سلف من آبائه حتّى يصل إلى نفسه فيقول : "اللهم وأنا عبدك وابن عبديك لا أملك لنفسى ضرًّا ولا نفعا" ويتوسل بدعوات فخمة تليق به، ويدعو للوزير إن كان ثَمَّ وزيرٌ وللجيوش بالنصر والتآلف، وللعساكر بالظَّفَر، وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهْر، ثم يختم بقوله ﴿ٱذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ﴾ فيطلع إليه من زرّ عليه فيفكّ ذلك التزرير عنه، وينزل القَهْقَرَى، فيدخل(١) المحراب ويقف على تلك الطراحات إماما والوزير وقاضى القضاة صَفًّا، ومن ورائهما الأستاذون المحنكون والأمراء المطوّقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام، والمؤذّنون وقوفٌ وظهورهم لحائط المقصورة، والجامع مشحون بالعالَم للصلاة وراءه فيقرأ فى الركعة الأولى ما هو مكتوب فى الستر الأيمن، وفى الثانية ما فى الستر الأيسر . فإذا سَمَّعَ الخليفةُ، سَمَّعَ القاضى المؤذنين، فيسمِّع المؤذنون الناسَ . فإذا فرغ خرج(٢) الناس وركبوا أوّلا فأوّلا وعاد إلى القصر والوزيرُ وراءه حتّى يأتى إلى القصر، والطبول والبُوقات تضرب ذَهابا وإيابا .

فإذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر، ركب إلى الجامع الأزهر كذلك وفعل كما فعل فى الجمعة الأولى، لا يختلف فى ذلك غيرُ الجامع .

فإذا كانت الجمعة الرابعة منه، ركب إلى الجامع العتيق بمصر ويزيّن له أهل القاهرة من باب القصر إلى الجامع الطُّولونى، ويزيّن له أهل مِصْرَ من الجامع الطولونىّ إلى

(١) لعله فينزل (أى الخليفة) فيدخل الخ . (٢) لعله خرج وخرج الناس الخ .

الجامع العتيق ، وقد تَدَب الواليان بالبلدين مَنْ يحفظ الناس والزينة . ويركب من باب القصر ويسير فى الشارع الأعظم بمصر ، يمشى فى شارع واحد بين العمارة إلىٰ الجامع العتيق بمصر فيفعل كما فعل فى الجامعين الأولين من غير مخالفة . فإذا قضى الصلاة ، عاد إلى القاهرة من طريقه تلك إلىٰ أن يصل إلىٰ قصره ، وفى خلال ذلك كلّه لا يمرّ بمسجد إلا أعطىٰ أهله دينارا علىٰ كثْرة المساجد فى طريقه .

الموكب الرابع

(ركوبه لصلاة عيدى الفطر والأضحىٰ) 209

أما عيد الفطر فيقع الاهتمام بركوبه فى العشر الأخير من رمضان ، وتعبّى أهبة المواكب علىٰ ما تقدّم فى أول العام وغيره ، وكان خارج باب النصر مصلًّى علىٰ رَبْوَةٍ وجميعها مبنيٌّ بالحجر ، ولها سور دائر عليها وقلعة علىٰ بابها ، وفى صدرها قبّةٌ كبيرة فى صدرها محْراب ، والمنبر إلىٰ جانب القبة وسط المصلّى مكشوفا تحت السماء ، ارتفاعه ثلاثون درجة وعَرْضه ثلاثة أذرع ، وفى أعلاه مصطبةٌ . فإذا كمل رمضان ، وهو عندهم ثلاثون يوما من غير نقص . فإذا كان اليوم الأوّل من شوّال ، سار صاحب بيت المال إلىٰ المصلّى خارج باب النصر ، وفرش الطرّاحات بمحراب المصلّى ، كما تقدّم فى الجوامع فى أيام الجمع ، ويعلق سترين يَمْنَةً ويَسْرَةً ، فى الأيمن الفاتحة وسَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَىٰ ، وفى الأيسر الفاتحة ، وهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ ، ويركز فى جانبى المصلّى لواءين مشدودين علىٰ رمحين ملبسين بأنابيب الفضة ، وهما منشوران مرخيان ، ويوضع علىٰ ذِرْوة المنبر طرّاحة من شاميات أو دبيق ، ويفرش باقيه بستر من بياض ، علىٰ مقداره فى تقاطيع درجه مضبوطة لا تتغير بالمشى وغيره ، ويجعل فى أعلاه لواءان مرقومان بالذهب يَمْنَةً ويَسْرَةً ، ثم سار الوزير من داره إلىٰ

قصر الخليفة على عادته المتقدّمة الذكر، ويركب الخليفة بهيئة المواكب العظيمة على ما تقدّم فى أوّل العام : من المِظَلَّة والتاج وغير ذلك من الآلات ، ويكون لباسه فى هذا اليوم الثيابَ البيض الموشّحة المجومة ، وهى أجلّ لباسه ومظالته كذلك ، ويخرج من باب العيد على عادته فى ركوب المواكب إلا أن العساكر فى هذا اليوم من الأمراء والأجناد والركبان والمشاة تكون أكثر من غيره ، وينتظم القوم له صَفَّيْنِ من باب القصر إلى المصلّى ، ويركب الخليفة إلى المصلّى فيدخل من شرقيها إلى مكان يستريح فيه دقيقةً، ثم يخرج محفوظا بحاشيته كما فى صلاة الجمع المتقدّمة الذكر فيصير إلى المحراب، والوزير والقاضى وراءه كما تقدّم، فيصلى صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة، ويقرأ فى الركعة الأولى مافى الستر الذى على يمينه، وفى الثانية مافى الستر الذى على يساره . فإذا فرغ وسلم، صعد المنبر لخَطَابة العيد . فإذا انتهى إلى ذِرْوة المنبر، جلس على تلك الطرّاحة بحيث يراه الناس ، ويقف أسفل المنبر الوزيرُ، وقاضى القضاة ، وصاحب الباب وآسفهسلار ، وصاحب السيف ، وصاحب الرسالة، وزِمَامُ القصر، وصاحب دفتر المجالس، وصاحب المِظَلَّة، وزِمَامُ الأشراف الأقارب ، وصاحب بيت المال ، وحامل الرمح ، ونقيب الأشراف الطالبيين . ووجه الوزير إليه فيقبلهما (1) بحيث يراه الناس، ثم يقوم فيقف على يَمْنَةِ الخليفة . فإذا وقف أشار إلى قاضى القضاة بالصعود فيصعد إلى سابع درجة، ثم يتطلع إليه منتظرا مايقول، فيشير إليه فيُخْرِجُ من كُمِّه دَرْجا قد أُحْضِر إليه فى أمسه من ديوان الإنشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير، فيعلن بقراءة مضمونه [ويقول] بعد البسملة : شُرِّف بصعود المنبر الشريف فى يوم كذا ، وهو عيد الفطر من سنة

(1) فيه سقط وفى المقريزى بعد هذا [فيشير إليه فيصعد و يقرب وقوفه منه و يكون وجهه مواز يا رجليه فيقبلهما الخ].

كذا من عند أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين بعد صعود السـيد الأجل (يذكر نعوت الوزير المقررة والدعاء له) ثم ذكر من يُشَرِّفُه الخليفة بصعود المنبر من أولاد الوزير، ثم ذكر القاضى ولكنه يكون هو القارئ للثَّبَت فلا يسـعه ذكر نعوته فيقول : المملوك فلان بن فلان ونحو ذلك ، ثم الواقفين علىٰ باب المنبر ممن تقدّم ذكره بنعوتهم واحدا واحدا، وكلمـا ذكر واحدا آستدعاه وطلع المنبر، كل منهـم يعرف مقامه فى المنبر يَمْنَةً ويَسْرَةً . فإذا لم يبق أحد ممن أُطلع إلىٰ المنبر، أشار الوزير إليهم فأخذ كل مَنْ هو فى جانب بيده نصيبا من اللواء الذى بجانبه فيستتر الخليفة ويستترون، وينادىٰ فى الناس بالإنصات، فيخطب الخليفةُ خطبـةً بليغةً مناسـبة لذلك المقام ، يقرؤها من السَّفَط الذى يُحْضَر إليه مسطَّرا من ديوان الإنشاء كما فى جُمَع رمضان المتقدمة الذكر . فإذا فرغ من الخطبـة ، ألقىٰ كلُّ مَنْ فى يده شىءٌ من اللواء خارج المنبر، فينكشفون وينزلون القهقرىٰ أوّلا بأوّل الأقرب فالأقرب . فإذا خلا المنبر للخليفة ، هبط ودخل المكانَ الذى خرج منـه ، فيلبث قليلا ثم يركب فى هيئته التى أتىٰ فيها إلىٰ المصلّىٰ، ويعود فى طريقه التى أتىٰ منها . فإذا قرب من القصر، تقدّمه الوزير علىٰ العادة، ثم يدخل من باب العيد الذى خرج منه، فيجلس فى الشُّبَّاك الذى فى الإيوان الكبير، وقد مدّ منه إلىٰ فسقية فى وسط الإيوان مقدار عشرين قصبة سِمَـاطٌ فيه من الخُشْكَنان والبسندود، وغير ذلك ممـا يعمل فى العيد مثـلُ الجبل الشاهق ، كل قطعـة ما بين ربع قنطار إلىٰ رطل واحد ، فيأكل مَنْ يأكل وينقلُ مَنْ ينقلُ لا حَجْر عليـه ولا مانع دونه ، ثم يقوم من الإيوان فيركب إلىٰ قاعة الذهب فيجد سرير الملك قد نُصِب ، ووضع له مائدة من فضـة ، ومدّ السماط تحت السرير فيترجل عن السرير، ويجلس علىٰ المـائدة، ويستدعى الوزيرَ فيجلس معـه، ويجلس الأمراء علىٰ السِّماط ولا يزال كذلك حتّى

يستهدم السماط قريبَ صلاة الظهر، ثم يقوم وينصرف الوزير إلىٰ داره والأمراء في خدمته فيمدّ لهم سماطا يأكلون منه وينصرفون .

وأما عيد الأضحىٰ، فإنه إذا دخل ذو الحجة وقع الاهتمام بركوبه. فإذا كان يوم العيد، ركب الخليفة علىٰ ما تقدّم في عيد الفِطْر من الزِّىّ والترتيب والركوب إلىٰ المصلّىٰ، ويكون لباس الخليفة فيه الأحمرَ الموشحَ، ومِظَلَّته كذلك، ويخرج إلىٰ المصلّىٰ خارج باب النصر ويخطب، ثم يعود إلىٰ القصر كما في عيد الفطر من غير زيادة ولا نقص، ثم بعد دخوله إلىٰ القصر يخرج من باب الفَرَج، وهو باب القصر الذى كان مسامتا لدار سعيد السُّعَداء التى هى الخانقاه الآن، فيجد الوزيرَ راكبا علىٰ الباب المذكور، فيترجل الوزيرُ، ويمشى في خدمته إلىٰ المَنْحَر، وهو خارج الباب المذكور. وكان إذ ذاك فضاء واسعا لا بِناء فيه، وهناك مصطبة مفروشة فيطلُع عليها الخليفةُ والوزيرُ وقاضى القضاة والأستاذون المحنَّكون وأكابر الدولة، ويكون قد سبق إلىٰ المنحر أحدٌ وثلاثون فصيلا وناقةٌ للأضحية، وبيده حربة، وقاضى القضاة ممسك بأصل سِنَانها، وتُقدّم إليه الأضحية رأسا رأسا فيجعل القاضى السنانَ في نحر النحيرة ويطعن به الخليفة في لَبَّتها، فتنحر بين يديه حتّىٰ يأتى علىٰ الجميع، ثم يُسَيَّرُ رسومَ الأضحية إلىٰ أرباب الرسوم المقررة، وفي اليوم الثانى يساق إلىٰ المنحر سبعةٌ وعشرون رأسا، ويركب الخليفة فيفعل بها كذلك، وفي اليوم الثالث يساق إليه ثلاثٌ وعشرون رأسا فيفعل بها كذلك . فإذا انقضىٰ ذلك في اليوم الثالث وعاد الخليفة إلىٰ القصر، خلع علىٰ الوزير ثيابه الحمرَ التى كانت عليه يوم العيد، ومنديلا بغير اليتيمة والعقد المنظوم بالجوهر، ويركب الوزيرُ بالخِلْعة من القصر، ويشق القاهرةَ بالشارع سالكا إلىٰ الخليج فيسير عليه حتّىٰ يدخل من باب القنطرة إلىٰ دار الوزارة، وبذلك انفصال العيد . ثم أول نحيرة تنحر تقدّد وتُسَيَّرُ إلىٰ داعى اليَمَنِ فيفرّقها علىٰ المعتقدين من وزن نصف درهم

إلى وزن ربع درهم، وباقى ذلك يفرّق على أرباب الرسوم فى أطباق للبركة، وأكثره يفرّقه قاضى القضاة وداعى الدُّعاة على الطلبة بدار العدل والمتصدّرين بجوامع القاهرة، وفى اليوم الأوّل يمدّ السماط بقاعة الذهب على ماتقدّم فى عيد الفطر من غير فرق .

الموكب الخامس

(ركوبه لتخليق المقياس عند وفاء النيل)

قد تقدّم عند ذكر النيل فى الكلام على الديار المصرية آبتداءُ زيادة النيل ووفاؤه وآنتهاؤه ، وذكرُ المناداة عليـه على ما الأمر مستقرّ عليـه . إلا أنه فى زمن هؤلاء الخلفاء لم يكن ينادى عليه قبـل الوفاء، وإنمـا يؤخذ قاعُه وتكتب به رُقعةٌ للخليفة والوزير، ثم يترل بديوان الرسائل فى مسير معدّ له فى الديوان ، ويستمرّ الحال على ذلك فى كل يوم ترفع رُقعة إلى ديوان الإنشاء بالزيادة لايطّلِـع عليها غير الخليفة والوزير، وأمره مكتوم إلى أن يبقى من ذراع الوفاء (وهو السـادس عشر) أصبعٌ أو أصبعان ،فيؤمر بأن يبيت فى جامع المِقياس تلك الليلة قُرّاءُ الحضرة والمتصدّرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم لختم القرءان الكريم فى تلك الليلة هناك، ويمدّ لهم السماط بالأطعمة الفاخرة، وتوقد عليهم الشموع إلى الصبح . فإذا أصبح الصبح وأذِن الله تعالى بوفاء النيل فى تلك الليـلة ، طلعت رُقعة آبن أبى الرّداد إلى الخليفة ، فتُحضَر إليه بالقصر، فيركب الخليفةُ فى هيئة عظيمة من الثياب الفـاخرة والموكب العظيم ، إلا أنه يلبس التاج الذى فيه اليتيمة، ولا يُحَلَّى المظلة على رأسـه فى ذلك اليوم ، ويركب الوزيرُ وراءه فى الجمع العظيم على ترتيب الموكب، ويخرج من القصر شاقا القـاهرةَ إلى باب زويلة فيخرج منه، ويسلك الشارع إلى أن يجاوز البستان المعروف بعباس عنـد رأس الصَّليبة بالقرب من الخانقاه الشيخونية

الآن، فيعطف سالكا علىٰ الجامع الطولونى والجسر الأعظم حتّى يأتى مصر، ويدخل
من الصناعة ـ وهى يومئذ فى غاية العمارة، وبها دِهْلِيزٌ ممتدّ بمصاطبَ مفروشةٍ بالحصر
العبدانى مؤزّر بها ـ ويخرج من بابها شاقًّا مصرَ حتّى يأتىَ المنظرة المعروفةَ برواق
الملك علىٰ القرب من باب القنطرة، فيدخلها من الباب المواجه له والوزيرُ معه ماشيا
إلىٰ المكان المعدّ له ، ويكون العشارىّ الخاصّ المعبَّر عنه الآن بالحرّاقة واقفا هناك
بشاطئ النيل ، وقد حُمِل إليه من القصر بيتٌ مثمّن من العاج والآبَنُوسِ كل جانب
منه ثلاثة أذرع ، وطوله قامةُ رجل تام ، فيركب فى العشارىّ المذكور وعليه قبة
من خشب محكم الصنعة ، وهو وقُبّته ملبّس صفائح الفضة المُذْهَبَة، ثم يخرج الخليفة
من دار الملك المذكورة ومعه من الأستاذين المحنّكين من يختاره من ثلاثة إلى أربعة،
ثم يطلُع خوّاص الخليفة إلىٰ العشارىّ والوزيرُ ومعه من خواصّه آثنان أو ثلاثة
لا غير، فيجلس الوزير فى رُواقٍ بظاهر البيت المذكور، بفوانيس من خشب مخروط
مدهونة مُذْهَبَة ، بستور مسدلة عليه ، ويسير العشارى من باب المنظرة إلىٰ باب
المِقْياس العالى علىٰ الدَّرَج، فيطلع من العشارى، ويدخل إلىٰ الفسقية التى فيها ٢١٥
المقياس، والوزير والأستاذون المحنكون بين يديه ، فيصلّى هو والوزير كلٌّ منهما
ركعتين بمفرده ، ثم يُؤتىٰ بالزّعفران والمسك فيَديفه فى إناء بيده بآلة معه، ويتناوله
صاحب بيت المال فيناوله لآبن أبى الرّدّاد ، فيُلْقِى نفسه فى الفسقية بثيابه فيتعلق
فى العمود برجليه ويده اليسرىٰ ويُخَلِّقه بيده اليمنىٰ، وقرّاء الحضرة من الجانب الآخر
يقرءُون القرءان، ثم يخرج علىٰ فوره راكبا فى العشارىّ المذكور، ثم يعود إلىٰ دار الملك،
ويركب منها عائدا إلىٰ القاهرة، وتارة ينحدر فى العشارى إلىٰ المَقْس، ويتبعه الموكب
فيسير من هناك إلىٰ القاهرة. ويكون فى البحر ذلك اليوم نحوُ ألف مركب مشحونة
بالناس للتفرّج وإظهار الفرح . فإذا كان اليوم الثانى من التخليق أتىٰ آبن أبى الرّدّاد

إلى الإيوان الكبير الذى فيه الشُّبَّاك بالقصر فيجد خِلْعة مُذْهَبة بطَيْلَسان مقوّر ، ويُدْفَعُ إليه خمسة أكياس فى كل كيس خمسمائة درهم مهيأة له ، فيلبس الخِلْعة ، ويخرج من باب العيد المتقدّم ذكره فى أبواب القصر، وقد هيئ له خمس بغال على ظهورها الأحمال المزيّنَةُ بالحلى ، على ظهر كل منها راكب وبيده أحد الأكياس الخمسة المتقدّمة الذكر ظاهرٌ فى يده ، وأقاربه وبنو عمه يحجبونه وأصدقاؤه حوله ، وأمامه حِمْلان من النَّقَّارات السلطانية ، والأبواقُ تضرب أمامه ، والطبل وراءه مثل الأمراء ، فيشق بين القصرين ، وكلما مر على باب من أبواب القصر يدخل منه الخليفة أو يخرج ، نزل فقبَّله ، ويخرج من باب زويلة فى الشارع الأعظم حتّى يأتى مِصْرَ فيشقُّ وسَطَها و يمرّ بالجامع العتيق ، ويجاوزه إلى شاطئ النيل فيعدّى إلى المقياس بخِلْعته ومامعه من الأكياس ، فيأخذ من الأكياس قدرا مقرّرا له ، و يفرّق باقى ذلك على أرباب الرسوم الجارية من قديم الزمان من بنى عمه وغيرهم .

الموكب السادس

(ركوبه لفتح الخليج)

وهو فى اليوم الثالث أو الرابع من يوم التخليق المتقدّم ذكره ، وليس كما فى زماننا من فتحه فى يوم التخليق ، وكان يقع الاهتمام عندهم بركوب هذا اليوم من حين 211
يأخذ النيل فى الزيادة ، وتعمل فى بيت المال موائدُ من التماثيل المختلفة : من الغِزْلان ، والسباع ، والفِيَلة ، والزَّرَاريف عدّة وافرة ، منها ما هو ملبَّس بالعنبر ، وما هو ملبّس بالصندل ، مفسرة الأعين والأعضاء بالذهب ، وكذلك يُعْمَلُ أشكالُ التُّفّاح والأُتْرُجّ وغير ذلك ، وتخرج الخَيْمَةُ العظيمة المعروفة بالقاتول المتقدّمة الذكر فتنصب للخليفة فى برّ الخليج الغربىّ على حافته عند مَنْظَرة يقال لها السكّرة على

القرب من فم الخليج، ويُلَفّ عمودُ الخيمة بديباج أحمرَ أو أبيض أو أصفر من أعلاه إلىٰ أسفله، وينصب فيها سرير الملك مستندا إليه ويغشّى بقُرقوبىّ، وعرّابيسه ذهبٌ ظاهرة، ويوضع عليه مَرْتبة عظيمة من الفرش للخليفة؛ ويضرب لأرباب الرُّتَب من الأمراء بَحْرِىّ هذه الخيمة خِيَمٌ كثيرة علىٰ قدر مراتبهم فى المقدار والقرب من خيمة الخليفة؛ ثم يركب الخليفة علىٰ عادته فى المواكب العظيمة بالمِظَلّة وتوابعها من السيف والرمح والألوية والدواة وسائر الآلات، ويزاد فيه أربعون بُوقا: عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة، يكون المنفّرون بها ركبانا، والمنفّرون بالأبواق النُّحاس مشاةٌ، ومن الطبول العظام عشرة طبول . فإذا كان يومُ الركوب، حضر الوزير من دار الوزارة راكبا فى هيئة عظيمة، ويركب حينئذ إلىٰ باب القصر الذى يخرج منه الخليفة، ويخرج الخليفة من باب القصر راكبا والأستاذون المحنَّكون مشاةٌ حوله، وعليه ثوب يسمّى البدنة حريرٌ مرقومٌ بذهب، لايلبسه غير ذلك اليوم، والمظلة بنسبته؛ فيركب الأستاذون المحنّكون ويسير الموكب علىٰ الترتيب المتقدّم فى ركوب أوّل العام سائرا فى الطريق التى ذهب فيها للتخليق حتّىٰ يأتىَ الجامع الطولونىّ؛ ويكون قاضى القضاة وأعيانُ الشهود جلوسا ببابه من هذه الجهة، فيقف لهم الخليفة وقفةً لطيفةً، ويسلم علىٰ القاضى، فيتقدّم القاضى ويُقبّل رجله التى من جانبه، ويأتى الشهود أمام وجه فرس الخليفة، ويقفون بمقدار أربعة أذرع عن الخليفة فيسلم عليهم، ثم يركبون ويسير الموكب حتّىٰ يأتى ساحل الخليج، فيسير حتّىٰ يقارب الخليفةُ الخيمةَ، فيتقدّمه الوزير علىٰ العادة، فيترجل علىٰ باب الخيمة، ويجلس علىٰ المرتبة الموضوعة له فوقه[1]، ويحيط به الأستاذون المحنكون والأمراء المطوّقون بعدهم؛ ويوضع للوزير كرسيُّ الجارى به العادة علىٰ ما تقدّم فى جلوسه فى القصر، فيجلس

(١) أى فوق السرير المتقدم وصفه قريبا.

ورجلاه يحكّان الأرض ، ويقف أرباب الرُّتَب صـفين من سرير المُلك إلىٰ باب الخيمة ، وقرّاء الحضرة يقرءُون القرءان سـاعة زمانيـة . فإذا فرغوا من القراءة ، آستأذن صاحبُ الباب علىٰ حضور الشعراء للخدمة ، فيؤذن لهم فيتقدّمون واحدا بعد واحد علىٰ مقدار منازلهم المقرّرة لهم ، ويُنْشِد كلٌّ منهم ما وقع له نظمه ممـا يناسب الحـال . فإذا فرغ أتىٰ غيره وأنشـد ما نظمه إلىٰ أن يفرغ إنشادهم ، والحاضرون ينتقدون علىٰ كل شاعر ما يقوله ، ويُحسِّنُون منه ما حَسُنَ ويُوهُّون منه ما وهىٰ . فإذا آنقضىٰ هذا المجلس ، قام الخليفة عن السرير فركب إلىٰ المنظرة المعروفة بالسكّرة
212 بقرب الخيمة والوزير بين يديه ، وقد فُرِشت بالفُرُش المعدّة لهـا ، فيجلس الخليفة بمكان معـدّ له منها ، ويجلس الوزيرُ بمكان منها بمفرده ، ويجلس القاضى والشهودُ فى الخيمة البيضاء الدبيقية ، فيُطِلُّ منها أستاذ من الأستاذين المحنكين فيشير بفتح السدّ فيفتح بالمَعَاول ، وتضرب الطبول والأبواق من البرّيـن ، وفى أثناء ذلك يصـل السِّماط من القصر صحبةَ صاحب المائدة القائم مقام أستاذ دار الصحبة الآن ، وعدّتها مائة شدّة فى الطيافير الواسعة فى القوّاوير الحرير ، وفوقها الطرّاحات النفيسة ، وريح المسك والأفاويه تفوح منها ، فتوضع فى خيمة وسـيعة معـدّة لذلك ، ويحمل منهـا للوزير وأولاده ما جرت به عادتهم ، ثم لقاضى القضاة والشهود ، ثم إلىٰ الأمراء علىٰ قدر مراتبهم : علىٰ أنواع الموائد من التمـاثيل المقدّمة الذكر خلا القاضى والشهود ، فإنه لايكون فى موائدهم تمـاثيل . فإذا آعتدل المـاء فى الخليج دخلت فيه العشاريات اللطاف ووراءها العشـاريات الكبار ، وهى سـبعة : الذهبىّ المختص بالخليفـة ، وهو الذى يركب فيه يوم التخليق ، والفضّىّ ، والأحمر ، والأصـفر ، والأخضر ، واللازوَرْدِىّ ، والصـقلىّ ، وهو عشارى أنشأه نجّارٌ من صقلية علىٰ الإنشاء المعتاد فنسب إليه ، وعليها الستور الدبيقى الملوّنة ، وفى أعناقها الأهلّة وقلائد العنبر والخرز

الأزرق، وتسير حتى ترسُوَ على بر المنظرة التي فيها الخليفة . فإذا صلّى الخليفةُ العصر، ركب لابسا غير الثياب التى كانت عليه فى أوّل النهار، ومِظلّته مناسبة لثيابه التى لبسها، وباقى الموكب على حاله، ويسير فى البر الغربىّ من الخليج شاقاً للبساتين حتى يصل 213
إلى باب القنطرة فيعطف على يمينه ويسير إلى القصر، والوزير تابعه على الرسم المعتاد، فيدخل الخليفة قصره، ويمرّ الوزير إلى داره على عادته فى مثل ذلك اليوم .

وذكر القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : أنه إذا ركب من المنظرة المعروفة بالسكرة، سار فى بر الخليج الغربىّ على ما تقدّم ذكره حتى يأتى بستان الدكة، وقد عُلّقت دهاليزه بالزينة فيدخله وحده ويسقى منه فرسه ، ثم يخرج حتى يقف على الرعنة المعروفة بخليج الدار، ويدخل من باب القنطرة ويسير إلى قصره .

النوع الثانى
(من مواكبهم المواكب المختصرة فى أثناء السنة)

وهى أربعة أيام أو خمسة فيما بين أوّل العام و رمضان ولا يتعدّى ذلك يومى السبت والثلاثاء . فإذا عزم على الركوب فى يوم من هذه الأيام، قدّم تفرقة السلاح على الركابية على ما تقدّم ذكره فى أوّل العام ، وأكثرُ ما يكون ركوبه إلى مصر، فيركب والوزير وراءه على أخصرَ من النظام المتقدّم له فى المواكب العظام وأقلّ جمعا، ولبسه فى هذه الأيام الثياب المُذْهَبَةُ من البياض والملوّن ومنديلٌ من نسبة ذلك مشدودة بشدة عسر[(1)] شدات غيره ، وذوائبه مرخاة تقرب من جانبه الأيسر، وهو مقلد بالسيف العربىّ المجوهر بغير حنك ولا مظلة، ويخرج شاقا القاهرة فى الشارع الأعظم حتى يجاوز الجامع الطولونىّ على المشاهد إلى الجامع العتيق . فإذا وصل إلى بابه، وجد الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب، مفروشة

(١) كذا فى الأصل ولعله غير شدات .

بحصير وعليها سجادة معلقة ، وفى يده المصحف الكريم المنسوب خطه إلىٰ أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فيناوله المصحف من يده فيقبله و يتبرك به و يأمر له بعطاء يفرّق علىٰ أهل الجامع .

الضرب الثـالث

(من هيئة الخليفة هيئته فى قُصُوره)

قال ابن الطوير : كان له ثياب يلبَسُها فى الدور أكمامها علىٰ النصف من أكمام ثيـابه التى يلبسها فى المواكب ، وكان من شأنه أنه لاينصرف من مكان إلىٰ مكان فى القصر فى ليل أو نهار إلا وهو راكب ، ولا يقتصر فى القصر علىٰ ركوب الخيـل بل يركب البغال والحمير الإناث لمـا تدعوه الضرورة إليـه من الجواز فى السراديب القصيرة والطلوع علىٰ الزلاقات إلىٰ أعلىٰ المناظر والمساكن ، وله فى الليل نسوة برسم شدّ مايحتاج إلىٰ ركوبه من البغال والحمير ، وفى كل محلة من محلات القصر فَسْـقِيَّةٌ مملوءة بالمـاء خِيفَةً من حدوث حريق فى الليل ، ويبيت خارج القصر فى كل ليلة خمسون فارسا للحِراسة . فإذا أُذِّن بالعشاء الآخرة داخلَ قاعة الذهب وصلّى الإمامُ الراتبُ فيها بالمقيمين من الأستاذين وغيرهم ، وقف علىٰ باب القصر أميرٌ يقال له سِنَان الدولة ـ مقام أمير جاندار الآن ـ فإذا علم بفراغ الصلاة تضرب البوقيةُ من الطبول والبوقات وتوابعها علىٰ طريق مستحسنة ساعةً زمانية ، ثم يخرج أستـاذ برسم هذه الخدمة فيقول : "أمير المؤمنين يردّ علىٰ سـنان الدولة السلام" فيغرِز سنان الدولة حربةً علىٰ الباب ثم يرفعها بيـده ، فإذا رفعها أغلق الباب ، ودار حول القصر سبعَ دَوْرات . فإذا انتهىٰ ذلك جعـل علىٰ الباب البوّابين والفرّاشـين وأوىٰ المؤذّنون إلىٰ خزائنَ لهم هناك ، وتُرْمىٰ السلسلة عند المضيق : آخر بين القصرين عند السيوفيين

فينقطع المارّ من ذلك المكان إلىٰ أن تضرب البوقية سَحَرا قربَ الفجر فتُرفَع السلسلة ويجوز الناس من هناك .

الجمــــلة السادسة

(فى آهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور وآعتنائهم بأمر الجهاد، وسيرهم فى رعاياهم، وآستمالة قلوب مخالفيهم)

أمّا آهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور وآعتناؤهم بأمر الجهاد، فكان ذلك من أهمّ أمورهم، وأجلّ ما وقع الاعتناء به عندهم . وكانت أساطيلهم مرتبة بجميع 215
بلادهم الساحلية كالإسْكَنْدَرِيّة ودِمْياطَ من الديار المصرية،وعَسْقَلان وعكّا وصُور وغيرها من سواحل الشام،حين كانت بأيديهم،قبل أن يغلبهم عليها الفرنج، وكانت جريدة قوّادهم تزيد على خمســة آلاف مقاتل مدوّنة ، وجوامكهم فى كل شهر من عشرين دينـارا إلىٰ خمسـة عشر دينارا إلىٰ عشرة إلىٰ ثمـانية إلىٰ دينارين ، وعلىٰ الأسطول أميرٌ كبيرٌ من أعيان الأمراء وأقواهم جاشا،وكان أسطولهم يومئذ يزيد علىٰ خمسة وسبعين شينيا وعشر مسطحات وعشر حمالات ، وعمارة المراكب متواصلة بالصناعة لا تنقطع . فإذا أراد الخليفـة تجهيزها للغزو ، جلس للنفقة بنفســه حتّى يكملهـا ، ثم يخرج مع الوزير إلىٰ ساحل النيـل بالمَقْسِم ، فيجلس فى مَنْظَرةٍ كانت بجامع باب البحر والوزير معه للوادعة[1]، ويأتى القُوّادُ بالمراكب إلىٰ تحت المنظرة ، وهى مزينة بالأسلحة والمَنْجَنِيقات واللعب منصوبة فى بعضها ، فتسَــيرُ بالمجاديف ذَهَاباً وعَوْدًا كما يُفْعَلُ حالة القتال ، ثم يحضر إلىٰ بين يدى الخليفة المُقَــدَّمُ والرّيِّسُ فيوصيهما ويدعو لهم بالسلامة،وتنحدر المراكب إلىٰ دِمْياطَ وتخرج إلىٰ البحر المِلْح ، فيكون لهـا فى بلاد العــدو الصِّيتُ والسُّمْعة . فإذا غنموا مركبًا آصطفى الخليفـة

---

(١) أى التوديع . وقد جرى فيه وفى كثير غيره علىٰ آصطلاحات العامة .

لنفسه السبيُ الذى فيه من رجال أو نساء أو أطفال، وكذلك السلاح، وما عدا ذلك يكون للغانمين لا يُساهَمُون فيـه . وكان لهم أيضا أسطول بعَيْذَابَ يتلقَّى به الكارم فيما بين عَيْـذَابَ وسواكن، وما حولهـا خوفا علىٰ مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم هناك يعترضون المراكب، فيحميهم الأسطول منهم، وكان عدّة هذا 215 الأسطول خمسة مراكب، ثم صارت إلىٰ ثلاث، وكان والِى قُوصَ هو المتولِّى لأمر هذا الأسطول، وربما تولاه أمير من الباب، ويحمل إليه من خزائن السلاح مايكفيه .

وأمّا سِيَرُهم فى رعيتهم وٱستمالة قلوب مخالفيهم ، فكان لهم الإقبال علىٰ من يَفِدُ عليهم من أهل الأقاليم جلَّ أو دَقَّ ، ويقابلون كل أحد بما يليق به من الإكرام ، ويعوّضون أرباب الهدايا بأضعافها . وكانوا يتألَّفون أهل السُّنّة والجماعة ويمكنونهم من إظهار شعائرهم علىٰ ٱختلاف مذاهبهم، ولا يمنعون من إقامة صلاة التراويح فى الجوامع والمساجد علىٰ مخالفة معتَقَدهم فى ذلك (١) بذكر الصحابة رضوان الله عليهم، ومذاهب مالك والشافعى وأحمد ظاهرة الشِّعار فى مملكتهم ، بخلاف مذهب أبى حنيفة، ويُراعُون مذهب مالك، ومَنْ سألهم الحكم به أجابوه، وكان من شأن الخليفة أنه لا يكتب فى علامته إلا "الحمد لله رب العالمين" ولا يخاطب أحدا فى مكاتبته إلا بالكاف حتّى الوزير صاحب السيف ، وإنما المكاتبات عن الوزير هى التى تتفاوت مراتبها؛ ولا يخاطب عنهـم أحدٌ إلا بنعت مقرّر له ودعاء معروف به؛ ويراعون من يموت فى خدمتهم فى عقبـه ، وإن كان له مرتب نقلوه إلىٰ ذرّيته من رجال أو نساء .

---

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

الجملة السابعة

(فى إجراء الأرزاق والعطاء لأرباب الخدم بدولتهم، وما يتصل بذلك من الطعمة)

أمّا إجراء الأرزاق والعطاء، فقد تقدم أن ديوان الجيوش كان عندهم على ثلاثة أقسام : قسم يختص بالعرض وتحلية الأجناد وشِيَات دوابّهم، وقسم يختص بضبط إقطاعات الأجناد ، وقسم يختص بمعرفة ما لكل مرتزق فى الدولة من راتب وجار وجراية، ولكل من الثلاثة كُتّابٌ يختصون بخدمته . والقسم الثالث هو المقصود هنا، وكان راتبهم فيه بالدنانير الجَيْشية، وكان يشتمل على ثمانية أقسام .

الأوّل — فيه راتب الوزير وأولاده وحاشيته .

فراتب الوزير فى كل شهر خمسة آلاف دينار، ومَنْ يليه من ولد أوأخ من ثلثمائة دينار إلى مائتى دينار، ولم يقرّر لولد وزير خمسمائة دينار سوى الكامل بن شاور، ثم حواشيه من خمسمائة دينار، إلى أربعمائة دينار، إلى ثلثمائة دينار خارجا عن الإقطاعات

الثانى — فيه حواشى الخليفة .

فأوّلهم الأستاذون المحنكون على رُتَبِهِمْ . فزِمَامُ القصر، وصاحبُ بيت المال، وحامل الرسالة، وصاحب الدفتر، وشادُّ التاج، و زِمَامُ الأشراف الأقارب، وصاحب المجلس ، لكل واحد منهم فى الشهر مائة دينار ، ثُمَّ مَنْ دونهم من تسعين دينارا إلى عشرة دنانير على تفاوُت الرُّتَب . و فى هـذا طبيبا الخاص، ولكل واحد منهما فى الشهر خمسون دينارا، ولمن دونهما من الأطباء المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير .

الثالث — فيه أرباب الرُّتَب بحضرة الخليفة .

فأول مسطور فيه كاتبُ الدَّسْت ـ وهو المعبرَّ عنه الآن بكاتب السرّ ـ وله فى الشهر مائة وخمسون دينارا، ولكل واحد من كُتَّابه ثلاثون دينارا ـ ثم الموقِّع بالقلم الدقيق، وله مائة دينار ـ ثم صاحب الباب، وله مائة وعشرون دينارا ـ ثم حامل السيف وحامل الرمح، ولكل منهما سبعون دينارا؛ وبقيَّة الأزِمَّة على العساكر والسودان من خمسين دينارا، إلى أربعين دينارا، إلى ثلاثين . 218

الرابع ـ فيه قاضى القضاة، وله فى الشهر مائة دينار ـ وداعى الدُّعاة وله مثله؛ وقُرَّاء الحضرة، ولكل منهم عشرون دينارا، إلى خمسة عشر دينارا، إلى عشرة .

الخامس ـ فيه أرباب الدواوين ومن يجرى مَجْراهم .

فأولهم مُتَوَلِّى ديوان النظر، وله فى الشهر سبعون دينارا ـ ثم متولى ديوان التحقيق، وله خمسون دينارا ـ ثم متولى ديوان المجلس، وله أربعون دينارا ـ ثم متولى ديوان الجيوش، وله أربعون دينارا؛ ثم صاحب دفتر المجلس، وله خمسة وثلاثون دينارا؛ ثم الموَقِّع بالقلم الجليل القائم مقام كاتب الدَّرْج الآن، وله ثلاثون دينارا . ولكل مُعين عشرة دنانير، إلى سبعة، إلى خمسة .

السادس ـ فيه المستخدمون بالقاهرة ومصر فى خدمة واليهما، ولكل واحد منهما خمسون دينارا ـ ولِحُمَاة الأهراء والمُنَاخات والحوالى والبساتين والأملاك وغيرها لكل منهم مايقوم به من عشرين دينارا، إلى خمسة عشر، إلى عشرة، إلى خمسة .

السابع ـ فيه عدة الفرّاشين برسم خِدْمَةِ الخليفة والقصور وتنظيفها خارجا وداخلا ونصب الستائر المحتاج إليها والمناظر الخارجة عن القصر، ولكل منهم فى الشهر ثلاثون دينارا فما حولها ـ ثم مَنْ يليهم من الرشَّاشين داخل القصر وخارجه وهم نحو ثلثمائة رجل، ولكل منهم من عشرة دنانير إلى خمسة .

الثامن — فيه الركابية ومقدموهم، ولكل من مقدميهم فى الشهر خمسون دينارا وللركابية من خمسة عشر دينارا إلى عشرة إلى خمسة .

وأما الطعمة فعلى ضربين .

الضرب الأول

(الأسمطة التى تمدّ فى شهر رمضان والعيدين)

أما شهر رمضان فإن الخليفة كان يرتّب بقاعة الذهب بالقصر سماطا فى كل ليلة من آستقبال الرابع منه، وإلى آخر السادس والعشرين منه، ويستدعى الأمراء لحضوره فى كل ليلة بالنَّوْبة، يحضُر منهم فى كل ليلة قومٌ كى لا يحرِمَهم الإفطارَ فى بيوتهم طول الشهر، ولا يكلَّف قاضى القضاة الحضورَ سوى ليالى الجُمَع توقيرا له، ٢٤٩
ولا يحضُر الخليفةُ هذا السِّماط، ويحضر الوزيرُ فيجلس على رأس السماط . فإن غاب قام ولده أو أخوه مَقَامه . فإن لم يحضر أحدٌ منهم، كان صاحبُ الباب عِوَضَه . وكان هذا السِّماط من أعظم الأسمطة وأحسنها، يُمَدّ من صدر القاعة إلى مقدار ثلثيها بأصناف المأكولات والأطعمة الفاخرة، ويخرجون من هنالك بعد العشاء الآخرة بساعة أو ساعتين، ويفرّق فضلُ السماط كلَّ ليلة، ويتهاداه أرباب الرسوم حتّى يصل إلى أكثر الناس . وإذا حضر الوزير بعث الخليفة إليه من طعامه الذى يأكل منه تشريفا له، وربما خصه بشىء من بَخُوره .

وأما سِماط العيدين فإنه يمدّ فى عيد الفطر وعيد الأضحى تحت سرير الملك بقاعة الذهب المذكورة أمام المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوسَ العامَّ أيام المواكب، وتنصب على الكرسىّ مائدةٌ من فضة تعرف بالمدوّرة، وعليها من الأوانى الذهبيات والصينىّ الحاوية للأطعمة الفاخرة ما لا يليق إلا بالملوك؛ وينصب السِّماط العامّ تحت السرير من خشب مدهون فى طول القاعة فى عرض عشرة أذرع، وتفرش

فوقه الأزهارُ المشمومة ، ويُرَصُّ الخبز على جوانبه كل شابورة ثلاثة أرطال من نَقِيّ
الدقيق ، ويعمر داخل السماط على طوله بأحد وعشرين طبقا عظاما ، فى كل طبق
أحد وعشرون خروفا من الشَّوِيّ ، وفى كل واحد منها ثلثمائة وخمسون طيرا من
الدَّجاج والفراريج وأفراخ الحمام ، ويعبى مستطيلا فى العلو حتّى يكون كقامة الرجل
الطويل ، ويسور بتشاريح الحلواء اليابسة على اختلاف ألوانها ، ويسد خلل تلك
الأطباق على السماط نحوٌ من خمسمائة صحن من الصحون الخَزَفِيَّة(١) المترعة بالألوان
الفائقة ، وفى كل منها سبع دجاجات من الحلواء المائعة والأطعمة الفاخرة ، ويعمل
بدار الفطرة الآتى ذكرها قصران من حلوى زنة كل منهما سبعة عشر قنطارا
فى أحسن شكل ، عليها صُوَر الحيوان المختلفة ، ويحملان إلى القاعة فيوضعان فى طرف
٢٢٥ السماط . ويأتى الخليفة راكبا فيترجَّلُ على السرير الذى قد نصبت عليه المائدة الفضة
ويجلس على المائدة وعلى رأسه أربعةٌ من كبار الأستاذين المحنكين ، ثم يستدعى
الوزيرَ وحده فيطلُع ويجلس على يمينه بالقرب من باب السرير ، ويشير إلى الأمراء
المطوّقين فمن دونهم من الأمراء ، فيجلسون على السِّماط على قدر مراتبهم فيأكلون
وقرّاءُ الحضرة فى خلال ذلك يقرءون القرءان ، ويبقى السماط ممدودا إلى قريب من
صلاة الظهر حتّى يستهلك جميعُ ما عليه أكلا وحملا ، وتفرقةً على أرباب الرسوم .

الضرب الثانى

(فيما كان يعمل بدار الفطرة فى عيد الفطر)

وكان لهم بها الاهتمام العظيم . وقد ذكر ابن عبد الظاهر أصنافها فقال : كانت
ألف حملة دقيق ، وأربعمائة قنطار سكّر ، وستة قناطير فُسْتُق ، وأربعمائة وثلاثين

---

(١) عبارة المقريزى " من الصحون الخزفية " التى فى كل منها سبع دجاجات وهى مترعة الخ .

إردب زبيب، وخمسة عشر قنطار عسل نحل، وثلاثة قناطير خل وإردبين سمسم وإردبين أنيسون وخمسين رطلا ماء ورد، وخمس نوافج مسك، وكافور قديم عشرة مثاقيل، وزعفران مطحون مائة وخمسون درهما، وزيت برسم الوقود ثلاثون قنطارا. فى أصناف أخرى يطول ذكرها. قال ابن الطوير: ويندب لها مائة صانع من الحلاويين، ومائة فرّاش برسم تفرقة الطوافير على أصحاب الرسوم خارجا عمن هو مرتّب فيها، ويحضرها الخليفة والوزير معه فيجلس الخليفة على سريره فيها، ويجلس الوزير على كرسىّ له، فى النصف الأخير من رمضان. وقد صار مالها من المستعملات كالجبال الرواسى، فتفرّق الحلوى من رُبع قنطار إلى عشرة أرطال إلى رطل واحد، والخشكنان من مائة حبة إلى خمس وسبعين حبة، إلى ثلاث وثلاثين، إلى خمس وعشرين، إلى عشرين، ويفرّق على السودان على يد مقدّمهم بالأفراد من تسعة أفراد إلى سبعة، إلى خمسة، إلى ثلاثة كل طائفة على مقدارها (١) بسماط يوم الفطر ما يمدّ فى الإيوان الكبير قبل مدّ سماط الطعام بقاعة الذهب.

٢٢٨ وقد وقع فى كلام ابن الطوير خُلْفٌ فى وقته، فذكر فى موضع من كتابه أن ذلك يكون قبل ركوب الخليفة لصلاة العيد، وذكر فى موضع آخر أن ذلك يكون بعد حضوره من الصلاة.

الطـــرف الثامن (٢)

(فى جلوس الوزير للمظالم إذا كان صاحب سيف، وترتيب جلوسه)

يجلس الوزير فى صَدْر المكان، وقاضى القضاة مقابله، وعن جانبيه شاهدان من المعتبرين، وكاتب الوزير بالقلم الدقيق، ويليه صاحب ديوان المال، وبين يديه

(١) بياض بالأصل. ولعله وقد كان سماط يوم الفطر يمد الخ.
(٢) لم يتقدم فى هذا الفصل تقسيم بالأطراف.

صاحب الباب وآسفهسلار، وبين أيديهما النوّاب والحُجّاب على طبقاتهم . وذلك يومان فى الأسبوع .

وقد رثاهم عمارة اليمنى بعد آنقراضهم وآستيلاء السلطان صلاح الدين بن أيوب على المملكة بقصيدة وصف فيها مملكتهم، وعدّ مواكبهم، وحكى مكارمهم، وجلّى محاسنهم، وهى :

رَمَيْتَ يادَهْرُ كَفَّ المَجْدِ بالشَّلَلِ * وجِيدَهُ بعد حُسْنِ الحَلْى بالعَطَلِ
سَعَيْتَ فى مَنْهجِ الرَّأْىِ العَثُورِ فإن * قَدَرْتَ من عَثَراتِ الدَّهْرِ فاسْتَقِلِ
جَدَعْتَ مارِنَكَ الأقْنَى فأنْفُكَ لا * يَنْفَكُّ ما بين أَمْرِ الشَّيْنِ(١) والخَجَلِ
هَدَمْتَ قاعِدَةَ المَعْرُوفِ عن عَجَلٍ * شَقِيتَ، مَهْلاً أمَا تَمْشِى على مَهَلِ
لَهْفِى ولَهْفَ بنى الآمالِ قاطِبَةً * على فَجِيعَتِها فى أكرمِ الدُّوَلِ
قَدِمْتُ مصرَ فأوْلَتْنِى خلائِفُها * من المكارِمِ ما أرْبَى على أَمَلِى
قَوْمٌ عرفتُ لهم كَسْبَ الأُلوفِ، ومنْ * كمالِها أنها جاءتْ ولم أَسَلِ
وكُنْتُ من وُزَراءِ الدَّسْتِ حَيْثُ سَمَا * رَأْسُ الحِصَانِ يُهادِيهِ على الكَفَلِ
ونِلْتُ من عُظَماءِ الجَيْشِ تَكْرِمَةً * وخُلَّةً حُرِسَتْ من عارِضِ الخَلَلِ
ياعاذِلى فى هوى أبْناءِ فاطِمَةٍ * لكَ المَلامَةُ إن قَصَّرْتَ فى عَذَلِى
باللهِ! زُرْ ساحَةَ القَصْرَيْنِ وآبْكِ معى * عليهما لا على صِفِّينَ والجَمَلِ!
وقُلْ لأهْلِيهما : واللهِ ما آلتَحَمَتْ * فيكم جُرُوحى ولا قَرْحى بمُنْدَمِلِ!
ماذا تَرَى كانَتِ الإفْرِنْجُ فاعِلَةً * فى نَسْلِ آلِ أميرِ المؤمنين عَلِى
[هَلْ كانَ فى الأمْرِ شَىْءٌ غيرُ قِسْمَةِ ما * مَلَكْتُمُو بَيْنَ حُكْمِ السَّبْيِ والنَّفَلِ(٢)؟]

(١) فى الخطط للمقريزى "قرع السن" . (٢) الزيادة عن المقريزى .

وقد حصَّلتُم عليها، واسمُ جدِّكُمُ * محمدٌ وأبوكُم خيرُ منتعلِ

مررتُ بالقصرِ والأركانُ خاليةٌ * من الوفودِ، وكانت قبلةَ القُبَلِ

فمِلتُ عنها بوجهٍ خوفَ منتقدٍ * من الأعادى، ووجهُ الودِّ لم يَمِلِ

أسبلتُ من أسفى دمعى غداةَ خلَتْ * رِحابُكم وغدتْ مهجورةَ السُّبُلِ

أبكى على مأثُراتٍ من مكارمِكُم * حالَ الزمانُ عليها وهْى لم تَحُلِ

(دارُ الضِّيافةِ) كانت أُنسَ وافدِكم * واليومَ أوحشُ من رسمٍ ومن طَلَلِ

و(فطرةُ الصَّومِ) إذ أضحت مكارمُكم، * تشكو من الدهرِ حيفًا غيرَ محتمَلِ

و(كُسوةُ الناسِ) فى الفصلَينِ قد درستْ * ورثَّ منها جديدٌ عندهم وبَلِى

وموسمٌ كان فى (يومِ الخليجِ) لكُم * يأتى تجمُّلُكم فيه على الجَمَلِ

و(أوّلُ العامِ) و(العيدينِ) كَمْ لكُمُ * فيهِنَّ من وَبْلِ جُودٍ ليس بالوَشَلِ

والأرضُ تهتزُّ فى (يومِ الغديرِ) كما * يهتزُّ ما بين قصرَيكُم من الأَسَلِ

والخيلُ تُعرَضُ فى وَشْيٍ وفى شِيَةٍ * مثلَ العرائسِ فى حَلْيٍ وفى حُلَلِ

وما حملتُم قِرى الأضيافِ من سَعةِ الأطباقِ إلا على الأكتافِ والعَجَلِ

وما خصصتُم ببِرٍّ أهلَ مملكةٍ * حتى عممتُم به الأقصى من المِلَلِ

كانت رواتبُكم للوافدين وللضـ * ـيفِ المُقيمِ وللطَّارى من الرُّسُلِ

ثم (الطِّرازُ) بتِنِّيسَ الذى عظُمتْ * منه الصِّلاتُ لأهلِ الأرضِ والدُّوَلِ

وللجوامعِ من أخماسِكُم[1] نِعَمٌ * لمن تصدَّرَ فى علمٍ وفى عَمَلِ

وربَّما عادتِ الدُّنيا فمَعقِلُها * منكم وأضحتْ بكم محلولةَ العُقَلِ

(١) فى المقريزى "من احسانكم" وهى أوضح.

واللهِ ! لافازَ يومَ الحَشْرِ مُبْغِضُكُمْ ٭ ولا نجا من عذاب النَّـارِ غيرُ ولِى
ولا سُقِى الماءَ من حَرٍّ ومن ظَمَإٍ ٭ من كَفِّ خيرِ البَرَايَا خاتمِ الرُّسُلِ
[ولا رأى جَنَّـةَ اللهِ التى خُلِقَتْ ٭ مَنْ خانَ عهدَ الإمامِ العَاضِدِ بنِ عَلِى] (١)
أَئِمَّـتِى وهُدَاتِى والذخـيرةُ لى ٭ إذا ٱرْتَهَنْتُ بمـا قدَّمْتُ من عَمَلِ
واللهِ لم نُوفِهِمْ فى المَـدْحِ حَقَّهُمُ ! ٭ لأنَّ فَضْلَهُمُ كالوَابِلِ الهَطِـلِ
ولو تَضَاعَفَتِ الأقوالُ وٱسْتَبَقَتْ ٭ ما كُنْتُ فيهم بحمد الله بالخَجِـلِ
بابُ النَّجاةِ، هُـمُ دُنْيـا وآخِرَةٌ ٭ وحُبُّهُمْ فهو أَصْـلُ الدِّينِ والعَمَلِ
نُورُ الدُّجىٰ ومَصَابيحُ الهُـدىٰ وهُمُ ٭ من نُورِ خالِصِ نُورِ اللهِ لم يَغِلِ
واللهِ لازُلْتُ عن حُبِّى لهم أبدًا ٭ ما أَخَّرَ اللهُ لِى فى مُدَّةِ الأَجَـلِ !

قلت : وعمارة هذا لم يكن على مُعْتَقَدِ الشِّيعَةِ بل فقيها شافعيًّا، قَدِمَ مِصْرَ برسالة عن القاسم بن هاشم بن أبى فليتة أمير مكة إلى الفائز أحد خلفائهم فى سنة خمسين وخمسمائة فى وزارة الصالح طلائع بن رزيك ، فأحسنوا له وبالغوا فى برّه ، فأقام عندهم وتألف بهم . وأتى فيهم من المدح بمـا بَهَرَ العقول . ولم يزل مواليـا لهم حتّى زالت دولتهم وٱستولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله . فرثاهم بهـذه القصيدة ، فكانت آخر أسباب حتفه ، فصلب فيمن صُلِبَ بين القصرين من أتباع الدولة الفاطمية .

(تم الجـزء الثـالث)

ويليه الجزء الرابع ، وأوّله " الحـالة الثالثـة من أحوال المملكة ، ما عليه ترتيب المملكة من ٱبتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا "

(١) الزيادة عن المقريزىّ فى الخطط .

(م-م/٦٦٤١/١٩١٣/٣٠٠٠)